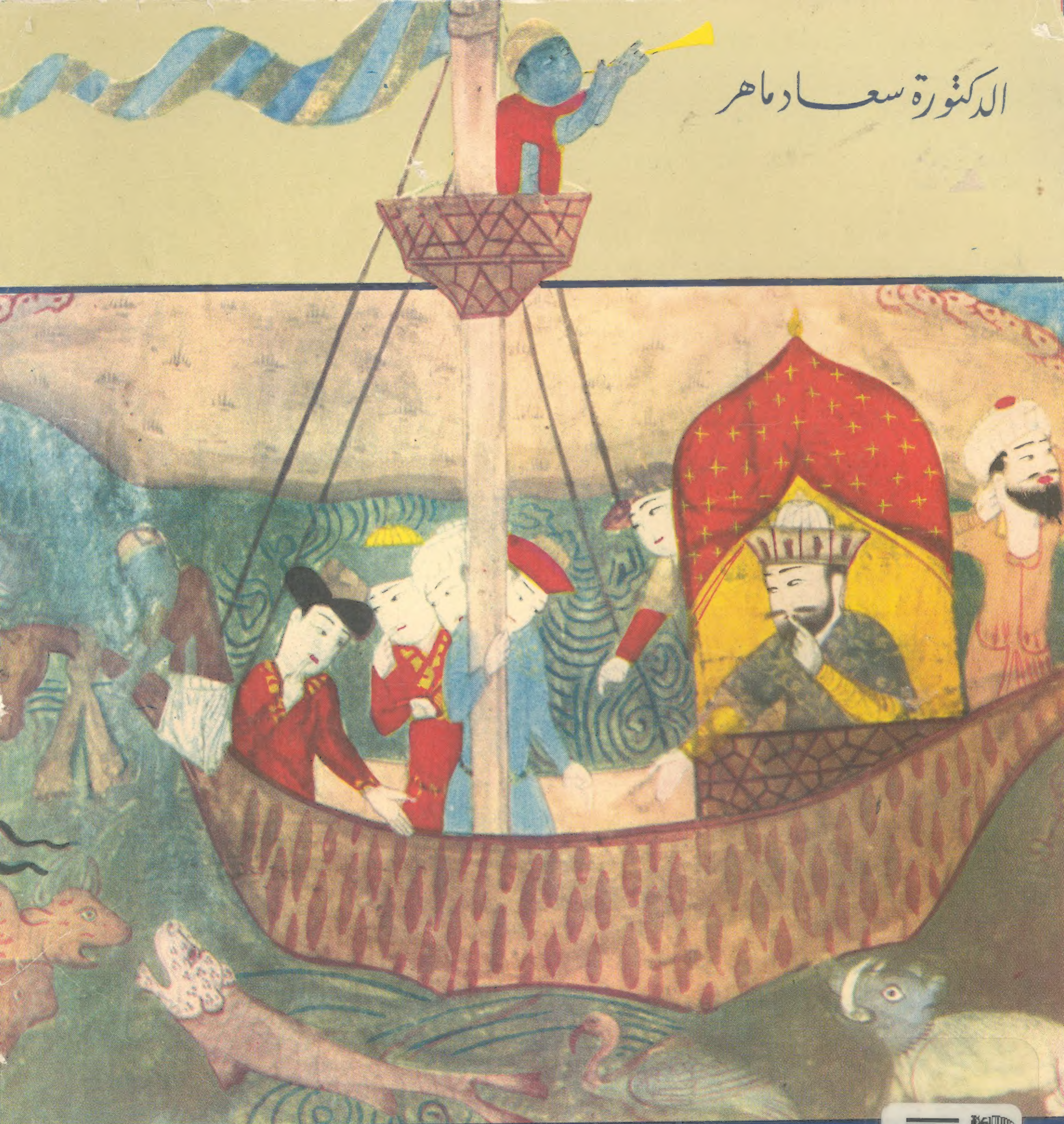


الكنورة سعاد ماهر



0110411

Bibliotheca Alexandrina

البحرنية في مصر الإسلامية

وأثرها الباقية

الدكتورة سعد ماهر

البحرنية في مصر الإسلامية
وأشواق الباقية



المقدمة

ان المتأمل في حضارة العرب ، وفيما خلفوه من آثار مادية وروحية لتستوقفه
نواح مجيدة من نواحي العلم والمعرفة ، فاقوا فيها معاصريهم من أمم كانت لها
حضارات على درجة كبيرة من الأهمية . فلقد نشأ العرب قبل الاسلام فوق أديم
الصحراء ، فاتخذوا من رماله وطاء ومن سمائه غطاء ، وألفوا من العيش أخشنه ،
ومن الحياة أقساها . ثم ما لبثوا أن اندفعوا خلف دول عريقة في الحضارة والمدنية
فتبأوا عروشها ، واقتعدوا مقعدها . ولم يشتهم هول البحر عن تأدية رسالتهم فيه ،
فاتخذوا من الأمم التي خضعت لسلطانهم نواتي وملاحين وربابنة ومعلمين ، وأكثروا
من بناء الجوارى والمنشآت ، ووسقوها بالعتاد والمقاتلة الى أمم مما وراء البحار ،
وغدوا ملوك البر وحماة البحر أحقابا طويلة . ولم يكتفوا بأن حذقوا ثقافة البحار ،
وفنون الغزو فيها ، والاتجار على شواطئها وموانئها بل ظهر منهم المعلمون المهرة ،
والملاحون الحاذقون من أهل سيراف والبحرين وعمان ، أمثال أبي الحسن
محمد بن أحمد بن عمر السيرافي ، وأبي الزهر البرختي الناخذه والحسن بن عمر ،
واسماعيل بن ابراهيم بن ابراهيم بن حرواس الناخذه ، وعبيرة الربان الكرمانى ،

ومحمد بن بإشاد وعمران الأعرج الربان الشهير ، وأمثال أحمد بن ماجد الذي قاد فاسكودي جاما الى المحيط الهندي ومنه الى شبه جزيرة الهند ، وسليمان المهري من رجال القرن العاشر الهجري . وقد صنفوا العديد من المؤلفات في علم الملاحة وفنون البحر ، مثل كتاب « المترجم بالمدخل الكبير الى علوم البحر » الذي ألفه أبو معشر المنجم ، ونقل عنه المسعودي ، وكتاب « الرهمانى » في علوم البحر تأليف محمد بن شادان ، وسهل بن ابان ، وليث بن كهلان . بل هناك من رجال القرن الرابع الهجري من ألف في علم البحار مثل أحمد بن بتروية ، والمعلم خواشير ابن يوسف ابن صلاح الأركى .

على أنهم لم يقصروا بحوثهم على التأليف في فنون البحر فحسب بل صنفوا في الحروب عامة والبحرية خاصة ، وأفردوا للآلات المستعملة في الحروب البحرية ، والأدوات الضرورية لركوب البحر ، المؤلفات الطوال التي تربوا على ألف مخطوط لا تزال حبيسة المكتبات العامة في اسطنبول وباريس ولندن وصوفيا وبرلين وليننجراد واكسفورد والاسكوريال والقاهرة ومعهد المخطوطات بالجامعة العربية وغيرها من المكتبات الخاصة . ومن أهم تلك المخطوطات :

مخطوط « تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة من الحروب ومن الأسواء ، ونشر أعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء » ، وهو من تأليف العلامة مرضى الطرطوسى . توجد منه نسخة في مكتبة اكسفورد تحت رقم (٢٦٤) كما توجد نسخة منه في مكتبة المتحف الحربى في القاهرة . وقد قام بنشره والتعليق عليه (كلود كاهين) في مجلة :

Bulletin d'Études Orientales (Tom XII — Année 1947-1948)

مخطوط « الحيل والحروب وآلات السلاح وحصار القلاع وصناعة السيف والرمى بالنشاب وعمل البارود » ويرجع الى سنة ٦٢٢ هـ ، توجد نسخة منه في مكتبة (ليدن) تحت رقم (٩٢) .

مخطوط « التذكرة الهروية في الحيل الحربية » تأليف أبى الحسن على ابن محمد بن أبى بكر الهروى المتوفى سنة ٦١١ هـ ومنه نسخة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٩٩) ، وهو مصور في معهد المخطوطات بالجامعة العربية تحت رقم (٢١٠) .

مخطوط « اللعب بالبندق » لأبى عبد الله بن اسماعيل بن عبيد الله البغدادي المعروف بابن البقال معيد النظامية المتوفى سنة ٥٨٨ هـ .

مخطوط « تحفة المجاهدين في العمل بالميادين » ألفه الأمير لاجين بن عبد الله الذهبي الحسامي الطرابلسي سنة ٧٣٨ هـ . توجد نسخة في متحف برلين ونسخة في مكتبة اكسفورد وهو مصور في الجامعة العربية تحت رقم (٩٠٢) .

مخطوط « بغية القاصدين في العمل بالميادين » للمؤلف السابق ذكره ، توجد نسخة منه في مكتبة (ليدن) بهولندا .

مخطوط « كشف الكروب في معرفة الحروب » ألفه عماد الدين موسى بن محمد اليوسفي المصري سنة ٧٥٩ هـ وقدمه للملك الظاهر جقمق . توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية ونسخة في المتحف الحربى بالقاهرة تحت رقم (١٠٦ عربى) .

مخطوط « الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية » ألفه محمد بن منكلى العلمى المتوفى سنة ٧٧٨ هـ ، ويبحث في فن القتال ، وتوجد نسخة منه بالخزانة التيمورية في القاهرة تحت رقم (٢٣) ونسخة أخرى في متحف القاهرة الحربى ، ونسخة ثالثة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٧٠٥) فنون حربية .

مخطوط « فن الحرب » للمؤلف السابق ذكره وقد ألفه تلبية لرغبة السلطان الأشرف شعبان وهو يتحدث عن سياسة الصنائع الحربية .

مخطوط « رسالة في الرمي بالبندق » للمؤلف عماد الدين اسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير الحافظ الدمشقي المتوفى سنة ٧٤٤ هـ . طبع في القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ من قبل (جمعية النشر والتأليف الأزهرية) .

مخطوط « تفريج الكروب في تدبير الحروب » لأبى عبد الله محمد بن محمد الرشيدى منه نسخة مصورة بالجامعة العربية تحت رقم (٩٠٣) .

مخطوط « العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمزافع » تأليف أحمد غانم الأندلسى . منه نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٨٦) .

مخطوط « الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب » لمؤلف مجهول

يغلب على الظن أنه محمد بن منكلى الشمسى . توجد منه نسختان فى خزانة
أيا صوفيا تحت رقمى ٣٠٨٦ — ٣٠٨٧ . ونسخة فى متحف ليدن تحت رقم (٤٩٩) .
ونسخة مصورة فى الجامعة العربية تحت رقم (٦٧٢) .

ومن الآلات التى استعملت بكثرة فى الحروب البحرية المناجيق ، وقد ألف فيها
الكثير من المؤلفات أهمها :

مخطوط « الأنيق فى المجانيق » تأليف ارنبوغا الزردكاش الذى قدمه للأمير
شمس العلاء منكلى سنة ٨٦٧ هـ . ويتألف الكتاب من ١٠٩ صفحة وفيه حوالى
خمسائة رسم . توجد منه نسخة فى دار الكتب المصرية ، ونسخة مصورة بالجامعة
العربية تحت رقم (٩٧٠) .

ومن العلوم التى خدمت علم البحار خدمات جليلة ، علم الفلك ، فقد ألف كثير
من علماء الفلك المصنفات التى تتناول بالبحث والدراسة آلة الاسطرلاب وكيفية
العمل به ومن أهم تلك المؤلفات وأقدمها :

مخطوط « رسالة فى عمل الاسطرلاب » تأليف جابر بن حيان الصوفى المتوفى
سنة ١٦١ هـ . قال القفطى (ص ١٦١) « ان محمد بن سعيد السرقسطى المعروف
بابن المشاط الاسطرلابى الأندلسى » ، « ذكر أنه رأى لجابر بن حيان ، بمدينة مصر
تأليفا فى عمل الاسطرلاب يتضمن ألف مسألة لا نظير له » .

مخطوط « صنعة الاسطرلاب والعمل بها » تأليف ما شاء الله اليهودى ، كان
فى أيام المنصور وعاش الى أيام الخليفة المأمون . ذكر ابن النديم (ص ٣٨٢) والقفطى
(ص ٣٢٧) وقال نليتو فى كتاب « علم الفلك : تاريخه عند العرب ص ١٤٨ » :
« ان الأصل العربى لهذا الكتاب قد ضاع ولم تنج من التلف الا ترجمة لاتينية له ،
طبعت فى أوربا ثلاث مرات فى القرن السادس عشر للميلاد . وقد ورد تفصيل
ذلك فى :

Carmody : Arabic Astronomical & Astrological Science in Latin Translation (1956.)

مخطوط « العمل بالاسطرلاب » لأبى القوارس يحيى بن أبى منصور المنجم
المأمونى كان على قيد الحياة سنة ٢١٧ هـ . ذكره صاحب كشف الظنون .

مخطوط « العمل بالاسطرلاب الكرى » لأبى العباس الفضل بن حاتم النيريزى المتوفى سنة ٣١٠ هـ . ويقول ابن النديم انه ألف هذا الكتاب للخليفة المعتضد العباسى (ص ٣٨٩) توجد نسخة منه فى مكتبة الاسكوريال تحت رقم (٩٦١) .

مخطوط « رسالة فى الاسطرلاب » لأبى الحسن عبد الرحمن بن عمر الصوفى الرازى المتوفى سنة ٣٧٦ هـ . توجد نسخة منه فى بطرسبرج ، وأخرى فى خزانة المشكاة تحت رقم (٨٧٥) .

مخطوط « دوائر السموات فى الاسطرلاب والمسارات » للأمير أبى نصر منصور ابن على بن عراق المتوفى سنة ٤٢٠ هـ . توجد منه نسخة فى بانكى فور تحت رقم (٢٤٦٨) وقد طبعت فى حيدر أباد سنة ١٩٤٧ ضمن « رسائل أبى نصر بن عراق الى البيرونى » .

مخطوط « استيعاب الوجوه الممكنة فى صنعه الاسطرلاب » لأبى الريحان البيرونى المتوفى سنة ٤٤٠ هـ منه نسخ فى المتحف البريطانى تحت رقم (٥٥٩٣) وبرلين (أهلوردت Ahlwardt) (٥٧٩٥ ، ٥٧٩٦) ونسخة فى مكتبة المجلس النيابى بطهران .

مخطوط « رسالة فى عمل الاسطرلاب » تعزى الى نصر الدين الطوسى المتوفى سنة ٦٧٢ هـ . توجد منها نسخة فى المكتب الهندى بلندن رقم (٧٦٧) .

مخطوط « منهج الطلاب فى العمل بالاسطرلاب » للملك الأشرف أبى الفتح عمر بن الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول أحد ملوك الدولة الرسولية فى اليمن . توجد نسخة منه فى المكتبة التيمورية ، وأخرى بالمجلس النيابى بطهران .

الا أن هذا التراث القيم الذى حفظته لنا المكتبات فى قماطرها ، ينقصه التنسيق والتبويب ليرى النور وليكون أقرب منالا وأكثر ثغفا . وعلى الرغم من كثرة ما تركه لنا أجدادنا ووفرته فى ميدان علوم البحر ، فان عدد الكتب التى ألفها العلماء الأجانب فى فنون البحر عند المسلمين ، يفوق بنسبة كبيرة ما ألفه الكتاب العرب المعاصرون فى هذا الميدان .

ولما كانت مصر أول دولة سادت البحار وتسمنت ذروة البصيرة بين الأمم

والشعوب القديمة في ذلك المضمار ، ففي أحضان وادي النيل وعلى ضفاف نهره المبارك صنعت الأيدي المصرية أول المراكب التي صعدت الى أعالي البلاد وانحدرت الى أسفل أرجائه ، وما لبثت أن ضاقت بها مياه النيل العذبة ، فابتعدت عن سواحل القطر ومخرت عباب البحار ، جارية باسم الله مجراها ومرساها ، ميممة نحو الأمصار النائية والثغور القاصية .

وقد مضى على مصر قرابة سبعين قرنا ، انتقلت في خلالها من حكم الفراعنة الى البطالمة الى الرومان الى العرب فالمماليك فالعثمانيين حتى قيض الله لها ابنها البار الرئيس جمال عبد الناصر فأعاد اليها حريتها واستقلالها ، وهبت في عصره ريح العرب من جديد وعلت كلمتهم ، فعمل على بعث الأمة العربية واعادة مجدها التالد حتى تبوأ مكانتها بين الدول العظمى .

لهذا وذاك رأيت أن أكتب عن البحرية المصرية في العصر الاسلامي ، وقد اعتمدت في الدرجة الأولى على ما ورد في الأسفار المخطوطة التي تركها لنا أجدادنا العرب ، والتي أشرت الى بعضها من قبل ، فمنها استقيت المعلومات وتزودت بالرسوم والبيانات ، ولم أكتف بجمع المادة التاريخية والشرح والوصف للآلات وطريقة استخدامها فحسب ، بل حرصت كل الحرص على توضيح كل ذلك بالصورة والرسم ، معتمدة في ذلك على المخطوطات المصورة ، وكذا الرسوم والنقوش الأثرية الواردة على الخشب أو الخزف أو النسيج أو المعادن وغيرها من التحف والآثار التي لا تزال باقية . ومن ثم فقد سميت مؤلفي هذا ، البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية .

هذا وقبل أن أختم هذه المقدمة لا بد لي أن أذكر كلمة شكر وتقدير وعرفان بالجميل للأستاذ الفاضل توفيق أحمد البكري ، مدير معهد المخطوطات بالجامعة العربية على ما أمدني به من مخطوطات ومراجع كان من العسير الحصول عليها لولا معاونته الصادقة المخلصة ، كما أشكر للأستاذ رشاد المطلبى وجميع موظفي معهد المخطوطات على ما ألفت منهم من عون كبير ، وأن أذكر بالشكر للأستاذ فؤاد السيد ، رئيس قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية والأستاذ إبراهيم ناصف

رئيس قسم المراجعة بمجلس الأمة سابقا معوتتهما الصادقة . كما لا يفوتنى أن
أتقدم بجزيل الشكر الى الأستاذ محمود العالم رئيس مجلس ادارة دار الكاتب
العربى بوزارة الثقافة على معاوته الصادقة فى طباع الكتاب ، كما أشكر
الأستاذ عبد السلام الشريف الذى يرجع اليه الفضل فى اخراج الكتاب فى هذا
الثوب القشيب .

وقد ورد فى المثل المأثور .. نهاية الأوائل بداية المتأخرين .. وعلى الله قصد
السبيل .

سعاد ماهر

الجيزة فى مايو سنة ١٩٦٧

الباب الأول

البحرَيْنِ
فِي مَصْدَرٍ
قَبْلَ الْأَسْلَامِ



لقد صنعت في أحضان وادي النيل وعلى ضفاف نهره المبارك أول السفن التي
صعدت الى أعالي النيل وانحدرت الى أسفل أرجائه ، ولم تكتف بهذا المجال
الضيق فخرجت باسم الله مجراها ومرساها تمخر عباب البحار والمحيطات وتجوب
الثغور الدانية والموانئ القاصية حتى تبوأَت مصر مركز الصدارة في سيادة البحار
بين شعوب العالم القديم . وقد استطاعت مصر أن تحافظ على هذا المركز المرموق
في سيادة البحار قرابة سبعة آلاف عام ، رغم ما قاسته من المحن وما لاقته من
صنوف العذاب من الدول الأجنبية التي توالى على حكمها في فترات ليست بالقليلة .
فلقد أعقب الحكم الفرعوني ، العهد البطلمي ، ثم الروماني ، ثم فتحها العرب في
القرن السابع الميلادي ، فدخلت مصر في دور جديد من تاريخها المجيد ، استعادت
فيه ماضيها المجيد وبلغت فيه أساطيلها البحرية درجة أرهبت أعداءها ، ودعمت
استقلالها ، ثم جعلت منها امبراطورية مترامية الأطراف .

دلت التنقيبات التي قامت بها الهيئات الأثرية حديثا على أن المصريين أول من
قاموا ببناء السفن وركبوها في الأنهار والبحار في عصر ما قبل التاريخ ،

وكانت تلك الفلك بسيطة بدائية في أول أمرها ، فقد استعملوا جذوع^(١) الأشجار للانتقال بها من ضفة الى أخرى من ضفاف نهر النيل ، ثم ربطوا الجذوع بعضها الى بعض وشدوا وثاقها بالأعشاب المتينة مثل البردى ، كونوا منها كتلا من الخشب أمسكوها بأيديهم ، كما أنهم استعملوا أقدامهم كمحركات يدفعون بها السفن . وهكذا أخذوا يطورون صناعة السفن ويدخلون عليها من التعديلات ، حتى أصبحت وسيلة طيبة لركوب الأنهار ثم البحار ، فقد جعلوا في المراكب مقاعد ، واستعملوا قطعا من الخشب كبدايات للتجديف ، بدلا من استخدام أرجلهم ، ثم استعملوا بعد ذلك الفلك المجوفة التي عرفت باسم بورجيز^(٢) (Pirogues) .
انظر لوحة رقم (١) .

وقد عثر على رسوم للسفن المصرية القديمة على كثير من الأواني الخزفية ، وفي هذه الرسوم ظهر بوضوح احتواء السفن على الشراع ذي الشكل المربع الذي يلائم الملاحة في نهر النيل حيث تهب الرياح عادة من الشمال فيتيسر للمراكب الاقلاع الى أعالي النيل ضد التيار والعودة منه بقليل من الجهد بواسطة عمود الجس (المدارة) ، كما عرف المصري القديم الشراع المستطيل منذ عصر حضارة نقاده^(٣) الأولى (انظر لوحة رقم (٢)) . ويتضح من الرسوم الكثيرة التي وردت على الفخار المعروف باسم decorated ware ، والذي ظهر في حضارة نقاده^(٤) الثانية ، أن قوارب عصر ما قبل التاريخ كانت تتحرك بواسطة عدة مجاديف وصلت في بعضها الى أكثر من عشرة على كل جانب ، وكان القارب يزود اما بقمرة واحدة أو بقمرتين . وفي هذه الحالة يقيمون مظلة بين القمرتين ، ويتضح

(١) يعارض عبد المنعم أبو بكر رأى الأستاذ : (Torr : Ancient Ships P. 11) فيقول : يبدو لي أن المصريين لم يستعملوا جذوع الأشجار في أول عهدهم في السفن بل استعملوا سيقان البردى الطويلة يربطونها الى بعضها البعض ويصنعون منها قوارب طويلة بقيت مستعملة في العصر التاريخي في رحلات صيد السمك والطيور .

(٢) برستيد : تاريخ مصر من أقدم العصور (مترجم ص ٩٧) .

Poreux : Etudes de nautique égyptienne P. 13

Morgan : L'Age de la pierre en Egypte P. 33 (٣)

Koster : Sie fahrten der Alten Aegypten P 27 (٤)

من الرسوم أن القارب والقمرة قد استعمل في بنائها سيقان البردى التى كانت البيئة المصرية تموج بأحراشها فى كل مكان .

وكانت السفن تحتوى على رسوم^(١) ورموز لها معان ودلالات مختلفة ، بعضها دينى مثل رسم الدرع والسهمين المتقاطعين الذى يرمز الى الآلهة^(٢) ، والبعض الآخر يدل على شارة اقليم بعينه ، مثل رسم الفيل ، ويقصد به غالبا جزيرة فيلة^(٣) التى تقع جنوبى أسوان . ولما أطردها كبر حجم المراكب استعمل الشراع المربع والمجاديف معا ، كما كانت بعض المراكب تضيف شراعا مثلثا^(٤) فوقها وخاصة السفن التجارية التى كانت أضخم فى البناء من السفن الحربية .

ولم تخل المراكب فى ذلك العصر المبكر من المظاهر الفنية ، فكما احتوى الشراع على بعض الرسوم ، كذلك زخرف جسم السفن بالنقوش والصور التى كانت تميز سفينة من أخرى أى انها كانت تحمل محل الأسماء فى هذه الأيام ، ومعظم تلك الرسوم كانت عبارة عن صور محفورة وملونة للآلهة^(٥) . وقد عثر على

(١) فقد قام العالم الأثرى نيوبرى (Newberry) بجمع بعض العلامات التى وردت مرسومة على صواري القوارب التى امتاز بها فخار حضارة نقادة الثانية ووجد أن معظم هذه العلامات خاصة كرموز بمناطق فى الدلتا ، ولذلك خرج بنظرية أن صناعة القوارب فى مصر بدأ وتطور فى الدلتا منذ حضارة نقادة الثانية سنة (٤٠٠٠ ق م) ولكن تيرى وجد قليلا من القوارب مرسومة على فخار حضارة نقادة الأولى سنة (٤٥٠٠ ق م) ومنها القارب المزود بشراع (السالف الذكر) وهذه حضارة خاصة بمصر العليا والنوبة السفلى فقط .

(٢) المعبودة « نيت » ظهرت كمعبودة رئيسية فى مناطق غرب الدلتا وكان يرمز لها بدرع وسهمين متقاطعين ومقر عبادتها منذ أول العصور مدينة سايس (صا الحجر) ولكن علاقتها مع « رع » هى علاقة مفارقة نسبياً ولم تكن يوماً من الأيام أملاً له لأن « رع » خلق نفسه من نفسه ولو أنه أحياناً يوصف بأنه ابن الآلهة Nwt ربة السماء .

(٣) يقول الدكتور عبد المنعم أبو بكر : أنه لا يذكر أن علامة الفيل وردت بين هذه العلامات .
(٤) ويقول أبو بكر : ولا أذكر أن المصرى استعمل الشراع المثلث قبل عصر الدولة القديمة .
ولا أذكر أيضاً أن المصرى استعمل طريقة زخرفة جسم القوارب فى عصور فجر التاريخ بصور للآلهة أو بالنقوش ، فالمصرى فى ذلك الوقت لم يستطع التعبير عن آلهته بصور وكذلك لم يبدأ بالنقش إلا على لوحات الكحل ، وهى كثيرة ولكن لم يأت بينها صورة واحدة لأحد الآلهة .

Torr : Ancient Ships P 16 (٥)

رسوم لسفن مصر السفلى ومصر الوسطى^(١) وعلى كثير من الأوانى مما يدل على تقدم هذين الاقليمين فى الملاحة البحرية ، بخلاف مصر العليا التى كان نشاطها البحرى ضئيلا نسبيا فى ذلك العهد .

أما فى عهد الدولة القديمة فقد نشطت حركة السفن النهرية حتى بلغت الشلال الأول ، وكان ذلك فى عهد الملك مينا^(٢) أى قبل سنة ٣٣٠٠ ق . م تقريبا . وفى عهد الملك سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة ، قامت أول بعثة بحرية منظمة ، بلغ عدد سفنها أربعين سفينة مصرية ، سارت من الشواطىء المصرية متجهة نحو سواحل فينيقية لاستيراد أخشاب الأرز من لبنان (أنظر لوحة رقم ٣) ويقال أن طول المركب كان يبلغ فى ذلك الوقت مائة وسبعين^(٣) قدما تقريبا (أى حوالى ستة وخمسين مترا تقريبا) وكانت تلك السفن بعضها يجوب نهر النيل والبعض الآخر يتجر مع الأقطار الشمالية (أنظر لوحة رقم ٤) كذلك توغلت السفن المصرية فى البحر الأحمر^(٤) حتى بلغت بلاد بونت (Pouanit) (الصومال الحالية) وكذا جنوب شبه الجزيرة العربية المعروف باسم (Arabic Felix) لاستيراد البخور والعطور وغيرها من منتجات تلك الأقاليم . وكانت تلك السفن تشبه السفن النيلية من حيث التخطيط العام ، غير أنها تكبرها فى الحجم والوزن حتى تستطيع أن تقاوم أمواج البحر وهياج الرياح^(٥) وتدل السفن التى عثر عليها حديثا فى منطقة الأهرام على المام

(١) Morgan : Ethnographie prehistorique P 34

(٢) هنرى برستد : تاريخ مصر ص ٧٥ .

(٣) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ١ ص ٢٨٤ ، ج ٢ ص ٢٢٦ برستد نصوص مصرية قديمة ١ ص ١٤٦ .

ليس هناك من دليل يقول بأن طول مركب سنفرو بلغ ١٧٠ قدما (عبد المنعم أبو بكر) .

(٤) Maspero : De quelque navigation des Egyptiens sur les cotes de la mer

Erythrée IX

(٥) هناك اختلاف كبير بين السفن التى تجوب البحار وتلك التى تجوب النيل ، والأولى كانت تتميز بكتل خشبية تبدو نهايتها فى جوانب السفينة ، كما كانت تتميز بحبل سميك يربط بين مقدمة السفينة ومؤخرتها ، ويستند على قوائم خشبية من الطرفين أشبه ما تكون بالشوكة وفائدة هذا الحبل أنه كان يقوى جسم السفينة ويجعله أكثر مقاومة لأمواج البحر وكلما اشتدت الأمواج قصروا طول الحبل بطريقة لفته على بعضه البعض بقائم خشبي مثبت عند الوسط (عبد المنعم أبو بكر) .

المصريين الدقيق بن بناء السفن وتفوقهم في هذا الميدان ويتضح ذلك جليا من سفينتي الملك خوفو التي يبلغ طول الواحدة منها (٤٣٢٠ متر)^(١) .

كذلك عنى الفراعنة بإنشاء جهاز ادارى يتولى الاشراف على الشئون البحرية عرف باسم (ادارة بناء السفن) ، وجعلوا الأسطول الحربى تابعا (لمصلحة الحرية) ، كما عنوا بتحسين الموانىء والشعور بإقامة القلاع والحصون . وفى عهد الملك بيبى الأول أحد ملوك الأسرة السادسة أرسلت حملة بحرية بقيادة أونى (Ouni) قاصدة شواطئ فلسطين وفينيقية لتأديب القبائل التى اعتدت على حدود مصر الشرقية ، ويصف أونى^(٢) نفسه ما قامت به تلك الحملة فيقول : « أبحرت فى سفن البحر ومعى فصائل من الجنود ونزلت خلف مرتفعات الجبال الواقعة شمالى بلاد سكان الرمل ، وعندما سار هذا الجيش على المرتفعات سرت وقبضت على الثوار بأكملهم وقبضت على كل العصاة » .

وتعد هذه الحملة أول غزوة بحرية فى تاريخ العالم ، اشترك فيها الجيش والأسطول ، وقد برهن المصريون فيها على مقدرتهم على ركوب البحر وتحكمهم فيه فاستطاعوا أن يحموا فيالق الجيش ويكسبوا المعركة .

ومن المعارك البحرية الهامة التى حدثت فى عهد الدولة القديمة ، تلك الحملة النيلية التى حدثت فى عهد الملك خيتى^(٣) الثالث ضد الأمير (اتف عا) زعيم

(١) عثر حتى الآن على خمسة سفن للملك خوفو ، ولم يثر إلا على الجسم الخشبي الكامل لواحدة فقط وتصل فى طولها ٤٣٢٠ متراً .

وهناك ثلاثة عثر عليها (Reisner) عام ١٩٢٤ وكانت حفراتها خالية تماماً من أى أثر من الآثار الخشبية للمراكب .

ثم هناك خامسة لا تزال ترقد فى حفرتها منتظرة الكشف عنها الذى لن يبدأ إلا بعد الانتهاء من وضع المركب السالفة الذكر فى متحفها الذى كاد ينتهى .

(٢) هنرى برستد : تاريخ مصر ص ٨١ ، سليم حسن ج ١ ص ٣٧٣ بينما يقول أبو بكر : لم يذهب أونى إلى فينيقيا بل استعمل الأسطول لنقل فرق من الجنود إلى شاطئ فلسطين ومهاجمة العدو من الخلف .

(٣) خيتى : أحد ملوك الأسرة العاشرة ، وعصره يدخل فيما يصطلح على تسميته عصر الاضمحلال الأول .

طيبة ، فقد جاء وصف هذه المعركة منقوشا على مقبرة أمير أسيوط حليف الملك « جاء انتف كانه الفهد المفترس بجيش مؤلف من أحلافه ، فخرجت لملاقاته ولم أتوان لحظة واحدة عن منازلته في سفنى ، وقد حاولت استخدام ريح الشمال وريح الجنوب وكذلك الريح الشرقية والريح الغربية حسب الأصول الجوية ، وقد انتهت هذه الحرب بأن غرق العدو وسفنه في النيل وكانت جنوده تلوذ بأهداب الفرار كالثيران عندما تهاجمها الحيوانات المتوحشة رافعة ذيولها الى الأمام » (١) .

وفي عهد الدولة الوسطى ، كان الأسطول المصرى قد ثبتت أقدامه في حوض مياه البحر الأحمر ونشطت الملاحة التجارية مع بلاد بونت حتى ألف أهلها رؤية المصريين ، وكثر في الأدب المصرى ذكر القصص التى تحكى ما رآه الملاحون في تلك البلاد ، ومن أظرفها قصة الملاح الغريق التائه (٢) ، التى تصف ما صادفه ملاح مصرى من مشاق وصعاب في رحلته الى بلاد بونت . وقد عثر على كثير من السفن الجنائزية التى ترجع الى عصر الدولة الوسطى ، وهذه السفن مركبة (٣) من ألواح مثبتة بدسر (٤) على عيدان صغيرة من الخشب مقوسة من الداخل كأنها القفص الصدرى ولكل منها سطح وفي مؤخرتها قائمان مستقيمان توضع عليهما المجاديف التى كانت تحل محل الدفة (٥) .

وقد وصلت البحرية المصرية في عهد الدولة الحديثة أوج عظمتها ، اذ ثمرس المصريون في ركوب البحر ، وأحكموا الدراية بفنونه وثقافته حتى دخلت الاصطلاحات البحرية وما يجرى فيه الفلك وما يتصل به في رسائلهم الأدبية ، وفي العبارة التى وصف بها المهندس (انينى) الملكة حتشبسوت كما جاء منقوشا على جدران معبد الدير البحرى ، ما يدل على ذلك ، فهو يقول « ان الملكة حكمت

(١) سليم حسن : ج ١ ص ٤٢١ .

(٢) Boreux : Etudes de nautique égyptienne P 63

(٣) Torr : Ancient Ships P 54

(٤) الدسر جمع دسار ، وهو خيط من الليف تشد به ألواح السفينة ، والدسراء السفينة لأنها تدسر الماء بصدرها أى تدفعه .

(٥) استعمال المصرى الدفة على أساس شكل المجذاف منذ أول العصور .

البلاد بإرادتها وحدها فطأطأت لها مصر رأسها طائعة أوامرها ولا غرابة في ذلك فانها من السلالة المقدسة العظيمة الخارجة من صلب الآلهة ، فكانت بمثابة جعل مقدم السفينة في البلاد الجنوبية ووتد مرسى السفينة عند أهالى الجنوب وجعل مؤخر السفينة في البلاد الشمالية » (١) .

ومما لا شك فيه ان موقع مصر الجغرافى وما حباها الله به من نعم طبيعية كان له أثر فعال في تقدمها البحرى فانه يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط ، وشرقا البحر الأحمر ، ويخط وسطها نهر ميمون الغدوات ، مبارك الروحات ، يجرى بالزيادة والنقصان كجرى الشمس والقمر ، وكان للملاحة شأن عظيم قال عنه الأستاذ بورو (٢) في كتابه الملاحة البحرية ان الملاحة لعبت في مصر دورا هاما في مختلف عصورها التاريخية ، حتى أن عددا كبيرا من المسائل السياسية والاقتصادية والدينية ، التى كانت تبين بوضوح حسن سير الادارة في هذه البلاد التى خلقها نهر النيل ، كان ذلك يتوقف أو بعيد على القارب والسفينة .

هذا ولا يخفى علينا ما كان للديانة من دور هام وفعال في حياة المصريين القدماء ، كما كان للملاحة أثرها في معتقداتهم وشعائرهم الدينية ، فقد كان الاله رع (٣) يسير في الفجر في سفينة الصباح ، وعند غروب الشمس يسبح في سفينة الليل ، أما النجوم فكانت تسبح في قواربها الخاصة . كذلك كان للموتى قوارب لخدمتهم ، ولذا كانت توضع لهم نماذج منها في مقابرهم .

وقد عثر على مقبرة بالقرب من مدينة ايليشيا (٤) (Elethya) في صحراء مصر الشرقية ، على جدرانها نقوش تدل على أن صاحبها يدعى أحمس (Ahmosis) ابن ابانا الذى كان يعمل رئيسا للنوتية في حكم الملك أحمس الأول واشترك في الحروب البحرية التى وقعت في عهده .

(١) برستد : تاريخ مصر العرب ص ١٧٨ . Marete : Dier-El-Bahari P 119

(٢) Boreux : Etudes de nautique Egyptienne vol I P 7

(٣) La Roucière : Histoire de la Nation Egyptienne T I, P 7

(٤) Gauthier : Precis de l'histoire de l'Egypte T II, P. 115

وقد استطعنا أن نستخلص بعض المعلومات عن سفن الأسطول المصرى فى عهد الدولة الحديثة ، وأسمائها من ترجمة حياة القائد البحرى السابق ذكره (أحمس ابن ابانا) ، فقد ذكر أسماء السفن التى تولى قيادتها . وتدل هذه الأسماء على أن سفن الأسطول تعرف بأسماء خاصة بعضها مأخوذ من أسماء المدن والأقاليم ، وأخرى رمزية للدلالة على القوة ، كما يستفاد انه كان للدولة أكثر من أسطول ، اذ كان يوجد واحد للوجه القبلى وآخر للوجه البحرى ، فقد جاء فى هذه الترجمة « قضيت أيام شبابى فى مدينة نخب ^(١) وكان أبى قائدا فى جيش الملك فى القطرين البحرى والقبلى ، وكان يسمى بابان رويت ، ولما توفى خلفته فى سفينة تسمى (الثور) ^(٢) وذلك أيام الملك أحمس الأول . وكنت اذ ذاك شابا لم أتزوج ، فلما تزوجت وصارت لى أسرة نقلت الى الأسطول الشمالى ^(٣) اذ أنسوا فى شجاعة واقداما ، وكنت أتبع الملك حيثما تنقله عربته . ولما حاصر الملك مدينة أورائس ^(٤) أظهرت بسالة عظيمة وأنا أحارب على قدمى فعيننى الملك بالسفينة المسماة (ضوء منف) ^(٥) .

ثم حارب الملك فى مياه ترعة بزديكو جهة أورائس ، وقد حاربت وقتئذ بيدي فأحضرت يدا مقطوعة من رجال العدو برهانا على شجاعتى واقدامى ، فبلغ ذلك رسول الملك فأنعم على جلالته بعد ذلك بوسام الشجاعة الذهبى .

أما الانتصارات الحربية الحاسمة التى أحرزها الأسطول المصرى فى الدولة

(١) برستد : نصوص مصرية قديمة ج ٢ فقرة ٧ : نخب هى مدينة الكاب كانت تقع شرق النيل بين أسنا وأدفو .

(٢) جاءت فى ترجمة (History of the Pharos, Weigall A.) ج ٢ ص ٢٤٣ (باسم الثور) بينما يترجمها برستد : تاريخ مصر ص ١٤٧ (باسم القربان) .

(٣) تدل هذه العبارة على أن الأسطول الشمالى كان أقوى ولعل ذلك يفيد أنه كان يعمل فى البحر الأبيض .

(٤) أورائس : صان الحجر الحالية وتقع فى الشرقية واتخذها الهكسوس عاصمة لهم ثم أتى رمسيس الثانى واختار موقعها لتشييد عاصمته الجديدة المعروفة باسم « بروسو » .

(٥) جاءت فى ترجمة (Weigall) متوج فى منفيس أما (برستد) فترجمها (ضوء منف) .

الحديثة فقد حدثت في عهد الملك تحتمس الثالث ، الذي قام بعدة غزوات استولى فيها على بلاد الشام وسواحل فينيقية وعلى جميع موانئ شرق البحر الأبيض حتى وصل الى جزائر بحر ايجه .

وقد جاء في وصف الغزوة الخامسة التي قام فيها بأسطوله الضخم للاستيلاء على المدن الشمالية ما يلي : « لقد نقل تحتمس معداته الحربية على ظهر مراكبه ، فاستولى على أسطول العدو الرابض في تلك الموانئ ، ثم زحف بجيشه الى داخل البلاد فتسابق حكامها الى تقديم ولائهم وخضوعهم لملك مصر وفي أيديهم الجزية ، وبذلك استطاع تحتمس ، بفضل قوة أسطوله الاستيلاء على شواطئ فينيقية الشمالية واتخذ منها قاعدة بحرية لغزو البلاد المجاورة (١) . ويؤيد هذا ما جاء في ترجمة أحد قواد تحتمس البحرين (ديجوتي) الذي قال : انه عين حاكما عاما على الأقطار الشمالية بما فيها جزر البحر الأبيض المتوسط ، ومنها جزيرة قبرص (٢) التي فرض على أهلها دفع ضرائب سنوية . وقد طرب المصريون وفرحوا فرحا شديدا لتلك الانتصارات العظيمة التي أحرزها تحتمس الثالث حتى أن كهنة آمون وضعوا أنشودة في مدح تلك الانتصارات ونسبوها الى معبودهم ، وقد نقشت هذه القصيدة على معبد الكرنك في الأقصر جاء في ترجمتها : هأنذا قد جئت أبحث لك أن تضرب بلاد الشرق ، فان كل بلاد الخفيتو (Kafti) (٣) ، (Asi) (٤) في غاية الفرع منك لأنك كنت كالثور ذي القرنين الممتلئ قوة وجراءة ولا يستطيع أحد الوقوف أمامه .

وفي عهد الملك رمسيس الثاني استولى الأسطول المصري على سواحل البحرين الأبيض والأحمر ، كما اشتبك في معارك حاسمة مع أسطول الشعوب الهندية (٥)

(١) برستد : نصوص مصرية ج ٢ فقرة (٤٦٠) .

(٢) تكتب قبرص في معجم البلدان العربية (قبرص) ياقوت ج ٧ ص ٢٢٦ ، أبو المحاسن ج ١ ص ٢٠٠ الفيروز آبادي ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٣) Kaftiu في كريت : التاريخ اليوناني - دكتور عبد العليط أحمد علي ص ١٦٧ .

(٤) (Asi) قبرص Maspero: Histoire ancienne de peuple de Ponieut p. 239 .

(٥) Champollion-Figese : Egypte ancienne, P. 168

التي كانت كثيرا ما تنهك حرمة شواطئ مصر الشرقية والجنوبية . فقد خرج رمسيس الثاني في أسطول قوامه (٤٠٠) سفينة حربية ، وبدأ بالاستيلاء على بلاد الحبشة ثم أبحر من البحر الأحمر الى الخليج العربي بعد أن هزم الشعوب التي كانت تقطن جزر البحر الأحمر وسواحله ، حتى وصل الى منطقة نهر الجانج (Gange) بالهند ، حيث اشتبك مع السفن الهندية (١) . وقد ذكر الأستاذ فارير (٢) (Farrière) وصفا دقيقا لهذه المعركة جاء فيه « قد اشتبك الأسطول المصرى مع السفن الهندية ورمى المصريون الحبال المزودة بالخطافات والسار على مركب العدو لجذبها اليهم ، وتبادل الفريقان الأحجار والسهام وهجم المصريون على ظهر المراكب الهندية واستعملوا الأسلحة البيضاء فذبحوا الكثير من رجالها ووقع الباقيون في الأسر .

ومن أعظم المعارك البحرية التي سجلها التاريخ في تاريخ مصر القديمة تلك الواقعة التي حدثت في عهد الملك رمسيس (٣) الثالث من ملوك الأسرة العشرين ، فقد حدث أن زحف سكان جزر (٤) البحر الأبيض المتوسط بأسطولهم على جزيرة قبرص ولما لم يجدوا مقاومة تذكر احتلوها . وقد دفعهم هذا الانتصار السريع الى التجرد على غزو مصر ، فيمم أسطولهم صوب مصر . وكانت تلك الشعوب تتكون من أهالي بلست (٥) وئيكل (صقلية) وشكلش ودنان ووشواش ، وقد استطاعت

(١) Gauthier : Précis de l'histoire d'Egypte II, P. 182

(٢) Farrière : Navires, P. 129

(٣) برستد : تاريخ مصر ص ٢٤٠ ، Maspero : Histoire ancienne, P. 239

(٤) يعارض الدكتور عبد المنعم أبو بكر هذا الرأي فيقول : « شعوب البحر » هؤلاء كانوا سكان جزر بحر إيجه ولم يقوموا بغزو لى منطقة بل في الواقع هاموا على وجوههم أمام تزايد مجموعات الشعوب الهندو أوروبية التي وصلت الى بلاد البلقان آتية من الشمال الغربى (وهم الذين ظهروا في التاريخ فيما بعد تحت اسم الإغريق) وكانت شعوب محبة للقتال وانصهروا بالشدة والقسوة ، فاضطر أهل البلاد الأصليين الى الهجرة ، بعضهم وصل الى آسيا الصغرى ومنها الى سوريا وفلسطين مثقلين على عرباتهم الخشبية ، والبعض الآخر هاجم على وجهه بقواربه في البحر المتوسط ونزلوا في شمال إفريقيا واتحدوا مع المشواش ووصلوا الى حدود مصر الغربية وهاجموا مصر في عصر مرتباتح ثم في عصر رمسيس الثالث .

(٥) ويقول الدكتور عبد المنعم أبو بكر :

هذه الشعوب رغم تباينها أن تستولى على بلاد الحيشين ، شمالى سوريا ، حتى وصلوا مدينة قرقميش (Carcamish) الواقعة على نهر الفرات ، ومنها زحفوا على ارواد (Arvad) ، ثم الى سواحل فينيقية حتى وصلوا الى مملكة عامور على نهر العاص (Oronte). ولما علم رمسيس الثالث (١) بأمر هذه الحملة ، بادر باعداد العدة لصد هجوم أعدائه فحصد الحدود وجهاز أسطولا ضخما على وجه السرعة ووزع مختلف الوحدات على موانئ وثغور مصر الشمالية حتى اذا ما اكتملت معدات قواته البحرية والبرية تولى بنفسه قيادتها الى سوريا ليصد زحف أعدائه .
(انظر اللوحة رقم (٧)) .

ويرجح علماء الآثار أن الموقعة التى دارت بين الطرفين قد حدثت بالقرب من (قلعة رمسيس) وسميت فيما بعد (قلعة سترابون) ثم عرفت فى العصر البيزنطى باسم القيصرية (٢) . وقد دارت فى عرض البحر معركة بحرية حامية الوطيس بين الفريقين أسفرت عن هزيمة الأعداء واغراق سفنهم قبل أن تصل الى الشاطئ وذلك بفضل مهارة رمسيس الثالث الحربية ، فقد احتاط للأمر فوضع قوة برية على

١ - بلست : هذا الاسم هو الذى ورد فى العهد القديم تحت اسم « فلسط » الذى اشتق منه فيما بعد اسم فلسطين .

٢ - ثيكلت } صقلية
٣ - شكلش }

٤ - وشواش : مشواش وهم سكان شمال إفريقيا ولم يهاجروا مصر من الشمال بل اتحدوا مع شعوب البحر وهاجروا مصر من الغرب ، ولاشك أن المشواش كانوا من القبائل التى ظهرت فيما بعد وهم الذين استقروا فى مدينة أهتاسيا ومنهم الرؤساء الحرييون الذين أخذوا « ما » Ma وانحدرت منهم الأسرات ٢٣ ، ٢٤ من الليبيين .

(١) أما معركة رمسيس الثالث الحربية فقد حدثت بينه وبين هؤلاء الشعوب التى أتت فى قواربها فى السنة الخامسة من حكمه عن طريق الغرب وأتى بعضهم براً وتجمع الكثيرون منهم فى مراكزهم ، ولعل أهم العناصر التى أتت براً كانوا المشواش وساعدتهم فى الهجوم شعوب البحر فى مراكزهم .

ثم هناك معركة أخرى فى العام السادس من حكم نفس الملك . وكانت معركة دارت أيضاً فى البحر ولا تزال مناظرها وخاصة مناظر المعركة البحرية مسجلة على جدران معبد مدينة هابو بالأقصر (انظر لوحة رقم ٧) .

Maspéro : Histoire ancienne des peuples de l'Orient, P. 169 (٢)

Lwedig : La Méditerranée, P. 217

الساحل المقابل للمعركة البحرية وأخذت تصوب سهامها وأسلحتها الى رجال أسطول العدو ، ويقال أن رمسيس ^(١) نفسه اشترك مع قواته البرية . ثم تقدم الأسطول المصرى ^(٢) نحو السفن الأجنبية وأنقض على وحداتها وفتك برجالها فانتشر الذعر بين صفوفهم واختل نظامهم ، فألقوا بأسلحتهم فى البحر وسحب الأسطول المصرى سفنهم مقلوبة الى الساحل بعد أن تكدست ظهورها بجثث القتلى ثم ألقيت حمولتها فى البحر قربانا على الانتصار . (انظر لوحة رقم (٧)) .

وقد عثر فى النقوش التى ترجع الى عصر رمسيس الثالث على صور ، تدل على أن البحرية المصرية كان لها قوانين ^(٣) ونظم تدل على حضارة راقية بلغت أسمى درجات الرقى الانسانى اذ تبين الصور رمسيس وجنوده على ساحل البحر فى حين تقاتل سفنه العدو فى عرض البحر ، فلما غرقت مراكب الأعداء وتسابق بحارتها الى القفز فى الماء بادر الجنود المصريون بالقاء أنفسهم فى البحر لانتقاذ أعدائهم المستسلمين واعائتهم على النجاة . وكان من نتائج هذه الموقعة الحربية التى عرفت باسم (عاموز) ان استعادت مصر مجدها التالذ الذى ظفرت به منذ رمسيس الثانى ، وانقطع غزو أهل جزر بحر ايجيه وأهل سردينية والصوريين والآخين على شواطئ مصر ، كما أوقف هجرة الآسيويين الى وادى النيل ولم يأذن فرعون مصر لغير الفلسطينيين باقامة فى سوريا ^(٤) .

ويحدثنا تاريخ مصر فى العصر الفرعونى عامة والدولة الحديثة بصفة خاصة عن بعض القواد البحريين الذين كان لهم شأن يذكر فى ذلك الحين ، فيذكر منهم القائد (ينشا) الذى أظهر بطولة وتفوقا فى عهد الملك أحمس الأول فى قيادة السفن فأنعم عليه الملك بضيعة زراعية تبلغ مساحتها ثلاث عشرة أرورة ^(٥) وجعل ملكيتها وراثية فى أسرته ^(٦) .

(١) برستد : تاريخ مصر ص ٢٧٥ نصوص مصرية فقرة ٤٧٧ .

(٢) Farrère : Navire, P. 133

(٣) Coussim : Institution militaires et navales, P. 219

(٤) برستد : تاريخ مصر ص ٣٩٤ .

(٥) الأرورة : وحدة قياس زراعية تبلغ ١٠٨٠٠ متر مربع .

(٦) Kees : Kulturgeschichte des Alten Orients, I Egypten, P. 92

كذلك كان القائد (أونى) أمير البحرية في عهد الملك ييبى الأول من القواد
العظام فقد قاد حملة الى فلسطين وحملة أخرى الى بلاد النوبة والى محاجر مصر
الوسطى في عهد الملك مرن رع . ولعل أعظم القواد شأنًا في ذلك العهد القائد
(نحتى) (٢) ، فقد كافأه فرعون مصر تحتمس الثالث على انتصاراته الباهرة في
البحار ، بتعيينه حاكمًا على الأقطار الشمالية التى كانت تضم جزر البحر الأبيض
المتوسط الى ما وراء بحر ايجه .

وقد ساعد وجود أسطول بحرى قوى لمصر ، على أن يكون لها أسطول تجارى
عظيم يقوم بتصدير الحاصلات المصرية ، كما يستورد حاصلات البلاد الأخرى ،
فكان المصريون يصدرون الخزف والزجاج والكتان والبردى ، فقد وجدت آثارها
في جزيرتى قبرص ورودس (٣) . كما كانوا يستوردون الزيوت من كريت ، ومن
النوبة والسودان الذهب وريش النعام والأبنوس والعاج والجلود ، ومن الصومال
وما وراءها المر وأنواع الصمغ والروائح العطرية والأخشاب ذات الروائح الزكية ،
أما بلاد الشام فكانوا يجلبون منها خشب الأرز وينقلون من شبه جزيرة سيناء
المعادن والأحجار الكريمة .

وقد سجلت لنا الآثار المصرية بعض الواردات التى أحضرها الأسطول التجارى ،
فقد نقش على جدران معبد الدير البحرى ، بيان عن البعثة التجارية التى أرسلتها
الملكة حتشبسوت الى بلاد بنت . وقد ذكر بعض المؤرخين (٤) ان عدد سفن
الأسطول بلغ خمسة مراكب وعليها مائتان وخمسون بحارا . وقد جاء في ترجمة
النص أن الملكة حتشبسوت عهدت الى رئيس ماليتها (نحسى) (٥) قيادة تلك

(١) برستد : تاريخ مصر (تعريب ص ٢٩٨) .

(٢) Ludwig : La Méditerranée, P. 253

(٣) Koster : Schiffahrt und Handels verkehr, P. 125

(٤) برستد : نصوص مصرية قديمة ج ٢ فقرة (٢٥٧) ، عبد المنعم أبو بكر ، المجلد فى
التاريخ المصرى ص ٥٢ .

(٥) Maspero : De quelques navigations des Egyptiens sur les côtes de la mer.

P. 213

البعثة ، وزودته بكل ما يلزم من الأدوات اللازمة لشحن حاصلات تلك البلاد ، كما حملته بكثير من الهدايا من المحاصيل والصناعات المصرية . ويقول النص : ان الملكة قدمت القرابين الى معبودات الهواء ليتفضلن على أسطول الملكة بالرياح الطيبة في أثناء رحلته . ولما وصلت السفن الى بلاد بونت خف ملكها لاستقبال قائدها تتبعه زوجته البدينة ، وأطفالها الثلاثة قائلاً لهم : « لم أتيت الى هذه الأرض التي جهلها من سبقكم من المصريين ؟ هل نزلتم من السماء أو ركبتهم السفن في البحر الموصل الى الأرض المقدسة !! (الصومال) (١) . وقد سروروا عظيماً بالهدايا المصرية وأمر بربط السفن قريباً من الشاطئ ، ثم أنزلت الممرات الخشبية وأفرغت محتوياتها ثم شحنت بحاصلات الصومال مثل الأخشاب العطرية وأخشاب المر والعاج والأبنوس والكحل فضلاً عن القردة والكلاب وجلود الحيوانات المفترسة مثل النمر وبعض أهالي الصومال وأولادهم من العبيد (٢) . (انظر اللوحة رقم (٥)) .

ومن الأعمال المجيدة التي قامت بها الملكة حتشبسوت في سبيل تسهيل مهمة الأسطول التجاري حفرها قناة (٣) وادي الطميلات التي وصلت النيل بالبحر الأحمر . وقد أعاد حفرها الملك سيتي الأول عندما طمرتها الرمال ، كما حفرها للمرة الثالثة ابنه رمسيس الثاني . كذلك اقتضت مصلحة الأساطيل الحربية الكبيرة التي كانت تجوب البحار والمحيطات من الشمال الى الجنوب وبالعكس ، توصيل البحرين الأبيض والأحمر وقد ساعد على ذلك القناة الموصلة من النيل .

وكما كان للأساطيل الحربية ادارة ودواوين معينة كان كذلك للأساطيل التجارية رقابة وادارة منظمة فقد خصص للموانئ كتاب مهمتهم تدوين كل ما يصدر وما يرد من البضائع ، وكانت الدولة ترسل مع البعثات التجارية الكبيرة رئيس

(١) برستد : نصوص مصرية قديمة ج ٢ فقرة (٢٥٧) .

(٢) Maspero : De quelques navigations. Maspero : Histoire ancienne de peuples de l'Orient, P. 232

(٣) يعزو الإغريق خطأ حفر تلك القناة إلى سيزوستريس من ملوك الأسرة الثانية عشر .

حسابات ليقوم بالرقابة المالية الدقيقة في تسجيل الصادر والوارد ، فقد ورد على النقوش اسم رئيس حسابات السفن التي أرسلها الملك ييبي الثانى الى بلاد بونت وكان اسمه (ييبي نخت)^(١) . هذا بالاضافة الى حاملى الأختام المقدسة الذين كانوا يصحبون البعثات البحرية ، كما كان يلزمها كتاب من ادارة القيودات ، وفي بعض الأحيان كان يصحب البعثة بعض القضاة وتجريدة عسكرية لحمايتها وفض مشاكلها التى تنشأ أثناء رحلتها^(٢) .

(١) سليم حسن : مصر القديمة ج ٢ ص ٢٨ .

(٢) Köster : Seefahrten der Alten Aegypten, P. 165

البحرية في عصر البطالة

كانت القواعد الأساسية التي وضعها البطالة لسياستهم الخارجية ، هي المحافظة على استقلال مصر أولا ، ثم العمل على أن تكون في مركز الصدارة بالنسبة للعالم الهلينستي في مضمار السياسة والاقتصاد على السواء . وكانت وسيلتهم لتحقيق تلك الأهداف هي السيطرة على بحر ايجه ، واحراز السيادة على البحر الأبيض المتوسط ، وبذلك تسيطر مصر على الطرق التجارية في العالم القديم . وقد نجح بطليموس الأول في بسط نفوذه على بحر ايجه ، ولما تولى بطليموس الثاني عمل على دعم نفوذه هناك أيضا ، الا أنه رأى أن السيادة على بحر ايجه لا تكسب مصر الا نفوذا جزئيا عليه من الناحيتين الاقتصادية والسياسية ، لذلك حاول أن يبسط نفوذه على شواطئ آسيا الصغرى والاستيلاء على المدن التجارية الكبرى الواقعة على مضائق الدردنيل وبحر مرمرة والبسفور والشواطئ الجنوبية للبحر الأسود^(١) . وكان البطالة يرون أنه من الضروري اذا أرادوا الاحتفاظ بمثل هذه السيادة أن

(١) ابراهيم نصحي : دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالة ص ٩٦ .

يدعموا نفوذهم في أهم الموانئ الاغريقية^(١) مع العمل على حماية حدود مصر الغربية ، فاستولى بطليموس الأول على برقة^(٢) بمجرد مجيئه لمصر ، ومنذ ذلك الوقت حرص هو وخلفاؤه على الاحتفاظ بهذا الاقليم . ولم تقف أطماع البطالمة وطموحهم عند حد الاستيلاء على البحار والموانئ الشمالية فحسب ، بل اتجه اهتمامهم كذلك الى البحر الأحمر ، فعملوا على تنشيط علاقتهم التجارية مع الموانئ الشرقية والجنوبية^(٣) (انظر لوحة رقم (١٦)) .

وكان من الطبيعي أن يعتمد البطالمة اعتمادا كبيرا على قوتهم البحرية ، لذلك احتل الأسطول مكان الصدارة بين قواتهم فوجه الملوك الأربعة الأوائل ، الذين بلغت الدولة في عهدهم أوج عظمتها وامتدت فتوحاتهم من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب عنايتهم الى انشاء أسطول بلغ أقصى قوته في عهدهم^(٤) . فقد قال ابيانوس (Appian) في احصائه لقوات مصر البحرية في عهد بطليموس الأول : ان مصر كانت تمتلك أسطولا مكونا من خمسمائة سفينة كبيرة وألفى سفينة صغيرة ، وثمانمائة نقالة صغيرة للنزهة^(٥) ، كما ذكر المؤرخ السكندري كاليكسينوس^(٦) ، أن قوة الأسطول المصري في عهد بطليموس الثاني بلغت ثلثمائة وستا وثلاثين سفينة حربية .

وفي سبيل توسيع رقعة الدولة ومد نفوذها السياسى والاقتصادى على البحار الشمالية والجنوبية خاض الأسطول المصرى كثيرا من المعارك البحرية ، كان أهمها سلاميس سنة ٣٠٦ ق . م ، فقد أثار استيلاء بطليموس الأول على برقة التى كانت ولاية يونانية ، غضب زميله برديكاس فجاء الى مصر على رأس جيش جرار لكى يوقف أطماع بطليموس ويلزمه حدود ولايته مصر ، ولكن برديكاس قتل قبل أن

(١) Bevan : History of Egypt under the Ptolemaic dynasty, P. 22

(٢) Bauché-lecher : Histoire des Lagides, P. 17

(٣) ابراهيم نصيحى : تاريخ مصر في عصر البطالمة ص ٣٩١ .

(٤) Les Guier : Les Institutions militaires de l'Egypte, P. 25

(٥) Appen, Prooen (10)

(٦) Callixène : Athen (203)

يعبر فرع النيل الشرقى ، وهكذا أصبح بطليموس يملك مصر ولوبيا . ولكنه لم يقنع بهما ، بل خرج بأسطوله الى شرق البحر الأبيض المتوسط سنة ٣١٨ ق . م واستولى على فلسطين ودخل بيت المقدس واستولى عليها سنة ٣١٩ ق . م . ولما رأى أنتيجون (Antigone) حاكم فريجية^(١) ، ان أطماع بطليموس لن تقف عند حد ، خاف على ولايته ، وهجم على سورية سنة ٣١٥ ق . م ، واتزعاها من بطليموس وبسط نفوذه على كل سواحل بلاد الشام حتى وصل الى غزة . ولكن بطليموس لم يستسلم بعد هذه الهزيمة ، فأخذ يعد العدة لاسترجاع ما فقده ، خاصة وأن أسطوله كان لا يزال سيد البحار ، فعمل على أن تكون له قاعدة بحرية في شرق البحر الأبيض المتوسط قريبة من شواطئ سوريا ، وأعد حملة بحرية كبيرة بقيادة سيلوكيس (Séleucus) استولت على قبرص وأعلن ضمها نهائيا الى ملكه سنة ٣١٣ ق . م . ومن قبرص استطاع استرجاع سوريا وفلسطين من يد عدوه (أنتيجون) منتهزا فرصة سفره منها وتركه ولده ديمتريوس (Demetrius) وهو شاب في العقد الثاني من عمره ، فقاد سيلوكيس حملة كبيرة استولت على البلدين بعد أن التحم الجيشان في موقعة غزة المشهورة^(٢) سنة ٣١٢ ق . م . وكان من نتائج هذا الانتصار أن عاد سلطان بطليموس على تلك الجهات ، كما مهدت الطريق أمام القائد سيلوكيس لاحتلال بابل وانشاء الامبراطورية السلوكية في بلاد ما بين النهرين^(٣) .

وبعد استيلاء بطليموس الأول على قبرص وانتصاره في موقعة غزة ، أخذ أسطوله يمزح عباب البحر الأبيض المتوسط وينتزع بعض موانئ آسيا الصغرى ، كما أنزل سنة ٣٠٨ ق . م . بعض جنوده في بلاد اليونان وخاصة في كورثا وجزر سيكلاد (Cyclades) في بحر ايجه^(٤) .

وقد أثارت هذه الأعمال بطبيعة الحال أنتيجون حاكم ولاية فريجية ومنافس

(١) فريجية ولاية يونانية تقع وسط آسيا الصغرى ومن مدنها المهمة أنقرة وقيونية .

(٢) Tarn : Hellenic Military & Naval Development, P. 127

(٣) Droseu : Histoire de l'Hellen, P. 130

(٤) Tarn : Hellenic, P. 133

بطليموس الخطير ، فأخذ يعد أسطولا قويا ، حتى كانت سنة ٣٠٦ ق . م قاد ابنه ديمتريوس هذا الأسطول الى قبرص ، وأما ميناء سلاميس ^(١) عاصمة قبرص في ذلك الوقت اشتبك أسطول ديمتريوس المكون من مائة وسبعين سفينة مع أسطول بطليموس المؤلف من ثلثمائة وأربعين مركبا ودارت بين الفريقين معركة حامية الوطيس كان النصر فيها حليف اليونانيين ^(٢) .

وقد جاء في وصف لاجرافير ^(٣) لموقعة سلاميس ما يلي « بدأ كهنة الأسطولين في التضرع والابتهاال الى آلهتهم كي تهبهم النصر ، ثم أخذ كل من الفريقين يستعد للقتال وذلك بصف سفنهم ، بينما يردد الجنود الدعوات والابتهاالات بأصوات عالية كأنها قصف الرعود » . ويعلق ديودور الصقلي ^(٤) على هذه الأصوات ، بأنها جعلت قلبى بطليموس وديمتريوس يرتجفان خوفا وفرقا ، لأن الأسطولين لا يفصل بينهما عن بعض غير مسافة قليلة تبلغ خمسمائة متر . ثم أمر ديمتريوس رئيس اشارته برفع الترس المذهب فوق رأسه ، فلما رأى جنود الأسطول ذلك هلّلوا فرحا ، وفي الحال أطلقت أبواق سفن أسطول بطليموس اشارة لبدء الحرب ، بينما أخذ الأبطال يزأرون طالبين النزال كأنما اهتزت جوانب الكون الأربعة . ويقول اسماعيل سرهنك ^(٥) في وصف المعركة « فالحرب أحوالها واحدة تبدأ أولا بالتراشق بالنبال والسهم والأحجار أو المقذوفات بعد اختراع الآلات النارية ، حتى اذا ما انتهت هذه المرحلة ، يعقبها مباشرة التحام أجسام الرجال والتصاق السفن واستعمال الأسلحة البيضاء . وكان المقاتلون من الطرفين كمصارعين اشتدت بهم الحمية وظمّت نفوسهم الى شرب الدماء ، فلم يكونوا كبجارة اليوم يجتهدون في استعمال الأدوات والأسلحة العلمية الدقيقة ، كما هو الحال اليوم في الحروب البحرية الحديثة » . ثم يكمل لاجرافير ^(٦) وصف المعركة فيقول : « كان ديمتريوس

(١) إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عصر البطالة ص ٤٠٢ .

(٢) Bevan : Histoire de Lagides, P. 212

(٣) La Gravière : La Marine de Ptolémées vol. I, P. 24

(٤) Jouguet : Histoire de la Nation Egyptienne, III, P. 86

(٥) سرهنك : حقائق الأخبار عن الدول والبحار ج ٢ ص ١٢ .

(٦) La Gravière : vol. I, P. 24

واقفا على مؤخر سفينته ولما أحاط به الأعداء أخذ يطعن بعضهم برمحهم ويضرب الآخر بسيفه ، وكان يتقى شر النبال التي تقذف عليه بدرقته أو يحيد عنها يمينه ويسره ، هذا بينما قتل ثلاثة مقدمين ممن كانوا بجانبه كما كسر كثير من مجاديف السفن وبذلك سهل سحبها بالخطاطيف الحديدية ، فغرق كثير من بحارته وسقط كثير منهم في قاع السفن » . ثم يضيف في وصف سير المعركة « ولكن سرعان ما جمع ديمتريوس شتات شمل أسطوله وانقض على الجناح الأيمن للأسطول المصري ففضى عليه ، وهكذا كسب الجولة الأولى الحاسمة في المعركة . وقد حاول بطليموس عبثا أن يستمر في القتال بجناحه الأيسر فقط ، ولكنه لم يستطع ، خاصة وأن كثيرا من سفنه التي أرادت الهرب طلبا للنجاة كانت تقع في يد العدو ، لذلك لم يجد مندوحة غير الابتعاد بسرعة ببقية سفنه عن العدو حتى وصل الى الشاطئ الجنوبي الشرقي لقبرص عند ميناء ستيوم (Citium) . ويقال أن ديمتريوس فقد عشرين سفينة من أسطوله فقط . أما بطليموس فقد فقد معظم سفنه ولم ينج منه سوى ثمانية مراكب ، ولقى ثمانية آلاف من جنده حتفهم ^(١) ، وقد وقع في قبضة ديمتريوس أخو بطليموس وابنه وعدد كبير من كبار القواد ولكنه لم يأسرهم بل أعادهم الى بطليموس بلا مقابل جريا على السنة التي سنها بطليموس من قبل في موقعة غزة ، اذ انه رد كبار أسرى اليونان بلادية ^(٢) . أما معارك البطالمة البحرية الأخرى ، فلم تكن مع دول اليونان الغربية ، بل كانت مع دولة السلوكيين الناشئة في بلاد ما بين النهرين وذلك لتعارض السياسة الخارجية والاقتصادية لكل من الطرفين ، فسياسة البطالمة الخارجية كانت كما سلفت الاشارة ترمى الى السيطرة على بحر ايجة وعلى الطرق التجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي ، وقد حققت مصر هذه السياسة بانتصارها في موقعة غزة سنة ٣١٢ ق . م . ولكن عندما تكونت دولة السلوكيين بعد ذلك ، كان من الطبيعي أن يعترضوا على استيلاء البطالمة على فلسطين وفينيقية وشواطئ آسيا الصغرى ، لأن في ذلك التوسع ما يحرم السلوكيين من انشاء أسطول بحري ومن الاستيلاء على موانئ تجارية ،

(١) سعد موسى : الجيش والبحرية في عهد البطالمة ص ٤٤ .

(٢) Lesquier : Les Institutions militaires, P. 258

ومن ثم فلم يكن هناك مفر من أن تقوم بين البطالمة والسلوكيين عدة معارك بحرية كنتيجة حتمية لتلك المنافسة . وقد بدأ النضال عنيفا بين أنطيوخوس الأول ملك السلوكيين وبطليموس الثاني حتى نشبت الحرب بينهما سنة ٢٨٠ ق . م وعرفت (بالحرب الكارية) استولت فيها مصر على مدينة ميليتوس في اقليم كارييا ، ولم يكتف بطليموس بذلك بل توغل في سوريا واستولى على دمشق سنة ٢٨٦ ق . م . ولكن سرعان ما استردها أنطيوخوس وحاصرت قواته البرية والبحرية ميليتوس ، ولكن استطاع الأميرال المصرى كاليكراتس (Callieratés) بمهارته انفاقة أن يرفع الحصار البحرى ^(١) عنها سنة ٢٧٥ ق . م .

ولما كانت انتصارات البطالمة تزعج ملوك مقدونيا فليس عجيبا أن يتحد أعداء البطالمة للقضاء عليهم ، فقد بنى أنتيجون ^(٢) جوناتاس ابن ديمتريوس الذى كان يرقب الفرصة المواتية للقضاء على سيطرة البطالمة البحرية ، ولاستعادة السيادة البحرية التى كسبها والده فى موقعة سلاميس سنة ٣٠٦ ق . م ، أسطولا حريا وضعه تحت تصرف السلوكيين ، كما انضمت اليهما جزيرة رودس التى كانت تخشى بأس الأسطول المصرى . وقد دارت بين القوات المتحالفة وبين الأسطول المصرى ، معركة هامتان الاولى معركة أفيوس سنة ٢٥٩ ق . م ، التى وقعت بالقرب من مدينة أفيوس ^(٣) (Ephèse) وانتصر فيها الأسطول الرودى وانهزم الأسطول المصرى . ووقعت المعركة الثانية عند كومي سنة ٢٥٨ ق . م . وانتصر فيها أنتيجون ابن ديمتريوس على الأسطول المصرى انتصارا حاسما أكسبه سيادة البحار ^(٤) .

على أن تلك الهزائم لم تكن لتضعف روح الأسطول المصرى المعنوية ، فقد عاود الكرة فى عهد بطليموس الثالث سنة ٢٤٦ ق . م . بالاستيلاء على شواطئ وموانئ سوريا وخضعت له سوريا كلها ، مما حدا بأنتيجون جوناتاس الى المسارعة

(١) Frontin: Bataille d'Ephèse, vol. III, P. 95

(٢) محمود عبد الحادى : المعارف البحرية ص ٤٦ .

(٣) ابراهيم نصحي : ج ١ ص ٦٠

(٤) ابراهيم نصحي ص ٦٢ .

الى نجدة السلوكيين ودارت بينهما وبين الأسطول المصرى معركة بالقرب من جزيرة أندروس (١) (Andros) سنة ٢٤٥ ق . م ، انهزم فيها الأسطول المصرى .

ومن المعارك الحاسمة التى خاضها الأسطول المصرى فى نهاية دولة البطالمة معركة الاسكندرية التى دارت رحاها بين الأسطول الرومانى والأسطول المصرى سنة ٤٦ ق . م . ذلك أن يوليوس قيصر جاء ليفض النزاع القائم بين كليوباترة وأخيها بطليموس على العرش فقضى بأن يشترك الاثنان فى الحكم معا تنفيذا لوصية أبيهما ، وكان المنتظر أن يغادر البلاد بعد انتهاء مهمته ولكنه بقى فى الاسكندرية على رأس (٣٢٠٠) جندى و (٨٠٠) فارس وحط رجاله فى قصر البطالمة ، وظهر واضحا ، ان قيصر كان يريد العرش لنفسه مما أثار غضب بطليموس فأخذ يعد العدة لمحاربته . وسرعان ما جهز بطليموس جيشا يتكون من ٢٠٠٠٠ جندى و (٢٠٠٠) فارس وعلى رأسه القائد اخيلاس ، ووقعت بين جنود قيصر وبين الجيش المصرى معارك دامية فى مدينة الاسكندرية ، كان النصر فيها حليف بطليموس مما اضطر قيصر أن يتحصن بالقصر لا يغادره ، ولما كان قيصر يحرص كل الحرص على المحافظة على مواصلاته البحرية فقد أمر بإحراق السفن المصرية الراسية فى الميناء الكبير (المعروف اليوم بالميناء الشرقى) وكان عددها (٧٢) سفينة و (٣٨) موجودة فى الأحواض ، وفى نفس الوقت أرسل جماعة من رجاله لاحتلال الصخرة الصغيرة التى يقوم عليها فانار الاسكندرية فى جزيرة فاروس ، حتى يضمن السيطرة التامة على الميناء الكبير ، كما أرسل يطلب النجدة من كريت ورودى وكليكييا وبلاد العرب . وبعد أيام قليلة جاءت النجدة لقيصر من آسيا فخرج القائد الرومانى لاستقبالها فى عرض البحر ، فانتهم المصريون هذه الفرصة وركبوا ما نجا من سقنهم من الحريق واشتبكوا مع الأسطول الرومانى فى معركة بحرية عرفت باسم معركة (خرسويتس) كان النصر فيها حليف الرومان . وقد صمم قيصر بعد هذه المعركة على أن يستولى على جزيرة فاروس والجسر الذى يصلها بالمدينة . وهناك التقى بالقوات المصرية التى ألحقت بالقوات الرومانية خسائر فادحة ولم ينج

(١) Polyen: La Bataille d'Andros, vol. V, P. 114

قيصر بنفسه الا بأعجوبة وعرفت هذه المعركة باسم الهيبوستيد . ويقال أن المركب الذى كان يقل قيصر انقلب فى البحر لكثرة من كان به من الجنود وابتلعه اليم ، فاضطر قيصر أن يسبح بيد واحدة ، وفى اليد الأخرى أوراقه الهامة ومستنداته وخراائطه بينما يطفو على سطح الماء رداؤه الأحمر النضفاض ، وأخذ البحارة المصريون يصوبون اليه سهامهم وهو يغوص فى الماء ليتفادى رأسه الأصلع سهامهم الصائبة ، وأخيرا أوقعه حظه السعيد بين يدي أحد رجاله فحمله الى قصره . وهكذا عرف الرومان ان غزو مصر ليس بالأمر الهين ، فقد فقدوا أكثر من (٤٠٠) جندي وبحار بين قتيل وغريق كما تحطم كثير من سفنهم ، ولكنهم مع هزيمتهم فى معركة (الهيبوستيد) فان مراكب قيصر وصلت الى مصب الفرع الكانوبى حيث التقت بالأسطول المصرى وأوقعته فى كمين وبذلك تم لقيصر فتح الاسكندرية سنة ٤٧ ق . م . (١) .

وقد انتهت مدة حكم البطالمة فى مصر اثر هزيمة الأسطول المصرى فى موقعة اكسيوم البحرية المشهورة سنة ٣١ ق.م. وكان السبب فى خروج الأسطول المصرى لمنازلة الأسطول الرومانى أمام بلدة اكسيوم اليونانية التى تقع على مدخل خليج ارطة (Arta) للنزاع الذى احتدم بين اكتافىوس وانطونيوس اللذين اقتسما ملك يوليوس قيصر بعد وفاته . وكان الشرق ومصر من نصيب انطونيوس ، ولكنه لم يقتنع به بل أخذ يعد العدة للاستيلاء على موانئ سوريا وآسيا الصغرى ، مما أوغر صدر اكتافىوس عليه ، لأن فى ذلك ما يهدد عرشه ، فأبدى معارضته لخطة انطونيوس واتقص من مكاتته علنا مع كليوباترة ، وحمل الشيوخ على اعلان الحرب عليه . وما كاد يصل انطونيوس نبأ اعلان الحرب حتى أخذ يعد العدة للخروج لملاقاة العدو بأسطوله وأسطول كليوباترة . وخرج أسطول انطونيوس الذى كان يتكون من خمسمائة سفينة تحت قيادة كانيديوس (Canidius) الى الشاطئ الجنوبى لخليج (Arta) أرطه على مقربة من مدينة اكسيوم ، وكان ذلك الخليج ضيقا لا يتجاوز عرضه عشرة أميال ، وطوله ثلاثين ميلا . وكانت خطة انطونيوس

(١) Graindor : La Guerre d'Alexandrie, P. 127.

تنطوى على الخروج من خليج (ارطة) حتى تغير الرياح اتجاهها : ثم يلتف حول جناح العدو الأيسر ويدفعه بعيدا عن معسكره وبذلك يستطيع أن يحطم أسطولهم ، أو على أقل تقدير يشتت شملهم ، أما اذا لم تنجح هذه الخطة فانه قرر أن ينسحب انطونيوس و كليوباترة الى مصر مع أكبر عدد من السفن تاركين أمر قيادة الجيوش البرية للقائد كانيدوس .

أما اكتافيوس فانه حشد أسطولهم المكون من أربعمئة سفينة في ميناء برنديزى تحت قيادة الأميرال اجريبا (Agrippa) الذى اشتهر فى كثير من المعارك وأحرز أكثر من نصر ، كما تمكن اكتافيوس من نقل (١٠٠٠٠٠) رجل ، (١٢٠٠٠) فرس من الساحل الايطالى الى شاطئ الدلماس ليهاجم بها جيش انطونيوس البالغ أيضا (١٠٠٠٠٠) مقاتل . وكان خطة اكتافيوس كذلك أن ينتظر تغير الرياح ثم يتولى اجريبا قيادة جناحه الأيسر للقيام بحركة مضادة لخطة انطونيوس والالتفاف حوله وعزله عن معسكره . وما أن تغير اتجاه الرياح حتى تسابق الطرفان الى تنفيذ خططهما وبدأ القتال ، فدارت ألوية انطونيوس الثلاثة التى كانت فى الوسط وفى الجناح الأيسر وعادت الى مراسيها ، واستسلم للعدو لواءان من الألوية الثلاثة فى الجناح الأيمن ، وبذلك لم يبق لانطونيوس الا لوائه الشخصى الذى كان مشتبكا فى القتال ، ولواء كليوباترة الذى كان معزولا عن باقى الألوية . كما استطاع اكتافيوس بجيشه وأسطوله أن يحاصر انطونيوس ويقطع عنه الذخيرة والمؤن التى كانت تجلبها له المراكب من الاسكندرية ، فانتشرت المجاعة وفشت الأمراض بين قواته وتملكهم اليأس . كما أن الخيانة لعبت دورا لا يستهان به فى اضعاف الروح المعنوية لقوات انطونيوس ، فقد هرب كثير من قواده وانضموا الى اكتافيوس ، كما أن ملك آسيا التابع لانطونيوس انضم بجنوده الى اكتافيوس وحارب ضد سيده ومولاه . عندئذ لم يجد انطونيوس بدا من تنفيذ خطته الثانية وهى الانسحاب مع كليوباترة بأربعين سفينة ميممين شطر الاسكندرية تاركين المعركة على أشدها وقد استمرت قوات انطونيوس تحارب بعد سفره سبعة أيام متوالات ولما يئسوا من عودته ألقوا السلاح واستسلموا للعدو . فكانت ضربة قاصمة لانطونيوس ونصرا مينا لـ اكتافيوس فتح له باب العالم الرومانى بمصرعيه ،

وما أن رأى جيش انطونيوس وأسطوله قلاع سفن اكتافيوس تفد الى الاسكندرية حتى خانا العهد وانضما اليه ولكن كليوباترة لم تجازف بالأسطول المصرى فى موقعة اكسيوم وفتحت أبواب مصر للرومان ، وهكذا انتهى عهد أسرة البطالمة التى حكمت مصر ثلاثة قرون تقريبا .

ولم تكن مهمة الأساطيل البحرية فى عهد البطالمة مقصورة على الأعمال الحربية وتوسيع ممتلكات الدولة وحماية استقلالها فحسب ، بل كانت من العمد الأساسية التى تقوم عليها اقتصاديات البلاد ، ذلك أن الأساطيل التجارية كانت على جانب عظيم من الأهمية . فقد كان هناك طريقان أساسيان للتجارة ، الأول الطريق الشمالى وكان بين مصر والمستعمرات الأغريقية المنتشرة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط وبحر ايجة ، والثانى الطريق الجنوبى الشرقى الى البلاد الواقعة على شواطئ البحر الأحمر حتى بلاد الصومال جنوبا ، فكانت السفن المصرية تقلع من مدينة القلزم (السويس) الى عدن وبلاد شبه الجزيرة العربية ، بل لقد جاوزتها الى بلاد الهند ، وكانت تحمل فى طريق عودتها حاصلات السودان الشرقى وبلاد النوبة .

ولم يكتف البطالمة بهذين الطريقين البحريين ، بل عنوا كذلك غناية خاصة بالملاحة النهرية ، فقد كانت الأساطيل النهرية تشق عباب النيل ناقلة الحاصلات الزراعية ، و « الركاب » والمنتجات الصناعية حتى أقصى الجنوب عند الشلال ، وكانت المراكب بين صغيرة وكبيرة وقد تصل حمولة الكبيرة الى (٣٠٠) طن ، ومن هذه المراكب ما كان ملكا خاصا للأفراد ومنها ما كان ملكا للدولة ، فقد ورد فى أوراق البردى أن شخصا يدعى بايبريس (١) (Papiris) كان يملك مجموعة من المراكب النيلية تبلغ حمولتها (٢٥٠٠) طن . وكانت المراكب الخاصة تؤجر عادة عند جباية الضرائب النوعية للحكومة لاستخدامها فى نقل الضرائب وما يزيد عن حاجة الأسواق المحلية الى الاسكندرية (٢) .

(١) Flinders Petrie : On Flinders-Petrie Papyri

(٢) نصي : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ج ٢ ص ٤٠٥ . .

وقد قام البطالمة بمشروعات على جانب عظيم من الأهمية لتنشيط الملاحة البحرية بصفة عامة والتجارية بصفة خاصة ، كان من أهمها الكشف العلمية لمعرفة الشواطئ والشعوب وموارد الثروة في البحر الأحمر والمحيط الهندي ، ودراسة البيئات الجغرافية المتباينة لتلك البلاد ، فكان المكتشفون يعنون بوصف الشواطئ ومسافاتها وبيان الطرق الموصلة اليها والموانئ التي تقع عليها ووصف الشعوب التي تسكنها وعاداتهم وتقاليدهم ونظم الحكم عندهم ، وما ينمو عندهم من زرع وضرع ، أى انهم كانوا يقومون بعملية مسح شاملة لكل ما تقع عليه عيونهم في المناطق المكتشفة . وقد بدأ الاستكشاف منذ فجر بداية عصر البطالمة ، ولعلمهم حذوا في ذلك حذو الفراعنة الذين بدءوا بالكشف منذ سنة ٦١٦ ق.م اذ أرسل الملك (نيخاو) ثاني ملوك الأسرة السادسة والعشرين أسطولاً بقيادة قواد فينيقيين لاكتشاف سواحل القارة الأفريقية سنة ٦١٦ ق.م. وقد استغرقت تلك الرحلة ثلاث سنوات منذ أبحر الأسطول من مدينة القلزم الى أن عاد الى ساحل مصر الشمالي^(١) عن طريق جبل طارق .

وهكذا نرى أن المصريين القدماء قد سبقوا الرحالة البرتغال بنحو ٢١ قرناً في دورانهم حول القارة الأفريقية^(٢) . وكان من الأعمال الهامة التي قام بها بطليموس الأول ، إرساله (فيلون) أمير البحر في عهده مستظلاً مجاهل البحر الأحمر فكشف جزيرة الزمرد ، ثم أرسل بعد ذلك أريستون^(٣) (Ariston) للتعرف على شواطئ البحر الأحمر من جانيه الشرقى والغربى . فبدأ من شبه جزيرة سيناء الى ايلة النبطية^(٤) ثم اتجه جنوباً الى الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر وتعرف على قبيلة ثمود^(٥) التي كانت تسكن الحجاز ووجد جنوبى ثمود اقليما كان يعرف باسم (أرض الذهب) على ضفاف نهر دباى (Debai) وفي الركن الجنوبى

(١) برستد : تاريخ مصر ص ٣٩٤ .

(٢) Cary & Warmington : The Ancient Explores, P. 87

(٣) ابراهيم نصيحى : ج ٢ ص ٣٩٨ .

(٤) Pline : Les Ports de la Mer Rouge, Vol. VI, P. 72.

(٥) (تفسير المنار ج ٨ ص ٥٠٢ ، روح المعاني للألوسى ج ٨ ص ١٤٢) ، ثمود قبيلة

من العرب كانت يسكنهم الحجر من الحجاز والشام إلى وادى القري .

الغربي لشبه الجزيرة العربية زار دولة المعينين التي تقع شمالي ساحل العطور ، كما تعرف على مملكتي سبأ وكاتبانيا وكانت الخطوة التالية التي تستتبع هذه الكشوف العلمية هي اقامة الثغور وانشاء الموانئ في المواقع الصالحة لرسو السفن والقريبة من مجرى نهر النيل .

فقد قام بطليموس الثاني بتأسيس مجموعة من الثغور على شاطئ البحر الأحمر فأنشأ مدينة ارسينوى (Arsinoé) (السويس الحالية) على خليج هيروبوليس (والمعروف الآن بخليج السويس) بعد أن أعاد حفر القناة التي تصل البحر الأحمر بالنيل ، ثم اتجه جنوبا على الشاطئ الغربي وبنى ميناء فيلوتير (Philotora) (سفاجة) ثم ميناء ميوس هورموس (Myas Hormos) أي ثغر القواقع على مقربة من القصير ، ثم اتجه جنوبا وأنشأ ميناء برنيس (Bérénice) في مواجهة مدينة أسوان ، وعلى رأس الطريق القادم من قفط وبالقرب من ميناء عيذاب . أما بطليموس الثالث فقد أسس ثلاث مدن على الشاطئ الجنوبي الغربي للبحر الأحمر أطلق عليها جميعا اسم زوجته برنيكي ، كما أنشأ بطليموس الرابع مدينة أطلق عليها اسم ارسينوى بالقرب من بوغاز باب المندب وهناك مجموعة أخرى من المدن الساحلية ^(١) لا يعرف على وجه التحديد تاريخ انشائها وان كانت ترجع الى العصر البطلمي ، مثل مدينة هيروبوليس عند الطرف الشمالي للبحيرات المرة وميناء ليوكس ليمن (Leukos Limen) ومن المرجح أن تكون مدينة القصير قامت على موقعها ، ومدينة ادوليس (Adulis) التي تقع جنوبي ميناء مصوع .

وكما عنى البطالمة بانشاء الموانئ لتنشيط التجارة البحرية فقد أولوا كذلك مد الطرق البرية الكثير من اهتمامهم لانشاء شبكة من الطرق تربط تلك الموانئ بوادي النيل . وقد استفادوا في ذلك من الطرق التي أنشأها الفراعنة من قبل ، فقد سلك المصريون القدماء طرقا للذهاب الى بلاد بونت ، ولعل أقدم الطرق الثلاث ، هو طريق أعالي النيل الذي سلكه ملوك الأسرة الأولى لاستيراد منتجات بلاد بونت دون أن يعرف عنهم انهم سلكوا الطريق البحري . والطريق الثاني هو طريق

(١) Plinè : Les Ports de la Mer Rouge, vol. VI, P. 79.

القوافل الذى يبدأ من شمال محاجر الحمامات وينتهى عند شاطئ البحر الأحمر بميناء صغير يعرف باسم دواو (Douaou) على بعد بضعة أميال شمالى ثغر القصير . أما الطريق الثالث فكان القناة التى تربط فرع النيل الشرقى بالبحر الأحمر مارا بوادى الطميلات ، ويقال أن أول من حفرها هو الملك سيزوستريس أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة ، ثم أعيد حفرها عدة مرات فى عهد الملكة حتشبسوت ثم الملك سيتى الأول ومن بعده ابنه رمسيس الثانى ثم نخاو الثانى وكذلك فعل دارا الأول الملك الفارسى واجزر كسيس .

أما فى العصر البطلمى فقد وجه بطليموس الثانى اهتمامه الأول الى احياء الطريق الذى يربط البحر الأحمر بنهر النيل عن طريق القناة السالفة الذكر فأعاد حفرها وأصبحت تخرج من النيل وتمر بوادى الطميلات مارة بمدينة بوبسطس بالقرب من الزقازيق وهيروبوليس شمال البحيرات المرة ثم تنتهى عند مدينة ارسينوى (السويس) . وكانت هناك شبكة من الطرق يبدأ معظمها من مدينة ققط ، وينتهى أحدها عند ليوكوس يمين القصير بعد مروره بوادى الحمامات ومناجم الذهب فى تل الفواخير ، وطريق آخر كان ينتهى عند مدينة ميوس هورموس (بالقرب من القصير) . وكان بين كانيوبوليس وفيلوترا (سفاجة) طريق يعتبر أقصر الطرق بين نهر النيل والبحر الأحمر . كما كان يوجد طريق يصل بين ققط وبرنيكى ويمر بمناجم الزمرد عند زوبانا (Zubana) سكات (Saakat) حيث يوجد معبد يرجع الى العصر البطلمى .

وعنى البطالمة كذلك بحفر الآبار وانشاء خزانات المياه على جانبي تلك الطرق ووضعوا من النظم ما يكفل اصلاحها وصيانتها .

أما تجارة البحر الأحمر التى كانت ترسل الى الاسكندرية فقد كانت تسلك أحد طريقين : الأول من مدينة هيروبوليس شمال البحيرات المرة حيث ترسو السفن الآتية من البحر الأحمر فتفرغ حمولتها ثم تنقل الى المراكب النهرية التى تسير فى القناة التى تصل النيل بالبحر الأحمر ، أما الطريق الثانى فان جزءا منه برى ، فكانت السفن البحرية ترسو عند احدى الموانئ الجنوبية مثل برنيكى أو ليوكوس

ليمن أو ميوس هرموس أو ميناء فيلوترا حيث تفرغ حمولتها ثم تقوم الابل بنقلها الى ققط ، ثم تشحن في المراكب النهرية ومنها الى الاسكندرية .

هذا ولا يفوتنا أن نذكر الأسباب غير المباشرة التي ساعدت على تقدم البحرية التجارية في العصر البطلمي تقدما ملحوظا لم نعهده من قبل ، ذلك هو التقدم العلمي في الفنون البحرية التي كان أهمها انشاء فئارة الاسكندرية التي بناها المهندس سوستراتس (Sostrate) في القرن الثاني قبل الميلاد في عهد بطليموس الثاني في جزيرة فاروس . وكان ارتفاعها (١٣٥) مترا وكانت المشاعل توقد في أعلاها لإرشاد السفن التي كانت تهتدي بنورها على بعد ستين كيلومترا . وظلت منارة الاسكندرية تعمل في هداية السفن قرابة خمسة عشر قرنا اذ تهدمت سنة ١٣٠٣ م . كذلك وضع أمير البحار الرودسي تيموستنيس في عهد البطلمة كتاب « المعارف البحرية »^(١) سجل فيه معلومات ضرورية ومفيدة عن معظم الموانئ المعروفة في ذلك الوقت ، فكان لذلك يعتبر دليلا لازما لربان السفينة وكانت تلك المعلومات تتناول نواحي مختلفة من حيث التضاريس والمناخ وعادات وتقاليدها ، وأهم محاصيلها ومنتجاتها ونقودها وما الى ذلك من معلومات ، كما عني عناية خاصة ببيان المسافة بين كل منها .

وقد أدى تقدم العلوم البحرية الى سرعة انتقال البضائع والمتاجر من مكان لآخر دون أن يستتبع ذلك تغير يذكر في تصميم المركب أو السفينة ، ذلك أن المركب أصبحت تستطيع شق طريقها في عرض البحار بعد أن كانت تساحلها ، كما أصبحت تسير في الليل وكان سيرها مقصورا على النهار . ويبلغ متوسط سيرها (٨٠) الى (١٣٥) عقدة في اليوم بعد أن كانت السرعة لا تزيد (٦٥ أو ٨٠) عقدة ، واستطاعت أن تقطع المسافة بين الاسكندرية ورودس في أربعة أيام وبين الاسكندرية وضقلية في ستة أو سبعة أيام اذا كانت الرياح مواتية .

كذلك أدى التقدم في فن بناء السفن الى ازدياد حمولة المركب وكبر حجمها حتى بلغت حمولتها ٣٥٠٠ طن من البضائع ، هذا عدا من عليها من الملاحين ويبلغ

عددهم فى السفن الكبيرة ما يقرب من (٦٠٠) ملاح ، (٣٠٠) جندى بحار ، وبخلاف ما تحمله من الأسلحة والذخيرة التى أعد لها مخازن خاصة كما أعد للدفاع عنها قلاع للمراقبة . والى جانب هذا جهزت السفن الكبيرة بكثير من مظاهر الترف والرفاهية فقد وفرت للمسافرين جميع وسائل الراحة من غرف متعددة وأبهاء فخمة ورياش ثمينة وآثاث فاخر .

وكذلك كان للأبحاث التى قام بها (Hippalos) هيپالوس للاستفادة من الرياح الموسمية سنة ١٠ ق.م. أثر كبير على تقدم التجارة البحرية وذلك بارتياح مناطق وبحار كان يصعب اختراقها من قبل ، وأصبح من الميسور بعدها اجتياز باب المندب والابحار الى الهند مباشرة . وزارت مراكب الأسطول المصرى موانئ شبه الجزيرة العربية الجنوبية فاكشفت جزيرة سقطرى . ولما كثر ارتياح الأسطول المصرى بحار الهند أنشئ منصب بحرى جديد فى نهاية القرن الثانى قبل الميلاد وأوائل القرن الأول قبل الميلاد ، هو منصب « قائد البحر الأحمر والبحر الهندى » وكان صاحب هذا المنصب يتولى الى جانب ذلك قيادة مديرية قفط (Coptos) ، وفى نهاية القرن الأول كان قائد منطقة طيبة هو الذى يشغل هذا المنصب .

أما العوامل السياسية التى ساعدت على رواج ملاحه مصر التجارية الشرقية ، فهى تدهور مملكة سبأ ثم انهيارها سنة ١١٥ ق.م. وضعف دولة السلوكيين فى عهد بطليموس الثامن ، وكذلك مساعدة روما لمصر على حساب سوريا وفلسطين .

البحرنة في العصر الروماني

لما استولى الامبراطور أوغسطس بعد موقعة اكسيوم على مصر التي اعتبرها مفتاح الأرض والبحر ، عاد الأمن الى البحر الأبيض المتوسط ، وزاد الرخاء العام بفضل الاقبال على شراء المنتجات والحاصلات الشرقية . وظل الحال على ذلك طوال القرن الأول ، الذي اعتبره المؤرخون العصر الذهبي للتجارة الرومانية مع الهند وبلاد العرب . وقد بلغ من حرص أباطرة الرومان على الحفاظ على هذا المورد الاقتصادي ، أن أرسلوا حملة بحرية لحماية التجار من القرصنة في البحر الأحمر ، ولبسط نفوذهم في الجنوب ليشعر العرب بقوة الرومان . فقد أقلعت مراكب الحملة سنة ٢٧ ق.م من كليسيما (السويس) ثم سارت عبر جزء شاق من البحر الأحمر يمتد من خليج السويس الى لوكي كومي (Leuké Komé) ، غير أن السفن عادت أدراجها الى مصر بعد قيامها بمدة وجيزة لفشلها في المهمة التي سافرت من أجلها . وهي بسط السيادة الرومانية على البلاد الواقعة جنوبي مصر . وقد عزا (اسطرابون) سبب فشل الرحلة الى بعض أسباب ذكرها وجاء فيها : « كان الخطأ الأول بناء سفن طويلة ، مع أنه لم تنشب معركة في البحر ، ذلك لأن العرب أصحاب تجارة ولا يميلون الى الحرب حتى الى الحرب البرية

منها ، كما أنهم غير راغبين في خوض حرب بحرية على الإطلاق » . ثم يضيف
« وبعد أن تكبد ايليوس جالوس (Aelius Gallus) كثيرا من الآلام والخسائر ، وبعد
أن أمضى في البحر خمسة عشر يوما وصل الى لوكي كومي ، وهي ميناء تجارى
كبير وقد فقد كثيرا من السفن ، وذلك بسبب المتاعب الطبيعية وسوء الاستعداد
لا عن مقاومة أى عدو (١) .

ومن المرجح أن الرومان حاولوا بطريقة أو بأخرى السيطرة على بلاد العرب
الجنوبية حفاظا على تجارة مصر الشرقية البحرية ، فانه من الثابت أن الامبراطور
بريوس عقد محالفة ود وصداقة مع أمير ظفار الحميري في اليمن ، وكان الحميريون
الذين أسموهم اليونان باسم هوميرتاي (٢) (Homeritae) هم أصحاب السيادة
في ذلك الجزء من جنوب شبه الجزيرة ، بعد أن أخذت قوة السبأيين في الضعف
 والتدهور ، وكان من نتيجة التحالف الروماني الحميري أن أرسلت روما حامية
للبقاء في عدن للحراسة ، ولضمان حسن سير التجارة البحرية في البحر الأحمر ،
وفي عهد الامبراطور هدران وأسرة انطونيوس (٩٨ — ١٩٢ م) ظلت التجارة
البحرية مزدهرة بين مصر والمحيط الهندي وذلك بفضل السياسة والمشروعات
العظيمة التي قاموا بها ، فقد حولوا دولة النبط التي تقع على الجانب الشرقي
للبحر الأحمر والتي كانت تتبع روما الى ولاية رومانية أطلقوا عليها اسم
« بلاد العرب » ، كما شقوا طريقا برياً هاماً يربط بين ايلة على رأس خليج العقبة ،
وبين دمشق مارا بالبترا (٣) وبصرى ، وبذلك حلت ايلة محل مدينة ليوكس كومي
وأصبحت ميناء النبط الأول .

هذا وقد تولى تراجان (Trajan) تطهير قناة مصر التي كانت تصل النيل بالبحر
الأحمر من الرواسب والرمال التي كانت قد طمستها ثالية ، بعد عصر البطالمة كما

(١) Hornell : Sea Trade in Early times, P. 245.

(٢) The Cambridge Ancient History, Vol. III, P. 212.

(٣) Charlesworth : Trade routes & Commerce of Roman Empire, P. 134.

حفرة قسما جديدا أمدتها به حتى أصبحت تتصل بالنيل عند حصن بابليون ، وكان النيل في ذلك الوقت يجري تحت أسواره ، وكانت له مرسى ترسو فيه السفن . كذلك شق تراجان خليجا بدأ من مدينة منف (البدرشين) مارا بمدينة بوبسطس (تل بسطة بالقرب من الزقازيق) وفاقوزا (فاقوس) فكانت السفن تسير فيه حتى بحيرة المنزلة ومنها الى بلوز (بورسعيد) ومنها الى البحر الأبيض المتوسط . وهذا بالإضافة الى الطريق الشرقى القديم الذى كان يخرج من منف الى القلزم ومنها الى البحر الأحمر ، كما أنشأ الثغور على البحر الأحمر ، وأقام الفسارات على شاطئ البحر الأحمر ، وشاطئ البحر الأبيض المتوسط .

ومنذ منتصف القرن الثالث بدأت التجارة البحرية في الذبول والاضمحلال ، وذلك وليد عوامل عدة بعضها سياسى ، فقد تولت في ايران الدولة الساسانية مكان الدولة البارثية ، وقد اعتبرت الدولة الساسانية نفسها الوريثة الشرعية لملوك الفرس الأخمينيين ، أى أن الدول التى حكمت فارس بعد فتح الاسكندر المقدونى في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد حتى قيامها سنة ٢٢٥ م ، اعتبرت دولا دخيلة . وكان من شأن أحياء الوطنية والحضارة الفارسية وانتقال مركز السلطان الى منطقة ما بين النهرين ازدياد حدة الصراع بين الدولتين الساسانية والرومانية . هذا بالإضافة الى الخلاف الدينى بين الزرادشتيين والمسيحيين الذى زاد الأمور تعقيدا . فقد عنى ملوك الساسان الأوائل بأن تكون لهم طرق ملاحتهم الخاصة بعيدا عن فلك الرومان واليونان وغيرهم ممن احتكروا طرق التجارة البحرية ، فأنشأ أول ملوكهم ازدشير^(١) الأول ، عدة موانئ بحرية ونهرية ، كذلك عقد الملك نارس في أوائل القرن الرابع (٢٩٢ — ٣٠٢ م) صلات تجارية مع شعب الزوج في شرقى الصومال الذين عرفوا باسم (زند أفريك شاه) .

ومن الأحداث التى يجب ألا نغفلها ، والتى كان لها أثر واضح على ضعف خطوط الرومان البحرية في القرن الثالث ، اتحاد دول جنوب غرب شبه الجزيرة العربية . فقد كون الحميريون من مملكة سبأ وغيرها من الدويلات المجاورة دولة

Brown : A Literary History of Persia, Vol. I, P. 104. (١)

موحدة . وفي الجانب الآخر من البحر الأحمر أخذت مملكة اكسوم تزداد قوة وتزدهر اقتصاديا فظهرت كمنافس ليس بالهين أمره .

وفي القرن الثالث اضمحلت موارد الدولة الرومانية الاقتصادية نتيجة لاختلال الميزان التجارى ، وعدم اهتمامهم بالطرق التجارية وخاصة البحرية ، واغفالهم شأن الأساطيل التجارية . ومن المصادر الهامة في هذا الشأن العملة فائنا لا نكاد نجد أثرا للعملة (١) الرومانية في الهند أو في غيرها من المدن التى تقع على هذا الطريق بعد عهد الامبراطور كراكلا (Caracalla ٢١٢ — ٢١٧) .

أما بالنسبة الى الأسطول الحربى فقد اقتضت مهمة الأسطول المصرى على المحافظة على الأمن العام والنظام على السواحل ، اذ اتنا نجد فى النظم الادارية التى أنشئت فى عهد الامبراطور اديان (سنة ١١٧ م) نظاما خاصا للحراسة عرف باسم (Classis Augusta Alexandrini) (٢) كان ينص على أن يتولى عدد معين من السفن حراسة سواحل البحر الأبيض المتوسط ، وعدد آخر يتولى خفر ضفاف النيل . وظل هذا النظام معمولاً به ، تتولى البحرية بمقتضاه الاشراف على الدلتا والشواطىء الشمالية حتى عهد الامبراطور كومود (Commode) سنة ١٩٢ م فألغاه وأنشأ نظاما آخر عرف باسم (Class Nova Libyca) عمل على فصل الأسطول المصرى عن أسطول برقة الذى أنشئت له قاعدة خاصة على شواطىء لوبيا ، ومع هذا فقد ظل الأسطول المصرى يراقب سواحل أفريقيا الشمالية حتى بلاد الموريتانيا كما كانت من أعماله الهامة حراسة القوافل البحرية التى كانت تنقل غلال مصر الى روما .

مما سبق نرى أن الرومان قد توقف اهتمامهم بالأساطيل البحرية بعد موقعة اكتيوم (٣) لسبب وجيه هو أن البحر الأبيض المتوسط غدا مقصورا عليهم ، ولم

(١) Rostowzew : Social & Economic History of the Roman Empire, P. 149.

(٢) Macquart : Organisation Militaire chez les Romains, P. 236.

(٣) أرسيبالد : القوى البحرية والتجارية : المترجم ص ٢٨ .

يعد لهم فيه منافس ولم تكن بهم حاجة الى قوة دفاعية بحرية الا في أطراف الدولة النائية مثل بريطانيا . وفي نهاية القرن الرابع الميلادي عندما انقسمت الدولة الرومانية الى شرقية وغربية ، أصبحت مصر من أملاك الدولة الرومانية الشرقية التي عرفت بالدولة البيزنطية ، وأخذت هذه الدولة في بناء الأساطيل واهتمت بأمر القوى البحرية ، كما اهتمت بالملاحة التجارية في البحرين الأبيض والأحمر فأنشع نطاق التجارة في البحر الأبيض واستمرت مدينة الاسكندرية مركزا هاما لتجارة الشرق (١) والغرب . على أن الخطوة الحاسنة في تكوين قوة بحرية دائمة كانت في عهد الامبراطور انسطاسيوس ولعله هو الذي أنشأ (ترسانات) دور صناعة السفن في يزنطة وصور والاسكندرية .. ويرجح هذا القول الحملة البحرية التي قام بها سنة ٥٠٨ م وكانت عدتها مائة سفينة كبيرة وعددا آخر من السفن الصغيرة وجهها ضد القوط الشرقيين الذين حاولوا الاستيلاء على البلقان . كما أعد أسطولا آخر سنة ٥١٨ م وزوده بمواد كيميائية اخترعها پروكليس الاثيني ، ساعدته في انقاذ المدينة بعد أن اشتعلت النار في سفن العدو (٢) . وقد كانت القوة البحرية التي وضع نواتها الامبراطور انسطاسيوس خير عون للامبراطور جستنيان ، فمكنته من الاستيلاء على شمال أفريقية وإيطاليا وجزء من أسبانيا ، وجزر غرب البحر الأبيض المتوسط . وقد كان عدد قطع الأسطول الذي قام بهذه العمليات الحربية ، ٥٠٠ ناقلة ، ٩٢ سفينة حربية كبيرة ، عليها ١٥٠٠٠ رجل من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان . هذا بالإضافة الى سفن الحراسة التي بلغ عددها ٩٢ سفينة عليها ٢٠٠٠ رجل يقومون بعملية التجديف ، وكانت القوة البحرية تعتمد أساسا على السوريين والمصريين واليهود المقيمين بمدينة الاسكندرية وجاليات أخرى من اليونانيين . وقد احتفظت الدولة البيزنطية بأسطولها البحري الدائم وقواعده البحرية ودور صناعته في قرطاجنة والاسكندرية وعكا والقسطنطينية حيث بنى

(١) إبراهيم نصحي : البحر الأحمر في عصر البطالمة والرومان ص ٤٠٤ (مجلة الجيش ، عدد أبريل سنة ١٩٤٧) .

(٢) Malas : Constantine Porphyrogenitus Excerpta Historica, P. 169

كثير من السفن الحربية مثل الدرومون (Dromons) الخفيفة الحربية والتجارية الكبيرة التي كانت تقوم بنقل الجنود والامدادات في وقت الحرب .

وقد أدى تأسيس مدينة القسطنطينية الى اضعاف الملاحة المصرية والتجارة الخارجية اذ تحولت صادرات الشرق الأقصى اليها عن طريق الخليج الفارسي ، ثم جزيرة العرب والشام على ظهر القوافل بدلا من عبورها البحر الأحمر واختراق مصر الى مدينة الاسكندرية ثم البحر الأبيض المتوسط . الا أن ذلك لم يطل أمره ، اذ اضطر الامبراطور جستنيان في القرن السادس الى العودة الى طريق البحر الأحمر والثغور المصرية ، بعد أن قطع الفرس طريق القوافل الآتي من الخليج الفارسي وهكذا عادت للاسكندرية مكانتها الأولى وأصبحت أعظم مدن البحر الأبيض المتوسط ، وفاقت أهميتها كمركز تجاري أهمية القسطنطينية عاصمة الدولة . فقد كانت الاسكندرية محط رجال تجارة الشرق التي كانت تشتمل على الحرير والعطور والتوابل ، وكانت تصدر منها الى مدن البحر الأبيض ، كما كانت تصدر القمح المصري الى القسطنطينية والى ايطاليا وتستورد الأخشاب منها . وقد اتسعت تجارتها مع شمال أفريقيا ، بل ان تجارتها وصلت الى الجزر البريطانية بعد أن اجتازت مضيق جبل طارق (عمد ^(١) هرقل) .

وقد أدى اضطهاد كنيسة القسطنطينية لمسيحي مصر وسوريا الى نتائج وخيمة ظهرت آثارها عندما زحفت الجيوش الساسانية على سوريا فاستولت عليها وسقطت انطاكية ثم واصلت الزحف الى بيت المقدس فاستولت عليها سنة ٦١٤ وفي عام ٦١٩ م وصلت مصر واستولت عليها وعلى الاسكندرية عاصمتها دون أن تلقى أى مقاومة في بلد منها . وليس معنى هذا أن الحرس الوطني في هذه البلاد كان ضعيفا أو عديم الولاء بل كان المواطنون غير راغبين في المقاومة ، ولا في رد الفاتحين وذلك لما لاقوه من اضطهاد وسوء معاملة من أباطرة الرومان وكنيستهم . ولكن الدولة البيزنطية استطاعت بعد ذلك أن تستعيد هيبتها وممتلكاتها بقوة

بحريتها وزعامتها الحكيمة ، فقد استولى على السلطة هرقل حاكم شمال أفريقيا بعد أن خلع الامبراطور العاجز فوكاس . فأبحر من افريقية بأسطوله وقام بعدة غزوات وحملات استرجع بعدها أملاك الدولة في مصر وسوريا ، بل ذهب الى أبعد من ذلك اذ نقل الحرب الى أرض الأعداء فواصل سيره حتى وصل المدائن عاصمة الفرس ، وهكذا انتهت الحرب سنة ٦٢٨ م . وقد كان لهذه الحروب التي استمرت مع الفرس عشرين عاما ، وما كان يلقاه السوريون والمصريون من الاضطهاد الديني لمعارضتهم المذهب الأرثوذكسى^(١) الذي فرضته عليهم القسطنطينية أثره البالغ اذ جعلتهم يرحبون بقدوم العرب بعد خروج الفرس بثلاث عشرة سنة ٦٤١ م .

(١) Diehl : L'Afrique Byzantine, P. 406.

الملاحة

عنا العرب

فبالأسلا

لقد كان لطبيعة شبه الجزيرة العربية ولموقعها الجغرافي أثر كبير في تطور الملاحة على شواطئها ، اذ أنها تحد من ثلاث جهات بخط ساحلي بالغ الطول يدور من خليج السويس الى رأس الخليج الفارسي . وتمتد بالقرب من هذه السواحل اليمن وحضرموت وعمان ، ولم يكن الاتصال بينها بحرا أشد هولا من عبور الصحارى والجبال التي تفصل بينها برا . وكانت الملاحة تهيب للعرب الاتصال عبر المياه المغلقة في البحر الأحمر والخليج الفارسي بمركزين من أقدم مراكز الثروة والحضارة في العالم ، وهما مصر وايران ، فضلا عن بلاد ما بين النهرين وكان يمكن بلوغها برا وبحرا . كما كان من اليسير عليهم عبور البحر الى شرق أفريقيا في الجنوب العربي والسير بسفنهم على ساحله بحثا عن سلع المناطق الاستوائية ، والبحر الأحمر والخليج الفارسي ، يكملهما النيل والفرات ودجلة ممران طبيعيان للملاحة بين حوض البحر الأبيض المتوسط وشرق آسيا . وهكذا نرى أن العرب يطلون من كلا جانبي جزيرتهم على طريقين من الطرق التجارية الكبيرة في العالم .

حقيقة أننا لا نعرف حتى الآن شيئا يذكر عن نشاط العرب في الملاحة قبل الفتح

الهينى للشرق الأوسط ، ولكن فيما تركته الشعوب المجاورة لها من النقوش
الكثيرة والكتابات على آثارها ما يشهد بأن سواحل شبه الجزيرة العربية ، كانت
في جميع العصور التاريخية على اتصال بالبلاد الأخرى بحرا . فتحدثنا النقوش
السومرية والاكادية التي ترجع الى الألف الثالث قبل الميلاد عن الصلات البحرية
بين بلاد ما بين النهرين وبلاد دلمون (Dilmun) ، ولعلها جزر البحرين ، وماجن
(Magan) وهي عمان ، وقيل كان يوجد بها الخشب والنحاس ، كما ورد في نقش
لجش^(١) (Lagash) ذكر لبناء السفن . وعلى الجانب الغربي للجزيرة العربية كانت
السفن المصرية تمخر عباب البحر الأحمر منذ عهد ساحورع من ملوك الأسرة
الخامسة ، كما قامت عدة رحلات بحرية الى بلاد بونت في عهد الأسرة السادسة .
وكانت السفن التي قامت بتلك الرحلات تعبر البحر الأحمر الى أقصى الجنوب ،
ثم تعود في أوبتها في اتجاه مضاد للريح ، وهو أمر ليس بالهين في تلك العصور ،
وكانت تصنع في رأس خليج السويس وتسميها النصوص المصرية أحيانا باسم
(سفن الجبال) .

كذلك جاء في تاريخ الدولة الاشورية أن أحد ملوك مملكة أرض البحار
(Sealand) التي تقع على الخليج الفارسي ، وتمتد من مصب نهر الفرات الى
(دلمون) ، أي الى الشمال الشرقي لشبه الجزيرة العربية قد فر في أوائل القرن
السابع قبل الميلاد مع بعض أتباعه عبر الخليج الفارسي والتجأ الى أرض عيلام بعد
ثورة فاشلة شنها على سيده الملك الأشوري سنخريب . فما كان من الملك سنخريب
الا أن جاء بفينقيين الى مدينة مينوى لينبؤوا له سفنا قوية . ثم أقام على السفن
ملاحين من صور وصيدا وقبرص وأمر بتسييرها جنوبا في مجارى الماء التي تشق
البلاد وجرها على الأرض في بعض المواضع ، حتى بلغت مصب الفرات . وتقول
القصة ، وأبحرت الحملة الى مصب نهر اولاي^(٢) (Ulai) الذي كان يصب وقتئذ
في الخليج الفارسي مباشرة ، وهناك نزل المحاربون الى البر لملاقاة جنود (أرض

(١) لجش : مدينة سومرية مكانها الآن تل اللوح بالعراق .

(٢) هو نهر قارون ويصب الآن في شط العرب الى الجنوب من البصرة بنحو عشرين ميلا .

البحر) على الشاطئ وأوقعوا بهم الهزيمة . وفي عهد الدولة البابلية الحديثة التي وحدت غرب آسيا كله ومصر في امبراطورية واحدة ، عمل الملك دارا الأول على ربط فارس بالهند ومصر بحرا الى جانب ربطها بهما برا ، فبعث بأسطول في نهر السند جنوبا طاف حول الجزيرة العربية حتى وصل مصر .

أما الاسكندر المقدوني فقد عنى عناية خاصة بتنشيط الملاحة في الخليج الفارسي ، فاستأجر الفينيقيين للملاحة في الخليج واستيطان شواطئه ، كما نقل كثيرا من السفن الى بلاد ما بين النهرين وبنى بعض السفن مستعينا بأشجار السرو القريبة من بابل ، وعمل على تحسين الملاحة في الفرات والنهوض بميناء بابل ، وأرسل ثلاث سفن جنوبا للاستكشاف ، وقد جاءت احدى السفن الى البحرين حيث شاهد رجالها مصايد اللؤلؤ . وفي القرن الثالث قبل الميلاد كان أهل جرهما (Gerrha) على ساحل الاحساء ، ومعظمهم من العرب ، الذين اشتهروا بسيادة التجارة البحرية والبرية في تلك المنطقة ، كانوا يتجرون مع أرض البخور في جنوب شبه الجزيرة العربية عن طريق القوافل ، كما كانوا يتجرون برا وبحرا مع مدينة سلوقية (Seleucia) على نهر دجلة ، التي كانت السفن البحرية تستطيع التصعيد اليها فكانت نهاية الملاحة في الخليج (١) .

وقد ظلت تجارة الخليج الفارسي طوال عهد الامبراطورية الرومانية في حوزة مدن صغيرة تقوم بدور الوسطاء ويشغل العرب فيها مركزا مرموقا ، مثل مدينة خاراكس (٢) وابولوجوس ثم مدينة تدمر في صحراء سوريا ، ولم يحاول الرومان القضاء على هذا النظام الا عندما فتح الامبراطور تراجان بلاد ما بين النهرين ، ولكن سرعان ما استعادت تدمر بعد ذلك ازدهارها ونشاطها التجاري ، فقد وافقت روما على تركها شبه مستقلة حتى يستطيع تجارها مواصلة تجارتهم في كلتا الامبراطوريتين الفارسية والرومانية .

وهكذا نرى أنه قد قامت في تلك الفترة التاريخية تجارة بحرية منتظمة من

(١) Muller : On the Erythraean Sea, P. 142.

(٢) يقول (Pliny) أن خاراكس كانت سنة ٧٧ م على حدود دولة البارتانيين وكان يقوم

عليها أمير ساساني .

الخليج الفارسي الى الجنوب الغربى من شبه الجزيرة العربية ، وان عرب الخليج لعبوا دورا أساسيا في هذه التجارة ، ومع هذا فان العصر الذهبى للخليج الفارسي لم يكن قد حان بعد ، فقد كانت الصدارة في تلك الأيام للبحر الأحمر . واعتمادا على ما ذكره اجاثارخيدس ، واسطرابون وبريلوس ، وبلينى الكبير ، وعلى ما ورد في بعض النقوش الأثرية نستطيع أن نكون فكرة واضحة عن العرب والبحر الأحمر في العصر الهليني وأوائل العصر الرومانى .

لقد سبق القول أن بطليموس الثانى اهتم بالكشف عن الشاطئ الأفريقى من البحر الأحمر ، كما أقام عدة موانى عليه مثل برنيس^(١) (Berenice) وغيرها من الموانى . وانه لم يهمل أمر الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر ، فقد كلف ارستون (Ariston) بأن يبحر من خليج السويس الى باب المندب مستكشفا في طريقه الساحل الغربى لشبه الجزيرة العربية . كذلك جعل بطليموس الثانى ومن جاء بعده من ملوك البطالمة خليج العقبة صالحا للملاحة أمام التجار^(٢) . وهنا يقول اجاثارخيدس^(٣) السكندري أنهم (أى ملوك البطالمة) جعلوا خليج العقبة صالحا للملاحة أمام التجار ، ويضيف ، وربما كان الغرض من هذا ومن جملة الاستكشاف التى قام بها ارستون هو إعادة فتح الطريق الذى كان يسلكه سليمان وحيرام ، إذ كانت فلسطين وفينيقيا خاضعتين لحكم البطالمة . وقد أثارت هذه المحاولة النبطيين الذين كانوا يسيطرون على الطرف الشمالى من طريق القوافل الممتد من بلاد العرب الجنوبية ويقولون عليه في معاشهم ، ويقول اجاثارخيدس عن النبطيين « كانوا منذ القدم يعيشون عيشة راضية قانعة ، بما تمدهم بها قطعانهم من غذاء ، ولكنهم فيما بعد عندما جعل ملوك الاسكندرية الخليج صالحا للملاحة أمام التجار أخذوا يهاجمون الناجين من السفن المحطمة ، وينزون سفن القرصنة لسلب

(١) تقع برنيس تجاه مدينة أسوان بالإقليم المصرى .

(٢) Cary & Warmington : The Ancient Explors, P. 67.

(٣) Rostovtzeff : Social & Economic History of the Hellen World, vol.

I, P. 383.

الملاحين بالغين في ذلك ما بلغه التاورى (١) (Pontic tauri) من قسوة وخروج على القانون . ولكن دهمتهم في عرض البحر السفن التى تضم صفوفًا أربعة من المجاديف (Quadrireme) أنزلت بهم ما يستحقون من عقاب .

فنتبين مما تقدم أن التجارة البحرية والبرية بين الهند وشبه الجزيرة العربية ومصر ، كان معظمها في العصر الهلينستى في أيدي العرب ، وبالإضافة إلى ما جاء في كتب الجغرافيين والمؤرخين القدامى عن ذلك ، فقد عثر في الجيزة على تابوت عليه نقوش بالخط العربى الجنوبى واللهجة المعينية ، مؤرخة بالسنة الثانية والعشرين من (بطليموس بن بطليموس) أى سنة ٢٦٣ ق م . وترجمة النص هو أن رجلاً من (معينيا) يسمى زيد — ال زيد كان يعمل كاهناً في أحد المعابد المصرية ، وكان يستورد المر والذيرة (قصب الطيب) من بلاده للمعبد ، ويصدر إليها على السفينة التجارية التى يملكها ، أثواباً جميلة من البز المصرى (٢) . ولم تقف تجارة العرب البحرية عند نهاية البحر الأحمر فحسب بل تعدتها إلى البحر الأبيض المتوسط ، فقد عثر في جزيرة ديلوس (Delos) ببخريجه ، أهم مراكز شرق البحر الأبيض المتوسط التجارية في القرن الثانى قبل الميلاد ، على كثير من النقوش المعينية والسبائية ، وكلها ابتهالات وتقديس لآلهة عرب الجنوب .

أما في العصر الرومانى ، فقد كانت العلاقات التجارية مع البلاد العربية بسيطة ، وذلك لاختلال الأمن في البحر الأبيض المتوسط ، والحروب الأهلية الرومانية ، وقد أشار أسترابون إلى ذلك بقوله : فيما مضى لم يتعد عدد السفن التى تستطيع عبور الخليج العربى (أى البحر الأحمر) والخروج إلى ما وراء المضيق (باب المندب) « عشرين سفينة » ، أما في عصر الامبراطور أوغسطس (٣١ ق م — ١٤ م) ، فقد عاد الأمن إلى نصابه في البحر الأبيض المتوسط ، كما هدأت الحروب الأهلية

(١) التاورى : هم سكان الساحل الجنوبى من شبه جزيرة القرم المطلة على البحر الأسود (Pontus).

ويقول عنهم هيرودوت أنهم كانوا يقدمون ركاب السفن الغارقة وكل من يأسرونهم في البحر من اليونانيين قرابين لآلهتهم المذراء (يعقوب بكر — العرب والملاحة هامش ص ٥٩) .

Rostovtzeff: The Social & Economical History of the Hellenistic World, vol. (٢)

II, P. 702.

في الداخل فزاد الاقبال على التحف الشرقية وتجارة الهند » ، ثم يضيف استرابون :
ان أكثر من ١٢٠ سفينة كانت تبخر في العام من ميناء ميوس هورموس (Myus Hormus) الى الهند ، وعلى خلاف ما كانت عليه الحال من قبل . وقد بلغت تجارة الشرق قيمة كبيرة عند الرومان وظهرت في شبه الجزيرة العربية مدن جديدة أصبحت موانئ بحرية هامة مثل ميناء موزا (Muza) لشهرتها باللبان والعطور السبئية ، لذلك حاول الرومان السيطرة على بلاد العرب الجنوبية ، فاحتلوا ميناء عدن (٤١ — ٥٤ م) وأبقيت حامية رومانية هناك . وفي عهد الامبراطور تراجان وهديران ازدهرت الطرق التجارية البحرية في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندي وذلك بفضل المشروعات الكثيرة التي قاموا بها في هذا الشأن ، مثل إعادة حفر قناة تراجان التي تصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض .

وفي القرن الثالث الميلادي ذبلت التجارة الرومانية الشرقية ، نتيجة للاضمحلال السياسي والتدهور الاقتصادي وانخفاض قيمة العملة . كما ظهر في هذا القرن دولة فارسية وطنية في ايران اعتبرت نفسها الوارثة الشرعية للملوك الاخمينيين وبذلك أصبحت فترة حكم السلوكيين والبارثيين ، من وجهة نظرها ، دخيلة في تاريخ الفرس . وفي القرن الرابع انقسمت الدولة الرومانية الى قسمين ، غربي وعاصمته روما وشرقي وعاصمته القسطنطينية ، وهكذا أصبح يتنازع القوى في منطقة الشرق الأوسط قوتان كبيرتان ، هما الدولة الساسانية والدولة البيزنطية .

وقد شجعت الدولة الساسانية الملاحة والتجارة البحرية ، وأسس أول ملوكها ازديشير الأول عدة موانئ بحرية ونهرية للتجار مع شعب شرق أفريقية ، وكان الساسان يطلقون عليهم اسم (زند افريك ^(١)) . وقد أدى نشاط الفرس في الملاحة البحرية وازدياد نفوذهم في تجارة الشرق ، الى تهديد مصالح التجار العرب ، مما دعا عرب البحرين وسائر عرب السواحل الى عبور الخليج الفارسي والاغارة على الدولة الساسانية ، ولكن الشاه شابور الثاني استطاع أن يرد على عرب شبه الجزيرة بالاغارة عليهم في عقر دارهم واحتلال البحرين وأقام حامية فارسية هناك .

(١) Brown : E.G. A Literary History of Persia, P. 110.

أما بالنسبة لليونان والرومان فقد اضمحلت صلاتهم التجارية بالعرب منذ القرن الثالث الميلادي واستمر الحال كذلك الى القرن السادس ، وقد نتج عن هذه الحال أن كثيرا من المراجع التاريخية المعاصرة لتلك الفترة ، كانت تطلق اسم (الهنود)^(١) خطأ على الأحباش والحميرين ، وذلك لجهل معظمهم بالعرب وساكني شواطئ البحر الأحمر . وفي القرن السادس استعادت التجارة البحرية بين الشرق والغرب بعض نشاطها القديم ، فقد كان التجار اليونان يسلكون طريقين في البحر الأحمر ، الأول يمتد من الاسكندرية مصعدا في النيل ثم يعبر الصحراء الى أحد الموانئ ، ومنه يسلك البحر الأحمر حتى ميناء (ادولس)^(٢) ثم الى اكسوم في الحبشة . وكان الطريق الثاني يبدأ من ايلة ويمتد على طول الشاطئ الغربي لشبه الجزيرة العربية ، وكانت السفن ترسو اذا جن الليل عند أحد المراسي الطبيعية .

وعلى الرغم من أن مؤرخي القرن السادس الميلادي ، لم يذكروا شيئا عن الملاحة العربية ، فليس معنى هذا انه لم يكن للعرب ملاحه في ذلك الوقت ، وإن كان فيه ضمنا ما يدل على أن سفنهم التجارية لم يكن لها شأن يذكر في أعالي البحار ، وكان هذا نتيجة حتمية للتدهور والاضمحلال السياسي والاقتصادي اللذين أصابا بلاد العرب الجنوبية في القرن السادس . فقد أرسل ملك اكسيوم حملة بحرية كبيرة سنة ٥٢٥ م أبحرت من ميناء ادولس وعبرت البحر الأحمر الى بلاد اليمن ، ولم يكن لدى (ذونواس) طاغية حمير أسطول حربي يصد به هجمات عدوه في البحر ، فاستطاع الأحباش الاستيلاء على اليمن وأخضعوها لنفوذهم . أما من الناحية الاقتصادية ، فقد تحول طريق التجارة الشرقية من البحر الأحمر الى الخليج الفارسي ومنه الى شط العرب ثم تختتم رحلاتها في (ثيريدون) عند مصب الفرات ومن هناك تحمل على ظهور الابل حتى سوريا التي كان يسميها الصينيون (تا — تسن) .

(١) العرب والملاحه في المحيط الهندي (ترجمة) ص ٩٣ .

(٢) ميناء على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر في الصومال (أنظر الخريطة) .

وهكذا نرى أن نفوذ عرب الجنوب قد اضمحل على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . وانتقلت القوة والخيوية إلى عرب الشمال ، المناذرة المجاورين للدولة السياسية ، والغساسنة المتاخمين للدولة البيزنطية ، ولم يكن عرب الشمال أهل بحر ، وإنما قدرت لهم ظروفهم الجغرافية أن تربط حياتهم بتجارة القوافل القادمة من الجنوب والشرق إلى الشمال والغرب حاملة ثروات أفريقية وآسيا إلى الدولتين اللتين كانتا تفرضان سلطانهما على الشرقيين الأوسط والأدنى في ذلك الوقت . أما عن عرب وسط شبه الجزيرة ونعني بهم عرب الحجاز ، فقد كانت لهم صلة وثيقة بالحشة عبر البحر الأحمر ، بدليل هجرة نفر من أوائل المسلمين إليها ، وإن كان عجز قريش عن مطاردة المهاجرين يدل على أنه لم يكن لديهم سفن خاصة بهم . ولما أسلم عرب وسط شبه الجزيرة وبلغت فتوحاتهم السواحل المحيطة بهم ، أظهر بعضهم ميلا إلى ركوب البحر ، ولم يكن ميلهم سوى امتداد للنفوذ الذي دأب عليه العرب في الجاهلية منذ أقدم العصور ، فكان الرجل يركب مركبا كما يركب جملا ، أما للتجارة أو للآغارة ، وكان أول من قام بغارة بحرية من شواطئ شبه الجزيرة ، هو عثمان بن العاص الثقفي وإلى البحرين ، فقد أبحر من عمان في غارة جريئة على ساحل الهند عند (تانة) بالقرب من بمباي ، كما اتجه أخوه إلى خور (الديبل) عند مصب نهر السند ، ولما رجع جيش عثمان الثقفي من تانة ، كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يعلمه بذلك ، فكتب إليه عمر : « يا أخا ثقيف حملت دودا على عود ، وإنني أحلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم » (١) . وأراد العلاء بن الحضرمي (٢) خليفته في ولاية البحرين أن يظهر جرأته واقدامه ، فعبر إلى فارس وتوغل فيها بعيدا حتى اصطخر فارس ، وكان ذلك بتحريض من أهل ولايته فجمع لذلك اثني عشر ألفا من المسلمين وركب البحر . وعلى الرغم من أن المسلمين عادوا إلى البصرة محملين بالغنائم إلا أن الحملة باءت بالفشل وفقد

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٧ .

(٢) ذكر كثير من المؤرخين أن أول من ركب البحر في أم الإسلام هو علاء بن الحضرمي ، منهم البلاذري ص ٤٦٤ (المقرئ ص ١ ط ٢٧١ ، المأوردى الأحكام السلطانية ص ١٩٤ إلى ص ١٩٦ تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢١٤)

المسلمون سفنهم التي عبروا بها الخليج الى فارس . فلما علم الخليفة بأمر تلك الحملة غضب على العلاء غضبا شديدا ، لأنه أولا قام بها دون اذن منه ، وثانيا لأن عمر كان يكره ركوب البحر ، ولذا قرر عزل العلاء .

ولما طلب معاوية بن أبي سفيان الى عمر بن الخطاب وألح في أن يأذن له بغزو بلاد الروم بحرا لقربها منه ، اذ كان يشغل وقتئذ ولاية الشام ، طلب عمر الى والى مصر عمرو بن العاص أن يصف له البحر وراكبه ، على اعتبار أن مصر من الأمم التي مارست ركوب البحر وعرفت فنونه ، كما عرفت أخطاره ومخاوفه منذ العهد الفرعوني ، فكتب عمرو يقول « يا أمير المؤمنين ، انى رأيت البحر خلقا كبيرا يركبه خلق صغير . ليس الا السماء والماء ، ان ركذ أحزن القلوب ، وان ثار أزاع العقول ، يزداد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة ، هم فيه كدود على عود ، ان مال غرق ، وان نجا برق ^(١) » فلما جاء عمر هذا الكتاب كتب الى معاوية يمنعه من ركوب البحر قائلا « لا والذي بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا . انا سمعنا أن بحر الشام يشرف على أطول شيء على الأرض ، يستأذن الله في كل يوم وليلة أن يفيض على الأرض فيغرقها ، فكيف أحمل الجنود في هذا الكافر المستصعب . وثالله لمسلم أحب الى مما حوت الروم ، فياك أن تعرض ، وقد تقدمت اليك ، وقد علمت ما لقي العلاء منى ولم أتقدم اليه في مثل ذلك ^(٢) » .

وقد علل ابن خلدون في مقدمته بسبب امتناع العرب في أوائل العصر الاسلامي من ركوب البحر بقوله « والسبب في ذلك أن العرب لبدأوتهم لم يكونوا في أول الأمر مهرة في ثقافته وركوبه ، والروم والافرنجة لمارستهم أحواله ومزاياهم في التغلب على أعواده ، مرنوا عليه فأحكموا الدراية بثقافته . فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وضارت أمم البحر خولا لهم وتحت أيديهم ، وتقرب كل ذى صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النوتية في حاجاتهم البحرية أمما ، وتكررت ممارستهم البحر وثقافته استحدثوا بصراء بها ، فتاقت نفوسهم الى الجهاد

(١) المقرئى ج ١ ص ٢٧١ ، الكندى ص ٥٩ .

(٢) المقرئى ج ٢ ص ١٩٠ .

فيه فأنشأوا فيه السفن والشوانى ، وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وامطوها
العساكر المقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر ، واختصوا بذلك من ممالكهم
وثغورهم ما كان أقرب الى هذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافريقية والمغرب
والأندلس .

ومثل هذه القصص والروايات التى نسبت الى عمر بن الخطاب والتى يفهم
منها كراهيته ركوب البحار وتخوفه منه ، هى منشأ الاعتقاد السائد عند جمهور
مؤرخى المسلمين ، كابن خلدون وغيره بأن العرب لم يكونوا محبين لركوب البحر
فى يوم من الأيام . وهذا قول خاطئ اذا ما أخذ على اطلاقه ولا يتفق والواقع
بعد ما تبين من تاريخ الملاحة عند العرب قبل الاسلام . على أن مثل هذه القصص
انما تدل على أن عرب وسط شبه الجزيرة لم يكونوا يعنون بالبحر فى أوائل
العصر الاسلامى ، وعلى أن عمر كان بما جبل عليه من روية وزرانة يستهدى
المنطق السليم وهو يكبح جماح قواده عن الغزوات التى قد يبدو له فيها ولو نذر
يسير من المخاطرة بأرواح المسلمين . ولم يكن سلوكه هذا مقصورا على الحروب
البحرية فحسب ، بل كان كذلك بالنسبة للحروب البرية ، فقد عارض أيضا من
قبل ما عرضه عليه عمرو بن العاص من فتح مصر رغم أن طريق الغزو كان برا ،
فعمر مع حرصه على سلامة المسلمين كان يخشى أن يتسع نطاق الغزو الى حدود
لا يمكنه الدفاع عنها . وجريا على السياسة الحميدة التى اتتبعها المسلمون ، وهى
الشورى فى أمور الدولة العليا ، فقد رأى عمر أن يعرف آراء قادة المسلمين فى
طلب معاوية غزو قبرص ، وهى غزوة بحرية وفيها من المخاطرة ما يستوجب الدرس
والروية ، خاصة انه لم يكن لدى العرب فى ذلك الوقت عدد كاف من السفن
يصارعون به الأسطول البيزنطى اذا التقوا به ، لذلك وقع اختيار الخليفة على
عمرو بن العاص وإلى مصر اذ ذاك ، لما لهذه الولاية من شواطئ على نفس البحر
الأبيض المتوسط ، مثل الشام .

وجاء رد عمرو ، وصفا دقيقا لطبيعة البحر وركوب مياهه وما يلاقىه المرء
فى ذلك من صعب ، فكان هناك رأيان متعارضان ازاء ركوب البحر الأبيض
المتوسط ، أحدهما ينادى به معاوية ، وهو ضرورة بناء أسطول عربى لخوض

الحرب في البحار ، والثاني ينادى به عمرو ، وهو تجنب المخاطر البحرية وقد اختار الخليفة الرأي الثاني وكان رائده في ذلك الحرص على سلامة المسلمين .

وعلى الرغم من سياسة الحذر والحيلة التي اتبناها عمر في ركوب البحر الأبيض المتوسط ، فإنه لم يتوان عن تسيير حملة (بحرية) في البحر الأحمر ضد الأحباش ردا على هجماتهم على السواحل الغربية ، وقد استبسل المسلمون في الحرب في مدينة (اودلس) ولكنهم انهزموا في النهاية على الأرض . وكان من نتائج هذه الحملة أن زادت حيلة عمر وحذره في ركوب البحر . وخاصة البحار التي لم يسبق للعرب خوضها من قبل مثل البحر الأبيض المتوسط .

ولعل في ذكر البحر والفلك التي تجرى فيه بما ينفع الناس في آيات كثيرة من القرآن الكريم ما يشعر بأن من العرب من كانوا يعرفون ركوب البحر . ونذكر على سبيل المثال لا الحصر قوله سبحانه وتعالى : (ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيمًا)^(١) وقوله تعالى (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)^(٢) ، وقوله تعالى (الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)^(٣) .

فهذه الآيات الكريمة تشير فيما تشير إليه الى تسخير البحر وتذليله وجريان الفلك فيه بطلب فضل الله كالربح بالتجارة واستيراد محاصيل الأمم الأخرى وغير ذلك من المصالح الدينية والدنيوية ، وهذا كله يتطلب السفر وركوب البحر . كذلك جاء ذكر البحر وركوبه في الأحاديث النبوية ، في سبيل نشر الدعوة الإسلامية ، فقد روى الجاحظ بن السني عن الحسين بن علي رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يذكره راكب البحر الى الجهاد ، جهاد الكفار قال (امان لأمتي من الغرق اذا ركبوا البحر أن يقولوا بسم الله مجراها ومرساها ،

(١) سورة الإسراء آية (٦٦) .

(٢) سورة النحل آية (١٤) .

(٣) سورة الباقية آية (١٢) .

ان ربي لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ،
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشكرون) .

ومن الأحداث التي تؤيد أن عمر بن الخطاب لم ينه عن ركوب البحر الا في
أحوال خاصة وهي التي لا يأمن عواقبها والتي يرى أن المسلمين يتعرضون فيها
للخطر ، في وقت كانت الدولة الاسلامية تضمن فيه بكل مسلم وتحرص على سلامته،
اذ كانت تدخره لنشر الدعوة الاسلامية ، وفتح الامصار لكي يذكر فيها اسم الله
تعالى ، من تلك الأحداث موافقته على اعادة فتح قناة تراجان من جديد وذلك لنقل
قمح مصر الى المدينة ، فقد ظل القمح عاما أو عامين ينقل عبر الصحراء الى سيناء
وغربي الجزيرة العربية ، حتى أذن عمر لعمر ، وقبل اخضاع مصر كلها (٦٤١ —
٦٤٢ م) بشق القناة التي تصل النيل بالبحر الأحمر . وقد استخدمت القناة فعلا
قبل عام ٦٤٤ وشحنت في أول الأمر عشرون سفينة قمحا عند أرصفة ميناء بابلون،
سارت في قناة القلزم ثم في البحر قاصدة الى (الجار)^(١) ميناء المدينة المنورة .
وظلت القناة مفتوحة بعد ذلك ، وان لم تستعمل الا في وقت الفيضان لما طرأ على
ذلك الجزء من مصر خلال العصور من ارتفاع في مستوى الأرض . وظلت
الامدادات من القمح ترسل عاما بعد عام قرونا عدة ، ومن المحتمل أنها لم تلبث
حتى أخذت تفرغ في جدة^(٢) ، ميناء مكة الجديد .

ولكن عندما اقترح عمرو شق فرع للقناة من بحيرة التمساح الى البحر الأبيض
المتوسط شمالا ، كقناة السويس الحالية ، لم يأذن له عمر خوفا من أن تعبر
أساطيل الروم الى البحر الأحمر وتعرض طريق الحجيج . هذا ويجب أن نذكر أن
الدولة الاسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب لم تكن قد وطدت دعائم سلطاتها
بعد ، كما أنه لم يستتب لها الأمر في البلاد التي تحيط بالبحر الأبيض المتوسط
الذي يفصل بينها وبين أقوى منافس لها ، وهي الدولة البيزنطية ، ونعني بتلك
البلاد ، مصر وبلاد الشام .

(١) العرب والملاح في المحيط الهندي ص ١٨٨ .

(٢) العرب والملاح في المحيط الهندي ص ١٨٨ .

كذلك الخليفة عثمان بن عفان فلم يكن في أول عهده أقل حذرا من سلفه عمر في ركوب البحر الأبيض المتوسط ، كما يؤخذ من رده على معاوية عندما كتب اليه يستأذنه في غزوة قبرص ^(١) ، ويعلمه قربها وسهولة الأمر فيها ، وهو قوله قد شهدت ما ورد عليك من عمر رحمه الله ، حين استأمرته في غزو البحر) . ولكنه في سنة ٢٧ أجاب معاوية الى طلبه حين كتب اليه مرة ثانية يهون عليه ركوب البحر الى قبرص ، وكانت اجابته بتحفظ اذ قال له (فان ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه ماذونا لك والا فلا ، ولا تنتخب الناس ولا تفرع بينهم ، خيرهم ، فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه) . وقد نفذ معاوية أمر الخليفة وحمل معه امرأته فأخته بنت قريظة ^(٢) وجماعة من الصحابة فيهم : عبادة بن الصامت ومعه زوجته أم حرام ، وأبو الدرداء وشداد بن اوس بن ثابت ^(٣) ، وأبو أيوب خالد الأنصاري ، وأبو ذر الغفاري ، وفضالة بن عبيد الأنصاري ، ووائل بن الأسقع الكنانى ، وعبد الله بن بشر المازنى ، والمقداد وكعب الحبر بن مانع وجبير بن نفير الحضرمي ، وكان ذلك سنة ثمان وعشرين بعد انقضاء فصل الشتاء ، ويقال سنة تسع وعشرين ^(٤) . وأقلع الأسطول الاسلامي من ميناء عكا بمراكب كثيرة متجها نحو جزيرة قبرص ، كما سار اليها من مصر أسطول اسلامي آخر عليه سعد بن أبي سرح فاجتمعوا عليها ، فصالحهم أهلها على جزية سبعة آلاف دينار كل سنة يؤدون الى الروم مثلها ، لا يمنعهم المسلمون عن ذلك ، وليس على المسلمين منعهم ممن أرادهم من ورائهم ، وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عددهم من الروم اليهم ، ويكون طريق المسلمين الى العدو عليهم ^(٥) . وهكذا نرى أن معاوية بن أبي سفيان أول

(١) البلاذرى ص ١٥٢ .

(٢) البلاذرى ص ١٢٣ .

(٣) هو ابن أخى حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) فتوح البلدان ، ابن الأثير .

(٥) ابن الأثير في حوادث سنة ٢٩ هـ .

مسلم غزا في البحر الأبيض المتوسط . على أن سياسة العرب البحرية في صدر الاسلام كانت سياسة دفاعية فحسب تستهدف تأمين الفتوحات العربية في مصر والشام ، ولم يعنوا في ذلك الوقت المبكر من فتوحاتهم في ركوب البحر الأبيض المتوسط لغزوات لا يأمنون نتائجها . لذلك حرص العرب على أن يتركوا حاميات قوية في الحصون والمحارس والربط في المدن الساحلية الهامة مثل اللاذقية وصور وصيدا وعكا على شاطئ بلاد الشام ، وفي الاسكندرية وتيس ودمياط والبرلس ورشيد على الشاطئ المصري ، وفي بنطابلس وتونس بشمال أفريقية ، وقد جاء في كتاب فتوح البلدان للبلاذري وصفا لهذه السياسة في قوله « فكلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها ما تحتاجه من الجند ، فإن حدث في شيء منها من قبل العدو سربوا اليها الامداد ^(١) » . وقد تجلت هذه السياسة بوضوح عندما تعرضت مصر والشام لغارة الروم على هذين الأقليمين سنة ٢٥ هـ / ٦٤٥ م .

وهكذا نرى أن هول البحر لم يثن العرب عن ركوبه وممارسة فنونه والحدق فيها فقد جابوا البحار وأكثروا من بناء الجوارى المنشآت ووسقوها بالعتاد والمقاتلة الى أمم مما وراء البحار . ولم يكتفوا بأن حدقوا سلوك البحار وفنون الغزو فيها ، والاتجار على شواطئها وموانئها بل قاموا بالسياحات البعيدة واكتشفوا البلاد المجهولة ، وظهر منهم المعلمون المهرة والملاحون الحاذقون من أهل سيراف ، والبحرين وعمان أمثال أبي الحسن محمد بن أحمد بن عمر السيرافي ، وأبي الزهر البرختي الناخذاه ، والحسن بن عمر ، واسماعيل بن ابراهيم بن حرواس الناخذاه ، وكذا عبهره الربان الكرمانى ، ومحمد بن بايشاد ، وعمران الأعرج الربان الشهير وغيرهم كثير ممن جابوا البحار والمحيطات في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى ، وأمثال أحمد بن ماجد وسليمان المهري في القرن العاشر الهجرى .

والى جانب ما تقدم فإن العرب ألفوا في علم الملاحة وفنونه كتباً كانت وما تزال مراجع عالمية لها قيمتها ، مثل كتاب « المترجم بالمدخل الكبير الى علوم البحر »

(١) البلاذري ص ١٢٤ .

ألفه أبو معشر المنجم ، وكتاب « الرهمانى »^(١) ألفه محمد بن شاذان ، وسهل بن أبان وليث بن كهلان . وألف فى علم الملاحة أيضا أحمد بن بترويه والمعلم خواشير ابن يوسف بن صلاح الأركى من رجال القرن الرابع للهجرة ، ويعد أحمد بن ماجد من عمان وسليمان المهري من الشحر من أئمة من ألف فى علم الملاحة ، ولا تزال آثارهما باقية الى الآن وسيجىء الكلام عليهما مفصلا فى باب المخطوطات.

هذا ولا تنسى أن البحر وما تمخر عبابه من سفن ومراكب قد لعب دورا هاما فى الأدب العربى فى الجاهلية والاسلام ، فقد جاء فى معلقة طرفة بن العبد البكرى :

كأن حدوج المالكية غُدوة

خَلَايا سفين بالنواصف من د د

« عدولية » أو من سفين « ابن يامن »

يجور بها الملاح طورا ويهتدى

(١) الرهمانى : عبارة عن دفاتر تسجل فيها خطوط عرض الموانى ، وإرشادات بحرية كما كانت تحتوى على الجداول الفلكية وخطوط العرض وعلى معلومات عن الرياح والسواجل والشعاب وكل ما يحتاج الربان إلى معرفته . وأول من كتب عنه المقدسى فى القرن الرابع الهجرى ، الذى يقول فى وصفه (وصاحبت مشايخ فيه « أى المحيط الهندى » ولدوا ونشأوا من ربانيين وأشائمه (ورد فى اللسان والتاج والجوالبى المعرب ، الاشتيام مادة شَم هو رئيس الركاب ، أى رئيس الملاحين) ووكلاه وتجار ورأيهم من أبصر الناس به وبمراسيه وأرياحه وجزائره فسألهم عنه وعن أسبابه وحدوده ورأيته معهم دفاتر فى ذلك يتدارسونها ويعولون عليها ويعملون بما فيها » كما تعرض المقدسى للخرائط التوضيحية وسماها الصور ، كذلك ذكر لنا ابن ماجد (رهمانى) قديماً صنفه الربانة المشهورين محمد بن شاذان وسهل بن أبان وليث بن كهلان .

الباب الثاني

البحر
في مصر
الاسلامية

يقول ابن خلدون في مقدمته عن البحرية الاسلامية « فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم ، وصارت أمم البحر خولا لهم وتحت أيديهم ، وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته ، واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أمما ، وتكررت ممارستهم البحر وثقافته استخدموا بصراء بها ، فتاقت نفوسهم الى الجهاد فيه ، وأنشأوا فيه السفن والشواني وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر المقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر ، واختصوا بذلك من ممالكهم وثورهم ما كان أقرب الى هذا البحر وعلى حافته » .

ومعنى هذا أن ابن خلدون يرى أن العرب اعتمدوا في أول أمرهم على أبناء الأمم التي خضعت لسلطانهم ممن كانت لهم دراية بالبحر وثقافته ، وهو رأى له تقديره ووجاهته في هذه الناحية ، وقد كانت مصر بطبيعة الحال من أولى تلك الأمم . فمن المعروف أن أكبر صناعات مدينة الاسكندرية — قبيل الفتح العربى — صناعة بناء السفن اذ كانت الاسكندرية أكبر أسواق العالم وأكثر ثغوره ازدهاما وحركة في تجارة القمح والكتان والورق والزجاج وغير ذلك من موارد البلاد

الزراعية والصناعية ، كما كانت تحمل اليها مقادير عظيمة من الذهب والعاج من بلاد النوبة وأثيوبيا ، كذلك كانت ترد اليها أنواع التوابل والبهار والحرير والفضة والجواهر من بحار الصين والهند عبر البحر الأحمر حتى مدينة القلزم (السويس) ، ومنها تحمل في ترعة تراجان الى مدينة منف على نهر النيل . ومن منف تنحدر بها السفن في النيل الى ميناء الاسكندرية ، حيث كانت تصدر الى جميع موانى البحر الأبيض المتوسط . ومثل هذه التجارة العظيمة لا بد لها من عدد كبير من السفن ، ولما كانت مصر خلوا من موارد الخشب الذى يصلح لصناعات السفن ، فقد كانت تستورد من بلاد الشام وغيرها من البلدان المنتجة لهذا النوع من الخشب ، ثم تقوم بصناعته في مدينة الاسكندرية . وكان قيام هذه الصناعة فيها — وهى مركز تجارى هام — أعود بالربح وأجدى على التجار . وفضلا عن ذلك فان مصر تثبت نوعا من الكتان تصلح أليافه صلاحية تامة لعمل الحبال وأدوات السفن ، فقد ورد في كتاب البلدان لابن الفقيه (١) « ومن عجائب مصر نوع من الكتان اسمه (الدقس) كانت تصنع منه حبال السفن وكانت تسمى (القرقس) ».

ويذكر (سيبوس) (٢) في تاريخه ، أن احدى سفن الغلال التى كانت تصنع في الاسكندرية تحمل عشرين ألف مد (أى ٤٠٠٠ أردب) . ويقول بتلر (٣) في تعليقه على حمولة السفينة ، ان أحدا من المؤرخين لم يذكر أن حمولة السفينة كانت فذة .

والى جانب السفن والأسطول التجارى كانت مصر تصنع كذلك السفن الحربية لها وللدولة البيزنطية . وكانت السفن الحربية على نوعين ، نوع كبير الحجم ويمكن أن نسميه البوارج ، وتسع السفينة منها ألف رجل ، ونوع صغير ويمكن تسميته الطرادات وكانت الواحدة منها تسع مائة رجل ، كما كانت مهمتها السير السريع واللف حول السفن الكبرى .

ويذكر سيبوس (Sebeos) وصفا مسهبا على جانب عظيم من الأهمية للسفن

(١) ابن الفقيه ج ٥ ص ٦٦ .

(٢) Sebeos : Translation by Conybeare, P. 82.

(٣) فتح مصر صفحة ٨٣ .

المصرية التى أرسلت لغزو بيزنطة فى عهد معاوية ، جاء فيه « أن عدد السفن الكبرى ثلثمائة كل منها يحمل ألف رجل ، وعدد الطرادات خمسة آلاف ، كل منها يحمل مائة رجل ، فيكون عدد من أرسلوا بالبحر لغزو بيزنطة ثمانمائة ألف رجل ، وهذا عدا من أرسلهم معاوية بالبر الى (خلقدونية) . يضاف الى ذلك ما كانت تحمله السفن من السلاح والآلات وكذا المئونة والخيام كما أن جزءا كبيرا منها شغل بالخيول » .

ويضيف سيبوس فيقول « ان السفن الحربية كانت مزودة بآلات القذف التى تتكون من المجانيق ، وآلات رمى الحجارة ، وبالأبراج العالية التى تستعمل فى تسور صرح الأسوار المحصنة ، وذلك بأن يقيموا قنطرة من الألواح على الفضاء القليل الذى يفصل بين البرج ، ويعبروا عليها الى الحصون والأسوار . كما كانت السفن المصرية مجهزة بآلات تقذف النار ، وهى النار المعروفة بالنار الأغريقية » . وقد جاء فى وصف سيبوس « أن السفن التى بنيت فى مصر بعد الفتح العربى بأمر العرب كانت مجهزة بالمجانيق لقذف المواد الملتهبة ، وهى المواد التى قيل أن تجهيزها كان الى القرن السابع على الأقل سرا مكنونا اختص به أهل بيزنطة » .

ولم تقتصر سفن مصر وأساطيلها على البحر الأبيض المتوسط فحسب ، بل امتدت الى البحر الأحمر ، وذلك بفضل العمل العظيم الذى أقبل عليه الخليفة عمر بن الخطاب وهو حفر خليج تراجان^(١) ، الذى يخرج من النيل الى الشمال من حصن بابليون بقليل (فم الخليج الحالى) ثم يمر بمدينة عين شمس ومنها الى وادى الطميلات الى موضع القنطرة حتى يتصل بالبحر الأحمر عند مدينة القلزم^(٢) . ويرجع تاريخ حفر هذا الخليج^(٣) الى عهد فرعون مصر (نخاو) ، وهو الذى حفر خليجا كذلك يصل برزخ السويس بالبحر الأبيض المتوسط (مكان قناة السويس الحالية) ، ثم أصلح الخليج فى العهد البطلمى فى زمن بطليموس

(١) الكندى : القضاة والولاة ص ٢٣ ، ابن عبد الحكم فتوح مصر ص ٣٧ ، فتوح البلدان

للبلادى ص ٢١٦ .

(٢) Quatremère, E. : Mémoires Geographiques, P. 176.

(٣) أبو صالح الأرمينى ص ١٧٢ .

الثاني . ولكنه جعلها تنفصل عن النيل عند (فاقوس) بعد أن كانت تنفصل عنه في العهد الفرعوني عند (بوبسطة) ، ولكننا لا نعرف على وجه التحديد الوقت الذي امتد فيه الخليج من فاقوس الى بابلليون ، وان كان من المرجح أن يكون ذلك قد تم في عهد الإمبراطور تراجان^(١) الذي بنى حصن بابلليون في العام المتمم للمائة بعد الميلاد . على أن هذا الخليج أو الترعة لم تكن ذات غناء كبير أو فائدة دائمة ، ذلك لأن الماء لم يكن يجري فيها الا عند فيض النيل ، ولما أهمل أمرها في القرن الثاني للميلاد أصبحت غير صالحة لسير السفن لعدم تطهيرها فملئت بالرمل ، حتى قيل أن معالمها كانت قد أندثرت واحتاج عمرو بن العاص الى من يدلّه على موضعها ، فأرشدّه اليها أحد القبط فأجازه برفع الجزية عنه^(٢) . على أن السرعة التي تم بها حفر الترعة واعادتها الى حالتها الأولى تدل على أن بعض أجزاء المجرى الذي بلغ طوله تسعين ميلا كان لا يزال صالحا أو على الأقل محفورا . ويقال أن عمرا كان ينوى حفر خليج بين بحيرة التمساح والبحر الأبيض المتوسط ، فيكون بذلك قد قطع البرزخ بالبحر ، كما فعل نخاو من قبل ، وكما هو الحال اليوم ، ولكن الخليفة عمر أبي ذلك وأنكره ، قائلا أنه يمكن الروم من السير الى البحر الأحمر وقطع السبيل على من أراد الحج .

ومن الدوافع المباشرة لاهتمام العرب في أول أمرهم بالبحر ، وعنايتهم بأمر مصالح الثغور البحرية — وحمايتها بالسفن والأساطيل — تمرد جماعة من أهل الاسكندرية من الروم بعد أن فتحتها عمرو بن العاص صلحا سنة ٢١ هـ . فأرسلوا الى امبراطور بيزنطة (قسطنز) يطلبون اليه المجيء للاستيلاء على الاسكندرية ، لأنه ليس فيها الا مسلحة (حصن) ضعيفة لا تقوى على دفع جيش روماني ، فاستجاب الامبراطور لهذا الطلب ، لما في نفسه نحو المصريين من الحقد وحب الانتقام ، لما أصابه منهم في كرامته وما لحق دولته من الضرر من ضياع مصر ، فأمر بأعداد قوة عظيمة وكتب أمرها كتماناً شديداً ، وكانت الدولة البيزنطية الى ذلك الحين لا تزال على سلطانها في البحر غير مدافعين ولا معاندين . وعلى العكس

(١) Butler : Ancient Coptic Churches of Egypt, P. 178.

(٢) ابن عبد الحكم ص ٣٧ ، المقرئ ج ١ ص ٥٩ ، الكندي ص ٤٩ .

من ذلك كان العرب ، فلم يكن لهم في ذلك الوقت سفينة واحدة في البحر الأبيض المتوسط تأتيهم بأنباء أسطول الروم الذي بعث به الامبراطور (مانويل) للاستيلاء على الاسكندرية ، فما شعر العرب الا والأسطول البيزنطى يدخل ميناء الاسكندرية في عدة ثلثمائة سفينة ، وألقى فيها مراسيه غير مدافع^(١) ، ولم يكن بالمدينة الا ألف رجل من العرب للدفاع عنها ، فغلبهم الروم وقتلوهم الا ثقرا قليلا الزنج في شرقي الصومال الذين عرفوا باسم (زند أفريك شاه) .

ويحدثنا المقرئ عن هذا الغزو فيقول : وكتب عثمان رضى الله عنه الى عبد الله بن سعد بن أبى سرح وآلى مصر ، « قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين (يعنى عمر بن الخطاب) بالاسكندرية ، وقد تقضت الروم مرتين فالزم الاسكندرية مرابطيها ، ثم أجر عليهم أرزاقهم وأعقب بينهم في كل ستة أشهر » . ثم يضيف بعد ذلك فيقول « وكانت الاسكندرية انتقضت وجاءت الروم وعليهم منويل الخصى في المراكب حتى أرسوا بالاسكندرية ، فأجابهم من بها من الروم » ثم يقول ، وقد كان عثمان عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، فلما نزلت الروم سأل أهل مصر عثمان أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم فان له معرفة بالحرب وهيبة في العدو ، ففعل وكان على الاسكندرية سورها فحلف عمرو بن العاص ، لئن أظفره الله عليهم ليهدم سورها حتى يكون مثل بيت الزانية يؤتى من كل مكان ، فخرج اليهم عمرو في البر والبحر^(٢) .

وقد اختلف مؤرخو^(٣) العرب في تحديد السنة التى خرج فيها الروم على الاسكندرية بحرا فيقول البلاذرى ، 'يحتمل أن يكون ذلك سنة ٢٣ هـ ، ويقول ابن الأثير أنه كان سنة ٣٥ هـ ويتفق معه في ذلك ياقوت وأبو المحاسن ، أما المقرئ^(٤) فيذكر أن فتح الروم للاسكندرية كان سنة ٢٤ هـ ، وان فتح العرب

(١) ابن الحكم ص ٣٧ ، السيوطى حسن المحاضرة ص ٧٣ ، ابن خلدون ص ٨٦ .

(٢) المقرئ ج ١ ص ٢٧٠ .

(٣) البلاذرى ص ٢٢١ ، ابن الأثير ص ٦٢ ، ياقوت ص ٧٣ ، أبو المحاسن ج ٢ ص ٦٩ .

(٤) المقرئ ج ٢ ص ٨١ .

لها وقع سنة ٢٥ هـ . ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف في تحديد السنة ، فمن الثابت أن هذا الغزو البحري من قبل الروم ، وقع في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وكان الوالى على مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، اذ كان عثمان قد عزل عمرا عن الولاية ، ولكنه لما علم بشورة الاسكندرية جعل عمرا وآليا عليها ، بناء على مشورة أهل مصر كما سبق القول ، مع بقاء عبد الله بن سعد واليا على مصر والفسطاط ، ويقول أبو المحاسن ^(١) ان عثمان أزال عن عمرو أعباء الولاية حتى يفرغ لقتال « مانويل » .

ولما تولى عمرو قيادة جيش العرب أشار عليه خارجة بن حذافة الذى كان قائد مسلحة حصن بابليون أن يسرع بملاقاة الروم ، لأنه كان يرى أن التأخر ضار بالمسلمين ، مصلح لأمر الروم ، فقد يأتيهم مدد أو قد ينقض أهل مصر (يعنى القبط) على العرب . ولكن عمرا كان يرى خلاف ذلك فقال « لا ولكن أدعهم حتى يسيروا الى » فانهم يصيبون من مروا به فيخزي الله بعضهم ببعض » . وعلى هذا سار الروم على مهل فخرجوا من الاسكندرية ومعهم من تقض العهد من أهل القرى فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خمورها ، ويأكلون أطعمتها وينهبون ما مروا به فلم يتعرض لهم عمرو ، حتى استدرجهم الى مدينة (تقيوس) ^(٢) وهناك لقيتهم طلائع العرب ، ومن المرجح أن يكون تعداد جيشهم اذ ذاك خمسة عشر ألفا ^(٣) ، ولم تذكر المراجع التاريخية مصير مدينة (تقيوس) هل استولى عليها الروم ، بل اكتفت بذكر وصف القتال الذى وقع بين العرب والروم ، فيقول المقرئى « حتى بلغوا تقيوس فلقوهم فى البر والبحر ، فبدأت الروم فرموا النشاب فى الماء رميا شديدا حتى أصابت النشاب يومئذ فرس عمرو فى لبتة وهو فى البر فقفر ، فنزل عنه عمرو ثم خرجوا من البحر فاجتمعوا هم والذين فى البر فنفتحوا

(١) أبو المحاسن ج ٢ ص ٧٣ .

(٢) ابن عبد الحكم ص ٧٣ المقرئى ج ١ ص ٢٧٠ .

(٣) يقول البلاذرى أن جيش المسلمين كان عدده (١٥٠٠) جندي ص ٢٢٢ ، وجاء فى هامش فتح مصر لبتار (المترجم ص ٣٤٧) . لعل فى هذا العدد تحريف (١٥٠٠٠) ولاشك أن جيش الروم كان أكثر من ذلك عدداً .

المسلمين بالنشاب فاستأخر المسلمون عنهم شيئاً ، وحملوا على المسلمين حملة ، ولى المسلمون منها وانهزم شريك بن سمى فى خيله ، وكانت الروم قد جعلت صفوفها خلف صفوف ، وبرز يومئذ بطريق ممن جاء من أرض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب فدعا الى البراز ، فبرز اليه رجل من زيبر يقال له (حومل) يكنى أبا مذحج ، فاقتتلا طويلاً برمحين يتطاردان ، ثم ألقى البطريق الرمح وأخذ السيف فألقى حومل رمحه ، وأخذ سيفه وكان يعرف (أى السيف) بالنجدة ، فجعل عمرو يصيح « أبا مذحج » فيجيبه « لبيك » والناس على شاطئ النيل فى البر على تعبيتهم وصفوفهم فتجادلا ساعة بالسيف ثم حمل عليه البطريق فاحتمله وكان نحيفاً فاخترط حومل خنخرا كان فى منطقته أو فى ذراعه فضرب به نحر العليج (البطريق) أو ترقوته فأثبتته ووقع عليه فأخذ سلبه ، ثم مات حومل بعد ذلك بأيام رحمه الله ، فرئى عمرو يحمل سريره بين عمودى نعشه حتى دفنه بالمقطم .

ولما قتل الرومى حمى القتال بين الفريقين واشتد ، وانتهى أمره بهزيمة جيش منويل وفر الروم لا يلوون على شيء نحو الاسكندرية ، فبلغت فلول جيوشهم العاصمة والعرب فى آثارهم فأقفل الروم الأبواب واستعدوا للحصار^(١) . ويصف المقرئى^(٢) نهاية هذه الموقعة فيقول « ثم شد المسلمون عليهم فكانت هزيمتهم ، فطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالاسكندرية ، ففتح الله عليهم وقتل منويل الخصى ، وقتلهم عمرو حتى أمعن فى مدينتهم ، فكلم فى ذلك فأمر برفع السيف عنهم . وبنى فى ذلك الموضع الذى رفع فيه السيف مسجداً وهو المسجد الذى يقال له مسجد الرحمة^(٣) بالاسكندرية ، سمي بذلك لرفع عمرو السيف هناك » .

وهكذا نرى ان العرب اضطروا الى ركوب البحر سنة ٢٥ هـ للدفاع عن استقلال مدينة الاسكندرية ضد الدولة البيزنطية ، بعد ان كانوا قد أخذوها صلحا سنة ٢١ هـ ، وبذلك نستطيع أن نقول ان جيوش العرب البرية استولت على مدينة

(١) البلاذرى ص ٢٢١ .

(٢) المقرئى ج ١ ص ٢٧١ .

(٣) جاء هذا النص فى فتوح مصر لابن عبد الحكم ، ولعل مكانه الآن بحديقة الشلالات مكان

ضريح سيدى عمرو بن يحيى .

الاسكندرية صلحا سنة ٢١ هـ ثم عادت فاستولت عليها عنوة بعد أن قضت على حملة الروم البحرية ، الذين نكثوا العهد والميثاق .

ولم ترتدع بيزنطة بهزيمتها المنكرة في موقعة الاسكندرية سنة ٢٥ هـ بل عادت بعد تسع سنوات في الموقعة البحرية المشهورة بذات الصواري التي حدثت في سنة ٣٤ هـ / ٦٥٤ م . على ان العرب استفادوا كثيرا من حملة الاسكندرية ، فأخذوا يتمرنون على ركوب البحر وبناء السفن لحماية ثغوره ومحارسه وتشديد الربط والحصون لمراقبته ، فبعد موقعة الاسكندرية ، أبقى فيها عمرو بن العاص ربع قواته ، بينما خص بقية سواحل البحر الأبيض بربع ثان ، واحتفظ بنصف الجيش لباقي البلاد . وقد وضع لحماية الاسكندرية نظاما خاصا ، فكانت ترابط هناك في فصل الصيف ، وهو الوقت الذي تكثر فيه الغزوات البحرية لملاءمة أحواله الجوية للسفن والأساطيل بالتجول في البحار ، ولذلك سميت العمليات العسكرية التي تتم في ذلك الفصل باسم الصوائف . وكانت حامية الاسكندرية أو رابطتها تقيم في المدينة ستة أشهر تبدأ من شهر أبريل ، فقد جاء في المقرئزي « ان احتراس البحر بالاسكندرية يبدأ من خميس العهد أو خميس العدس وينتهي بشهر أكتوبر ، وفي أكتوبر تنهى الحامية أعمالها فتغادر الاسكندرية الى داخل البلاد حيث تقضى فصل الشتاء في أعمال أخرى تقتضيها أحوال البلاد بينما تحل محلها حامية أخرى أقل عددا وعدة وتبقى في الثغر حتى آخر شباط (فبراير) » .

ولما كانت الظروف — في ذلك الوقت — غير مواتية لبناء رباط أو ثكنات لاقامة الحامية فقد خصص لها عمرو الدور والقصور التي تركها الروم عند جلائهم عن المدينة مفضلا هذا عما اقتضته شروط الصلح التي تنص على أن ينزل العرب ضيوفا على أهل المدينة الذين يقدمون لهم الطعام والعلوفة لخيولهم . وكانت الدور تعطى في أول الأمر للعريف ورجاله عندما يأتون للمرابطة ، حتى اذا ما انتهت دورتهم الصيفية حلت محلهم حامية الشتاء ، وقد أدى نظام الشيوع هذا الى خراب الدور لتركها دون ترميم أو صيانة ، ولكن عمرا لاحظ هذا العيب وعمل على تلافيه ، فرأى أن تؤول المنازل لساكنتها ولبنيتهم ، لذلك قرر عند ذهابه من القسطنطينية الى

الاسكندرية « أن الرجل يدخل الدار فيركز رمحه في منزل ثم يأتي الآخر فيركز رمحه في بعض بيوت الدار ، فكان الدار تكون لقييلتين أو ثلاث ، حتى اذا نقلوا سكنها الروم وعليهم مرمتها » . ويفهم من هذا النص ، ان الفترة التي تخلو فيها الدور من الحاميتين الصيفية والشتوية ، يسمح للروم بسكنها على أن يقوموا بترميمها وصيانتها بدلا من الكراء ، فقد كانت هذه الدور بمقتضى شروط الصلح « ملكا عاما للعرب » .

وقد انتهز الروم فرصة انشغال عبد الله به سعد بن أبي سرح في محاربة (سبيطة) من أرض تونس سنة ٢٧ هـ وجاءوا بأسطول كبير يبلغ عدده ألف سفينة ، وهنا يقول المقرئى « وكان من حديث هذه الغزوة ان عبد الله بن سعد لما نزل (ذو الصارى) انزل نصف الناس مع يسر بن ارطاة في البر ، فلما مضى أتى آت الى عبد الله بن سعد فقال « ما كنت فاعلا حين ينزل بك ابن هرقل في ألف مركب فافعله الساعة ، وكانت مراكب المسلمين مائتى مركب ونيفا ، فقال عبد الله بن سعد بين ظهرائى الناس « بلغنى ان ابن هرقل قد أقبل اليكم في ألف مركب فأشيروا على ، فما كلمه رجل من المسلمين فجلس قليلا لترجع اليهم أفندتهم ، فقام الثانية فكلهم ، فما كلمه أحد ، فجلس ثم قام الثالثة فقال « انه لم يبق شيء فأشيروا على » . فقال رجل من أهل المدينة (أى الاسكندرية) كان متطوعا مع عبد الله بن سعد فقال « أيها الأمير ان الله جل ثناؤه يقول كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين » فقال عبد الله « اركبوا ، فركبوا في كل مركب نصف شحنته لأنه خرج النصف الآخر الى البر مع يسر » .

أما عن المعركة التي دارت بين الطرفين فقد وصفها المقرئى (١) وصفا دقيقا جاء فيه « فلقوهم فاقتتلوا بالنبل والنشاب وتأخر ابن هرقل (٢) لثلاثيه الهزيمة وجعلت الأخبار تختلف اليه بالأخبار ، فقال ما فعلوا ، قالوا اقتتلوا بالنبل والنشاب ، فقال غلبت الروم . ثم أتوه فقال ما فعلوا ؟ قالوا نفذ النبل والنشاب ، فهم يرمون

(١) المقرئى ج ١ ص ٢٧٢ .

(٢) تذكر بعض المراجع اسم ابن هرقل Constantine وصحة اسمه قنسطانت Constant .

بالحجارة ، فقال غلبت الروم . ثم أتوه فقال ما فعلوا ؟ قالوا نكذت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف قال غلبت الروم . وكان السفن اذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال ، فقرن مركب عبد الله بن سعد يومئذ وهو مركب الأمير بمركب من مراكب العدو فكان مركب العدو يجر مركب عبد الله ، فقام علقمة ابن يزيد القطيفي ، وكان عبد الله بن سعد في المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها .

نخرج من هذا الوصف المفصل الذي أورده المقرئ ان العرب ألفوا ركوب البحر وتمرسوا فنون الحرب والمقاتلة فيه ، اذ تقول الرواية ، انه عندما التقى العرب بهذا العدد الهائل من سفن العدو بدأت معركة طاحنة ، وكان القتال أول الأمر تراشقا بالنبل والنشاب ، فلما نفدت السهام تقاتل الناس بالحجارة في المخالى ، وأخيرا تم التحام المراكب التي ربطت بعضها الى بعض بالحبال والسلاسل ، وكان ذلك يعنى بداية المعركة الحاسمة اذ بدأ القتال وجها لوجه بالسيوف .

وكان من عادة العرب في الجاهلية أن يصحبوا نساؤهم الى ساحة القتال فيداوين الجرحى ويحملن قرب الماء وما الى ذلك من الأعمال التي تصلح لها المرأة . هذا الى أن اصطحاب النساء الى ساحة الوغى كان يزيد في شجاعة الرجال ويقوى حماسهم لكسب المعركة بل انهم يبذلون نفوسهم رخيصة في سبيل الفوز والانتصار ، لأن الهزيمة معناها أن تصبح نساؤهم اللاتي يرافقهن سبايا وأسرى حرب ، وكان العربى يفضل الموت على أن تصبح زوجته سبية أو جارية وفي ذلك يقول الشاعر :

على آثارنا يبض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا
يقدن جيادنا ويقلن لستم بعولتنا اذا لم تمنعنونا
اذا لم نحمن فلا بقسين لشيء بعدهن ولا حينينا

كذلك صار المسلمون يروون أحاديث عن الرسول تتضمن معنى الحث على الجهاد في البحر حتى بلغ الحماس درجة جعلت النساء أنفسهن يغزون في البحر ومنهن (أم حرام) زوجة أحد الصحابة التي لقيت حتفها في غزوة بحرية في قبرص .

ولعل الأمير عبد الله بن سعد أراد أن يزكى لهيب الحماس في صدور المقاتلين من المسلمين عندما اصطحب معه زوجته فقد ورد في المقرئى « فسأل عبد الله امرأته بعد ذلك ، « بسيسة ابنة حمزة بن يشرح » وكانت مع عبد الله يومئذ ، وكان الناس يغزون بنسائهم فى المراكب ، من رأيت أشد قتالا ؟ قالت علقمة صاحب السلسلة . وكان عبد الله قد خطب بسيسة الى أبيها فقال له : ان علقمة قد خطبها وله على فيها رأى فان تركها افعل . فكلهم عبد الله علقمة فتركها فتزوجها عبد الله بن سعد ثم هلك عنها عبد الله فتزوجها بعده علقمة بن يزيد ثم هلك عنها علقمة فتزوجها بعده كريب ابن ابرهه وماتت تحته » (١) .

ويذكر المقرئى الأسباب المباشرة التى دعت الروم لخوض هذه المعركة الجريئة فيقول « وقيل مشى الروم الى قسطنطين بن هرقل فى سنة ٣٥ هـ (٢) ، فقالوا أترك الاسكندرية فى يد العرب ، وهى مدينتنا الكبرى ، فقال ما أصنع بكم ما تقدر أن تمالكوا ساعة اذا لقيتم العرب ، قالوا اخرج على أن نموت ، فتبايعوا على ذلك فخرج فى ألف (٣) مركب يريد الاسكندرية . فسار فى أيام عالية الرياح فبعث الله عليهم ريحا فغرقتهم الا قسطنطين (قسطنط) فانه نجا بمركبه فألقته الرياح بصقلية » ثم يحدثنا المقرئى عن بقية قصة قسطنط وما فعله معه أهل صقلية فيقول « فسألوه عن أمره فأخبرهم فقال شئت النصرانية وأفنيت رجالها . لو دخلت علينا العرب لم نجد من يردهم ، ثم قال خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا ، فصنعوا له الحمام ودخلوا عليه ، فقال ويلكم يذهب رجالكم وتقتلون ملككم ؟ قالوا كأنه غرق معهم ثم قتلوه ، وخلوا من كان معه فى المراكب » ويستفاد من العبارة التى أتت على لسان أهل صقلية ، ما بلغه العرب فى ذلك الوقت المبكر من مركز مرموق فى الحروب البحرية ، مما يدحض الرأى المتواتر عند جمهور المؤرخين من أن العرب كانوا حديثى العهد بممارسة البحر وركوبه ، فقد كانت أساطيل العالم فى ذلك الوقت ترهبهم وتخشى بأسهم ، وان البلاد التى كان ركوب البحر حرفة وصناعة لها ،

(١) المقرئى ص ٢٧٣ ج ١ .

(٢) جاء فى الكندى سنة ٣٤ هـ ، أبو المحاسن سنة ٣٤ هـ ج ١ ص ٨ .

(٣) جاء فى رواية أخرى (٧٠٠) ، مركب (٥٠٠) مركب فى رواية ثالثة .

تملكها الذعر بعد انتصار العرب على الأسطول البيزنطى مما حدا بها الى قتل ملكها خشية انتقام العرب منهم اذا علموا بايوائهم له .

قال ابن الأثير (١) ، ان معاوية اشترك في هذه الموقعة البحرية اذ انه لما بلغه مقدم ابن هرقل خرج من الشام بأسطوله وانضمت وحداته الى مراكب عبد الله ابن سعد فقربا سفنهما وربطا بعضهما ببعض ولاقيا الروم جبهة واحدة ، فاقتتلوا بالسيوف والخنجر وقتل عدد وفير من الفريقين المتحاربين الى أن انهزم ابن هرقل جريحا ، ولم ينج من الروم الا الشديد .

والذا يحق لنا أن نعتبر انتصار الأسطول المصرى على الأسطول البيزنطى سنة ٣٥ هـ / ٦٥٤ م في الموقعة التى عرفت في المراجع العربية (٢) باسم موقعة أو غزوة (ذات الصوارى) لكثرة ساريات السفن التى التحمت في القتال — أول انتصار للعرب في العصر الاسلامى في الحروب البحرية . وقد اشتهرت موقعة ذات الصوارى في المصادر الأوربية بموقعة فونيك (٣) (Phenicus) لوقوعها بالقرب من ثغر فونيكه غربى مدينة اسكندرية .

وتجلت أولى النتائج الهامة التى ترتبت على انتصار الأسطول العربى في تلك الواقعة الفاصلة في دعم سيادة العرب على الشواطىء الشرقية للبحر الأبيض المتوسط . فقد أدرك الامبراطور قنسطانت ومن جاء بعده من الأباطرة أن الأسطول المصرى صار قوة عظيمة في البحر الأبيض المتوسط ، وان دولة الروم لن تستطيع بعد الآن اخراج العرب من الديار التى حلوا بها على شاطئ هذا البحر ، فصرفوا النظر نهائيا عن فكرة استرداد البلاد التى كانت تابعة لهم من يد العرب ، وفضلوا الاعتراف بالأمر الواقع .

وعلى الرغم من أن موقعة (ذات الصوارى) تعتبر جزءا من سياسة العرب الدفاعية وتأمين سلامة شواطئهم على البحر الأبيض المتوسط ، فانها جعلت العرب

(١) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٨ .

(٢) الكندى المقرئ أبو المحاسن وغيرهم .

(٣) تقع فونيكه بالقرب من مدينة مرسى مطروح الحالية .

يدركون كذلك انهم قد أصبحوا قوة بحرية لها خطرهما ، وان الموقف الجديد أصبح يحتّم عليهم الفصل في سيادة ذلك البحر ، وانتزاعه نهائيا من قبضة الروم . فما كاد يستتب الأمر لمعاوية بعد النزاع الداخلى بينه وبين على بن أبى طالب ، حتى أدرك بثاقب نظره ان القسطنطينية هى التى تمد جزر شرق البحر الأبيض بالقوات والعتاد ، وتشجع أهلها على شن الغارات على ساحل مصر والشام . وبدأ معاوية سياسته التوسعية هذه بتقوية الثغور البحرية في مصر والشام وشحنها بالجند المدربين على ركوب البحر ، كما وجه اهتماما خاصا الى دور الصناعة لاقتاج السفن الحربية وغيرها من المراكب الخاصة بنقل المؤن والعتاد .

وعلى الرغم من ان الأسطول العربى لم يستطع الاستيلاء على القسطنطينية بعد حرب استمرت سبع سنوات ، الا أن العرب أثبتوا للروم ان عاصمتهم ليست بعيدة المنال عن قبضة البحرية العربية الناشئة وضرباتها الشديدة .

البحرية في العصر الأموي

أما عن التنظيمات البحرية في عهد الأمويين ، فيمكن القول انه كانت هناك ثلاثة أساطيل مستقلة استقلالاً ذاتياً الى حد ما ، ويعتمد كل منها على اقليم بحري مستقل ، وهذه الأساطيل الثلاثة هي : أسطول مصر ^(١) ، وأسطول سورية ^(٢) ، ثم أسطول شمال أفريقيا ^(٣) الذي تكون بعد عام ٧٠٤ م . ويضاف الى ذلك وحدة بحرية صغيرة تعمل في البحر الأحمر لحراسته ، ويرجح معظم مؤرخي ^(٤) العصور الوسطى من الأوروبيين ، خضوعها لقيادة الأسطول المصري . وقد انعقد لواء كل واحد من هذه الأساطيل لأمير من أمراء البحر وكان أسطول مصر ، من بين هذه الأساطيل الثلاثة ، أكثر أهمية وأضخم عدداً ، كما كان أمير البحرية المصرية هو القائد

(١) بلغ عدد ما أنفقته متولى بناء السفن في مصر خلال أربعين عاماً بعد الفتح العربي (٧٠٠) ديناراً سنوياً .

(٢) كانت مصر مركز بناء السفن في العصر الأموي ، ففي القسطنطينية والقلازم بنيت السفن العربية الأولى واستقدم معاوية بناء السفن من المصريين ليبنوا سفن الأسطول السوري في عكا ، وسرعان ما أصبحت هذه المدينة أهم قاعدة بحرية في سورية .

(٣) كما أوفد عبد الملك بن مروان عمالاً مصريين إلى شمال أفريقية حيث بنوا بعد عام ٧٠٠ م أول أسطول بحري إسلامي لموسى بن نصير (التيهاني القيرواني ص ١٢٠) ، (Wiet : Egypt Arabe, P. 176)

(٤) Bury : Byzantine Naval Policy, P. 39.

العام للجميع (١) ، وغالبا ما اشترك الأسطولان المصرى والسورى فى عمليات واحدة (٢) ، على حين استقل شمال أفريقية بعملياته عنهما .

ولم تقم البحرية المصرية فى المياه الاقليمية ، بعمل ذى شأن يذكر بعد موقعة ذات الصوارى حتى تكرر هجوم أساطيل الروم على دمياط . فقد حدث فى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك أن نزل الروم على دمياط (٣) سنة ٩٠ هـ فأسروا (خالد بن كيسان) وكان على البحر هناك وسيروه الى ملك الروم ، الذى أعاده ثانية للخليفة وفاء للهدنة المعقودة بينهما . وفى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، أعاد الروم الكرة مرة ثانية ونزلوا دمياط (٤) سنة ١٢١ هـ / ٧٣٩ م فى ثلثمائة وستين مركبا فقتلوا وسبوا .

(١) Bury : East Roman Empire, P. 231.

(٢) Wiet : P. 147.

(٣) المقرئى ج ١ ص ٣٤٥ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٤٥ ، الهجوم الزاهرة ج ٣ . حوادث سنة ١٢١ هـ .

البحرنة في العصر العباسي

أما في العصر العباسي فقد كانت الغزوات البحرية التي شنّها الروم على مصر تنسب بطابع الانتهازية ، يقول المقرئزي « لما كانت الفتنة بين الأخوين محمد الأمين وعبد الله المأمون ، وكانت الفتن بأرض مصر ، طمع الروم في البلاد ونازلوا دمياط في أعوام بضع ومائتين » . وقد ترتب على نشاط الأسطول العربي العباسي في اقريطش (كرت) محاولات الروم المتكررة للحد من نشاط هذا الأسطول ، الذي كانت تتحمل مصر العبء الأكبر في اعداده وتزويده بالرجال والعتاد . ففي (١) سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م اقلعت سفن من أسطول الروم الى الشواطئ المصرية ، وصبت جام غضبها على مدينة دمياط ، وكان الهدف من تلك الغارة هو قطع الاتصال والمعونة البحرية التي قامت بين مصر وجزيرة اقريطش ، التي غدت خطرا جسيما يتهدد قواعد الروم البحرية في آسيا الصغرى ، وحدثت تلك الاغارة في عهد الخليفة المتوكل العباسي ، ووالى مصر اذ ذاك (غنيسة بن اسحق) وكانت عدة أسطول الروم الذي هجم على دمياط ثلثمائة سفينة ، على كل مائة منها أمير بحر يتولى قيادتها .

(١) المقرئزي ج ١ ص ٣٤٦ .

واضطلع أمير البحر الذي تولى القسم الثانى من أسطول الروم ، وهو الذى يسمع فى المراجع العربية « بابن قطوانه » بالهجوم على دمياط ^(١) ، على حين قام القسمان الآخران من أسطول الروم بحماية ظهر قسمهم الأول . وقد حدد الروم يوم ١٠ من ذى الحجة موعدا لهجومهم منتهزين فرصة عيد الأضحى وخلو المدينة من حاميتها التى استدعاها الوالى (غنبة بن اسحق) للاشتراك فى عرض حربى رغب فى أن يجعله أكبر عرض عسكري ممكن . ويقول المقرئى ^(٢) « ثم لما كانت خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله ، وأمير مصر يومئذ (غنبة بن اسحق » نزل الروم دمياط يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائتين فملكوها وما فيها ، وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين ، وسبوا النساء والأطفال وأهل الذمة فنفر اليهم (غنبة ابن اسحق) يوم النحر فى جيشه ، ونفر كثير من الناس اليهم فلم يدركوهم ومضى الروم الى (تنيس) فأقاموا باشتومها فلم يتبعهم غنبة فقال يحيى بن الفضيل للمتوكل :

أترضى بأن يوطأ حريمك عنوة	وأن يستباح المسلمون ويحربوا
حمار أتى دمياط والروم وثب	بتنيس رأى العين منه أقرب
يقيمون بالأشتوم يبعون مثل ما	أصابوه من دمياط والحرب ترتب
فما رام من دمياط شبرا ولا درى	من العجز ما يأتى وما يتجنب
فلا تنسنا أنا بدار مضىعة	بمصر وان الدين قد كاد يذهب

وقد اتخذ ابن قطوانة بحيرة المنزلة ميدانا لبدء غاراته البحرية ، وهاجم دمياط بسفنه التى كانت تقل خمسة آلاف رجل تقريبا . ومما يدل على ان تلك الغارة كان يقصد منها أهداف أوسع من السلب الذى جرت عليه الغارات التقليدية اذ ذلك ، وانها كانت جزءا من سياسة الروم ازاء أسطول اقريطش — ان الجند استولوا على مؤن وذخيرة فى دمياط كانت معدة للشحن وارسالها الى اقريطش ،

(١) الطبرى ج ١١ ، ٤٠٥ . Vasiliev : L'Empire Byzantine, vol. I, P. 405.

(٢) المقرئى ج ١ ص ٣٤٦ .

ثم احرقوا أشعة السفن المقدسة في المخازن البحرية بدمياط وقبضوا على ستين شخصا حملوهم أسرى .

ويعلق المقرئى ^(١) على تلك الغارة فيقول « فوقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الأسطول وصار من أهم ما يعمل بمصر ، وأنشئت الشوانى برسم الأسطول وجعلت الأرزاق لغزاة البحر ، كما هى لغزاة البر ، وانتدب الأمراء له الرماة فاجتهد الناس بمصر في تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة . وانتخب له القواد العارفون لمحاربة العدو ، وكان لا ينزل في رجال الأسطول غشيم ولا جاهل بأمور الحرب ، هذا وللناس اذ ذاك رغبة في جهاد أعداء الله واقامة دينه ، لا جرم انه كان لخدام الأسطول حرمة ومكانة ، ولكل أحد من الناس رغبة في أن يعد من جملتهم فيسعى بالوسائل حتى يستقر فيه » .

وفي سنة ٨٥٤ م أمر المتوكل ببناء حصون على ساحل البحر الأبيض المتوسط لصد غزوات الروم ، فبدأ في فبراير سنة ٨٥٤ م بإنشاء حصن دمياط ، ثم شيد حصنين آخرين ، أحدهما في الفرما والآخر في مدينة تنيس .

وقد ساعدت الأحداث السياسية في مصر على الاهتمام بالأسطول وتقويته ، فقد قامت فيها ولاية مستقلة عن الخلافة العباسية في بغداد استقلالا اسميا ، وكان أول أولئك الولاة الجدد هو أحمد بن طولون الذي ولى شئون مصر سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م وبادر أحمد بن طولون الى دعم قوته البحرية ليدفع عن نفسه وولايته محاولات الخلافة العباسية استرداد نفوذها المطلق عليها . ومن ثم اتجه الى الاهتمام بشئون أسطول مصر ، فجدد بناء دور الصناعة التى تصنع بها السفن ، ودب النشاط في القواعد البحرية في دمياط والاسكندرية . وقد وصف المقرئى الأسطول المصرى بقوله « بنى ابن طولون أسطولا يتألف من مائة مركب حربية سوى

(١) المقرئى ج ٢ ص ١٩١ .

ما يضاف اليها من العلايات والحمايم والعشاريات والسنايك والزوارق وقوارب الخدمة » (١) .

واهتم أحمد بن طولون في نفس الوقت بأمور الثغور الشامية على اعتبار انها خط الدفاع الأول في شرق البحر الأبيض ، عن الثغور المصرية . ذلك ان الخلافة العباسية اتخذت من اقليم الشام وحكامه مكانا وأداة لاعداد المؤامرات ضد ابن طولون والعمل على اخراجه من مصر . وقد انتهز ابن طولون فرصة وفاة حاكم الشام سنة ٨٧٧ م واحتل هذا الاقليم دون أن يلقي مقاومة تذكر . وهكذا أصبحت مصر والشام وحدة سياسية وبحرية واحدة في شرق البحر الأبيض المتوسط . وبدأ الأسطول المصري نشاطه من قواعده في الشام وهجم على جزر بحر ايجه التي تجمعت بها أساطيل الروم ، وكذلك مدن اليونان البحرية التي دأبت سفن الروم الاحتماء بها اذا ما اضطرت الى الفرار ، ولم تتردد الخلافة العباسية في طلب مساعدة ابن طولون ، رغم كراهيتها له ، للدفاع عن حدودها المجاورة للدولة الرومانية . وقد كافأ الخليفة العباسي ابن طولون بمنحه امارة منطقة العواصم والثغور بالإضافة الى ولاية مصر والشام .

وقد استفاد أحمد بن طولون من تحسن العلاقات بينه وبين الخلافة العباسية ، اذا رأى فيها فرصة مواتية لدعم الأسطول المصري في قواعده الشام ، فنقل بعض وحدات ذلك الأسطول الى (طرطوس) في أقصى الشمال ، وجعلها قاعدة حربية تخرج منها السفن التي تهاجم معاقل الروم في آسيا الصغرى (٢) . وقد أدى تطور العلاقات بين ابن طولون والخلافة في بغداد الى أن يخطب امبراطور الروم وده ، واضطر الى مهادنته ، فأرسل له وقداس سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م يطلب عقد الصلح بين الدولتين ، كما جاء مع الوفد حاكم منطقة الثغور العربية ممن وقع أسيرا في أيدي الروم (٣) ، ذليلا على رغبة الامبراطور في كسب ود أحمد بن طولون ، غير أن تلك

(١) المقرئى ج ١ ص ٣٢٢ .

(٢) ابن الأثير ج ٧ ص ١١٠ .

(٣) ابن الأثير ج ٧ ص ١١٧ .

العلاقات الودية لم تدم طويلا بين مصر والروم فقد استأنف الفريقان الاغارة كل منهما على الآخر .

وعندما توفي أحمد بن طولون ترك لابنه أسطولا بلغ مجموع سفنه الكبيرة والصغيرة وكذلك التجارية منها نحو ألف قطعة ^(١) . وقد استطاع هذا الأسطول برغم المتاعب العديدة التي صادفتها الأسرة الطولونية في الداخل ، أن يحد من شوكة غارات الروم البحرية التي أخذت تزداد حدة بسبب ضعف الخلافة العباسية اذ ذاك في بغداد . فقد استطاع الأسطول المصري بمساعدة (اقریطش) مفاجأة قاعدة الروم الحصينة في سالونيك ، وعلى الرغم من حصانة أسوارها العالية المزودة بكافة آلات الدفاع والمجانيق وغيرها من الأسلحة التي تقذف النار البحرية ، فقد استطاعت السفن المصرية الاقتراب منها ، وهيأت لبحارتها الفرصة لتسلك تلك الأسوار ، ثم الاندفاع الى داخل المدينة وفتح أبوابها لسفن الأسطول .

ووقعت حامية مدينة سالونيك أسيرة الأساطيل المصرية ، وفقدت الكثير من رجالها وظلت بحارة الأسطول المصري عشرة أيام في المدينة يدمرون استعداداتها الحربية وما بها من معدات بحرية ثم تركوها عاجزة عن أن تمد الأسطول البيزنطي بما يحتاجه من عتاد ^(٢) .

ولم يلبث أن توقف فجأة نشاط الأسطول المصري بسبب تجدد الصراع بين الخلافة العباسية والدولة الطولونية على الاستيلاء على مصر . فقد انتهز الخليفة المكتفى بالله حالة الضعف التي وصلت اليها مصر بعد وفاة خماروية بن أحمد ابن طولون ، ورأى انها فرصة سانحة لاستردادها من أيدي الطولونيين ، فأعد أسطولا وجهه الى مصر فبلغ تنيس حيث التقى بالأسطول المصري ، ودارت معركة بحرية بينهما حلت على أثرها الهزيمة بالمصريين ، ووقعت تنيس ودمياط في قبضة القائد العباسي محمد بن سليمان الكاتب وفر هارون بن خماروية الى مدينة

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٤٠ .

(٢) Finally : History of Greece, Vol. II, P. 268.

العباسة (١) حيث قتله عماء شيبان وعدى ، وخلفه أولهما شيبان على ولاية مصر ، وفي عهده عادت مصر الى سلطان العباسيين الى أن استقل بها الأخشيديون استقلالا اسميا .

وفي منتصف القرن العاشر الميلادي عنى محمد بن طنج الأخشيدي بإنشاء المراكب الحربية ، فنقل جزءا من دار صناعة السفن من جزيرة الروضة الى الفسطاط في دار عرف باسم « صناعة السفن » (٢) . وغدت السفن الحربية والتجارية تصنع في دار صناعة مصر تارة ، وفي دار صناعة الجزيرة تارة أخرى . وأمام ضعف الخلافة العباسية بعث أهالي اقريطش الى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله يسألونه النجدة ضد تهديدات الروم ، وأخبروه ان ضياع جزيرتهم يؤدي الى ازدياد قوة الروم البحرية ، ومن ثم فسيصبح من السهل الميسور عليها السيطرة والاستيلاء على قواعد الأسطول المصري في مصر والشام . كما أوضحوا للمعز كذلك ان مجيء الأسطول الفاطمي اليهم يتيح له فرصة الحصول على قاعدة حربية قريبة من القسطنطينية عاصمة الروم ، كما يهيء للفاطميين مركزا لسيادة شرق البحر الأبيض المتوسط .

(١) العباسة : مدينة بالقرب من الزقازيق ، أنشئت في العصر الطولوني وأخذت اسمها من اسم أخت أحمد بن طولون .

(٢) العيون الدعج في حل بن طنج ص ١٣٩ .

البحرنية في العصر الفاطمي

وقد رأى المعز في دعوة أهل اقريطش فرصة عظيمة لتحقيق أحلامه في الحصول على قاعدة بحرية قريبة من مصر أولا ، ثم تسهيل الاستيلاء على مصر ثانيا ، لذلك فقد بادر بالاتصال بالأخشيديين يطلب منهم اعداد أسطول يسير مع سفن الفاطميين لنجدة أهل اقريطش ، وان أسطول مصر سيقف على قدم المساواة مع أسطول الفاطميين ، وقد وضع ذلك في خطابه الى كافور الذي آلت اليه الوصاية اذ ذاك على أولاد الأخشيد « ولا تخشى على مراكبك منا ، فلك علينا عهد الله وميثاقه ، انا لا نكون معهم الا بسبيل خير ، وانا نحلهم محل رجالنا ، ونجعل أيديهم مع أيدينا ، ونشركهم فيما أفاء الله علينا . وتقيمهم في ذلك وغيره مقام رجالنا ومراكبك مقام أساطيلنا ، حتى يفتح الله علينا ان شاء الله ، ثم ينصرفوا اليك » (١) .

وكانت الخطة الفاطمية تقضى بأن يرسل الأخشيديون أسطولهم الى احدى القواعد الفاطمية باقليم برقة ، وتبحر القوات المتحدة معا من هناك الى اقريطش .

(١) النعمان : المجالس والمسائرات (ومخطوط) .

ولكن الدولة الأخشيديّة كانت تعاني انحلالاً شديداً ، حتى أن الروم نزلوا دمياط في العاشر من شهر يونية سنة ٩٥٨ م في بضع وعشرين مركباً فقتلوا وأسروا مائة وخمسين من أهلها .

لذلك لم يكن أمام المعز إلا مخاطبة الروم مهدداً إياهم بالحرب إذا هاجموا اقريطش ذاكراً أنه كخليفة للمسلمين له حق الدفاع عنها . ولكن الروم لم يعبأوا بهذا التهديد ولا سيما أن المعز لم يتخذ أية خطوة إيجابية لمساعدة اقريطش ، بسبب مشاكله الداخلية في المغرب . ولكن نشاط الروم البحري لم يلبث أن صطدم في شرق البحر الأبيض المتوسط بالأسطول الفاطمي . ذلك أن الخليفة المعز لدين الله وجد في انحلال الخلافة العباسية وضعف الأخشيديين فرصة مواتية لاحتلال مصر وبسط نفوذ الفاطميين على تلك الرقعة الهامة من ممتلكات العباسيين ، فأرسل قائده جوهر الصقلي الذي استولى عليها سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م .

وقد استطاع المعز بفضل الأسطول المصري ، الذي أنشأه هو ومن خلفه من الفاطميين في دار الصناعة في مصر وفي الاسكندرية وفي دمياط ، أن يتابع فتح الشام والقضاء على الأخطار التي كانت تجيء منها لتقوض سلطانه في مصر قبل أن تستقر دعائمه . على أن اهتمام الفاطميين بالشام ودعم قواعد الأسطول المصري على سواحه كان له أكبر الأثر في صيانة كيان الدولة الإسلامية عامة ، والمحافظة على النفوذ العربي في شرقي البحر الأبيض المتوسط خاصة ، ذلك أن الروم كانوا قد تمادوا في استهتارهم بالخلافة العباسية ولا سيما بعد استيلائهم على اقريطش ، فعولوا على الهجوم على إقليم الشام لكي ينتزعوا بيت المقدس منه . ففي سنة ٩٧٥ م سار الأسطول الرومي إلى بلاد الشام واستولى على كثير من مدنها ولا سيما الساحلية منها ، مثل بيروت وصور وعسقلان وصيدا ، إلا أن قوات مدينة طرابلس البرية استطاعت بفضل مؤازرة الأسطول المصري ^(١) لها ، من هزيمة الأسطول الرومي وبذلك عاد فاشلاً إلى القسطنطينية . وبدأت الدولة الفاطمية

(١) Brehier : Vie et Mort de Byzance, P. 206.

Vasiliev : Byzance et les Arabes, P. 410.

بعد ذلك تثبت سلطانها على قواعد بلاد الشام البحرية وتطارد الروم من أطراف الشام الشمالية .

كانت محاولة الروم الاستيلاء على بيت المقدس دافعا قويا ، وسببا مباشرا في انشاء المعز دارا لصناعة السفن بالمقس بالإضافة الى الدارين الآخرين (بالروضة وبالفسطاط) وقد وصفها المؤرخ المصري عز الملك المسيحي بقوله « انه بنى فيها ستمائة مركب ، وانه لم ير مثلها فيما تقدم كبرا ووثاقة وحسنا » . وقد أشاد المؤرخون العرب وغيرهم من مؤرخي العصور الوسطى بنظام الأسطول المصري في العصر الفاطمي فيقول المقرئى (١) : « وكان على رأس الأسطول في ذلك العصر عشرة قواد عليهم رئيس هو « قائد القواد » وكان يسمى في عصر الفاطميين (أمير الجيوش) . ولم يزل الأسطول المصري محل عناية الخلفاء الفاطميين حتى بلغ عدد جنود البحرية في أيامهم خمسة آلاف لهم رواتبهم المعينة ، منهم عشرة قواد راتب كل واحد منهم من (١٠) الى (٢٠) دينارا ، ومنهم أقل من ذلك الى دينارين ولهم اقطاعات كانوا يسمونها (أبواب الغزاة) . وكانوا ينتخبون أحد هؤلاء القواد رئيسا للأسطول ، فاذا ساروا الى الغزو كان هو آمرهم وناهيهم ، ومع هذا الرئيس أمير كبير من أمراء الدولة . وأما النفقة على غزاة الأساطيل فكان الخليفة يتولى توزيعها بنفسه بحضور الوزير مبالغة في اكرام رجال البحر ورفع منزلتهم . وبلغت المراكب في أيام المعز لدين الله مائتى قطعة ثم نقصت من بعده حتى أصبحت مائة قطعة » . ويقول المقرئى في استعراض الأسطول المصري قبل الغزو « وكانوا يحتفلون بأقلاع (٢) الأسطول الى الغزو احتفالا شائقا يحضره الخليفة ، فيجلس في منظره معدة له على ساحل النيل بالمقس هو والوزير للوداع ، وتجيء القواد بالمراكب من مصر الى هناك للحركات في البحر بين يديه وهى مزينة بأسلحتها ولبوسها وفيها المنجنقات تلعب فتتحد وتقلع بالمجاديف كما يفعل في لقاء العدو بالبحر . ويحضر بين يدي الخليفة المقدم والرئيس فيوصيهما ويدعو للجماعة بالنصرة

(١) المقرئى ج ٢ ص ١٩٢ ، تاريخ التمدن الإسلامى ج ١ ص ١٩٦ .

(٢) المقرئى ج ٢ ص ٣٦٨ .

والسلامة ويعطى المقدم مائة دينار والرئيس عشرين دينارا ، وتنحدر الى دمياط وتنخرج الى البحر الملح فيكون لها ببلاد العدو صيت وهيبة » .

وقد سار الخليفة العزيز بالله سيرة والده في تقوية الأسطول المصرى لحماية استقلال مصر والشام ، فقد دأب على امداد القوات الشامية بالأساطيل المصرية لحمايتها ودعم فتوحاتها وقد هال الروم قوة الأسطول المصرى فى العصر الفاطمى ، فلجأوا الى بعض أساليب الغدر والخيانة كعرقلة استعدادات الفاطميين البحرية ، فقد حدث سنة ٩٩٦ م ان أمر الخليفة العزيز بالله باعداد أسطول عظيم فى دار الصناعة بالمقس ، للهجوم على قواعد الروم المجاورة للشام ، ولكن ما كادت دار الصناعة تفرغ من بناء السفن حتى شبت فيها النار وأحرقت معظم قطع الأسطول . واتهم الخليفة الفاطمى تجار الروم وعملاءهم من مدينة (امالفى) ^(١) بتدبير هذا الحادث ، ولا سيما انهم كانوا يقيمون فى أحد الفنادق المجاورة لدار الصناعة ، واعترف الروم بجريمتهم وغادروا البلاد مطرودين . ولكن حالة مصر الاقتصادية وكذا قوة استعدادات دور الصناعة المصرية ، لم تتأثر كثيرا بهذا الحادث الطارىء ، اذ أمر العزيز بالله بجمع الأخشاب من سائر أنحاء البلاد وبناء أسطول ^(٢) آخر .

ولم يجد الروم بدا من مهادنة العزيز بالله ، فأوفدوا رسلهم لعقد صلح معه ، ومما جاء فى شروط الصلح أن يذكر اسم الخليفة الفاطمى فى خطبة الجمعة فى جامع القسطنطينية بدلا من اسم الخليفة العباسى . وهكذا نرى أن الأسطول المصرى كان له الفضل الأكبر فى توطيد دعائم الدولة الفاطمية بل انها أصبحت تتبوأ مركز الصدارة فى العالم الاسلامى .

ولم يركن الفاطميون الى الهدوء والسكينة بعد تلك المعاهدة وبعد المحاولات المتكررة من جانب الروم لاقرار السلام معهم ، ذلك ان الفاطميين أدركوا ان الروم لا يؤمن جانبهم ولا يطمأن اليهم ، فعملوا جاهدين على دعم قواعدهم البحرية فى الشام . وقد تحققت مخاوف الفاطميين ، حين لجأ امبراطور الروم سنة ١٠٢٥ م

(١) Brehier, L. : Vie et Mort de Bizance, P. 223.

(٢) المقرئى ج ٢ ص ٣٦٩ .

الى تأليب حكام صور وطرابلس على الفاطميين وساعدتهم على شق عصا الطاعة عليهم ، ولكن الأسطول المصري كان لهم بالمرصاد فتصدى لسفن الروم في مياه هذين الميناءين وأزل بهم هزيمة منكرة (١) .

ولم يكد الفاطميون يستريحون من الأسطول الرومي ، حتى ظهر الصليبيون في شرق البحر الأبيض ، وأخذوا يغيرون على سواحل بلاد الشام ، فاستولوا على أنطاكية ووصلوا الى بيت المقدس . وكان ذلك في عهد الخليفة المستنصر بالله ، فأرسل وزيره الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي ، فالتقى بهم سنة ١١٠٠ م / ٤٩٣ هـ فانهزم الفاطميون وواصل الصليبيون فتوحاتهم حتى استولوا على ثغور شواطئ الشام وفلسطين ، فوقعت عكا وطرابلس وبيروت في أيديهم . ولما أرادت مصر أن تسهم بأسطولها في الدفاع عن تلك الموانئ أنفذت اليها ثمانين مركبا ، ولكن البنادقة كانوا لهم بالمرصاد فانقضوا على الأسطول المصري وأغرقوه في عرض البحر (١) .

ثم عاود الصليبيون الكرة مرة ثانية ، فقد أرسل غليوم (٢) الأول صاحب صقلية أسطولا نزل دمياط سنة ١١٥٥ م / ٥٥٠ هـ في عهد الخليفة الفائز بنصر الله ووزيره الصالح طلائع بن رزيك وكان عدد سفن الأسطول ستين مركبا ، عاث في دمياط فسادا ثم اتجه الى تنيس فقتل بحارته الرجال وسبوا النساء ، ثم غادرها الى رشيد ثم الاسكندرية ، وأكثر البحارة من السلب والنهب ، ولكنه سرعان ما فر هاربا عندما ظهر له الأسطول المصري ، ولذلك يمكن أن نعتبر هذه الغزوة أشبه بغارات قراصنة البحار منها بالحرب .

وفي نهاية الدولة الفاطمية عندما أخذ الوزراء يتنازعون على السلطة وصل بهم الأمر الى الاستنجد بالأجانب للحصول على مركز الوزارة فاستنجد الوزير ضرغام ابن عامر بملك الفرنجة أموري الأول (Amaury) لينصره ضد الوزير شاور بن

(١) ابن قلائس : ذيل تاريخ دمشق ص ٥١٣ .

(٢) Stevenson : The Crusaders in the East, P. 82.

Wiet, G : Précis de l'Histoire d'Egypte, T. II. L'Egypte Musulmane, P. 190.

Sourial (Aziz) : The Crusade in the Latter Middle-Ages, P. 40. (٣)

مجير السعدى فى عهد الخليفة العاضد سنة ١١٦٨ م . لذلك فقد أمر الوزير شاور باحراق مصر واضرام النار فى القسطة ، عندما وجد ان (أمورى) قد نزل ببركة الحبش وضرب الحصار حول القاهرة وقرر على أهلها المال ، ثم واصل أمورى زحفه فى البلاد فنزل تنيس وأشموم وميت غمر وقتل فيها وأسر وسبى (١) . لذلك لجأ شاور الى نور الدين محمود زنكى فى الشام يستنجد به ويستنصره على الصليبيين وعلى ضرغام ، واعداد اياه بأن يجعل له حصة من البلاد على أن يتصرف شاور تحت أمر دمشق ونهيه واختياره ، فقد قال له « أكون نائبك بها (أى مصر) وأقنع بما تعين لى من الضياع والباقي لك » (٢) كذلك تعهد شاور لنور الدين اذا ساعده الأخير فى العودة الى الوزارة بمصر ، أن يدفع له ثلث دخل البلاد ، ويتصرف على أمره ونهيه واختياره » (٣) .

خرج نور الدين والصليبيون جميعا من تجربتهم العملية بأرض مصر ، بفكرة واضحة عن مدى ثروة البلاد وضعفها الشديد ، لذلك فقد أخذ كل من الطرفين يعمل جاهدا لكي ينفرد بالغنيمة دون خصمه ، وانهى الأمر باستيلاء صلاح الدين الأيوبي ، قائد نور الدين محمود على مصر والاستقلال بها فى النهاية .

(١) المقرئى ج ١ ص ٢١٧ ، ص ٢٣٨ .

(٢) أبو المحاسن ج ٢ ص ٣٤٦ .

(٣) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ١٣٠ .

البحرية في العصر الأيوبي

فلما انتقلت السلطة الى صلاح الدين مؤسس الدولة الأيوبية ، خص الأسطول بكامل عنايته وأفرد له ديوانا خاصا أسماه « ديوان الأسطول » وقرر له ميزانية خاصة من خراج الفيوم وأعمالها وكثير من البلدان مثل بهتيم والأميرية وأوسيم ، وأضاف إليها ما تحصل من أشجار السنط ، وكان ثمن العود منه يصل الى مائة دينار أحيانا ، وزاد عليه النطرون الذي بلغ خواجه (٨٠٠٠٠) دينار ، وأموال الزكاة التي كانت تزيد على (٥٠٠٠٠) دينار ، ونصب صلاح الدين على رأس الديوان الجديد أخاه الملك العادل ، أبا بكر محمد بن أيوب (١) .

ولكن لم يكد يستقر صلاح الدين بمصر حتى دبرت مؤامرات في القاهرة اشتركت فيها جميع العناصر الناقمة على الوضع الجديد ، بقصد احياء الخلافة الفاطمية واقامة الدعوة العلوية وردها الى ما كانت عليه (٢) . أما زعماء المؤامرة

(١) المقرئى ج ٣ ص ١٩٤ ، ابن عاتى ص ٢٤٠ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٢٤٣ .

فهم الشاعر عمارة اليمنى^(١) وعبد الصمد الكاتب والقاضى العوريس داعى دعاة الشيعة ، وابن عبد القوى وغيرهم كثير من أتباع الدولة الفاطمية . على أن أخطر ما انطوت عليه تلك المؤامرة ، هو اتفاق عمارة اليمنى مع ملك صقلية غليوم الثانى على مهاجمة الشواطىء المصرية فى الوقت الذى تشب فيه الثورة ضد الأيوبيين فى القاهرة . وبناء على هذا الاتفاق أرسل ملك صقلية سنة ١١٧٤ م / ٥٧٠ هـ أسطولاً كبيراً مكوناً من (٢٨٢) قطعة ، حاصر ثغر الاسكندرية بالمجانيق والدبابات ثلاثة أيام متوالياً ، كما دمر بعض السفن التجارية الراسية فى ميناء الاسكندرية^(٢) . ولكن المصريين ثبتوا لهم وأحرقوا بعضاً من سفنهم ، فى الوقت الذى قدم صلاح الدين من فاقوس مسرعاً ومعه جيشه فهاجم النورمان وأغرق بعض سفنهم وأحرق خيامهم وأنزل بهم الهزيمة ، وهكذا « بقى العدو بين قتل وغرق وأسر » فاضطر النورمان الى الاقلاع بسفنهم فوراً « وعادوا خائبين خاسرين »^(٣) .

ويصف المقرئى هذه الموقعة فيقول « وفى سنة تسع وستين وخمسمائة نزل أسطول الفرنج بصقلية على أثر الاسكندرية لأربع بقين من ذى الحجة بغتة ، وكان الذى جهز هذا الأسطول غليالم بن غليالم بن رجار متملك صقلية ، ولى ملك صقلية بعد أبيه واحتفل سنة احدى وسبعين بعمارة هذا الأسطول ، فاجتمع له مالم يجتمع لجده رجار وحمل فى الطرائد ألف فارس وقدم على الأسطول رجلاً من دولته يسمى اكيم مودقة (Akim Modhaka) وقصد الاسكندرية . فلما سار هذا الأسطول فى البحر أنزلوا من طرائدهم ستاً وثلاثين طريدة تحمل الخيل ، ومائتى شينى فى كل شين مائة وخمسون رجلاً ، وعدة السفن التى تحمل آلات الحرب والحصار ست سفن والتى تحمل الأزواد والرجال أربعون مركباً ، فكانوا نحو الخمسين ألف رجل . وأنزلوا على البر مما يلى المنارة وحملوا على المسلمين حتى أوصلوهم الى الصور وقتل من المسلمين سبعة . وزحفت مراكب الفرنج الى الميناء وكان به

(١) المقرئى السلوك ج ١ ص ٥٣ .

(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٥٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١١ - ١٦ .

(٣) أبو شامة : كتاب الروضتين ج ١ ص ٢٣٥ ، ابن الأثير الكامل حوادث سنة ٥٧٠ هـ .

مراكب المسلمين حتى أوصلوهم وغلبوا على البر وخيموا به فأصبح لهم على البر
ثلثمائة خيمة وزحفوا لحصار البلد ونصبوا ثلاث دبابات بكباشها ، وثلاثة مجانيق
كبار بحجارة سود عظيمة . وكان السلطان على فاقوس فبلغه الخبر ثالث يوم من
نزول الفرنج ، فشرع في تجهيز العساكر ، والقتال والرمي بالمجانيق مستمر ، فوصلت
العساكر وفتحت الأبواب ، وهاجم المسلمون الفرنج وحرقوا الدبابات وأيدهم الله
بنصره ، واستمر القتال يوم الأربعاء الى العصر وهو اليوم الرابع من نزول الفرنج .
ثم حملوا حملة ثانية عندما اختلط الظلام ، على الخيام فتسلموها بما فيها وقتلوا
من الرجال عددا كثيرا من الفرسان فاقتحم المسلمون البحر وأخذوا عدة مراكب
نسفوها ففرقت وولت بقية المراكب منهزمة . بوقت كثير من الفرنج وغنم المسلمون
من الآلات والأمتعة والأسلحة بما لا يقدر على مثله الا بعناء ، وأقلع باقى الفرنج
في مستهل سنة سبعين » .

وفي سنة ١١٧٩ م خرج بلدوين الرابع ملك بيت المقدس لمنازلة صلاح الدين ،
فالتقى به في موقعة دارت رحاها بالقرب من تل القاضى — في سهل (مرج عيون) ،
فاتصر صلاح الدين انتصارا حاسما ، وأسر كثيرا من أمراء الصليبيين ولم ينج الملك
بلدوين نفسه الا بصعوبة (١) . وقد بلغ عدد الأسرى من الصليبيين ، مائتين
وسبعين ونيفا وعرضوا على صلاح الدين فأمر بنقلهم الى دمشق ، وكان عدة
الصليبيين عشرة آلاف فارس . ومن محاسن المصادفات انه في اليوم الذى كسر فيه
الصليبيون في (مرج العيون) أحرز الأسطول المصرى انتصارا في البحر على
سفنهم اذ ظفر ببطستين كبيرتين استولى عليهما وقادهما الى الاسكندرية مستصحبا
ألف رأس من السبى (٢) .

وأخذ صلاح الدين يتابع انتصاراته في سرعة مذهلة بحيث لم يستطع الصليبيون
معهما ملاحقته ، ذلك انه لم يكتف بعد تدمير حصن الأحزان بالاغارة على مناطق
صور وصيدا ويبروت بل انه أمر الأسطول المصرى بالخروج في سنة ١١٧٩ ليهاجم
عكا ذاتها وهى المدينة التى أطلق عليها أبو شامة اسم « قنم الفرنج » (٣) .

(١) أبوشامة : كتاب الروضتين ج ٢ ص ١٠ ، ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٥٧٥ هـ .

(٢) سيد على الحريرى : كتاب الأخبار السنية في الحروب الصليبية ص ١٣٤ .

(٣) أبوشامة : كتاب الروضتين : ج ٢ ص ١٣ .

ولم يكد الأسطول المصرى يصل الى ميناء عكا الذى كان يعج بسفن الصليبيين ومراكبهم التجارية حتى استولى على عدة منها « تحطيمًا وتكسيرا » وأخلى الميناء من الباقي ، ولعل هذا النصر الباهر كما يقول سيد على الحريرى « لم يعهد من أسطول اسلامى فى سالف الدهر ، ومما يذكر أن عساكر الأسطول المصرى قتلوا بعض رجال قلعة عكا رميا بالسهم من بعد كبير » (١) . وقد جاء فى وصفه لقطع الأسطول المصرى ما يلى : « ومراكبهم كانت كنانن الا انها تمرق مروق السهم ورواكد هي مدائن الا انها تمر مر السحاب غير الجهام ، فلا أعجب أن تسمى غربانا وتشر بين ضلوعها أجنحة الحمام وتسمى جوارى وكم يسر مجراها من نصر » (٢) .

ولم يسع الملك بلدوين الرابع ازاء الضربات القوية التى أخذ الأسطول المصرى يوجهها ضد الصليبيين سوى أن يطلب عقد الهدنة ، فوافق صلاح الدين على ذلك فى سنة ١١٨٠ م (٣) ، على ان الهدنة التى عقدت بين صلاح الدين ومملكة بيت المقدس وحدها ، مما جعل صلاح الدين فى حل من مهاجمة الصليبيين فى شمال الشام وبخاصة امارة طرابلس . لذلك استدعى صلاح الدين الأسطول المصرى مرة ثانية الى مياه الشام سنة ١١٨٠ م ، فهاجم طرسوس ، وأنزل بها كثيرا من الخسائر مما اضطر ريموند الثالث أمير طرابلس الى عقد هدنة مشابهة مع صلاح الدين (٤) .

وقد فكر صلاح الدين فى الاستيلاء على ميناء بيروت ، وذلك لكى يفصل امارتى طرابلس وأنطاكية عن مملكة بيت المقدس ، وفى الحال جمع صلاح الدين قواته عام ١١٨٢ م جنوبى اقليم البقاع ، وفى نفس الوقت أعد أخوه العادل فى دمياط والاسكندرية أسطولا من ثلاثين سفينة حربية لمباغطة المدينة من ناحية البحر (٥) . ولم يفت العادل أيضا أن يرسل بعض قوات من القاهرة لمهاجمة الداروم وغزة وعسقلان ، حتى يشغل مملكة بيت المقدس عن مساعدة بيروت . وقد أحاط

(١) سيد على الحريرى : كتاب الأخبار السنية فى الحروب الصليبية ص ١٣٦ .

(٢) سيد على الحريرى : ص ١٣٥ .

(٣) ابن الأثير : حوادث عام ٥٧٦ هـ ، Guillaume de Tyr, P. 1064 .

(٤) أبو شامة : كتاب الروضتين ج ٢ ص ١٣ .

(٥) ابن الأثير : حوادث عام ٥٧٨ هـ .

صلاح الدين مشروعه بسرية تامة ، بل أعلن انه سيتجه ضد حلب والموصل ، وذلك امعانا في تضليل الصليبيين . وبينما كان الحصار مضروبا حول بيروت برا وبحرا ، واذا بصلاح الدين يتلقى نبأ نزول جمع عظيم من الفرنج بدمياط كما يتلقى من مظفر الدين كوكبرى صاحب حران رسالة يطلب فيها سرعة قدومه الى الفرات . فقام صلاح الدين من فوره وسار الى الرها فعاصرها وملكها ثم واصل سيره الى الرقة فملكها ومنها الى نصيبين والموصل وسنجار (١) .

وفي تلك الأثناء كان بلدوين ملك بيت المقدس لا يزال معسكرا في صفورية عندما وصلته أنباء هجوم صلاح الدين على بيروت والأسطول المصري على مدن فلسطين الساحلية فأمر بأعداد أسطول صليبي في عكا وصيدا لتخليص بيروت من حصار الأسطول المصري (٢) . أما صلاح الدين فقد أخذ يشدد هجماته على بيروت ، ولكن المدينة أظهرت عنادا شديدا ولذلك آثر الانصراف عنها ، كذلك أمر الأسطول المصري بالعودة بعد ان كان قد سبى منها وسلب وظفر من غنيمتها بما طلب (٣) .

ومن المواقف التي تشهد للأسطول المصري بالقوة والفخار انتصاره في موقعة الحوراء (٤) البحرية . فقد أقدم أرناط صاحب حصن الكرك على مشروع خطير سنة ١١٨٢ م ، استهدف به تحقيق سيادة الفرنجة على البحر الأحمر ، وطعن الاسلام في قلبه بغزو الحرمين (٥) ، فقد دأب على مهاجمة قوافل الحجاج المسلمين وهم في طريقهم الى الحرمين ، ثم صمم سنة ١١٨٢ م على الهجوم على مكة والمدينة ذاتهما ، فبدأ بالاستيلاء على أيلة ، ثم شرع في بناء عدة سفن حملت أجزاؤها مفككة على

(١) سيد على الحريري : كتاب الأخبار السلية في الحروب الصليبية ص ١٣٩ .

(٢) Guillaume de Tyre, P. 1099.

(٣) المرجع السابق ص ١١٠١ .

(٤) جاء في ياقوت « معجم البلدان » الحوراء كورة من كور مصر القبلية ، آخر حدودها من جهة الحجاز وهي على البحر شرق القلزم ، وقيل الحوراء مرفأ سفن مصر الى المدينة ص ٢٥٩ . وجاء في المقرئزي ، وأبو شامة أن ساحل الحوراء قرب يلبع .

(٥) نظير حسان سعداوي : التاريخ الحربي المصري ص ١٤٥ .

ظهور الجمال حتى خليج العقبة حيث ركبت . ولم يكد يتم تركيب تلك السفن حتى استولى بعضها على جزيرة القلعة ، في حين قام البعض الآخر بالاغارة على الموانئ المصرية الصغيرة على البحر الأحمر ، الأمر الذي أثار الرعب في قلوب أهلها . ومن الموانئ المصرية التي أغار عليها أسطول أرناط في البحر الأحمر ميناء عيذاب في مواجهة جدة ، وهناك نهب الصليبيون بضعة سفن تجارية وافدة من جدة واليمن وعدن والهند ويقول المقریزی (١) في ذلك « فقتلوا وأسروا وأحرقوا في بحر القلزم نحو ستة عشر مركبا وأخذوا بعيذاب مركبا يأتي بالحجاج من جدة ، وأخذوا في الأسر قافلة كبيرة من الحجاج فيما بين قوص وعيذاب وقتلوا الجميع . وأخذوا مركبين فيهما بضائع جاءت من اليمن وأخذوا أحطنة كثيرة من الساحل كانت معدة لميرة الحرمين وأحدثوا حوادث لم يسمع الاسلام بمثلها » .

وبعد ذلك نقل الصليبيون نشاطهم الهدام الى الشاطئ المقابل ، أي شاطئ الحجاز ويقول في هذا المقریزی (٢) « وتوجه فرنج الشوبك والكرك نحو مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لينبشوا قبره عليه السلام وينقلوا جسده الشريف الى بلادهم ويدفنوه عندهم ولا يمكنوا المسلمين من زيارته الا بجعل . فأنشأ البرنس ارناط صاحب الكرك سفنا حملها على البر الى بحر القلزم وأركب فيها الرجال وأوقف مركبين على حرزة قلعة القلزم تمنع أهلها من استقاء الماء ، فسارت الفرنج نحو عيذاب فقتلوا وأمروا ومضوا يريدون المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم وذلك في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة . وكان السلطان صلاح الدين على حران فلما بلغه ذلك بعث الى سيف الدولة بن منقذ نائبه على مصر يأمره بتجهيز الحاجب لؤلؤ (٣) خلف العدو ، فاستعد لذلك وأخذ معه قيودا وسار في طلبهم الى القلزم وعمر هناك مراكب وسار الى أيلة فوجد مراكب الفرنج ، فحرقها وأسر من

(١) المقریزی : السلوك ج ١ ص ٧٩ .

(٢) المقریزی : ج ٢ ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٣) هو الأمير حسام الدين لؤلؤ الحاجب ، كان أرمي الأصل ومن حملة أجناد مصر في أيام الفاطميين ، فلما استولى الدين على مصر تقدمه الأسطول ، وكان حينما توجه فتح وانتصر وغنم (المقریزی) .

فيها وسار الى عيذاب وتبع الفرنج حتى أدركهم ولم يبق بينهم وبين المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم الا مسافة يوم ، وكانوا ثلثمائة ونيفا وقد انضم اليهم عدة من العربان المرتدة . فعندما لحقهم لؤلؤ فرت العربان فرقا من سطوته ورغبة في عطيته ، فانه كان قد بذل الأموال حتى انه علق أكياس الفضة على رؤوس الرماح ، فلما فرت العربان التجأ الفرنج الى رأس جبل صعب المرتقى فصعد اليهم في عشرة أنفس ، وضايقتهم فيه فخارت قواهم بعد ان كانوا معدودين من الشجعان واستسلموا فقبضوا عليهم وقيدهم وحملهم الى القاهرة ، فكان لدخولهم يوم مشهود . وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وأرباب الديانة بعد ما ساق رجلين من أعيان الفرنج الى منى ونحرهما هناك كما تنحر البدن التي تساق هديا الى الكعبة . وكان الرحالة ابن جبير ^(١) في زيارة الاسكندرية عندئذ فذكر وصفا طريفا لموكب أولئك الأسرى . أما ارناط نفسه فقد أقسم صلاح الدين على ألا يغفر له فعلته هذه « ونذر دمه » ^(٢) .

وفي رسالة للقاضي الفاضل أوردها أبو شامة وابن أصل ، ان الصليبيين استهدفوا من وراء تلك العملية الحربية تحقيق هدفين خطرين أولهما قطع طريق الحاج عن حجه وضرب العالم الاسلامي في قلبه وطعن المسلمين في قبلتهم ، وثانيهما ان الصليبيين كانوا يزعمون الاستيلاء على عدن جنوب البحر الأحمر ، لأخذ « تجار اليمن وأكارم عدن » وبذلك يتمكنون بفضل السيطرة على أيلة في الشمال وعدن في الجنوب من اغلاق البحر الأحمر في وجه أعدائهم ، واحتكار تجارة الشرق الأقصى والمحيط الهندي ^(٣) .

بينما كان صلاح الدين يقاتل الصليبيين في عكا سنة ١١٩٠ م ، اذا قطع الأسطول المصري تهرع الى نجدته من مصر ، فلما أحس الصليبيون بقدوم الأسطول المصري ، جهزوا أسطولا ليلقاه في طريقه ويقاّله ، فأسرع صلاح الدين لمقاتلة الفرنجة من كل

(١) رحلة ابن جبير ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) أبو شامة : كتاب الروضتين ج ٢ ص ٧٥ .

(٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٨٧ .

جهة لينشغلوا بقتاله عن قتال الأسطول المصرى فيتمكن من دخول عكا ، فلم يشتغلوا
وخرج أسطولهم وكانت الناس خرجت على جانب البحر تقوية للأسطول المصرى
وايناسأله ولرجاله ، وكما يقول سيد على الحريرى ^(١) « التقى الأسطولان فى البحر
والجيشان فى البر واضطربت نار الحرب واستعرت ، وباع كل فريق روحه ودار
قتال شديد انجلى عن نصره الأسطول المصرى بعد أخذ مركب منه ، وقتل من كان
بأسطول الصليبيين ونهب ما فيه وأخذ منه مركب أيضا ، ودخل الأسطول المصرى
المنصور عكا ، وكان قد صحبتته مراكب من الساحل فيها ميرة وذخيرة ، وطابت
قلوب أهل البلد بذلك وانتشرت صدورهم ، واتصل القتال بين الفريقين المتحاربين
خارج البلد الى أن فضل بينهما الليل ، وعاد كل فريق الى خيمته ، وقتل من
الصليبيين فى هذا اليوم كثيرون لأن أهل البلد اشتدوا فى قتالهم والأسطول المصرى
سيرد اليه ضربة قاضية والجيش المصرى أجهز عليهم » .

لقد تحقق الصليبيون منذ بداية القرن الثانى عشر بأن مصر هى مركز المقاومة
الحقيقية فى العالم الاسلامى ضد الحركة الصليبية ، وبذلك غدت موضع اهتمام
دعاة الحرب الصليبية وزعمائها ، على اعتبار انها الطريق الطبيعى للوصول بهم الى
بيت المقدس . وقد ظهر رأيهم هذا واضحا فى أقوال زعماء الحركة الصليبية ودعاتها ،
فهم حينما يشبهون مضر بأنها رأس الأفعى وأحيانا يشبهونها بأنها مخزن الامدادات
فى العالم الاسلامى ، أو يشبهونها بالقلب فى الجسم ، الى غير ذلك من التشبيهات
العديدة التى فاضت بها كتب دعاة الحروب الصليبية فى أواخر العصور الوسطى ^(٢) .
لذلك قصد الصليبيون مدينة دمياط فوصلوها عام ١٢١٨ م . وكان أسطولهم يتكون
من نحو (٧٠٠٠٠) ألف فارس ، (٤٠٠٠٠) راجل فخيماوا تجاه دمياط فى البر
الغريبى ، وحفروا جولى معسكرهم خندقا ، وأقاموا عليه سورا وشرعوا فى الهجوم
على برج دمياط المنيع ، وكان البر الذى نزل فيه الصليبيون جزيرة محاطة بالنيل

(١) سيد على الحريرى : الأخبار السنية فى الحروب الصليبية ص ١٨٤ .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٩٦٢ .

من جهة وبالبحر المالح من الأخرى ، وكانت الجزيرة تعرف باسم (جزيرة دمياط)
وكان المسلمون في مدينة دمياط محاصرين حصارا شديدا من البحر والبر .

ولما بلغ الملك الكامل نزول الصليبيين دمياط ، خرج بمن معه من العساكر وأمر
والى الغربية بجمع العربان وسار في جمع كبير وخرج الأسطول ، فأقام تحت دمياط
ونزل السلطان بمن معه من العساكر بمنزلة العادلية (٢) قرب دمياط وامتدت عساكره
الى دمياط . ويقول المقرئى (٣) « ان الصليبيين ألحوا في القتال واستولوا على
برج السلسلة وقطعوا السلاسل المتصلة به لتجور مراكبهم في بحر النيل ويتمكنوا
من البلاد ، فنصب الملك الكامل بدل السلاسل جسرا عظيما لمنع الصليبيين من عبور
النيل ، فقاتل الصليبيين قتالا شديدا حتى قطعوه وكان الكامل يركب في كل يوم
عدة مرات من العادلية الى دمياط لتدبير الأمور ، فأمر الملك الكامل أن يغرق عدة
من المراكب في النيل حتى يمنع الفرنج من سلوك النهر ، فوصل الفرنج الى خليج
هناك يعرف بالأزرق كان النيل يجرى فيه قديما فجفروه وعمقوا حفره ، وأجزوا فيه
الماء الى البحر المالح وأصعدوا مراكبهم فيه الى بورة على أرض جيزة دمياط مقابل
المنزلة التي بها السلطان ليقاثلوه من هناك فلما صاروا في بورة جاءوا وقاتلوه في الماء
وزحفوا اليه عدة مرات فلم يظفروا منه بطائل ولم يتغير على أهل دمياط شيء لأن
الميرة والامداد متصلة اليهم والنيل يحجز بينهم وبين الفرنج . فلما أدرك الناس
الشتاء هاج البحر على مخيم المسلمين وأغرقهم فعظم البلاء وتزايدت الغم وألح الفرنج
في القتال وكادوا أن يملكوا العرب فبعث الله ريحا قطعت مراسى مرمه الفرنج وكانت
من عجائب الدنيا فمرت الى بر المسلمين فأخذوها فاذا فيها مسامير زنة الواحد منها
خمسة وعشرون رطلا . »

وهكذا ساء موقف الصليبيين في دلتا النيل بعد أن فتح المسلمون السدود
وحطموا الجسور « وكان البحر زايد جدا ، وفتح المسلمون عليهم الترع من كل

(١) سيد على الحريرى ص ٢٢٢ .

(٢) المقرئى : ج ١ ص ٢١٦ .

مكان» (١) وسرعان ما تجمد الصليبيون عند بلدة البرامون ، فلا هم يستطيعون العودة الى دمياط ، ولا هم يستطيعون القتال في الوحل بعد أن بلغت المياه ركبهم ، وأخيرا لم يبق أمام الصليبيين سوى الصلح بعد أن « عاينوا الهلاك » فأرسلوا الى السلطان الكامل سنة ١٢٢١ م يعرضون استعدادهم لترك دمياط والجلء عن البلاد ، مقابل السماح لهم بالخروج من المأزق الذي وقعوا فيه وتركهم يعودون الى بلادهم سالمين (٢) . وقبل الملك الكامل هذا العرض ، على شرط أن يبعثوا اليه برهائن من ملوكهم ، يبقون لديه حتى يسلموا دمياط ، فوافق الصليبيون على ذلك وأرسلوا الى الكامل عشرين من كبرائهم وعلى رأسهم حنا دي برين نفسه وبلاجيوس مندوب البابا . في حين بعث الكامل اليهم مقابل ذلك ابنه الصالح نجم الدين أيوب ومعه جماعة من خواصه (٣) .

وهكذا فشلت الحملة الصليبية الخامسة على مصر ، وكما قال ابن الأثير (٤) ، « ان الله تعالى أتى المسلمين ظفرا لم يكن في حسابهم ، فانهم كانت غاية أمانهم أن يسلموا البلاد التي أخذت منهم بالشام ليعيدوا دمياط ، فرزقهم الله إعادة دمياط وبقيت البلاد بأيديهم على حالها » .

عاود الصليبيون الكرة لغزو مصر فخرجت الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا عام ١٢٤٨ م من أوروبا ووصلت الى مينا ليماسول في قبرص ، وبقيت هناك حتى عام ١٢٤٩ م . وبذلك استطاع لويس التاسع خلال الشهور الطويلة التي قضاها في قبرص من أن يجمع كل ما يلزمه من مؤن ، فضلا عن المساعدات البشرية التي أمده بها ملك قبرص وغيره من زعماء الصليبيين الذين وفدوا من عكا (٥) . وفي سنة ١٢٤٩ أبحر لويس التاسع من ليماسول الى مصر ، في الوقت الذي كانت الدولة الأيوبية في مصر والشام لا تزال تعاني الكثير من

(١) أبو شامة : ذيل الروختين ص ١٢٩ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٤١ .

(٣) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٢٠٨ .

(٤) ابن الأثير حوادث عام ٦١٤ هـ .

(٥) Joinville : Histoire de Saint Louis, P. 57 & 62.

المتاعب بسبب المنازعات بين أمراء بني أيوب ، وهكذا وصل لويس التاسع الى دمياط ليجد المدينة محصنة منيعة يرابط فيها جيش يحول دون نزول القنويات الصليبية الى البر ، فقرر النزول على الضفة الغربية للنيل المواجهة لدمياط ، وبدأ انزال الجيش الصليبي ، ودارت بين الفريقين معركة على رمال الشاطئ ، اضطرت فيها خيول المسلمين الى خوض مياه البحر ، ولكن الصليبيين تفوقوا في تلك المعركة بفضل كثرة عددهم ، فقتل الأمير نجم الدين بن شيخ الاسلام ، والأمير صارم الدين أربك الوزير ، واضطر الأمير فخر الدين (قائد الجيش المصري) نفسه الى عبور النيل ليلا ومعه بقية رجاله الى الضفة الشرقية حيث توجد مدينة دمياط ، ولكنه لم يجرؤ على الوقوف عند دمياط نفسها وانما اتجه الى الجنوب منها صوب أشمون طنح (١) .

وسرعان ما دب الرعب في قلوب أهل دمياط ، فتركوا مدينتهم ، بعد أن أشعلوا النار في سوق المدينة (٢) ، بل ان بعض عرب كنانة الذين عهد اليهم الصالح نجم الدين أيوب بالدفاع عن المدينة ولوا الأدبار أيضا « وتركوا أبواب المدينة مفتحة » وفاتهم عند فرارهم أن يقطعوا الجسر الذي يربط دمياط بالضفة الغربية للنيل (٣) . وهكذا صارت دمياط مدينة مفتوحة خالية من وسائل الدفاع فدخلتها جيوش لويس التاسع في سهولة . ويروي المقرئ (٤) « ان الصليبيين عندما رأوا أبوابها مفتوحة ولا أحد يحميها ، خشوا أن تكون مكيدة ، فتمهلوا حتى ظهر أن الناس قد فروا وتركوها ، فدخلوا المدينة بغير كلفة ولا مؤنة حصار ، واستولوا على ما فيها من الآلات الحربية والأسلحة العظيمة والعدد الكثيرة والأقوات والأزواد والذخائر والأموال والأمتعة وغير ذلك ، صفوا عفوا » .

ولم يكد الصليبيون يشرعون في الزحف عن دمياط جنوبا حتى توفي السلطان الصالح نجم الدين أيوب في المنصورة سنة ١٢٤٩ ، ولكن زوجه شجر الدر أخفت

(١) المقرئ : السلوك ج ١ ص ٢٣٥ .

(٢) Eracles : P. 591.

(٣) أبو الفدا : المختصر حوادث عام ٦٤٧ هـ .

(٤) المقرئ : السلوك ج ١ ص ٣٣٦ .

خبر موته بحيث لم يعلم بذلك الخبر غير الطواشي جمال الدين محسن والأمير
فخر الدين ابن الشيخ . ويقول أبو المحاسن ^(١) « فكتموا ذلك خوفا من الفرنج ،
وجمعت شجر الدر الأمراء وقالت لهم ، ان السلطان يأمركم أن تحلفوا له ، ثم من
بعده لولده المعظم تورانشاه المقيم بحصن كيفا ، وللأمير فخر الدين ابن الشيخ
بأتابكية العسكر » .

أخذ الصليبيون يعبرون بحر أشموم وبادروا باقتحام المنصورة ، وتقابلوا مع
الجيش المصرى بقيادة (بيرس البندقدارى) أحد ممالك الصالح نجم الدين ،
وكان الموقف خطيرا حتى أطلق ابن واصل على ذلك اليوم « يوم الكبسة » ولكن
الممالك البحرية استطاعوا انقاذ الموقف ، فيقول العيني ^(٢) « فاقضت الطابقة
التركية (الممالك) من الجامدارية والبحرية الصالحية وحملوا على الفرنجة ،
حملة زعزعت وهدمت بنيانهم وأناخوا عليهم حربا دراكا وقتلا واهلاكا ، فكانت عدة
القتلى منهم ألفا وخمسمائة وولوا منهزمين » .

وقد واصل الصليبيون زحفهم على المنصورة عام ١٢٥٠م ولكن الجيش المصرى
والأسطول تآلفا ووقفوا في وجه الغزاة ، ودارت معركة نهزية قبالة المنصورة بين
الأسطول المصرى والأسطول الصليبيين ، انجلت عن وقوع (٣٢) مركبا من مراكب
الصليبيين في قبضة المصريين ، كما قتل من جنود الصليبيين نحو (٣٠٠٠٠) وكثير
منهم غرق في النيل وأسر ملكهم (لويس التاسع) وسجن الى أن فدى نفسه وبقيّة
أهله وعساكره بمبلغ مائة مليون من الفرنكات .

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٣٦٤ .

(٢) المعنى : عقد الجمان حوادث عام ٦٤٧ .

البحرية في العصر المتأخر

وقد أدى التدهور السياسي في أواخر الدولة الأيوبية الى قلة الاهتمام بالأسطول المصري وعدم العناية به ، حتى أصبح لا يفكر في أمره الا عند الحاجة اليه . وقد استفحل الأمر حتى انه كان يقبض على الرجال من الطرقات ويقيدون بالسلاسل نهارا ويسجنون ليلا حتى لا يهربوا ، عندما تدعو الضرورة الملحة لتجهيز الأسطول . وكان رجال الأسطول يعاملون أسوأ معاملة ، بل أشد سوءا من أسرى الأعداء ومن أعمال السخرة . فقد كان لا يصرف لهم الا شيء قليل من الخبز ونحوه ، وربما أقاموا الأيام بغير شيء ، ولذلك فقد صارت خدمة الأسطول عارا يسب به الرجال ، فاذا قيل لرجل في مصر ، « يا أسطولي » غضب غضبا شديدا ، بعد ما كان خدام الأسطول يقال لهم « المجاهدون في سبيل الله والغزاة في أعداء الله » ويتبرك بدعائهم^(١) .

ولما آلت مصر الى المماليك عملوا جاهدين على استعادة مكانة الأسطول الى ما كانت عليه أيام صلاح الدين ، فقد أولاه الملك الظاهر بيبرس الكثير من اهتمامه ، عندما استولى على العرش عام ١٢٦٠ م . فقد عول على تكوين قوة بحرية يستعين

(١) المقرئى : ج ٢ ص ١٩٤ .

بها على صد هجوم المغول الذين كان يغيرون على شواطئ الشام . وقد لاقى
بيبرس في سبيل تجهيز الأسطول صعوبات جمة يرجع معظمها الى كراهية أفراد
الشعب للحروب البحرية ، التي كانوا في أواخر الدولة الأيوبية يرغمون عليها ، هذا
من ناحية ومن ناحية أخرى الى سوء معاملة الدولة لبحارة الأسطول من الناحيتين
المادية والاجتماعية . ويقول المقرئى (١) في هذا الصدد « لما كانت أيام السلطان
الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى ، نظر في أمر الشوانى الحربية واستدعى
رجال الأسطول ، وكان الأمراء قد استعملوهم في الحرائق وغيرها . وندبهم للسفر
وأمر بمد الشوانى وقطع الأخشاب لعمارتها واقامتها على ما كانت عليه في أيام الملك
الصالح نجم الدين أيوب ، وأحرز على الخراج ومنع الناس من التصرف في الأخشاب
وتقدم بعمارة الشوانى في ثغرى الاسكندرية ودمياط وصار ينزل بنفسه الى الصناعة
بمصر ويرتب ما يجب ترتيبه من عمل الشوانى ومصالحها . واستدعى شوانى الثغور
الى مصر ، فبلغت زيادة على أربعين قطعة سوى الحرائق والطرائد ، فانها كانت
عدة كثيرة » .

وقد استطاع الظاهر بيبرس بعد ذلك من التوجه الى المغول فالتقى بهم عند
سواحل يافا وأنطاكية فشنت شملهم وقضى عليهم قضاء مبرما حتى صارت المدينتان
أطلالا بالية ، ولم تقم للمغول قائمة بعد ذلك على الاطلاق في بلاد الشام . بعد ذلك
وجه بيبرس اهتمامه للقضاء على الصليبيين ، فجهز أسطولا من أربعين قطعة حربية
سيرها لمحاربة جزيرة قبرص سنة ١٢٧٠ م ، غير ان هذه الحملة باءت بالفشل ،
اذ تحطم معظم قطعها أمام ثغر ليماسول (٢) .

على أن هذه الهزيمة لم تقل من عزيمة بيبرس ، فقد بادر بمجرد عودته لمصر بإنشاء
أسطول آخر ليعاود به الكرة على الصليبيين ، وقد جاء في وصف غزوة بيبرس
لقبرص للمقرئى (٣) ما يلى : « وكان ذلك في شوال سنة تسع وستين وستمائه (٤)

(١) المقرئى : ج ٢ ص ١٩٤ .

(٢) Lane-Poole : Egypt in the Middle Ages, P. 358.

(٣) المقرئى : ج ٢ ص ١٩٤ .

(٤) توافق سنة ١٢٧١ .

ثم سارت تريد قبرص ، وقد عمل ابن حسون رئيس الشوانى فى أعلامها الصلبان ، يريد بذلك انها كانت تخفى اذا عبرت البحر على الفرنج ، حتى تطرقهم على غفلة ، فكره الناس منه ذلك ، فلما قاربت قبرص تقدم ابن حسون فى الليل ليهجم على الميناء فصدم الشونة المقدمة شعبا فانكسرت وتبعها بقية الشوانى فتكسرت الشوانى كلها . وعلم بذلك متملك قبرص فأسر كل من فيها وأحاط بما معهم وكتب الى السلطان يقرعه ويوبخه وان شوانيه قد تكسرت وأخذ ما فيها وعدتها احدى عشرة شونة وأسر رجالها ، فحمد السلطان الله تعالى وقال « الحمد لله منذ ملكنى الله تعالى ما خذل لى عسكريا ولا ذلت لى راية ، وما زلت أخشى العين فالحمد لله تعالى بهذا ولا حمد لغيره ، ثم أمر بإنشاء عشرين شونة ، وأحضر خمس شوانى كانت على مدينة قوص من صعيد مصر ولزم الركوب الى صناعة العمارة بمصر كل يوم فى مدة شهر المحرم سنة سبعين (١) وستمائة الى أن تنجزت ، فلما كان فى نصف المحرم سنة احدى وسبعين وستمائة (٢) زاد النيل حتى لعبت الشوانى بين يديه فكان يوما مشهودا (٣) وبعد أن تم اعداد أسطول آخر ، توفى الظاهر بيبرس سنة ١٢٧٧ م قبل أن يحقق أمنيته بغزو قبرص مرة ثانية .

ومن الأحداث الهامة فى تاريخ العالم عامة والمسلمين خاصة ، انتصار الأسطول المصرى على الصليبيين سنة ١٢٩١ م واخراجهم من آخر معاقلهم فى عكا وتطهير بلاد الشام من آخر فلولهم ، بعد أن بقوا فى تلك البقعة العزيزة من الوطن العربى قرابة قرنين من الزمان ، يرسلون الحملة تلو الأخرى حتى قبض الله لها من أبناء مصر وملوكها وجيوشها وأساطيلها من أخرجهم منها مكسورين مدحورين . فقد وصلت الى عكا سنة ١٢٩٠م الحملة الايطالية التى تبعها البندقية ، ولم تكد أرجل الصليبيين تخطأ أرض عكا ، حتى أرادوا أن يعبروا عن حماستهم الدينية ، فهاجموا الفلاحين ، ثم ذبحوا كل من كان بداخل عكا من تجار المسلمين الذين كانوا قد قصدوا اليها فى ظل الأمان المعطى لهم بعد عقد الصلح بين قلاوون والصليبيين . ولم يسلم السريان

(١) يوافق أغسطس سنة ١٢٧١ .

(٢) يوافق يولية سنة ١٢٧٢ .

(٣) المقرئى : ج ٢ ص ١٩٤ .

المسيحيون من أيدي أولئك الايطاليين ، اذا اختلط عليهم الأمر وحسبهم مسلمين (١) . ولما أفاق الصليبيون من غفوتهم ، وخشوا عاقبة ما فعله أولئك الصليبيون الجدد أرسلوا الى السلطان قلاوون يعتذرون عما حدث ويعدون بمعاقبة المذنبين (٢) . ولكن السلطان رفض الاعتذار وأخذ يعد العدة للانتقام ، وأعلن الحرب على الصليبيين . ولم يكد قلاوون يفرغ من كافة الاستعدادات الحربية ويغادر القاهرة فعلا لحرب الصليبيين بالشام حتى وافته المنية سنة ١٢٩٠ م . وخلف السلطان الأشرف خليل بن قلاوون والده في حكم مصر ، وصمم على أن ينفذ مشروع أبيه الخاص بالاستيلاء على عكا (٣) . وحاول الصليبيون اعاقا السلطان خليل عن مهاجمة عكا ، فأرسلوا له سفارة « يسألون العفو » ولكن السلطان لم يقبل منهم ما اعتذروا به ، وبذلك لم يعد هناك مفر من القتال . ولم يكد السلطان خليل يصل الى عكا ويفرض حصاره عليها حتى أخذت قواته في مهاجمة أسوار المدينة وضربها بالمجانيق الكبار التي كان « منها ما يرمى بقنطار دمشقى وأكبر » وبذلك أحدثوا عدة ثغرات بسور المدينة (٤) . وكان على الصليبيين أن يبذلوا طاقة جهدهم للدفاع عن عكا وانقاذها من السقوط ، لذلك فقد حضر هنرى الثانى ملك قبرص الى عكا على رأس جيش مكون من مائتين من الفرسان وخمسمائة من المشاة وقدر كبير من المؤن والامدادات ، ففرخ الصليبيون بقدومه فرحا شديدا وتشجعوا على الثبات والمقاومة . وقد حاول هنرى الثانى بمجرد وصوله الى عكا التفاهم سلميا مع السلطان خليل بن قلاوون ، ولكن السلطان واجه الرسل قائلا : « ألم تحضروا مفاتيح المدينة معكم ؟ » ولم يكتف بهذا بل وعد الصليبيين اذا استسلموا دون قتال أن يأمن خروجهم جميعا من عكا ومعهم أموالهم (٥) . ثم ركز المسلمون هجماتهم على القلعة التي كان يدافع عنها الملك هنرى الثانى ، فانهارت وتسلمها المماليك ،

(١) مفضل ابن أبى الفضائل : النهج السديد ج ٢ ص ٣٨٦ .

(٢) Runciman : A History of the Crusades, vol. III, P. 410.

(٣) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧٥٧ .

(٤) أبو المحاسن : ج ٨ ص ٦ .

(٥) Grousset : Histoire de Croisades et du Royaume. P. 212

ثم استطاعت قوات السلطان خليل اقتحام المدينة رغم المقاومة العنيدة التي أبدتها مقدم الداوية ، وقائد الاستتارية ، حتى خر كلاهما قتيلا في المعركة^(١) . وهكذا أصبح الصليبيون بدون قائد أو نصير ، فالمسلمون أمامهم والأسطول المصري في البحر من ورائهم ، فهرعوا الى السفن فارين بأرواحهم ، ولما كانت السفن الباقية في ميناء عكا قليلة ، فقد غرق معظمها لكثرة من ركبها من طلاب النجاة . أما باقى الصليبيين فقد وقعوا أسرى في يد المسلمين وكان ذلك في ٢٨ مايو عام ١٢٩٢ «^(٢) .

وقد وصف المقرئى الأسطول المصرى فى عهد السلطان الأشرف خليل ابن قلاوون قال : وفى سنة اثنتين وتسعين وستمئة^(٣) تقدم السلطان الملك الأشرف الى الوزير صاحب شمس الدين محمد بن السلجوسى بتجهيز أمر الشوانى ، فنزل الى الصناعة واستدعى الرئيس وهيا جميع ما تحتاج اليه الشوانى ، حتى كملت عدتها نحو ستين شونة وشحنها بالعدد وآلات الحرب ورتب بها عدة من المماليك السلطانية وألبسهم السلاح . فأقبل الناس لمشاهدتهم من كل أوب قبل ركوب السلطان بثلاثة أيام ، وصنعوا لهم قصورا من الخشب وأخصاص القش على شاطئ النيل خارج مدينة مصر وبالروضة ، واكثروا الساحات التى قدام الدور والزرابى بمائتى درهم كل زريبة فما دونها بحيث لم يبق بيت بالقاهرة ومصر الا خرج أهله أو بعضهم لرؤية ذلك فصار جمعا عظيما . وركب السلطان من قلعة الجبل وقد ملأوا ما بين المقياس^(٤) الى بستان^(٥) الخشاب الى بولاق ، ووقف السلطان ونائبه الأمير بيدر وبقية الأمراء قدام دار النحاس ومنع الحجاب من التعرض لطرده العامة ، فبرزت الشوانى واحدة بعد واحدة وقد عمل فى كل شونة برج تحاصر والقتال عليها ملح والنفط يرمى عليها وعدة من النقاين فى أعمال الحيلة فى النقب وما منهم الا من أظهر فى شوته عملا معجبا وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه ، وتقدم ابن موسى الراعى

(١) أبو الفدا : المختصر : حوادث عام ٦٩٠ هـ ، Franc de Jerusalem, vol. III, P. 755 .

(٢) Setton : A History of the Crusades, vol II, P 595 .

(٣) المقرئى ج ٢ ص ١٩٥ .

(٤) المقياس : مقياس النيل فى نهاية جزيرة الروضة .

(٥) بستان الخشاب : مكانه الآن نحي جاردن سينى .

وهو في مركب نيلية فقراً قوله تعالى « بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم » ثم تلاها بقراءة قوله تعالى « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء » الى آخر الآية . هذا والشوانى تتواصل بمحاربة بعضها بعضا الى أن أذن لصلاة الظهر فمضى السلطان بعساكره عائدا الى القلعة . فأقام الناس بقية يومهم وتلك الليلة على ما هم عليه من اللهو في اجتماعهم وكان شيئا يعجل وصفه وأنفق فيه مال لا يعد بحيث بلغت أجره المركب في هذا اليوم ستمائة درهم فما دونها ، وكان الرجل الواحد يؤخذ منه أجره ركوبه في المراكب خمسة دراهم ، وحصل لعدة من النواتية أجره مراكبهم عن سنة في هذا اليوم ، وكان الخبز يباع اثنا عشر رطلا بدرهم فلكثرة اجتماع الناس بمصر بيع سبعة أرطال بدرهم ، فبلغ خبر الشوانى الى بلاد الفرنج فبعثوا رسلهم بالهدايا يطلبون الصلح .

لما قضى السلطان خليل على آخر فلول الصليبيين في عكا سنة ١٢٩٢ م ، قصدت تلك الفلول الى جزيرة ارواد واتخذوها مقرا لهم وبنوا لهم فيها حصونا وأحاطوها بأسوار ضخمة يتحصنون بها من الغزاة . ومن جزيرة ارواد أخذوا يشنون غاراتهم الخاطفة على سكان المدن الساحلية ببلاد الشام ، ويقطعون الطريق على السابلة مما هدد أمن وسلامة السكان ، الأمر الذى جعل نائب هذا الساحل يستغيث بالسلطان . وما كاد السلطان الناصر محمد يعلم بأمر هذه الاستغاثة حتى بادر بتجهيز الأسطول المصرى وعين لقيادته أمير البحر سيف الدين كهرداش الزراق المنصورى ، وزود الشوانى بالسلاح والنفط . وأقلعت المراكب من الشواطىء المصرية سنة ١٣٠٢ م / ٧٠٢ هـ وسارت الى ميناء طرابلس حيث انضمت اليها بعض السفن الراسية هناك ، فحاصرت القوات البحرية والبرية جزيرة ارواد وقضت على الصليبيين المقيمين بها قضاء مبرما بعد أن هدم الأسطول المصرى أسوارها وحصنها بقوة نيرانه ومجانيقه . وامتلك الناصر محمد الجزيرة بعد أن قتل من أهلها نحو ألف وأسر نحو خمسمائة . وقد يكون من المفيد أن ننقل هنا وصف المقريزى (١) للأسطول الذى غزا ارواد . « وفى المحرم سنة ٧٠٢ هـ تنجرت عمارة الشوانى

(١) المقريزى : السلوك ج ١ ص ٩٢٨ ، المقريزى الخطط ج ٢ ص ١٩٥ .

وجُهزت بالمقاتلة والآلات مع الأمير جمال الدين آقوش القارى العلانى والى البهنسا، واجتمع الناس لمشاهدة لعبهم فى البحر ، فركب آقوش فى الشينى الكبير وانحدر تجاه المقياس . وبرزت الشوانى للعب كأنها فى الحرب ، فلعب الأول والثانى والثالث وأعجب الناس بذلك اعجابا زائدا لكثرة ما كان فيها من المقاتلة والنفوط وآلات الحرب . ثم تقدم الرابع وفيه آقوش ثم عاد السلطان والأمراء الى القلعة وانقض الجمع . وبعد ثلاثة أيام أخرج الشينى ندب الأمير سيف الدين كهرداش الزراق المنصورى للسفر عن آقوش القارى فسافر الى طرابلس بالشوانى واستجد منها ستين مقاتلا من الممالك سوى البحرية والمطوعة » .

أما عن النظام الذى اتبعته مصر فى العصر المملوكى مع أسرى الحرب ، فيشهد بصدق على ما كانت عليه مصر من تقدم اجتماعى وانسانى ، فى ذلك الوقت الذى كان الغرب يعامل الأسرى وخاصة المسلمين منهم بوحشية يتبرأ منها وحوش الغابة . فقد جاء فى المقرئى (١) انه عندما تضع الحرب أوزارها تحصى الغنائم والأسرى فكان كل أمير يستولى على غنيمة عدا الأسلحة فانها كانت كلها تؤول الى السلطان ، وليس للجنود أو لقوادهم أن يأخذوا شيئا منها الا باذنه . أما الأسرى فكانوا من نصيب السلطان الذى كان يأخذ منهم ما شاء لنفسه ويأمر بتوزيع ما بقى من النساء والعلماء على الأمراء . أما الرجال فقد كان السلطان لا يتصرف فى أمرهم بشيء الا بعد معرفة مراتبهم ومكائنتهم بين أهلهم فمن كان منهم ذو مقام خاص طلبت منه الفدية ، وأخلى سبيله بعد أدائه المبلغ المقرر . أما من كان منهم من العامة ولا ينتظر منه فدية ، فكان يرسل الى معتقلات خاصة بالأسرى أو يوزع على الأمراء . ويتحدث المقرئى عن معاملة السلطان الناصر محمد للأسرى بالحسنى فيقول « ان السلطان الناصر لما عاد الى السلطنة الثالثة ، صار يتحدث بنفسه فى الجليل من الأمور والحقير ، يستجلب خاطر كل أحد صغيرا أو كبيرا ولا سيما حواشيه . فلذلك عظمت حاشية المملكة وأتباع السلطنة وتخولوا فى النعم الجزيلة حتى الخولة والكلابزة والأسرى من الأرمن والفرنج » .

(١) المخطوط ج ٢ ص ٣٠١ .

وقد ترتب على استيلاء المسلمين على عكا سنة ١٢٩٢م نتائج بالغة الأهمية بالنسبة لجزيرة قبرص ذلك أنها كانت ، قبل سقوط عكا ، معقلا هاما من معاقل الصليبيين في الشرق ثم غدت بعد عام ١٢٩٢م المركز الرئيسى للصليبيين في الشرق الأدنى وأصبح الصراع بين ملوكها وبين سلاطين المماليك مباشرا دون وساطة (١) .

فقد انتهز الملك بطرس الأول لوزجنان (٢) ، فترة عدم الاستقرار التى سادت مصر بسبب صغر السلطان الأشرف زين الدين أبو المعالى شعبان وهاجم مدينة الاسكندرية سنة ١٣٦٥ م فى يوم الجمعة والمسلمون بالمساجد . ولم يلبث أن انتشر الصليبيون فى أرجاء الاسكندرية فاستولى الذعر على الأهالى وفروا تاركين المدينة بما فيها للفرنج حتى ضاقت الأبواب على الفارين لكثرتهم وهلك منهم مئات من شدة الزحام (٣) . وفى وسط تلك الطامة افترص (٤) العربان الفرصة للنهب والسلب فوقع السكندريون بين نارين وتشتتوا فى الحقول والقرى المجاورة للاسكندرية حيث ساءت حالهم بسبب نقص الطعام وعدوان العربان . أما ملك قبرص فيقول النويرى (٥) « انه دخل الاسكندرية باطمئنان (فاستلم الناس بالسيف) أما جنوده فقد نهبوا الحوانيت والفنادق وأحرقوا القصور والخانات ، واعتدوا على النساء والبنات وخربوا المساجد والمدارس وقتلوا كل من صادفوه فى الشوارع والبيوت . ويقول ابن حبيب (٦) انه بلغ من وحشية الصليبيين فى تلك الحملة انهم كانوا يقتلون المرأة بعد أن يذبحوا ابنها على صدرها .

وقد استبدل الصليبيون على أماكن الثروة ودور الأغنياء من الفرنجة المقيمين بالشعر الذين دلوهم على الخبايا والمكنونات فنهبوها .

(١) سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٥٣ .

(٢) Machant: La Prise de l'Alexandrie ou Chronique de roi Pierre Lusignan, P. 61

(٣) المقرئى : السلوك ج ٤ ص ٣٤٧ .

(٤) النويرى : الإمام بما جرت به الأحكام ج ١ ص ٣١٨ (مخطوط) .

(٥) النويرى : ج ١ ص ٣٢٦ ، إل ٣٣٥ .

(٦) ابن حبيب : درة الأسلاك فى دولة الأتراك ج ٣ ورقة ١٣ ب (من الحركة الصليبية

ص ١٢٢٦) .

ويقول المقرئى (١) : وبعد أن أتى الصليبيون على كل ما بالاسكندرية من صامت وناطق أسرعوا بالرحيل عن المدينة خوفا من اقتراب جيش المماليك». والحقيقة انه على الرغم من كثرة الغنائم التي غنمها الصليبيون من الاسكندرية من حملتهم سنة ١٣٦٥ م ، فانها تعتبر حملة فاشلة من حيث انها لم تستطع الاحتفاظ بالشعر ، فهي أشبه ما تكون بغزوات قرصان البحار ، أما عن الملك بطرس فأحسن وصف قيل فيه « انه دخلها لصا وخرج منها لصا » (٢) .

لم يستطع المماليك أن يغفروا للقبارصة ما حل بالاسكندرية على أيديهم سنة ١٣٦٥ م وأخذوا يترقبون الفرصة المواتية للانتقام ، فقد أمر يلغا الخاصكى ببناء المراكب والسفن ، كما أرسل الى الشام يأمر بتشغيل كل من يعرف أن يمسك منشارا في قطع الأخشاب وبناء السفن ، برسم غزو قبرص (٣) . وحانت فرصة الانتقام عندما وردت الأخبار سنة ١٤٢٣ م بأن الفرنج أخذوا مركبين من مراكب المسلمين قرب دمياط فيها بضائع كثيرة وعدة من الناس يزيدون على مائة رجل ، وبأن ملك قبرص (جانوس) استولى على سفينة محملة بالهدايا مرسلة من برسباى الى السلطان مراد العثمانى (٤) فأرسل السلطان أشرف برسباى ثلاث حملات لتأديب القبارصة الأولى سنة ١٤٢٤ م كانت حملة استكشافية ، أحرقت عدة سفن للقبارصة وأغارت على ليماسول وأحرقت جانبا من مبانيها ثم عادت الى مصر بعد شهرين ومعها عدد كبير من الأسرى وقدر ضخيم من الغنائم (٥) .

وكانت الحملة الثانية سنة ١٤٢٥ اتجهت أولا الى بيروت وطرابلس ثم الى قبرص حيث وصلت الى ميناء قرباص على الشاطئ الشمالى الشرقى للجزيرة ومنها سارت حتى وصلت فاما جوستا فى الشرق حيث نزل الفرسان والمشاة الى البر ، وما كاد الخبر يصل الى حاكم المدينة حتى أسرع بازسال سفارة الى قائد الأسطول

(١) المقرئى : السلوك ج ٤ ص ٤٧ .

(٢) النويرى : الإلمام ج ١ ص ٥١٦ .

(٣) الميى : عقد الجمان ج ٢٤ ورقة ١٣٩ (مخطوط) عن (الحركة الصليبية ص ١٢٢٨) .

(٤) خليل بن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص ١٣٨ .

(٥) المقرئى : السلوك ج ٤ ص ٣٦٣ (مخطوط الحركة الصليبية ص ١٢٢٩) .

يطلب الأمان ويخبره بدخوله في طاعة السلطان ، ويقول انه مملوك السلطان وان المدينة مدينته ، فأعطاه القائد الأمان بعد أن رفعت راية مصر على المدينة . ومكث المصريون أربعة أيام في فاما جوستا شنوا فيها الغارات على الضياع المجاورة وأوسعوها نهبا وأسرا وتحريقا ، ثم أقبلوا ناحية الملاحة حيث دارت معارك بين المسلمين والقبارصة قتل فيها كثير من الفرنج بعد أن حلت بهم الهزيمة . ثم توجه الأسطول الى ليماسول فاستولى على قلعتها وهدم وحرق جزءا كبيرا منها ، كما رفعوا الراية السلطانية على المدينة (١) ، ثم عادوا الى القاهرة .

واكن السلطان برسباي لم يقتنع بحملات السلب والنهب والتحريق ، لأنه لا يريد أن يقال عنه كما قيل في بطرس لوزجنان من انه فعل فعل اللصوص لا الملوك ، لأن الملوك اذا ملكوا بلدا صمدوا فيه ودافعوا عنه » (٢) .

لذلك أرسل برسباي حملة ثالثة ضد قبرص عام ١٤٢٦ م فوصل الأسطول قرب ليماسول فهاجموا المدينة واستولوا عليها ، ثم أخذوا يزحفون الى داخل الجزيرة حيث قابل جانوس ملك قبرص في خمسة آلاف فارس ، وسبعة آلاف راجل (٣) ، ودارت بين الفريقين معركة فاصلة بالقرب من خيروكينا ، انهزم فيها القبارصة هزيمة منكرة . وقتل منهم جمع كثير وفر الباقي « وأسنة الرماح تطعن أعضاءهم فصارت كثرتهم قلة وقوتهم ضعفا » وكان من جملة الأسرى جانوس نفسه (٤) ثم دخل المصريون العاصمة نيقوسيا فنهبوا جانبها منها ، ثم صلوا الجمعة في كنيسة المدينة بعد أن أذنوا للصلاة في أبراجها (٥) . فتقدم الأمراء والقسس والرهبان حاملين الأنجيل طالبين الأمان ، فأمنهم المصريون ونادوا في أنحاء الجزيرة بأن قبرص « صارت من جملة بلاد السلطان الملك الأشرف برسباي » (٦) .

(١) خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١٤١ .

(٢) النويري : الإسلام ج ١ ص ١٦٥ (مخطوط) .

(٣) ابن حجر : أبناء الفمر ج ٢ ص ١١١ .

(٤) المرجع السابق ص ١١٢ .

(٥) ابن حجر : ج ٢ ص ١١٢ .

(٦) العيني : عقد الجمان ج ٢٥ ورقة (٥٨٣) .

وعاد الأسطول الى مصر وهو محمل بالأسرى والغنائم ، فقد بلغ عدد الأسرى أكثر من ثلاثة آلاف أسير على رأسهم ملك قبرص جانوس ، وشقوا القاهرة في موكب حافل والغنائم على رؤوس الجمالين وظهور البغال والأسرى ، وفي ذيل الأسرى سار الملك جانوس ممتطيا (بغلا أعرج) وهو مقيد بالقيود الحديدية (١) ، وعندما وصل الموكب باب القلعة ، أنزل جانوس عن مطيته فكشف رأسه وخر على الأرض فقبلها ثم دخل على السلطان فقبل الأرض مرة أخرى ، وبعد ذلك سجن في أحد أبراج القلعة (٢) .

وهكذا انتقم الماليك لما حل للاسكندرية على يد القبارصة سنة ١٣٦٥ م ، ولم يفرج عن الملك جانوس الا بعد أن دفع فدية قدرها مائتا ألف دينار ، أما قبرص فقد ظلت تابعة لسلطنة الماليك وأصبح جانوس نائبا عن السلطان في حكمها ، حتى بعد أن عادت قبرص الى البنادقة فانها استمرت تدفع الجزية المفروضة عليها وترسلها للقاهرة حتى سنة ١٥١٧ م (٣) .

بعد أن طرد الصليبيون الى غير رجعة من بلاد الشام ، انتقلت جيوب لهم في مراكز ثلاثة ، الأول دولة أرمنية في قليقية ، أما المركز الثاني ففي قبرص ، والمركز الثالث دولة الفرسان الاسبتارية (٤) في جزيرة رودس . وقد أخذت هذه المراكز على عاتقها مهمة استئناف محاربة المسلمين سياسيا واقتصاديا وحربيا ، وقد رأينا كيف أخضع الأسطول المصري دولة لوزجنان بقبرص سنة ١٤٢٦ م ، كما أسقط الماليك مملكة أرمنية سنة ١٣٧٤ م ، وبذلك لم يبق سوى دولة الفرسان الاسبتارية في رودس . ولما أحس فرسان الاسبتارية بالخطر من نجاح الماليك في فتح قبرص ، أسرعوا الى تقديم الهدايا الى السلطان بالقاهرة ، وعرضوا عليه عقد معاهدة صداقة وعدم اعتداء ، ولكن ذلك لم يجد مع الماليك فتىلا ، ذلك انهم تأكدوا من أن غارات القراصنة على الشواطئ المصرية التي بدأت عقب الاستيلاء على قبرص سنة ١٤٢٦ م

(١) أبو المحاسن : ج ٦ ص ٦١٢ .

(٢) المقریزی : السلوك ج ٤ ورقة ٣٧٥ (مخطوط) .

(٣) Stubbs : Seventeen Lectures on the Study of Mid, & Modern History, P. 233.

(٤) Delaville le Roulx : Les Hospitaliers en Terre Sainte et à Chypre, P. 273.

كانت تتخذ من جزيرة رودس قاعدة لها . ومن هذه الغارات ، واحدة اتجهت الى رشيد ودخلت فرع النيل ، وكان عدد سفنها أربعة ، وبعد أن نهبت ودمرت عادت أدراجها مما أثار حنق ^(١) السلطان جقمق ، وأقسم ليقضين على وكر هؤلاء القراصنة في جزيرة رودس .

هذا بالإضافة الى أن السلطان مراد الثاني العثماني لما سمع بمحاولات ضم الاستبارية في رودس الى الحلف المسيحي الكبير الذي أوشك أن يتكون في أوروبا لشن حرب صليبية كبرى ضد العثمانيين المسلمين ، قام السلطان العثماني بتحريض جقمق سلطان مصر على غزو رودس ليشغل الاستبارية عن الانضمام لذلك الحلف ^(٢) ، هذا بالإضافة الى أن مراد الثاني كان يرى ان من مصلحة بلاده اشتباك مصر ورودس في صراع يضعفهما .

ولما علم فرسان الاستبارية بما اتواه سلطان مصر من غزو جزيرتهم أرادوا أن يتعرفوا مدى استعداد الأسطول المصري ، فأرسلوا سفينتين لكشف أخبار السواحل . وهاجمت السفينتان في أثناء عملية الكشف سفينة دمياطية ، ثم كرتا عائدتين الى رودس لتبلغا الفرسان أن يستعدوا لاغارة الأسطول المصري ، فجهزوا ثمانية غلايين وأربعة شواني وجملة من النقالات مزودة برجالها وباتت رودس على أهبة الدفاع .

وفي سنة ١٤٤٠ م أقلع الأسطول المصري عن ساحل بولاق وكان يتكون من خمس عشرة سفينة من نوع الغراب ، عليها مائتان من الجند بقيادة الأمير ابن تغرى برمش السلاح دار ، ويونس المحمودي أمير آخور ^(٣) . كما انضم الى تلك القوة ألف متطوع من أهالي القاهرة ودمياط ، ثم اتجه الأسطول المصري أولا نحو جزيرة قبرص حيث أمده ملكها حنا الثاني بالموثون ثم توجه الى الغلايا بالساحل الجنوبي لآسيا الصغرى حيث انضم اليه سفينتان وبعض الجنود وما كاد الأسطول المصري

(١) Wiet : L'Egypte Arabe, P 582.

(٢) محمد مصطفى زيادة : المحاولات الحربية للاستيلاء على جزيرة رودس .

(٣) أمير آخور : رئيس الاصطبلات والبريد .

يرسو بالقرب من الرأس الرملية بأقصى شمال الجزيرة حتى هاجمه على حين غرة عشر سفن رودسية فاضطرت السفن المصرية الى الابحار في غسق الليل والروديسيون يتعقبونها . وفي اليوم التالي وقعت بين الفريقين معركة بحرية أخرى غير حاسمة على مقربة من ساحل آسيا الصغرى ، عاد بعدها الأسطول المصرى الى دمياط دون أن يحقق ما عقد عليه من الآمال .

على أن فشل الحملة الأولى لم يثن عزم السلطان جقمق عن اعداد حملة ثانية أشد بأسا وأوفر رجالا ، فأمر باصلاح السفن القديمة وبانشاء سفن جديدة باللغة النفقات ما بلغت . وفي سنة ١٤٤٣ م أقلع الأسطول المصرى من دمياط بقيادة الأمير اينال العلائى وقد ضم ١٠٠٠ جندى عدا المتطوعين ، ولكن بمجرد أن وصل الأسطول المصرى الى الشواطىء السورية واذا برياح صرصر عاتية تفرق شمله ، فذهبت بعض سفنه الى بيروت والبعض الآخر لجأ الى طرابلس الى أن اجتمعت كلها قبالة ثغر ليماسول بمياه جزيرة قبرص ، ورجع الأسطول الى مصر بعد أن شتت الرياح شمل وحداته . فوصل بعضها الى دمياط وبعضها الى الاسكندرية والبعض الآخر الى رشيد ولم يلتئم جمعها الا على ساحل بولاق ، وهكذا باءت الحملة الثانية على رودس بالفشل .

ولم يقنع جقمق بفشل الحملتين السابقتين ، بل أخذ يستعد لحملة ثالثة فعين الأمير تمرباى مقدم الحلقة قائدا للأموال البحرية فى حين عهد الى الأمير اينال الأجرود بالأموال البرية ، وفى عام ١٤٤٤ م صدرت الأوامر السلطانية الى أمراء البحر لاجتماع النقلات من الاسكندرية ودمياط لنقل الجند من ساحل بولاق . ورحل الأسطول من دمياط متجها الى طرابلس حيث انضمت اليه بعض القوات السورية وأبحرت جميعها نحو جزيرة رودس ، وبمجرد وصولها حاصرت العاصمة رودى . وهناك أقام الجنود على وجه السرعة آلات الحصار ونصبوا الخيام على مقربة من كنيسة القديس أنطون ، أكبر كنائس الجزيرة فى حين احتل بعضهم احدى الروابى العالية للاشراف منها على تطورات الموقف . وفى تلك الأثناء جاءت نجدة من بعض سفن البرجنديين وكالتولنيا وانضموا الى قوات الروديسيين ، وتقابل الفريقان ودارت بينهما معركة

حامية الوطيس قتل فيها ثلثمائة جندي وجرح خمسمائة ، مما اضطر الأسطول المصرى الى سرعة العودة الى مصر تاركا وراءه المؤن والمتاع والأسرى ، ويقول فى ذلك السخاوى (١) : « انه لم يتم للعسكر قصد ولا رجعوا بطائل ولهذا فترت همتهم عن الجهاد فى تلك المدة لهذه الجهة والله عاقبة الأمور » .

ومنذ ذلك الحين أخذت العلاقات بين المماليك فى مصر والشام وبين الاستتارية فى رودس تتأرجح بين الصداقة حينا والعداء أحيانا ، ولم يحجم الاستتارية فى كثير من الأحيان عن الاغارة على سفن المسلمين كما حدث عام ١٥١٠ م ، فرد عليهم السلطان الغورى بالقبض على جميع رجال الدين فى القدس والفرنجية فى الاسكندرية ودمياط ، وأغلق كنيسة القيامة . ولم يلبث العثمانيون (٢) أن استولوا على دولة المماليك سنة ١٥١٧ م كما قضوا على الفرسان الاستتارية فى رودس سنة ١٥٢٠ م .

وكما دافع الأسطول المصرى عن استقلال الدولة المملوكية فى مصر والشام سياسيا كذلك وقع عليه العبء الأكبر فى الدفاع عن استقلالها الاقتصادى ، ذلك انه لم يكن للسفن القادمة بتجارة الهند والشرق الأقصى الا طريق البحر الأبيض المتوسط ، فكانت البضائع تنقل برا من الخليج الفارسى الى الاسكندرونة ، أو من البحر الأحمر الى الاسكندرية ، ومن هذين الشغرين تنقل بطريق البحر الأبيض المتوسط الى البندقية وجنوه حيث توزع منهما الى باقى أنحاء أوروبا . وبذا أصبحت تجارة الشرق الأقصى والهند تمر لا محالة من أراضى الدولة المملوكية ، سواء أنقلت عن طريق الخليج الفارسى أم عن طريق البحر الأحمر ، فقد كانت مصر والشام خاضعتين لسلطانهم ، فانتفع المماليك بهذه الطرق التجارية أيما انتفاع ، فضربوا المكوس الكبيرة على التجارة الداخلية الى أملاكهم والخارجة منها ، فعاد ذلك عليهم بأرباح باهظة اعتمدوا عليها فى دخلهم القومى . كما ان تجارة الشرق الأقصى عادت بالربح الوفير على ثغرى جنوة والبندقية اللتين اشتهرتا بالملاحة فى البحر الأبيض المتوسط ، ولا سيما الأخيرة منهما فان تجارها نالوا لدى سلاطين المماليك حظوة كبيرة وصلت بهم فى آخر الأمر الى احتكار نقل هذه التجارة العظيمة .

(١) السخاوى : التبر المسبوك فى ذيل السلوك ص ٨٧ .

(٢) ابراهيم طرخان : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١١٤ .

وقد أثارت الأرباح الطائلة التي اختص بها المصريون والبنادقة من تجارة الشرق الحقد والحسد في الممالك الأوروبية مما دفعهم الى التفكير في ايجاد طريق آخر لهذه التجارة ، وقد ساعدهم على ذلك النهضة العلمية التي وصلت أوروبا بعد فتح مدينة القسطنطينية . وكان أول من فكر في ايجاد طريق آخر البرتغال عندما تولى عرشها الملك هنري الشهير بهنري الملاح (Henri le Navigateur) الذي رأى أن يصل الهند عن طريق غرب أفريقية بدلا من شرقها ، فأرسل لهذا الغرض بعوثا بحرية الواحدة تلو الأخرى حتى استطاع الملاح البرتغالي الشهير برثلوميودياز (Barthélemy Diaz) أن يصل الى جنوب أفريقية حتى وصل الى خليج (الاجوا) وأطلق عليه اسم « رأس الزوابع » لهول ما لقيه في السير حوله . وتابعت الأسبان حركة الاستكشافات العظيمة التي بدأت في عهد الملك هنري الملاح فقد اكتشف كريستوف كولمب (Christophe Colomb) بفضل مساعدة ملك الأسبان له ، جزائر الهند الغربية وفي عهد الملك ايمانويل البرتغالي واصل الملاح العظيم فاسكو دي جاما (Vasco de Gama) بمساعدة البحار العربي القدير (ابن ماجد) مواصلة اكتشافات برثلوميودياز فوصل الى رأس الزوابع وسماه تفاؤلا « رأس الرجاء الصالح » وبعد أن كابد مصاعب جمة في السير حوله لشدة الرياح الشرقية ، استطاع التغلب عليه بفضل خبرة دليله البحار العربي ابن ماجد ، الذي كان يسترشد بكتاب (رهماني) الذي وضعه البحارة العرب الأول في علم البحار ، ليصل الى الساحل الشرقي لأفريقية ومنه الى الهند ويصف هايد (١) (Heyd) ، رحلة فاسكو دي جاما الى الهند فيقول : وهبط (ملندة) حيث أخذ ما يلزمه من الزاد واستصحب معه بحارا عربيا يدعى (أحمد بن ماجد) دله على الطريق الى « قليقوت » (Calicut) فوصل اليها فاسكو دي جاما بهداية هذا الدليل في ثلاثة وعشرين يوما في ثلاث مسماريات (٢) بعد انقطاع موسم الهند (٣) . ولم يرحب به في بادئ الأمر ملكها

(١) Heyd W : Histoire du Commerce du Levant au Moyen-Age, P. 157.

(٢) المسارية : اسم للسفينة التي تستعمل فيها المسامير لربط ألواحها (المخصص لابن سيده ، ده زى (Dozy)) أما السفن المستعملة في بحر الهند فتربط ألواحها بالألياف ويطلق عليها كلمة (Jonque) هوو اللفظ الذي استعمله ابن بطوطة فعربه إلى « جنك » وجمعه « أجناك » .

(٣) نسبة إلى الرياح الموسمية التي تهب على الهند والتي يسميها الإفرنج (Mousson) نقلا عن العربية .

الملقب بالسامري (Le Zamorin) بل زاد في تنفيره منه تجار العرب في تلك الجهات اذ أفهموه ان البرتغال ليسوا الا لصوص بحر لا عمل لهم الا السلب والنهب في البحار .

وبعد أن وصلت البرتغال الى هذا الكشف العظيم بدأت ترسل الأساطيل لاستخلاص تجارة الشرق من أيدي الأسطول المصري وتحويلها عن الطريق القديم الى طريق رأس الرجاء الصالح المكتشف حديثا . ففي سنة ١٥٠٠ م أرسل الملك ايمانويل تجريدة بحرية ، خرجت من لشبونة بقيادة الأميرال كابرال (Cabral) الى رأس الزوابع . فتحطم هناك بعض سفنها وتحطم البعض الآخر في المحيط الهندي ، ولم يصل الى قليقوت سوى ست مسماريات نزل منها البرتغال وتحرشوا بالتجار المصريين الذين كانت لهم مكانة ممتازة عند أهل تلك البلاد فحدثت اضطرابات وقلقل ، أمر على أثرها الأميرال كابرال سفنه بضرب مدينة ملبار بالمدافع يومين كاملين موجهة قنابله ونيران مدافعه بصفة خاصة الى السفن التجارية المصرية حتى أغرقها بمن فيها من نساء وأطفال وأقلع عائدا الى بلاده محملا بالغنائم والأسلاب . كذلك أرسل البرتغال سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م القائد فرنسوا دالميدا (François d'Almeida) كما جاء في كتاب « حقائق البحار »^(١) بالأساطيل والرجال وأخضعوا كجرات وسواحل الدكن وجزيرة هرمز الواقعة في فم خليج العجم وأخذت سفنهم تمخر فيما بين البصرة وعدن وتتعدى على كل سفائن مصر والعرب التجارية وتنهبها وتستولي عليها وبذلك انقطع طريق التجارة بين الهند ومصر خصوصا بعد بنائهم قلعة فوتا في ساحل دكن .

ولم تكتف البرتغال بهذا القدر من الانتصارات ولكنها صنمت على القضاء على طريق تجارة الشرق القديم قضاء مبرما ، فأرسلت أسطولا بقيادة فاسكودى جاما سنة ١٥٠٣ مكونا من عشرين مسمارية ونيّف ، رسا به عند جزيرة سقطرى (Socotra) عند باب المندب لمنع دخول الأسطول المصري من بحر الهند ، ولصد السفن التجارية القادمة من الهند الى الموانئ المصرية . وقد تمكنت وحدات الأسطول البرتغالى

(١) إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ص ٣٥ ج ٢ .

من مهاجمة سفينة مصرية قادمة من البحر الأحمر محملة بالبضائع فأسرتها واستولت على ما فيها ، ثم اتجه الأسطول بعد ذلك الى بلاد الملبار ، فالتقى هناك ببعض وحدات الأسطول المصرى التجارى ، العائد الى ميناء السويس بعد شحنها (بالأفاوية) من الهند ، فنهب ما فيها من البضائع وأسر بحارتها وأغرقها وكان بينها مربيان للسلطان قنصوة الغورى ^(١) . ومنذ ذلك الحين تتابع وصول الأساطيل البرتغالية التجارية الى الهند حتى استقرت للبرتغال السيطرة التجارية فى تلك البلاد والسيادة على ما يكتنفها من البحار ، وانحرفت التجارة الدولية عن مصر واتجهت الى البرتغال وبذلك تحول مجرى تجارة الشرق الأقصى من مصر والشام والبحر الأبيض المتوسط الى المحيط الأطلسى حول شواطئ القارة الأفريقية ^(٢) .

وقد جاء فى تاريخ اليمن ^(٣) وصنعاء « ان السلطان (مظفر شاه) ملك كجرات والسلطان (عامر) ملك اليمن أرسلوا الى قنصوة الغورى يطلبان منه المساعدة فأرسل الغورى سنة ٩١٣ هـ خمسين سفينة حربية وجيوشا وافرة تحت قيادة الأمير (حسين الكردي) أحد أمراء مصر لمطاردة سفن البرتغال التى كان يقودها ألفونسو الميدا . وبعد وقائع عادت سفن مصر بعد أن فقدت جملة سفائن ، ثم التزم الأمير حسين بالعودة مارا على جدة وصادر عدة من تجارتها وأظهر لأهلها القسوة والظلم وأخذ منهم أموالا طائلة ليعوض بها على نفسه ما أضاعه أمام سفن البرتغال ، عامله الله بما يستحقه » .

وازاء خطر البرتغال الداهم اتحد السلطان قنصوة الغورى سرا مع البنادقة ومع السامرى ملك (قليقوت) على أن يعملوا معا على انتزاع السيادة من البرتغال ، ويقول سرهنك فى هذا الصدد « وروى بعض المؤرخين ان البنادقة كانوا يساعدون بسفنهم السفن المصرية فى هذه الغزوة البحرية لأن تحويل البرتغال لتجارة الهند

(١) أحمد زكى باشا : صفحة من تاريخ التجارة المصرية (مجلة المقتطف عدد نوفمبر سنة ١٩١٧ .

ص ٤٤٨) .

(٢) عمر السكندرى : وسليم حسن ، تاريخ مصر من الفتح العثماني ص ٦٨ .

(٣) الحاج أحمد راشد بك : تاريخ اليمن وصنعاء ص ١١٩ .

عن طريق رأس عشم الخير (رأس الرجاء الصالح) أضر بهم ضررا بليغا لاشتغال مراكبهم التجارية بنقل تجارة الهند الى ثغر السويس وبعد أن تحمل الى الاسكندرية تحملها سفنهم أيضا الى أوروبا . ولهذا فانهم أعدوا أسطولا عظيما في السويس واتحدوا مع أساطيل قنصوة في تلك الحروب وحفروا عند المكان المسمى عيون موسى مجارى لتوصيل المياه العذبة الى حوض بنوه هناك على ساحل البحر الأحمر لتزود سفنهم بالماء منه . « ويصف سرهنك تلك المجارى التى حفرها البنادقة فيقول « ولا تزال آثار تلك الأعمال باقية في تلك الجهة للآن (أى أواخر القرن التاسع عشر^(١)) » .

نخلص من الأخبار السابقة الى أن الأسطول المصرى كان في ذاك الوقت أقوى قوة بحرية ضاربة في العالم ، ولذا فقد لجأت اليه دول العالم الشرقى والغربى تستنجد ضد قوة البرتغال الناشئة وغيرها من القوى المعادية ، ولا أدل على ذلك من استنجد الأمير كركود^(٢) أخى السلطان سليم الأول ابن السلطان بايزيد خان طالبا مساعدته على أخيه ، فأمدده السلطان الغورى بأسطول مكون من عشرين سفينة حربية « تساعده على نزع السلطنة من يد أخيه ، وقد تلاقى هذا الأسطول مع أساطيل العثمانيين بسواحل سوريا وبعد واقعة انهزمت السفن المصرية ووقع غالبها في قبضة المراكب العثمانية » ويضيف سرهنك « وفي رواية أخرى ، انه أصاب سفن الغورى زوبعة شديدة بددت معظمها فاستولى الأسطول العثمانى على ما بقى منها » .

كذلك استنجد السلطان عامر سلطان اليمن بالغورى ، عندما وصله خبر وصول (١٨) سفينة برتغالية الى عدن واستولت عليها ، ثم ارتدوا عنها خائبين ، لينقذ أميرها ، ولكنهم قصدوا (مخا) والحديدة وفتكوها بأهلها ثم احتلوا جزيرة قمران (قرب ساحل شرق أفريقيا) وقتلوا جميع حاميتها وأهالى البلد ثم أقبلوا منها وقصدوا زيلع فأحرقوا مدينتها وعادوا ثانية الى عدن وحاربوها الا أنهم لم ينالوا

(١) حقائق الأخبار من دول البحار ص ٣٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٦ .

منها . فأرسل له السلطان الغورى أسطولاً بقيادة الأمير حسين الكردي وتلاقى مع أسطول البرتغال الذي كان يحاصر عدن ، فحاربه وانتصر عليه وأجلاه عنها .

وقد بلغ من كراهية البرتغال للمصريين ، أن ذهب قائد أسطولهم المدعو الفونسو البنوكر (Albuquerque) الى نجاشى الحبشة للاستعانة به ضد المصريين ، ويقول ابن اياس (١) فى ذلك : « وخبره فى أمر تحويل مصب النيل الى البحر الأحمر لينبت بلاد مصر لشدة كراهية البرتغال للمصريين ، وكان يظن ذلك من الأمور السهلة ولكنه لم ينجح وضايقته الأساطيل المصرية واحتلت جزيرة قمران » (٢) .

وقد كان لهذه الاستفزازات وغيرها من أعمال الغزو على البلاد الشرقية ، التى تشبه أعمال القرصنة من جانب الأسطول البرتغالى أسوأ الأثر عند السلطان الغورى فبادر بإنشاء أربعة أغربة حربية فى دار صناعة بولاق ولما تم أعدادها حملها على ظهر الأبل مفككة قطعاً الى ثغور الطور ، وهناك تولى العمال تركيبها واثرائها فى البحر كطليعة للأسطول المصرى الذى انتوى السلطان إرساله الى الهند لمنازلة البرتغاليين فى تلك المياه النائية (٣) . ولما رأى السلطان أن أمر بناء الأسطول سيطول نظراً لما وصل اليه البرتغاليون من تثبيت مراكزهم فى بلاد الهند بذل سعيه لدى السلطان بايزيد العثمانى ولدى جمهورية البندقية ، أصحاب المصالح المشتركة للحصول على ما افتقرت اليه مصر من الأخشاب والآلات والعدد الحربية والرجال الخبيرين بإطلاق المدافع فى سبيل قهر البرتغاليين واستئصال شأفتهم من تلك البلاد ، حتى يعود طريق التجارة الشرقية القديم . كما أصدر السلطان الغورى أمره الى أسطوله الراسى بميناء جدة بالاستعداد للقتال ، فقام به أمير البحار حسين الكردي وما زال يجد السير ويجوب البحار حتى وصل الى ساحل ملبار فى أواخر سنة ١٥٠٧ م فألقى مراسيه عند بندر ديو (Diu) من أعمال كجرات (Guzerat) وكان أسطوله يتكون من ثلاثة عشر سفينة ، منها ست أغربة وجليون واحد وست

(١) ابن اياس ج ٢ ص ١٩٣ .

(٢) حقائق الأخبار عن دول البحار ص ٣٦ ج ٢ .

(٣) ابن اياس ج ٢ ص ١٩٦ .

سفائن كبيرة . واجتمع بسلطان كجرات يومئذ وهو خليل مظفر شاه فأكرم وفادته وأمر عامله على بتدر ديو وهو الملك اياس بأن يكون هو وسفنه تحت تصرف أمير البحار المصرى .

وهناك دارت بين الأسطولين المصرى والبرتغالى موقعة حاسمة ، كانت فصل الخطاب بينهما ، فقد ذهب الأمير حسين الكردي يبحث عن الأسطول البرتغالى ، حتى التقى به أمام مدينة جو (Goa) على ساحل الملبار ، وكان قائده نجل والى الهند البرتغالى لورنزو دالميدا (Lorenzo d'Almeida) فاتقض عليه الأمير حسين وانتصر عليه انتصارا حاسما وقبض على سفينة القائد بعد أن قتل قائدها ، ويقول ابن اياس « ورجع الأمير حسين تخفق على هامته وعلى صواري أسطوله المصرى زيات الظفر وأعلام النصر فأقام بميناء ديو عدة شهور حتى انقضى فصل الأمطار وأرسل اليه السامرى من ساحل الملبار أربعين غرابا صغارا لتكون فى خدمته (١) . ويضيف سرهنك « وبينما كان الأسطول المصرى يجوب البحار فى تلك المنطقة ، اذا بالأسطول البرتغالى المكون من تسع عشرة قطعة بقيادة فرانشيسكو دالميدا يداهم بعتة ، ويأخذه على غرة فى مياه ديو فانبرى له الأسطول المصرى ، ووقعت بين الفريقين معركة بحرية هائلة عرفت باسم موقعة ديو سنة ١٥٠٩ م (٩١٥ هـ) انجلت عن انتصار الأسطول البرتغالى الذى استولى على الأسطول المصرى وطاح ببعض الآخر فانهزم الأمير حسين ولكنه لم يقع فى قبضة الأعداء ، اذ تمكن من العودة الى مصر مع فلول أسطوله (٢) .

لم يقنع السلطان الغورى بهذه الهزيمة بل صمم فى عناد مريب على ارسال حملة ثانية للأخذ بالثأر من البرتغاليين، لذلك فقد واصل العمل ليل نهار حتى جهز أسطولا مؤلفا من اثنين وعشرين غرابا كبيرا وجليونين ، وتولى قيادتها أمير البحار سليمان الرومى العثمانى ، الذى أرسله السلطان بايزيد والأمير حسين الكردي ، وبعثهما الى المحيط الهندى للأخذ بالثأر من الأسطول البرتغالى غير انه وقع بين الأميرين من

(١) ابن اياس ج ٢ ص ١٩٦ ، سرهنك ج ٢ ص ٣٦ .

(٢) حقائق الأخبار عن دول البحار ج ٢ ص ٣٦ .

الشحناء والنزاع ما أدى بهما الى الافتراق ، فانفرد الأمير حسين بوحداث الأسطول
المصرى ، فوصل الى جدة سنة ١٥١١ ، وبنى فيها حصونا وأبراجا . « ومن هناك
أقلع الأسطول المصرى قاصدا بلاد الهند ، فلما وصل سواحل اليمن نزل بجزيرة
كمران وجعلها قاعدة بحرية لأسطوله ، ثم سار الى بندر عدن فبلغها سنة ١٥١٦ م ،
ونازل أسطولا برتغاليا بقيادة الفونسو البوكرك وألحق به الهزيمة » (١) .

ولم يستطع السلطان الغورى هذه المرة إعادة الكرة ، فقد شغل بالدفاع عن
ملكه وأهمل أمر الأسطول فقد جاء السلطان سليم الأول للاستيلاء على (٢) الديار
المصرية . وقد انتهز البرتغال هذه الفرصة للانقضاض على ما تبقى من وحدات
الأسطول المصرى فى البحر الأحمر ، وكان الأسطول البرتغالى من ثمانية وعشرين (٣)
غرابا ، وتقابل مع الأسطول المصرى عند جده ، فتصدى لهم الأمير سليمان الرومى
ببقايا أسطول مصر حتى ردهم عنها خاسرين ، ورد الأسطول البرتغالى مدحورا الى
بحار الهند ، وهكذا أصبحت مياه البحر الأحمر تحت سيادة الأسطول المصرى دون
منازع بينما أصبح الأسطول البرتغالى صاحب السيادة فى مياه المحيط الهندى (٤) .

(١) الشيخ زين الدين : تحفة المجاهدين فى بعض أحوال البرتغاليين ص ١٩٧ (طبع لشبونة) .

(٢) عمر السكندرى وسليم حسن : تاريخ مصر من الفتح المملى ص ٧٢ .

(٣) مرهوك ج ٢ ص ٣٦ .

(٤) ابن إياس ج ٢ ص ١٩٧ .

البحر الحمر العثماني

ولما استولى العثمانيون على مصر أهمل أمر الأسطول ، فقد نقل السلطان سليم الأول ضمن من نقلهم قسرا الى القسطنطينية أمهر الصناعات في بناء السفن حتى اضطرت دور الصناعة المصرية الى اغلاق أبوابها فانحط شأن الأسطول وسرح بحارته (١) . ويقول سرهنك « انه بعد عودة السلطان سليم الى القسطنطينية أخذ خير الدين بك والى مصر العثماني بمساعدة خير بك أمير الأمراء في اصلاح المراكب الموجودة في النيل . ولم يكن لمصر في ذلك الوقت أغرية في البحر الأحمر ، لأن مراكب الغوري كانت قد انقرضت وضاع معظمها في حين حجز الأمراء المصريون ما بقى منها على شواطئ اليمن تحت قيادة الأمير سليمان الرومي . لذلك رأى والى مصر سنة ١٥١٩ م / ٩٢٥ هـ لما أتته الأخبار من مكة بأن أربعين مركبا من مراكب الفرنج يعيشون في البحر الأحمر قبالة جدة ويقطعون على التجارة السبل ، انه ليست لديه قوة بحرية يرسلها الى هنالك ، فأخذ جماعة من المماليك الشراكسة بلغ عددهم ثلثمائة

(١) المخطط التوفيقية ج ١٢ ص ٦٩ .

برا صحبه الحجاج يقيمون بجدة خوفا من أن يطرقها بعض الفرنج على حين غفلة» (١) .

عند ذلك لم يجد خير الدين بك مندوحة من الاهتمام بأمر الأسطول ، فأمر بتشديد السفن في دار صناعة بولاق ، وعرض سنة ١٥٢٠ م / ٩٢٦ هـ المراكب والأغربة التي أنشأها ولعبت قدامه في البحر وانشرح من ذلك (٢) .

ولما تولى السلطان سليمان القانوني بعد وفاة سليم الأول ، اهتم بأمر الثغور المصرية فرتب نظاما مخصوصا لإدارة السواحل المصرية والأمور البحرية فيها ، وعين ثلاثة قبودانات لمصر أحدهم لثغر دمياط ، والثاني لثغر السويس ، والثالث لثغر الاسكندرية يسمى كل منهم قبودان بك وجعل تعيينهم وتغيرهم يتعلق رأسا بإرادته السلطانية ، لأن أحوال البحار وعبث أساطيل الفرنج فيها ، جعل الدولة تهتم في ذلك الوقت اهتماما زائدا بأمر الثغور الثلاثة المذكورة على اعتبار أنها أبواب القطر المصري وقتئذ . فكانت الدولة ترسل حاميتها رأسا من الآستانة تحت قيادة القبودانات المذكورين ، وتمدها كل سنة بما يلزمها من الذخائر الحربية ، ولم يكن هؤلاء القبودانات يعتبرون أنفسهم من الجيوش المصرية باعتبار إقامتهم في تلك الثغور المصرية وبما يستولونه عليه من المرتبات من الخزينة المصرية ، ولم يكن تحت قيادة هؤلاء القبودانات أغربة حربية ما عدا قبودان السويس (٣) .

وفي عام ١٥٢٠ أمر أمير الأمراء خيرى بك والى مصر ، ناظر الدشيشة (٤) (تم) بتشديد مركب كبير بدار صناعة بولاق بالجزيرة الوسطى ، وقد بلغ طوله مائة وعشرين ذراعا وكان مزودا بفرن وطاقون وصهريج للمياه العذبة ، ومقاعد واسطبل للخيول ، فلما تم صنعه ركب اليها ملك الأمراء ، فتفرج عليه ثم فك الأمير (تم) أخشابه وأرسلها على ظهور الابل الى الطور (٥) .

(١) حقائق الأخبار في دول البحار ج ٢ ص ٣٧ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ج ٣ ص ٢١٤ .

(٣) سر هنك : ج ٢ ص ٣٧ .

(٤) الدشيشة الكبرى : وقف يرجع إلى عهد السلطان قايتباى .

(٥) على مبارك : الخطط التوفيقية ج ١٢ ص ٧٠ .

وقد بلغ من اهتمام أمير الأمراء بالأسطول المصري سنة ١٥٢١ م / ٩٢٧ هـ انه كان يتوجه بنفسه الى بولاق ، « وكشف على المراكب التي عمروها هناك فأنزلوها الى البحر قدامه ثم عاد الى القلعة وصار يتردد على دار الصناعة حتى اطمأن باله » (١) ويقول ابن اياس « انه حضرت مراكب من الأغربة التي كان قد عمرها ملك الأمراء وأرسلها صحبة الأروام والمغاربة البحارة فلما دخلوا الى البحر الملح وجدوا جماعة من الفرنج يعيشون في سواحل البحر ، يعنى السواحل المصرية فأوقعوا بهم وقتلوههم ، فأنكسر الفرنج وقبضوا عليهم ، وأسروهم واستولوا على مراكبهم فوجدوا فيها بضائع وجوخا وأصنافا فاخرة فأخذوا جميع ما كان فيها وقبضوا على من كان فيها من الفرنج ووضعوه في الحديد وأرسلوه الى ملك الأمراء » (٢) .

وفي أواخر تلك السنة جهز ملك الأمراء الأغربة المصرية وشحنها بالرجال وأرسلها الى محاربة مراكب الافرنج التي عادت تعيث في السواحل المصرية ويقبضون على المسافرين ، فتصدى لهم الأسطول المصري وأسدى اليهم ضربة قاضية واستولوا على بضائع بنحو خمسين ألف دينار وقبضوا على الفرنج وأحاطوا بما معهم من البضائع (٣) .

ويقول سرهنك : « انه في عام ١٥٢٢ تزايد شر الفرنج على سواحل البحر الهندي حتى بطلت التجارة تقريبا ، فأخبر الوالى دار الخلافة ، وكان اهتمام خير الدين باشا بأمر البحرية المصرية يفوق الوصف ، لأنه كان لا يفتر عن التوجه في أغلب الأوقات الى بولاق للتفتيش على المراكب الأغربة التي كان يبنها ويعمرها هناك ، ويستعرضها قدامه في البحر ذهابا وايابا وهو ينظر اليها والنفوذ تشتعل ، فأحبه الأمة لاهتمامه بشئونها أيضا وبقي خير الدين باشا في نشاطه هذا الى أن أدركته الوفاة سنة ٩٢٨ هـ » (٤) . ويضيف سرهنك « انه في عام ٩٤٤ هـ / ١٥٣٨ م استغاث بهادر حاكم كجرات من بلاد الهند بالسلطان سليمان القانوني لتعديات أساطيل

(١) سرهنك : ج ٢ ص ٣٨ .

(٢) ابن اياس : ج ٣ ص ٢٧٤ .

(٣) ابن اياس : ج ٢ ص ٣٧ .

(٤) حقائق الأخبار عن دول البحار ج ٢ ص ٣٨ .

البرتغال على بلاده قائلا : انها مستمرة على العبث بالسواحل الهندية دائبة السطو على كل سفينة لمنع المواصلات التجارية التي كان بينها وبين الديار المصرية « فأصدر السلطان أوامره الى سليمان باشا الخادم والى مصر ، وكان السلطان يثق به كثيرا ، بتجهيز دونامة فى البحر الأحمر لتسير صحبة الجنود العثمانية الى بحر الهند . فجهز سليمان الخادم أسطولا مصريا مكونا من ستين غرابا وثلاثين سفينة وزودها بالمدافع والأدوات الحربية فى زمن وجيز . ثم أقلع بها من ثغر السويس ومر فى ذهابه بعدن وقتل أميرها عامر بن داود وستة نفر من أصحابه ، ونصب عليها أحد ضباطه المسمى بهرام بك وترك معه بعض الجنود والمدافع ثم أقلع الى الهند ، والتحم مع البرتغاليين فى المياه الهندية فى موقعة عظيمة قريبة من ديو ، كان النصر فيها حليف البرتغاليين ، على الرغم مما بذله سليمان الخادم من الجهد العظيم ولم يتمكن من طرد البرتغال عن تلك الأطراف ، فعاد الى عدن ومنها الى (مخا) وخلع والى اليمن ونصب مكانه مصطفى بك نائب غزة سابقا ثم عاد الى مصر .

وقد وصف الأميرال لاجرافير ^(١) (La Graviere) هذه الحملة فقال « فى سنة ١٥٣٨ م اقترب سليمان باشا من الشاطئ الهندى وأنزل من معه من الجنود اليكبرية والمدافع . وبدأ بالاستيلاء على حصون البرتغال الأمامية بعد عدة مناوشات ، ثم أمر بالهجوم على حصن ديو ، فرده البرتغال بقوة ، وفقد فى تلك المعركة أربعمائة من رجاله . وبينما كان يستعد لهجوم آخر بلغه خبر مجيء الدونالمة البرتغالية ، فأنزل جنوده الى السفن فى الحال وترك للأعداء مدافعه ، ثم سار نحو ساحل كجرات ، وكالت الرياح تعاكسه الى أن وصل الى مدخل خليج كوتسن ومن هناك أقلع الى عدن ومنها الى مخا ثم وصل مدينة السويس سنة ١٥٣٩ . وقد روى أسير من أهالى البندقية رافق سليمان باشا فى تلك السفرة ، المخاطر التى تعترض الملاحة فى البحر الأحمر فقال : ان الصخور فى الممر الواقع بين شواطئ بلاد العرب وسلسلة الصخور ، كثيرة بحيث يستحيل على أى ملاح كان مدربا أن يعرفها

(١) La Gravière : Doria et Barberousa, P. 252.

جميعها ، ولذلك كان القلاووز ^(١) ، يجلس عند البروة ^(٢) ويصبح على الدوام قائلاً : « أوسة وبوجى » ^(٣) . وقد عادت تجريدة سليمان باشا البحرية بنتائج مهمة في البحر الأحمر ، وإن كانت لم تأت بالفائدة المطلوبة في بلاد الهند ، ذلك أنه استولى على عدن وطرده أميرها ابن داود لاتهامة بموالة البرتغال ، وأسس حكومة جديدة ببلاد اليمن ، وجلب معه من بلاد الهند (١٤٦) أسيراً ، بعضهم هنود والبعض الآخر من البرتغال ، وقد قتلهم جميعاً قبل أن يصل إلى السويس وأرسل رؤوسهم إلى القسطنطينية ^(٤) .

وفي سنة ١٥٥١ م / ٩٥٨ هـ صدرت أوامر الباب العالي إلى وإلى مصر بتوجيه الأسطول المصري ثانية إلى مياه الهند واستخلاص عدن التي شق أهلها عصا الطاعة واتفقوا مع البرتغاليين ، ويقول في ذلك سرهنك ^(٥) « وكان أهلها خلعوا رداء الطاعة واتفقوا مع البرتغال وسلموهم قلعته ، وهزموا الحامية المصرية التي كان سليمان باشا الخادم تركها هناك فبعد أن تجهزت السفائن وشحنت بالمهمات والأدوات الحربية عينت الدولة (يرى رئيس) ^(٦) وهو من مشاهير الملاحين ، قائداً عاماً عليها ، وأقلع بها من السويس واستخلص قلعة ومدينة عدن من يد الأعداء بعد عدة وقائع وعاد ظافراً . وفي عام ١٥٥٢ م / ٩٥٩ هـ ^(٧) أقلع ثانية بأسطول مكون من ثلاثين سفينة بين غراب

(١) القلاووز : إلهو الدليل الذي يعرف عند الأوربيين باسم (Pilot) وهو الدليل الذي تأخذه السفن عند دخول الموانئ أو عند مرورها على السواحل الخطرة أو المضائق الصعبة . ويكون القلاووز عادة من العارفين بفنون الملاحة لتسيير السفن والواقفين على تأثير الرياح ونجاري المياه والتيارات والمطلعين على العلوم الفلكية وغيرها .

(٢) البروة : مقدم السفينة .

(٣) . أوسة وبوجى : أى ضع السفينة فوق الريح أو تحته .

(٤) La Graviere, P. 253.

(٥) حقائق الأخبار عن دول البحار ج ٢ ص ٤٠ .

(٦) يرى رئيس : من أشهر قبودانات العثمانيين الذين اكتسبوا شهرة عظيمة في عصر السلطان سليمان القانوني عين سنة ٩٥٩ هـ قبوداناً بالبحرية المصرية وقاد أسطول السويس المكون من ٣١ سفينة ووصل به حتى خليج البصرة (الفارسي) وقد ألف أطلساً في جغرافية البحر الأبيض المتوسط ، بين فيه ما كانت عليه البحرية العثمانية في ذلك الوقت .

(٧) La Gravière, P. 253.

وشانية وقصد السواحل اليمنية. وساهم في اخضاع الثائرين بها ثم خرج الى المحيط الهندي واستولى على مساقط وأغار على جزيرة هرمز ، ودوخ البرتغال في تلك الأطراف ، ثم واصل سيره الى البصرة حيث تعقبه البرتغاليون مما اضطره الى ترك جميع سفنه الواحية بها وعاد بثلاثة منها تحمل الغنائم الى مصر . وفي أثناء عودته غرقت إحدى السفن أمام بلاد البحرين من ساحل العرب ثم عاد الى السويس بسفينتين فقط ، ولما بلغ مسامع الحضرة الشاهنامية خبر هذه الخسائر أمرت بإعدام القبودان يبرى فنفذ الأمر فيه بالقاهرة ، وأرسلت الغنائم التي جلبها الى دار السعادة^(١) . وقد عين السلطان بعده (مراد رئيس)^(٢) لقيادة أسطول السويس وأرسلت معه ما يلزم للسفن الراسية في ميناء البصرة ، وبعد أن نظم سفن الأسطول بها ترك للمحافظة عليها سفينتين حرييتين وخمسة أغربة وأقلع بالباقي يقصد السويس . وكان أسطوله يتكون من ١٧ سفينة فلم يصادفه في طريقه موانع حتى وصل معبر هرمز وهناك قابل أسطولا جسيما للبرتغال يمحّر في تلك المياه كأنه ينتظر الدوئما العثمانية ، فالتزم مراد رئيس أن ينازله ودارت رحى الحرب بين الطرفين ، خرجا منها بخسائر فادحة واستشهد من الأسطول العثماني سليمان رئيس قبودان سفينة القائد مراد رئيس وعدد كبير من بحارة الأسطول ، ولأن بعض السفن أصابها تلف عظيم التزم مراد رئيس أن يعود ثانية الى ميناء البصرة ، حيث تلقى نبأ عزله وتعيين سيد على قبودان محله «^(٣) .

وقد بادر القبودان سيد على سنة ١٥٥٢ الى السفر الى البصرة وجهاز السفن الراسية هناك ولما أتم اعدادها أقلع بها وتقابل وهو في طريقه الى مصر بأسطول البرتغال ، ودارت بينهما معركة بالقرب من مساقط ، وعلى الرغم من تفوق الأسطول البرتغالي عليه في العدد اذ كانت عدد سفنه ثلاثة أمثال سفن الأسطول المصري ، فقد

(١) سرهنك : هامش ج ٢ ص ٤١ .

(٢) مراد رئيس : أصله من أهالي فاس بالمغرب الأقصى ألحق بالبحرية العثمانية وكان معدوداً في زمن السلطان سليمان القانوني من مشاهير أمراء البحرية العثمانية توفي عام ١٦٠٢ بجزيرة رودس ودفن فيها .

(٣) حقائق الأخبار في دول البحار ص ٤٢ .

اتتصر الأخير عليه انتصارا عظيما . « ثم تقدم يقصد السويس وفي أثناء سيره هبت عليه زوبعة شديدة اضطرت له لأن يتبع مجرى الريح لعدم قدرته على مقاومتها بتلك السفن التي تخرب معظمها من كثرة الحروب الى أن ألقته الرياح أخيرا على سواحل الهند فغرق منه بعض السفن . ولما خافت طوائف السفن الباقية من شدة الأرياح والأمواج التزم بالوقوف على ساحل كجرات وأخرج منها الطوائف الباقية وجرده السفن من آلاتها وسلمها هي والسفن الى محافظ قلعتها ثم عاد برا هو ومن بقى معه من الملاحين وعددهم خمسون ، مارا ببلاد بلوخستان والعجم حتى وصل الى الآستانة بعد أن تكبد من المشقات ما لا يوصف » (١) .

وقد بلغ من حرص سلاطين الدولة العثمانية بالأسطول المصري واهتمامهم بأمره أن خصصوا له أوجاقين (٢) من الأوجاقات السبعة (٣) التي تتكون منها الحامية العثمانية ، وهما أوجاق متفرقة (٤) وأوجاق عزبان (٥) . وكان من أهم أعمال أوجاق متفرقة حفظ القلاع التي تحيط بمصر مثل قلاع الاسكندرية ورشيد والبرلس ودمياط والعريش والطور وأسوان وأبريم . ولكل من هذه القلاع طوائف من المتفرقة المشاة والفرسان والطوبجية مع جماعة من الطبالين ونافخى البورى والمعمارين والنجارين . وكذلك يعنى الأوجاق بجمع البارود اللازم للأسطول والذي يرسل جانب منه الى السلطان فى القسطنطينية .

أما أوجاق عزبان فقد كان لرجاله عدة اختصاصات فمنهم بحارة ترسانة الاسكندرية والسويس ، وكان من رجاله أمير البحرين وهو المشرف على ساحلى بولاق ومصر القديمة فيما يتعلق بالسفن والضرائب المفروضة على الغلال الواردة على هذين الساحلين .

وقد أخذت قوة البحرية المصرية تفقد الكثير من نشاطها وقوتها فى النصف الثانى

(١) برهنك ج ٢ ص ٤٢ .

(٢) أوجاق : كلمة تركية بمعنى الموقد واستعملت بمعنى فرقة من العسكر .

(٣) تاريخ مصر فى العهد العثمانى : حسن عثمان ص ٢٥٥ (المجلد فى تاريخ مصر) .

(٤) متفرقة فى الأصل التركى تدل على أنهم كانوا نوعا من الإقطاعيات .

(٥) عزبان هم من رجال البحرية من حملة البنادق .

من القرن الثامن عشر لضعف الدولة العثمانية من جهة ولاشتغال ولاية الدولة العثمانية في الاضطرابات والأحداث الداخلية التي أوجدتها طوائف الجنود المتنافرة من جهة أخرى . فمن ذلك ان الجنود صاروا يحمون التجار والمزارعين والملاحين ليقاسموهم الأرباح ويمنعوهم من أداء حقوق الدولة التي كان يعتمد عليها الولاية في الاتفاق على الأسطول وتعزيز القوات البحرية ، أما القلاقل والاضطرابات فقد أدت الى اهمال الصناعة فعز وجود العمال المتخصصون في صناعة السفن ، حتى ان السلطان كان يرسل من عنده « السفائن تارة لنقل مال خراج مصر الى الآستانة ، وتارة لحراسة المراكب التجارية التي تنقل اليها البضائع والحاصلات والذخائر » .

وقد استمر الحال على ذلك الى عهد السلطان الغازي عبد الحميد خان الأول ، ويقول سرهنك (١) : « وفي أيامه تمرد كل من مراد بك وابراهيم بك وأظهر العصيان للأوامر السلطانية ومنعا الخراج جملة سنين وأكثر من ظلم العباد ، فأرسل السلطان القبودان حسن باشا الجزائري ببعض السفن الحربية ونقل بها قدر كاف من الجيوش العثمانية سنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٧٤ م . فلما وصل الى ثغر الاسكندرية وقع الرعب في قلوب الأميرين المذكورين وأرادا التخلص مما وقعا فيه فأرسلا جملة هدايا الى القبودان مع جماعة من العلماء ، منهم الشيخ أحمد العروسي والشيخ محمد الحريري وغيرهما ولما قابلوه عرضوا عليه امثال الأوامر وطاعتهم للخليفة . وكان ذلك حيلة من الأمراء المصريين حتى يتأهبوا ، فلم تنطل هذه الحيلة على القبودان وانتقل بمراكبه الى رشيد ، ودخل النيل وتقابل مع جموع الأمراء بجوار قرية العلويين بمركز فوه بمديرية الغربية ، فحاربهم وبدد شملهم ، وقد أقام حسن باشا أربع سنوات بجهات الصعيد ثم عاد الى مصر بعد أن هدأت الأحوال ، وشرع في تشييد ترسانة بالجيزة وأنشأ بها سفائن أميرية وانتخب لها قليونجية من النصارى الأروام ، وجعل عليهم رئيسا منهم يدعى نيقولا وجعل له نفوذا عظيما وحيثية » .

وفي عهد السلطان سليم خان الثالث ازدادت أهمية البحرية المصرية بما أدخل عليها من الاصلاحات وعناية السلطان بالأسطول وتعزيزه بالسفن الكبيرة التي أمر

(١) حقائق الأخبار في دول البحار ص ٤٣ ج ٢ .

بتشييدها كالعلايين والفرايط والشهدية وغير ذلك ، وخصص بعضها لحماية الثغور وأرسل بعضها الى مياه الاسكندرية تحت قيادة ادريس بك قبودان السفينة المسماة عقاب بحرى ، الذى رفض أن يرفع العلم الفرنسى عندما جاء نابليون لغزو البلاد المصرية ورجع الى الآستانة .

ولم تقتصر جهود الأسطول المصرى ابان الحكم العثمانى على الحروب فى البحر الأحمر والمحيط الهندى فحسب ، بل انه اشترك فى حروب البحر الأبيض المتوسط للدفاع عن الدولة العثمانية نفسها وممتلكاتها فى أوروبا وجزر البحر الأبيض . فقد اشترك الأسطول المصرى فى الحرب التى شنها الصدر الأعظم أحمد كوبريللى على جزيرة كريت . وقد أبلى الأسطول المصرى فى تلك الحرب بلاء حسنا انتهى بانتصار العثمانيين وانتزاع كريت من أيدي البنادقة عام ١٦٦٩ م . كذلك اشترك الأسطول المصرى فى الحروب الطاحنة التى استمرت فترة طويلة بين الدولة العثمانية وبين النمسا فى النصف الثانى من القرن السابع عشر ، فقد ذهبت بعض وحداته الى رودس وأخرى الى أدرنة وثالثة الى القسطنطينية ورابعة الى سالونيك وخامسة الى بلغرات . كما ساهم الأسطول المصرى بنصيب كبير فى الحرب الروسية التركية التى وقعت فى عهد الملكة كاترين الثانية فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر وقد وصل بعض سفنه الى رومانيا .

الباب الثالث

السفن والمراكب
في العُصود
القليبية

لقد أنشأ المسلمون السفن والشواني وشحنوها بالرجال والسلاح وأمطوها
العساكر والمقاتلة لغزو ما وراء البحر وسموا مجموع السفن أسطولا وهو لفظ
يوناني معرب .

ويقتضينا البحث عن فن بناء السفن في العصر الاسلامي ، أى في العصور
الوسطى أن نتناول هذا الموضوع منذ أقدم العصور ، ذلك ان التطور في هذا
الميدان سار سيرا بطيئا ، بل ان ما لدينا من آثار مادية تكاد تقطع بأنه لم يكن هناك
تطوير أو تغيير جوهري في بناء سفن العصور الوسطى عما كانت عليه في العصور
القديمة . هذا بالاضافة الى أن أسماء كثير من السفن التي استعملت في العصر
الاسلامي ، يرجع الى عصور قديمة بل أن بعضها مأخوذ من لغات قديمة مثل
الفرعونية أو اليونانية أو الرومانية أو الآشورية وما إليها . لذلك كان من الضروري
بحث موضوع السفن والمراكب التي تكونت منها الأساطيل الاسلامية منذ البداية.

أما عن معلوماتنا عن فن بناء السفن في العصور القديمة فقد استقيناه من مصادر
ثلاثة :

المصدر الأول : هو الآثار المادية القليلة التى عثر عليها علماء الآثار فى الحفائر وترجع الى تلك العصور ، مثل السفن وأحواض بناء السفن .

أما المصدر الثانى : فهو ما جاء فى المراجع التاريخية والمخطوطات الأثرية .

والمصدر الثالث : هو الرسوم التى وجدت على التحف والآثار التى عثر عليها والمعاصرة لتلك العهود .

ويعتبر المصدر الأول أهم المصادر جميعها ولكن للأسف فإن ما عثر عليه حتى الآن من السفن قليل جدا ولا يمكن الاعتماد عليه فى إعطاء أحكام عامة فى موضوع له قيمته وخطره ، كموضوع البحرية ، فبالإضافة الى أن ركوب البحار كان من أهم الوسائل لوصل وربط الشعوب بعضها البعض ، فهى كذلك من أهم الطرق التجارية . ولعل أهم اكتشاف عثر عليه حتى الآن ، هو الكشف عن المراكب الجنائزية التى عثر عليها سنة ١٩٥٤ بجوار أهرام الجيزة ، فقد أعطتنا هذه السفينة فكرة واضحة عن نوع من المراكب الملكية فى عصر الدولة القديمة .

كذلك عثر بعض عمال الحفر فى مدينة بيريه (Peir) بينما كانوا يقومون بحفر أساس احدى العماير سنة ١٨٣٤ م ، اذ بهم يجدون مجرى مياه كسيت جدرانها ببلطات من الرخام عليها كتابات ، عبارة عن قائمة جرد الموجودات باحدى الترسانات الأثينية التى ترجع الى سنة ٣٧٣ ق . م وأخرى الى سنة ٣٢٣ ق . م ، وقد طبعت هذه الكتابات المنقوشة فى (Corpus Inscriptionum Atticarum, vol. II, Nos. 789-812) وقد أعطانا حوض بناء السفن هذا الذى يرجع الى القرن الرابع قبل الميلاد فكرة واضحة عن أبعاد ونسب السفن التى بنيت فيه فى ذلك العهد ، كما أعطانا شكل السفن وما تحتويه من رءوس حيوانية مثل الكباش وما اليها أو رءوس آدمية ، ونوع المرساة (الهلب) ولكنها لم تعنا على معرفة أجزاء أو قطع السفينة نفسها .

كذلك عثرنا على بعض نماذج ولكنها غير واضحة حتى يمكن الاستفادة منها ، فمثلا لم نستطع معرفة نموذج السفينة التى أرساها (Lysander) فى دلفى (Delphi)

والتي يصفها بلوتارك فيقول ، انها سفينة حربية ذات ثلاث صفوف من المجاديف ، وان طولها يبلغ ثلاثة أقدام ، وانها مصنوعة من العاج والذهب (١) .

أما عن المصدر الثاني وهو ما كتبه المؤرخون ، فيجب أن يؤخذ بحذر ، لأنه يعتمد أساسا على قوة ملاحظة المؤرخ ، ومعرفته ودرايته بالفنون والموضوعات التي يكتب فيها .

ولما كان من المستحيل أن يلم مؤرخ بجميع فروع العلم والمعرفة ، لذلك فان ما يكتبه عن الموضوعات التي يجهلها أو التي لا يلم بها الماما تاما تكون قليلة القيمة بل مضللة في كثير من الأحيان ، لأنه يترك لنفسه حرية استعمال خياله في رسم صورة جميلة توافق مزاجه الخاص ، أو قد يستعمل من المحسنات اللغوية من تشبيهات واستعارات ما تضيع في ثناياها المعلومات والأوصاف الدقيقة التي تحتاج الى الأسلوب العلمي البسيط الخالي من الزخرفة . فمن ذلك ما ورد في كتب الأدب اليوناني القديم المليئة بالمبالغة والخيال ، فنجد مثلا أهل أثينا يصفون سفنا عجيبة هائلة ، ترجع الى القرن الثامن والسابع قبل الميلاد ، بأساليب وعبارات خاصة بعصرهم (القرن الخامس قبل الميلاد) وتقاليدهم ولغتهم . ولكن الكتاب أخذوا يرددونها رغم غرابتها وعدم تمثيلها للواقع الحالي ، فقد أخذ كل من بلوتارك (Plutarch) ولوسيون (Lucian) يرددان في كتاباتهما وصف الشراع المعروف باسم الـ (Akatian) اکتیان على الرغم من أن هذا النوع من الأشرعة كان قد اختفى تماما قبل عصرهما بعدة قرون . أما السبب الذي دعاهما الى استعمال كلمة ووصف الشراع (Akatian) هو وروده في أقوال الكاتب (Hippius) المأثورة .

أما المصدر الثالث وهو الصور التي رسمت على التحف والآثار ، فهو أكثر أهمية من المصادر التاريخية ، اذ ان مجال الخيال فيه محدود وأكثر واقعية ، ومع ذلك فلا يمكن الاعتماد عليه مالم يكن المصور بخارا أو له دراية بعلم البحار وبناء السفن ، لأنه في كثير من الأحيان يهمل رسم أشياء على جانب عظيم من الأهمية

(١) Plutarch, Lysander, P. 18-20.

بالنسبة لتركيب السفينة أو قد يبالغ في رسم بعض أجزاء قليلة الأهمية ، أو قد يزخرف هيكل السفينة لكي يعطى المنظر قيمة جمالية يتطلبها فن التصوير (انظر شكل ٧ و ٨) . فقد وجد رسم كثير من نماذج السفن على الزهريات والأواني الخزفية والمعدنية ، وعلى العملة والأحجار الكريمة ، كما وجدت مرسومة بالفرسكو والنسيفساء بل على الرق والبردى والمنسوجات . على أن مثل هذه الرسوم لا يمكن اعتبارها نماذج كاملة للسفن ، لأن الفنان القديم عندما عالج رسم موضوع كبير مثل رسم سفينة على تحف صغيرة أو في مساحات ضيقة ، فانه عنى بإبراز وتوضيح المميزات والمعالم الهامة لها ، دون التفاصيل بحيث يناسب المساحة التي سترسم فيها الصورة .

هذا بالإضافة الى أن الاختلاف في الأداء بين فن وآخر ، اذ أن فنى النحت والتصوير لهما طريقة خاصة في التعبير تختلف عن غيرهما من الفنون التشكيلية الأخرى .

هذا الى أن اختلاف التعبير عن الفن من عصر الى عصر ، كالطريقة المثالية والواقعية عند اليونانيين القدماء ثم الطريقة الرمزية التي تخضع لتقاليد دينية معينة عند شعوب الشرق القدماء مثل المصريين والفرس والهنود والصينيين ، ثم الطريقة الكلاسيكية في العصور الوسطى في أوروبا ، ثم الطريقة التجريدية عند الأقباط والتحويرية عند المسلمين في العصور الوسطى ثم الرومانسية في القرن الثامن عشر ، ثم المدارس والمذاهب الجديدة التي ظهرت في العصر الحديث من تأثيرية وتعبيرية وسريالية ودادية وما إليها ، كل هذا جعل هذه الرسوم التي نجدها على التحف الأثرية أشبه ما تكون بالرسوم الكاريكاتورية منها بالرسوم التي تسجل الواقع كما هو . فمثلا رسم المصورون القدماء الشراع المربع ، على شكل مثلث قاعدته الى أسفل ورأسه الى أعلى السارى ، وذلك حتى لا يأخذ مساحة كبيرة من المكان المتروك لرسم السفينة كلها . كذلك كثيرا ما يضيف الفنان ، بوحى من وطنيته أو رغبة في اظهار عظمة عصره ، أطوالا وأبعادا أخرى الى طول السفينة ، ولكن غاب عنه أن اضافة مثل هذه الأطوال والأبعاد تتطلب منه اضافة أجزاء أخرى ضرورية

لتقوية صلب وهيكل السفينة ، وهكذا نرى أن مثل هذه الرسوم ليست ذات أهمية كبيرة في بعض الأحيان ، وانها يجب أن تؤخذ بحذر .

ويعتبر العصر الفرعوني من أغنى العصور التاريخية بالنسبة لموضوع المراكب والسفن فقد أمدنا بالمصادر الأساسية الثلاثة ، فترك لنا آثارا مادية لمراكب متعددة الأشكال والأنواع ، كما أورد تاريخا مفصلا للمراكب مسجلا على أوراق البردى ، وفي النصوص المنقوشة على جدران المعابد ، أما عن رسوم السفن فان الفنان المصرى لم يترك مغبدا أو مقبرة دون أن ينقش عليها رسما لسفينة أو مركب ، بالرسم والحفر والتجسيم .

فقد كانت المركب عنصرا جوهريا في عقيدة المصرى الدينية ، ذلك انه اعتقد ان (رع) اله الشمس يعبر السماء من الشرق الى الغرب في قارب أطلق عليه اسم « معندجت » (انظر لوحة رقم (٦) (أ)) واعتقد ذلك أن آلهة مختلفين كانوا يصحبون (رع) في قاربه كنوتية له ، وحين يصل الاله الى الأفق الغربى كان ينتقل من قارب النهار الى « قارب السماء » ، وأطلق المصرى عليه اسم « مسكتت » ثم يتابع بعد ذلك رحلته الى العالم السفلى فتنتشع عنه الظلمة ، ويصل في آخر الأمر الى الشرق عند مطلع النهار التالى . وهكذا نرى أن الملاحة واستعمال المراكب والسفن لعبت دورا هاما في حياة المصرى القديم ، اليومية منذ أقدم العصور ، بل لقد تأثرت تأثيرا واضحا في ديارته ، فقد رأى المصرى في السماء صورة مماثلة لأرض الوطن ، فيها نيل سماوى تجرى على صفحته المراكب ، التى ينتقل بها الآلهة من مكان الى آخر تماما كما يحدث على الأرض .

وليس من شك في أن النيل العظيم كان الوسيلة الأولى التى اعتمد عليها المصرى القديم في تنقلاته بين جنوب الوادى وشماله ، بل لقد بقيت الملاحة هى السبيل الأهم للنقل والسفر طوال العصور القديمة حتى أن المصرى أطلق على رحلاته التى كان يقوم بها سواء على اليابسة أو على الماء ، تعبيرين استوحاهما من السفر

على صفحة النيل ، فكان يقول « أبحرت ضد التيار » اذا اتجه جنوبا « أبحرت مع التيار » اذا اتجه شمالا (١) .

على أن المصرى القديم لم يقصر المركب على اله الشمس وحده ، بل لقد منح كل اله من آلهته مركبا خاصا به ، ونجد هذا ممثلا أحسن تمثيل في صورة الدائرة الفلكية (Zodiac) المرسومة في سقف معبد دندرة (٢) ، فهي تمثل صفحة السماء بآلهتها ولكل قاربه ينتقل فيه بين أبراجها . كذلك كان من الطقوس التى يقوم بها المصرى فى الأعياد الدينية أن يحمل آلهته فى مراكب طويلة يطوف بها أرجاء المعبد ثم يخرج بها الى المدينة ، وكان يضع كل تمثال من هذه التماثيل فى ناووس خشبى يتوسط قاربا صغيرا تفنن فى زخرفته ونقشه (٣) انظر لوحة رقم (٦) (ب) .

ويتضح من الرسم الذى وجد لقارب فى متون الأهرام وفى النماذج الخشبية المتعددة التى عثر عليها ، والتى تمثل هذا القارب ، انه التزم أسلوبا معيناً فى شكله وطريقة بنائه ، لم يختلف مطلقا طوال العصور المصرية القديمة ، ويقول الدكتور عبد المنعم أبو بكر « نستطيع أن نؤكد أن القارب الشمسى كان يحوى دائما دفعة واحدة وكان خلوا من المجاديف الجانبية التى تدفعه نحو الأمام ، ومعنى ذلك انه كان دائما يربط الى عدة قوارب أخرى تسحبه من ورائها على صفحة الماء » .

أما أسلوب بنائه فقد جعله قاربا مبتدا مع ضيق فى مساحته الداخلية ، مقدمته ترتفع الى أعلى وتنتهى بقمة تكاد تكون مربعة تتدلى منها ستارة اما من الحضير المجدول أو من خيوط متعددة منظوم بها خرز من القاشانى (انظر لوحة رقم ٦ (ج)) . وتتميز المؤخرة ب بروز ينجنى أولا الى الداخل ثم لا يلبث أن يمتد فى استقامة الى الخارج ، وتقوم فى وسط القارب قوائم خشبية تعلوها رموز مختلفة ترمز الى نواح دينية معقدة توارثها المصريون أقدم العصور .

(١) عبد المنعم أبو بكر ص ١٩ .

(٢) ابراهيم لصحنى ص ١٦٧ .

(٣) عبد المنعم أبو بكر ص ٢٢ .

أما المراكب الجنائزية للملك خوفو (١) ، التي عثرت عليها مصلحة الآثار المصرية سنة ١٩٥٤ ، ففيما يلي وصفها كما أثبتته السيد أحمد يوسف (رئيس قسم الترميم بمصلحة الآثار) ، وكما سجله الدكتور عبد المنعم أبو بكر : « يصل مركب خوفو (٢) الجنائزى فى طوله (٤٣) مترا وعرضه عند الوسط (٨) أمتار ، ومقدمته ترتفع فى استقامة تنتهى بزهرة بردى فى حين تنتهى مؤخرته التى تتجه الى الداخل بحلية على هيئة زهرة البردى أيضا . وكان المركب مزودا عند المؤخرة (بكابين) يتكون من حجرتين الأولى صغيرة وتتلوها حجرة متسعة ، وهناك ثلاثة أبواب ، أحدهما استعمل كمدخل للحجرة الصغيرة والثانى أقيم فى الحاجز بين الحجرتين ، والثالث استعمل كباب للخروج الى مؤخرة المركب . أما المقدمة فقد زودت بمظلة طويلة يبلغ طولها (١٥) مترا وقد عثر على قوائمها الخشبية فى حالة

(١) قامت مصلحة الآثار بإزالة الرمال العالية التى تراكت على الجزء الأسفل من الجانب الجنوبي للهرم الأكبر ، ولما وصل المال فى تنظيفهم لهذه المنطقة إلى سطح الحفيرة عثروا فى مايو سنة ١٩٥٤ على حفرتين طويلتين تمتدان من الشرق إلى الغرب يغطى كلا منهما سقف يتكون من (٢١) كتلة حجرية ضخمة ، ووقع الاختيار على فتح الحفرة الشرقية ، أما الغربية فهى باقية لم تمس . والحفرة عبارة عن مستطيل طوله (٣١ر١٥) متر ، وعرضه (٢ر٦٠) متر وعمقه (٣ر٥٠) متر . والحفرة مسقوفة بكتل ضخمة من الحجر الجيري الأبيض طول الواحدة منها (٥ر٤) متر وعرضها (٨٠) سم وارتفاعها (١ر٨٠) متر . وتزن الواحدة منها (١٨) طناً ، وترتكز على بروز فى الضخخ يبلغ عرضه أكثر من (٣٠) سم ويمتد على طول الجانبين الشمالى والجنوبى للحفرة وعلى عمق من السطح يبلغ (١ر٨٠) متر . والتصقت هذه الكتل الحجرية الواحدة منها بالأخرى بواسطة طبقة ملاطية سمكة . ثم سكبوا بعد ذلك مادة سائلة من الجبس المختلط بالماء فوق هذه الطبقة الملاطية وذلك لئلا الفراغ منها كان صغيراً ، وهكذا أصبحت الحفرة بما تحتوىه منقلعة إغلاقات محكمات بعد كل عوامل التحلل من الحشب وأبقاء سليماً فى حالته الطبيعية منذ سنة ٢٨٠٠ ق.م أى منذ ما يقرب من خمسين قرناً .

Ahmad Yousof : The lifting up of the wooden parts of the Giza boat

(٢) كان المركب مفككاً تكديست أجزاؤه الخشبية التى كانت مرتبة ترتيباً مقصوداً بحيث وضع كل جزء منها ملاصقاً لما يتصل به من أجزاء أخرى فى بناء المركب ، وتكديست هذه بعضها فوق بعض فى تنسيق جدير بالإعجاب بحيث ملأت فراغ الحفرة طولا وعرضا وعمقا من ناحية وبحيث يبدت فى شكلها العام كمركب . بلغت أجزاء المركب أكثر من (٦٠٠) جزء بلغت بعضها وخاصة تلك التى تكون الجانبين فى طولها أكثر من (٢٣) متر وتزن الواحدة منها أكثر من طنين ، وقطعت كل منها من شجرة واحدة . واستعمل فى بنائها غالباً شجر الأرز الذى استورده المصريون القدماء من لبنان ، إلا أن بعض أجزاء هذا المركب صنع من أخشاب محلية مثل السنبط والجميز ، وهى الأجزاء الداخلية كالأرضية والحجرات وسقفها .

(المراكب الجنائزية للملك خوفو ص ١٩) .

جيدة (١) . ويحتوى المركب على عشرة مجاديف ضخمة لتحريكه على الماء . هذا
عدا الدفة ، ولم يعثر على رمز واحد من الرموز الدينية المختلفة التى تتوسط مراكب
الشمس .

ويضيف عبد المنعم أبو بكر فيقول « ان مصلحة الآثار منذ ٣٥ عاما كشفت
عن ثلاث حفر لمراكب أخرى الى الشرق من هذا الهرم ، وبذلك يكون خوفو قد
زود نفسه بخمسة مراكب كما أن البحث الأثرى حول هرم خفرع أدى الى العثور
على خمسة مراكب له ، تشرت مأويها فى الصخر الى الشرق من الهرم . ثم يستأنف
حديثه عن المراكب الجنائزية فيقول « حقيقة اننا لم نعر بعد على أى مركب للملك
(سنفرو) والد خوفو أول ملوك الأسرة الرابعة ولكن هذا لا يعنى أنه لم يتزود
بالمراكب ولعلها لا تزال مطمورة فى الرمال بالقرب من أحد هرميه بمنطقة دهشور » .

أما عن الدوافع التى حثت على المصرى تزويد المقابر الملكية بخمسة مراكب
جنائزية ، فهى اعتباره المبارك التى خاضها الملك مينا ، ليصبح ملكا على الشمال
ومراحلها المختلفة أشبه بمراسيم ضرورية . تكون جزءا من مراسيم التتويج ، وأصبح
لزما على كل ملك أن يزور أهم هذه الدويلات ويتلقى من آلهتها حقوق الجلوس
على عرش الفراعنة ، وهذه المدن هى : — هليوبوليس ، التى وردت فى التوراة
باسم (أون) أقدم عاصمة للقطر المصرى ومركز عبادة اله الشمس ، ثم مدينة
سايس ، وتقوم أطلالها الآن عند مدينة صا الحجر ، التى كانت مراكز لعبادة الاله
(نيت) حامية مصر السفلى . وبعد ذلك مدينة (بوطو) وموقعها الآن جنوب
بحيرة البرلس ، عند تل الفراعنة ، وهى المركز الذى خرج منه الملوك الذين وحدوا
البلاد للمرة الأولى فى عصر فجر التاريخ ، ومن ثم فقد اعتبرت هذه المدينة عاصمة
تقليدية للدلتا وأحييت بقدسية كبيرة طوال العصر الفرعونى . وهكذا نرى أن الملك
كان يحتاج الى ثلاثة مراكب ليحجج بها الى هذه العواصم الثلاث المهمة ، أما المركب
الرابع فكان يحتاج اليه ليؤدى فيه طقوس التتويج التى يتحتم أن تقام فى مركب

(١) عبد المنعم أبو بكر : المراكب الجنائزية للملك خوفو (ص ١٩) مجلة السياحة العدد ٢٥

يناير سنة ١٩٥٩ .

كبير يرسو الى الشاطئء بالقرب من العاصمة . أما المركب الخامس فقد كان يستعمل في نقل جثمان الملك المحنط من العاصمة منف الى المقبرة الملكية بمنطقة الجيزة .

أما عن بلاد اليونان فقد كان لتكوينها الطبيعي وموقعها الجغرافي أثر كبير في اعتمادها على البحر ، ومن ثم فقد كانت السفينة ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها، وبذلك تمرس اليونانيون في ركوب البحر منذ أقدم العصور وتثقفوا بثقافته . وقد وجدنا في بلاد اليونان مجموعة من الصور والرسوم لسفن ومراكب كبيرة وصغيرة ترجع الى العصر الحديدي معظمها مرسوم على زهريات خزفية ، بالأسلوب المعروف (بالأسلوب الاغريقي الهندسى) . والواقع أن هذه الرسوم والصور لها أهمية خاصة ، اذ أنها تطابق الوصف الذى أعطاه هوميروس ^(١) للسفينة الحربية ، اذ قال انها عبارة عن مركب طويلة ورفيعة وخفيفة حتى يسهل على بحارتها جرّها وسحبها الى الشاطئء (انظر شكل ٨) ، ولا يزيد عدد بحارتها عن خمسين بحارا ، ولا يستعمل الا في فصل الصيف ، ويضيف ان مثل هذه السفن كثيرا ما تتحطم عندما يرتطم بعضها ببعض . وكانت السفينة التى وصفها هومر مزودة بصار يمكن انزاله الى مقدم السفينة وبذلك يكون ما يشبه المظلة أو الخيمة ، وفي هذه الحالة لا يستعمل الهراع المربع الا اذا كانت الرياح فى اتجاه السفينة ، أما مؤخرة السفينة فقد صمم مرتفعا حتى يحميها من أمواج البحر . وكانت السفن تسير بواسطة أربع دفات كل واحد منها مركب على ربع من السفينة ، أما وسط السفينة فكان ضحلا ، وكانت المجاديف ترتكز على قضيب من الحديد مثبت على جانبى السفينة . ولما تطور فن بناء السفن فى القرن الخامس قبل الميلاد وجدنا أن رسوم السفن والمراكب على الزهريات قد أصبح يحتوى على جوانب مرتفعة وبها فتحات خاصة ترتكز وتتحرك فيها المجاديف (شكل ٧) .

وعند دراسة تفاصيل أجزاء تلك السفن دراسة علمية فنية دقيقة وجدت متناقضات كثيرة بين ما هو واضح فى الرسم والصورة ، وبين ما جاء فى شرحها ووصفها فى

(١) Lethbridge, T.C. Shipbuilding, vol. III, P. 563

كتب الأدب والتاريخ وذلك بالنسبة لطريقة التجديف في تلك السفن ، فمثلا نجد بعض الاصطلاحات مثل ^(١) : (bireme & Trirem & Quinquereme) وقد فسرهما البعض على أنها سفن ذات صفين أو ثلاث أو خمسة من المجاديف ، بينما يقول البعض الآخر أن هذه الاصطلاحات ترمز الى تعدد البحارة الذين يستعملون المجداف الواحد ، وهو بذلك يشبه الاصطلاح الحديث ^(٢) . (double-banked) الذى يعنى أن المجداف الواحد يستعمله بحاران . ويستشهد الفريق الثانى بما لراه فى السفن الحديثة المستعملة فى غرب أوروبا التى يصل عدد البحارة الذين يستعملون مجدافا واحدا فيها الى خمسة . وكذلك نرى فى السفن البرتغالية التى ما تزال تستعمل حتى الآن والتى تعرف باسم (Saveiro) ان عدد البحارة الذين يستعملون مجدافا واحدا يصل الى تسعة وعشرة .

وبعد أن استعرضنا الرأيين المتناقضين السابقين ، وبعد الاطلاع على الصور والرسوم نخلص الى رأى التالى وهو أن الاصطلاح : (bireme, Trireme, quinquereme) انما يعنى تعدد البحارة وليس تعدد المجاديف . وذلك اعتمادا على الآتى :

أولا — اتنا نجد فى رسم جوانب السفن صفا واحدا من الفتحات ، فى كل فتحة مجداف واحد ولو تعددت المجاديف لتعددت صفوف الفتحات ، هذا ولا تسمح الفتحة الا بمجداف واحد .

ثانيا — ان رأى القائل باستعمال المجداف بحار واحد يصبح غير معقول ، اذا عرفنا أن طول ووزن المجداف الواحد المستعمل فى السفن التى يطلق عليها اسم (quinquereme) فوق طاقة احتمال أى فرد بشرى .

(١) Lethbridge : Vol. II, P. 565.

(٢) Charles Singer : History of Technology, vol II, P. 565.

وفي العصر البطلمي ظهر اصطلاح جديد هو (Cataphract) ^(١) ومعناه السفينة التي يستعمل المجدف الواحد فيها تسعة من البحارة ، كما أن هذا الاصطلاح كان يعنى كذلك الفارس ذا الدرع والسلاح الثقيل ، أى أنه يعنى السفينة المسلحة ، ومن المرجح أن تكون السفينة ^(٢) (Cataphract) تحتوى على جانبين سميكين يحميانها من التحطيم اذا ما ارتطمت بسفينة أخرى . كما انهما يحميان البحارة القائمين بعملية التجديف ، وفي نفس الوقت تسمح بعمل ظهر للسفينة يقى المجدفين من الأخطار ، ويسمح لباقي البحارة بسهولة الحركة وأداء أعمالهم التي لا تقل في الأهمية عن عملية التجديف بالنسبة لسير السفينة . وكان لا تتصار (Antigonos) اتحنوني باستعماله هذا النوع من السفن الحربية في موقعة كوس (Cos) سنة ٢٥٨ ق . م أثر كبير في ذبوع صيتها وشهرتها ^(٣) .

وفي منتصف القرن الثالث قبل الميلاد وجد نوعان متميزان من السفن الحربية ، النوع الأول خفيف وكان يعرف باسم جالى الخفيف (light Galley) والثانى ثقيل وكان يعرف باسم جاليون الثقيل (Heavy Galleon) ^(٤) .

ويمكن أن نستخلص من قصص هومر ، أن السفن التجارية كانت تستخدم الشراع فقط أما السفن الحربية فكانت تستخدم المجاديف ، وفي الحقيقة أن هذا رأى منطقي ومعقول إذ أنه يوفر على السفن التجارية أجور العدد الكبير من البحارة الذين يقومون بعملية التجديف وبذلك تقل الأجور الإضافية على السلعة مما يساعد على رواجها . ومن أحسن الأمثلة لذلك حطام السفينة التجارية التي عثر عليها ^(٥) سنة ١٩٥٤ غارقة بجوار جزيرة بالقرب من مدينة مرسلية وترجع الى العصر الاغريقي ، ويبلغ طولها (١٠٠) قدم ومغلقة بالقصدير . وكانت السفينة مخصصة لنقل

(١) Lagraviere : La Marine des Anciens, P 19

(٢) Cecil Torr : Ancient Ships, P. 23.

(٣) Tarn : W.W. : Hellenic Military & Naval Developments, P. 37.

(٤) Parrière, Claud : Navires, P. 17.

(٥) L. C. Lethbridge : Vol. II, P. 569.

البضائع ، فقد عثر فيها على جرار خمر وخزف مستورد من جزيرة رودس ترجع الى سنة ٢٥٠ ق.م . كما أن تغليف هيكل السفن بالقصدير معروف في القرن الثالث قبل الميلاد عند الرومان .

وفي العصور القديمة لم تكن السفن الحربية الثقيلة هي التي تفوز بالنصر دائما بل كانت السفن الخفيفة السريعة الحركة هي المنتصرة في بعض الأحيان ، كما حدث في موقعة اكتيوم سنة ٣١ ق.م التي دارت رحاها بين الأسطول المصري المكون من السفن المعروفة باسم (Cataphract) كتافراكت الثقيلة الوزن والذي كان يتولى قيادته أنطونيو وكليوباترة ، وبين الأسطول الروماني المكون من سفن الجالي الخفيفة (Light Gallery) والذي يتولى قيادته اكتافيوس (١) .

وعندما ظهر القرصان الكسكسون في البحار الشمالية ، بدأ الاستغناء عن السفن الحربية الكبيرة ذات الحركة البطيئة ، وحل محلها السفن الصغيرة السريعة الحركة التي تعمل بالبرترول . أما بالنسبة للسفن التجارية التي تبحر في البحر الأحمر والمحيط الهندي ، فقد كان الوضع يختلف تماما ، ذلك أن أعمال القرصنة كانت قاصرة على البحار الشمالية والبحر الأبيض المتوسط . وكان الخطر الوحيد الذي تخشاه السفن التجارية ذات الأحجام الكبيرة هو تقلب الظروف الجوية ، وبذلك فإن معظم السفن التجارية لم تكن تبحر برحلاتها الا عندما تتأكد من الظروف الجوية المناسبة ، والرياح المساعدة ، فقد كانت السفن تنتظر موسم الرياح الموسمية (monsoon) لكي تبدأ رحلاتها في المحيط الهندي (٢) .

كذلك عثرنا على رسوم وصور تبين السفن التجارية في القرنين الأول (٣) والثاني الميلادى عند الرومان ، وهي محفورة على الحجر (انظر شكل ١٦) . وقد أعطتنا تلك الرسوم فكرة لا بأس بها ، ذلك أن معظم الفنانين يرسم المركب أو السفينة في مساحة صغيرة أو حيز ضيق ، ولذلك فانه يجد نفسه مضطرا لتجاهل

(١) Macquart : Organisation militaire chez les Romans, P. ١53.

(٢) Singer : Shipbuilding, vol. II, P. 573.

(٣) Lethbridge : Vol. II, P. 574.

وترك كثير من الأجزاء الهامة بالنسبة لها ، أما الرسوم التى نحن بصدد الكلام عنها ، فقد عنى الفنان عناية خاصة ببيان كل أجزاء السفينة ومعظم تفاصيلها . ونلاحظ بهذه السفن أن الهيكل ينتهى باستدارة عند طرفيه ، كما هو الحال فى سفن الصيد الحالية ، كما نلاحظ وجود دفتين فى منتصف كل جانب من جوانب السفينة بحيث يقسمها الى أربعة أجزاء ، وقد قوى هيكل السفينة وذلك بتقوية الجوانب بثلاث أو أربع عقد لحمايته من الاحتكاك برصيف الموانى ، كما أن تقوس طرفى السفينة ينتهى بقمة أو رأس بارز على سطح الماء يسهل معه ربط مقدم الشراع به . كما يوجد حامل للمرساة ، وعلى ظهر السفينة مجموعة من الغرف ، وفى مؤخرتها يوجد دهليز ضيق يؤدى الى حرم معبودهم الحارس . وفى وسط السفينة ينتصب عمود الصارى الرئيسى ، أما الصارى الثانى فيوجد فى المقدمة ، وعلى كلا الشراعين تقوم شرع مربعة الشكل مثبتة بحبال بنفس الطريقة التى نعرفها الآن ، وفى قمة الصارى الرئيسى يوجد شراع مثلث .

وفى القرن الثالث الميلادى تطور بناء السفن الحربية بعض الشيء ، فقد أصبح الهيكل قليل العمق ، ومغلظا بالقصدير . أما فتحات المجاديف فقد أحيطت بطبقة من الجلد حتى يسهل انزلاق المجداف فيها ، ويعلو صف الفتحات ظهر السفينة . وأصبح للسفينة دفتان على جانبيها من الوسط وفى طرفها معبر خشبى مثبت بمسامير كبيرة ، فاذا ما اقتربت السفينة من سفن العدو فإن المسامير الكبيرة تقوم بعملية تمزيقها وتحطيمها ، أما المعبر الخشبى فهو متحرك ويستعمل للعبور عليه الى سفن العدو ، أو للعبور عليه للشاطئ ، وقد بقى هذا التصميم للسفن الحربية قرابة (١٥) قرنا لم يدخل عليه شئ يذكر .

السفن والمراكب في العصور الوسطى

أما بالنسبة للسفن في العصور الوسطى ، فانه من الصعب معرفة شيء مادي مؤكد عنها ، ذلك أن الرسوم التي عثرنا عليها كانت ركيكة وهزيلة ، هذا بالإضافة الى أن الفنان الذي رسمها كان يجهل حتى المعلومات البسيطة عن صناعة السفن. وقد استقينا معظم معلوماتنا عن السفن في العصور الوسطى من الصور والرسوم التي وجدت في المخطوطات وخاصة الاسلامية منها ، والتي انتشرت في القرن الثاني عشر الميلادي . واذا علمنا أن رسوم وصور المخطوطات الاسلامية ما وجدت الا لتوضيح المتن وليس لظهار فن التصوير ، أو لتزين المخطوط. أدركنا أن الفنان عني في الدرجة الأولى لتوضيح الخطوط الرئيسية للقصة أو الموضوع الذي جاء في المتن ، أما التفاصيل فلم تكن غايته أو موضع اهتمامه . هذا بالإضافة الى أن الخطاط المسلم كان صاحب المقام الأول ، ولذلك فقد كان يقوم أولاً بنسخ المخطوط ثم يترك المساحات التي يراها للمصور ، الذي كان يليه في الأهمية لكي يملأها بما تتسع له من الموضوعات التي وردت في المتن .

ومما زاد الأمر تعقيداً أن القرصنة كانت منتشرة في العصور الوسطى انتشاراً

كبيرا ، مما دعا أن تبنى كل السفن التجارية والحربية على السواء ، بطريقة تستطيع معها الدفاع عن نفسها وقت الخطر ، ولذا أصبح من العسير التفرقة بين السفن الحربية والتجارية . فقد أصبحت مؤخرة كل سفينة تحتوى على ساحة^(١) للقتال ، وفى بعض الأحيان على ساحتين ، احدهما فى المقدمة والثانية فى المؤخرة (انظر شكل ٣٩) وقد انتقلت فكرة بناء ساحة للقتال وكذا الاصطلاح (fore castle) من سفن البحر الأبيض المتوسط الى سفن البحار الشمالية ، وذلك ابان الحروب الصليبية .

الواقع أنه من الصعب أن نرسم صورة متصلة الحلقات لتاريخ فن بناء السفن ذلك لأن هناك فترات متعددة من التاريخ لا نجد تسجيلا لتاريخ بناء سفنها بأى صورة من الصور^(٢) . فمثلا لا نعرف على وجه التحديد متى بدأ استعمال دفة واحدة فى مؤخر السفينة بدلا من دفتين على جانبيها ، وان كانت هناك بعض الشواهد تدل على أن الصين كانت تعرف دفة المؤخرة قبل أوروبا بعدة قرون ، فقد استعملت^(٣) الصين الدفة فى المؤخرة منذ القرن الثامن الميلادى بينما عرفتھا أوروبا فى سنة ١١٨٠ م . ومن المرجح أن تكون الدول الاسلامية فى الشرق الأوسط هى حلقة الاتصال بينهما ، فقد عثرنا على ختم عليه رسم سفينة ذات دفة فى المؤخرة فى بولندا يرجع الى سنة ١٢٤٢ م (انظر شكل ٣٧) .

كما يرجح استعمال الشراع المعروف باسم لاتين (Lateen) الى العصر اليونانى الرومانى وهو عبارة عن الشراع المربع المعروف فى حوض البحر الأبيض الذى يثبت من طرفين من أطرافه الأربعة فى العمود المثبت فى وسط الصاري فيبدو الشراع وكأنه مثلث الشكل (انظر شكل ٣٨) ، ومع ذلك فائنا لا نعرف بالتحديد متى بدأ استعمال هذا الشراع فى سفن البحر الأبيض المتوسط والبحر

(١) Lethbridge, vol. II, P. 582.

(٢) Charles Singer, P. 583.

(٣) Singer : Epilogue, East & West in retrospect, P. 771, vol. II.

الأحمر ، هذا وقد نطق الفرنسيون اسم (lateen) :- (latin) ^(١) فاعتقد البعض أن أصله لاتيني وليس هذا بصحيح بل هو مجرد تشابه في النطق .
وقد كان وضع الدفة في مؤخر السفينة يستتبع اجراء بعض التعديلات في تصميم السفينة بحيث تستطيع الدفة أن تتحكم في اتجاه سيرها ، وبذلك تلاشت المؤخرة المرتفعة وحلت محلها مؤخرة بها فتحة تنفذ منها خشبة الدفة ، بحيث تصبح في مستوى يدي البحار . وقد حدث هذا التطور أول الأمر في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ولكننا لا نعرف متى بدأ على وجه التحديد ، وإن كنا نرى أحسن الأمثلة لهذا التطور في سفينة الامبراطور البيزنطي ^(٢) جون الخامس (Paleologus) في القرن الرابع عشر . ولكن ليس معنى هذا أن المؤخرة المرتفعة قد اختفت أو تلاشت في ذلك الوقت ، فمن الثابت أن الايطاليين استعملوا في أوائل القرن الرابع عشر المراكب الشمالية ذات المؤخرة المرتفعة والشرع المرتفع لاتين (Lateen) في التجارة (انظر شكل ٤٠) ، بل اثنا نجد في صور ورسوم سفن الشمال حتى القرن السادس عشر المؤخرة المرتفعة .

وفي القرن السابع عشر أصبح من السهل التعرف على شكل السفن وتفاصيلها الرئيسية والفرعية على السواء ، ذلك لأن الفنانين كانوا أقدر على رسمها وبيان تفاصيلها الدقيقة . كما أصبحت المتاحف تزرخ بمجموعات متعددة لنماذج السفن ، كذلك ازدحمت المخطوطات بصور المراكب الدقيقة ، بعد أن أصبح للمصور الاسلامي ، شخصية مميزة ، وبعد أن أصبح له مكانه المرموق في الأوساط الفنية وفي بلاط الملوك والأمراء . كذلك عنى الكتاب والعلماء بتصنيف المؤلفات الخاصة بالملاحة والسفن ، ووضعت القواميس والموسوعات الخاصة بالمصطلحات البحرية ، وخاصة في هولندا وفنلندة ^(٣) . كما أدى تقدم علم الرياضه والعلوم على تقدم فن بناء السفن ، وعليه فقد زادت حمولة السفن الحربية ، وأصبحت قادرة على حمل عدد أكبر من المدافع ، أما بالنسبة للسفن التجارية فقد ظلت حمولتها كما هي أي ما يقرب من (٢٠٠) طن في المتوسط للسفن عابرة المحيطات .

(١) Lithbridge : vol. II, P. 584.

(٢) البحرية البيزنطية ص ١٧٩ .

(٣) Naish : G.P.B. : Ships & Shipbuilding, vol. III, P. 478.

وهناك ظاهرة هامة بالنسبة لتاريخ فن بناء السفن تستحق التسجيل ، وهي أن طراز السفن في العالم كله كان واحدا في العصر الواحد ، بغض النظر عن اختلاف الجنسيات مع بعض تغيرات طفيفة كانت تقتضيها طبيعة وجغرافية البلد التي تستعملها . فمثلا كانت السفن الهولندية تقاسى مخاطر جسيمة عند عبورها مياه بحسيرة (Zuider Zee) الضحلة لكي تصل الى أمستردام . لذلك نجد هيكل السفن هناك أقل عمقا وتقعيرا عن السفن الانجليزية وسفن حوض البحر الأبيض المتوسط . وهناك سفن تجارية صغيرة تعرف باسم (Pirck) القرقلية ، كانت متشابهة الطراز في جميع أنحاء العالم ، كذلك كان طراز الغليون هو السائد في ذلك القرن وان كان قد زاد طولها عن قبل وانخفضت مقدمتها ومؤخرتها وكذا ساحات قتالها .

أما في القرن الثامن عشر فقد بدأت تظهر بعض التعديلات على السفن الحربية اذ أصبح للسفينة دفة واحدة بدلا من اثنتين ، كما أصبحت الدفة مدلاة من مؤخر السفينة وليست في الوسط ، كما كانت من قبل ، وأصبح محور ارتكاز المجذاف مثبتا على القضيب الحديدي على جانب السفينة ، الذي كان يستعمل من قبل كمعبر للنزول على الشاطئ أو للانقضاض منه على سفن العدو . كذلك أصبحت السفن تحتوى على أكثر من شراع ، على اثنين أو أكثر . وبعد أن كانت قاصرة على الشراع المربع الذي اختصت به سفن البحر الأبيض المتوسط الذي عرف باسم لاتين (lateen) ، وهو عبارة عن شراع يبدو عند تعليقه على الصاري وكأنه مثلث الشكل بزاوية ٤٥° ، وأصبحت تستعمل كذلك الشراع المثلث . كذلك حل محل العدد الكبير من البحارة مدفعا بارود عيار كل منهما (٢٤) بوصة يوضعان في أعلى مقدم السفينة .

بناء السفن ولجزائها

استعانت الدولة الاسلامية في أوائل عهدها في بناء السفن على أبناء الأمم التي دانت لها وخضعت لحكمها وفيهم الملاحون والنوتية الذين حذقوا هذه الصنعة وبرعوا فيها ، ولما استقر ملكهم ، واتسع سلطانهم ورست أساطيلهم على مرافئ وموانئ البحار والمحيطات البعيدة ، وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته برع منهم صناع تفننوا في عمل السفن البحرية وأكثروا من بنائها حتى ملأوا البحار بالجوارى المنشآت . ووضعوا لها الأسماء بحسب اختلاف أشكالها وتباين أجامها وحجومها . على أنه مهما تعددت أنواع السفن وتنوعت حجومها لا تخرج عن كون جزئها السابح في الماء يشبه الحوت في عومه وفي ذلك يقول ابن خلدون (١) « وهى أجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبحة في الماء بقوامه وكلكله ليكون ذلك الشكل أعون لها في مصادمة الماء ، وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسماك تحريك الرياح ، وربما أعينت بحركة المقاذيف كما في الأساطيل » .

المركب والسفينة والفلك والدرء أعلام على جنس السفينة وكلمة

(١) المقدمة ص ٨٩ .

(دو (١) (Daw)) اسم لها كذلك من اللغة السواحيلية وان لم يستعمله العرب كثيرا ، كما أنهم نطقوه (داوودو) (٢) . والسفينة لغة جمعها سفائن وسفن وسفين ، وهي الجارية من المراكب الكبيرة ، من سفن الشيء سفنا يسفنه أى قشره ، وقد سميت كذلك لقشرها وجه الماء ، وصانعها السفان وحرفته السفانة. وقد وردت في الشعر الجاهلي ، اذ قال لقيط بن يعمر :

يا لهف نفسي ان كانت أموركم شتى ، وأحكم أمر الناس فاجتمعا
أنى أراكم وأرضا تعجبون بها مثل السفينة تغشى الوعث والطبعما
كذلك وردت في القرآن في سورة العنكبوت الآية (١٥)
« فأنجيناها وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين » .

وتستمد السفن العربية أسماءها المختلفة من شكل الهيكل ، مثل البغلة (٣) والقنجة (٤) والسنبوق (٥) والجهازى (٦) ، وغيرها من الأسماء تطلق الآن على السفن ذات المؤخرة المربعة مع بعض تغيرات طفيفة في الشكل والزخرف .

أما في أوروبا فان أسماء السفن تؤخذ من هيئة معداتها . ويتكون هيكل السفينة أو جسمها من الأجزاء الآتية :

المقدم والجؤجؤ والدقل هي أجزاء المركب الأمامية ، وقد قيل في تفسير معنى الجؤجؤ أنه صدر السفينة ، وقال الشاعر :

يكب الخلية ذات القلاع وقد كاد جؤجؤها ينحطم

(١) العرب والملاحة ص ٢٤٣ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مادة (Daw) .

(٣) بغلة جاءت في دوزى بغلة الحائط ، ولعل المراد بها السفينة التى تسير بمعاونة السفن الكبيرة لحمايتها (Dozy, Part I, P. 101) .

(٤) قنجة : جمعها قنج أو فنج ، مركب مثل الجنول ، أو زورق ، وقنجة باش سفينة خاصة بالسلطان العثماني يركبها عند ذهابه إلى البسفور (Dozy, Part II, P. 409) .

(٥) السنبوق : أو الصنبوق بالفتحة سفينة كبيرة مكشوفة حولتها ما بين (٨٠ إلى ١٨٠)
طن مدينة المقدمة ومنتعة المؤخرة ، أما شراعيها فكبير من النوع المعروف باسم لاتين (Dozy, Part I, P. 690) .

(٦) الجهازى : من جهاز بمعنى سفينة فارسية ، وجاءت في الإدريسي جهازية وجهازى سفينة تجارية (Dozy, Part I, P. 228) .

أما الدقل فهو سهم السفينة وأصله الأول .

ومن الأجزاء الهامة في مقدمة السفينة الأنجر^(١) : أصله عراقي وهو مرساة السفينة ، وجاء في القاموس المحيط ، وفي المخصص^(٢) « أن تؤخذ خشبات فيخالف بينها وبين رءوسها وتشد أوساطها في موضع واحد ثم يفرغ بينها رصاص مذاب فتصير وكأنها صخرة ، ورءوس الخشب تشد بها الحبال وترسل في الماء ، فإذا رسبت رست السفينة فأقامت » . وجاء في القاموس المحيط ، وكان على ظهر السفينة عدد من المراسي يقال لكل منها أنجور بلفظها اليوناني وكان يستعمل لسبر الأغوار سبك ، والمرساة بفتح الميم البقعة التي رست فيها السفينة ، ويعرف الأنجر أو المرساة اليوم باسم الهلب .

وفي القرن العاشر كانت السفن عابرة المحيطات لها أكثر من مرساة قد تبلغ الستة في بعض الأحيان . وكانت مرساة سفن البحر الأحمر والمحيط الهندي حتى القرن السابع عشر غليظ لا دقة فيها ، فهي مصنوعة من الحجر وفي وسطها ثقب للحبال ، وأحيانا من الرخام (انظر لوحة رقم ٢١) ولكن ربما عرفت المراسي المعدنية أيضا ، كما هو الحال في سفن البحر الأبيض المتوسط قبل ذلك بزمان طويل ، وهي على شكل الخطاف ، كحال السفن الشراعية التي ما تزال تستعمل في تلك المناطق حتى الآن (انظر شكل ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦) .

والمؤخر هو أجزاء المركب الخلفية ، ويتكون من الأجزاء الآتية : السكان أو الخيزرانة أو الكوئل أو الدفة ، والسكان دفة السفينة التي في مؤخرها ، وتديرها ذات اليمين وذات الشمال ، وقيل لها سكان لأنها تسكن به عن الحركة والاضطراب . قال المقدسي^(٤) « كانت دفات السفن تجري في البحار تحرك بحبلين كسفن النزهة عندنا » .

ويقول دوزي^(٥) أن الكوئل هو القوفل : الدفة في مؤخر السفينة ، وقيل هو ذنب السفينة .

(١) الأنجر بالإنجليزية (Anchore) وبالفرنسية (Ancre) .

(٢) ابن سيده : المخصص ج ٩ ص ٢٧ .

(٣) الملاحة والعرب ص ٢٦٢ .

(٤) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٦٧ .

(٥) دوزي ج ٢ ص ٢٨٩ ، ٤٩٦ .

وكانت الدفة الجانبية هي النوع الوحيد الذى عرفه العالم القديم والوسيط، نهي ضرورة للسفن التى تمخر عباب البحار ، حتى اذا مالت الريح بأحد الجانبين فقد ترتفع دفة هذا الجانب عن سطح الماء أو يقل عمقها فيه الى حد لا يكون لها معه أثر (١) . على أن العرب عرفوا دفة المؤخرة فى القرن الثالث عشر ، فقد جاء فى وصف جوفاتى (٢) دى موتى للسفينة العربية « ولهم دفة ضعيفة واهية ، كسطح المائدة ، عرضها ذراع فى وسط المؤخرة (انظر لوحة رقم ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٢٩) .

أما القاع فهو جوف السفينة فى أسفل أجزائها ، والجمعة الموضع الذى يجتمع فيه الماء الراشح ، والسلوفية مقعد الربان من السفينة .

أما هيكل المركب الخارجى فيتكون من هراب (٣) ودعامات (٤) ، وكانت تقوى هياكل السفن الحربية بربطها بمجموعة من الجبال تعرف بالحزام (٥) أو الزنار ، وكان الحزام أو الزنار يربط فى وضع أفقى (انظر شكل ١٨ (أ)) وخاصة المقدمة والمؤخرة ، كما كانت الجبال تربط فى بعض الأحيان العمد التى تتوسط السفينة وتصلها بالمقدمة والمؤخرة حتى لا تتأرجح . وكانت هياكل سفن البحر الأبيض المتوسط والبحار الشمالية تصنع من خشب أشجار الصنوبر (٦) . وكانت السفن التجارية الكبيرة يختار لها خشب الصنوبر وفى كثير من الأحيان يغطى الصنوبر بطبقة من خشب البلوط (٧) حتى تحتمل السفن عملية الشد والجذب الى الشواطىء والموانى .

أما السفن الحربية فكانت هرابها تصنع من خشب البلوط ثم تغطى عادة بطبقة من خشب الزان (٨) ، أما السفن الصغيرة فكانت هرابها تصنع من الزان مباشرة .

(١) Clowes : Sailing Ships Part I, P. 48.

(٢) العرب والملاحه ص ٢٦١ .

(٣) الهراب : Keel

(٤) الضلوع : ribs

(٥) تعرف بمجموعة الجبال باسم hypozomata (Cecil : Ancient Ships, P. 39)

(٦) خشب الصنوبر (Cypress, cedar, pine)

(٧) البلوط (Oak)

(٨) الزان (beech)

ومن أغلى أنواع الخشب الذى تصنع منه السفن المصرية ، هو شجر اللبخ الذى لا يثبت الا بانصنا (١) . وجاء فى القاموس ، اللبخة شجرة عظيمة ثمرها كالتمر لكنه كريحه ، واذا نشر خشبه أرعف نأشره ، واذا شد لوح بلوح وطرحا فى الماء ستة أيام صار لوحا واحدا ، ويباع اللوح بخمسين دينار . ويقول ياقوت (٢) « وقد رأيت أنا اللبخ بمصر وهو شجر له ثمر يشبه البلح فى لونه وشكله ويقرب طعمه من طعمه ، وهو كثير يثبت فى جميع نواحي مصر » .

ومن الأخشاب الهامة كذلك فى بناء السفن المصرية خشب السنط ، وكانت مدينة البهنسا (٣) تشتهر بزراعة أشجار السنط التى كان يؤخذ أخشابها لبناء سفن الأسطول المصرى وقد ورد فى قوانين (٤) الدواوين « ان حراج البهنسا كان يدفع سنطا » ، ويحدثنا ابن ممتى عن الأماكن المنتجة للأخشاب الصالحة لعمل الأسطول فيقول « الحراج (٥) وهى فى الوجه القبلى من الديار المصرية بالبهنسا فى سفظ ، رشين ، ومنبال وشبطل ، وبالأشمونين وبالسيوطية وبالأخميمة والقوصية ، ولم تزل الأوامر السلطانية خارجة بحراستها وحمايتها والمنع منها والدفع عنها ، وأن توفر على عمائر الأساطيل المظفرة ، ولا يقطع منها الا ما تدعو اليه الحاجة وتوجه الضرورة . الا أن الولاة المقطعين وجهوا اليها ونحوا عنها ، فقطعوا أشجارها ومحو آثارها حتى لم يبق بقوص منها الا ما لا يؤبه له والا ما لا يعتد به » .

وأما حراج البهنسا ، فانه كان قد ورد على كتاب كريم ناصرى « بأن أندب اليها من يمسح ويكشف عنها عن ما (كذا) استضافة المقطعون من أرضها ، فلما كشفت عنها وجدت المحيف من أرضها ثلاثة عشر ألف فدان . ولهذا الحراج رسم يستخرج من النواحي يقال له مقرر السنط كأن الشئ يقرر على النواحي قبالة

(١) أنسا مدينة أزلية من مدن الصعيد شرق النيل (معجم البلدان) .

(٢) معجم البلدان ص ٥٨ .

(٣) تقع البهنسا على الضفة الغربية من خابج المنهى (بحر يوسف) بمحاظة المنيا اليوم .

(٤) ابن ممتى ص ٣٧ .

(٥) الحراج : بالكسر والحرج محرقة بالفتح : الموضع ، الغنيق الكثير الشجر (أقرب الموارد) .

(wooded valley)

ما يأخذونه من أطراف الأخشاب برسم عمارتهم أو أجرة من يباشر قطعها على سبيل النياية عنهم وليس عنهم بالكثير (١) .

ويضيف ابن مماتي فيصف ساحل السنط (٢) فيقول « موضع تصل اليه مراكب الحطب وتعتبر فيه وتبتاع على التجار منه ، ويشون حاصل الديوان ، وهي معاملة معتدة لها مستخدمون ، وارتفاع ومال وحطب ولا يبطن فيه ما يحمل وخشب العمل » .

ويقول المقرئى (٣) « وشح مرة خشب السفن في مصر ولا سيما اثر احتراق الأسطول في زمن الحاكم بأمر الله ، وجد على بن نسطورس بعمل الأسطول وطلب الخشب فلم يدع عند حد خشباً علم به الا أخذه منه ، حتى قلعت صوار كبار كانت مسقفة على دار الضرب بمصر بجانب دار الشرطة وفي اليمارستان الذى في سوق الحمام ونشروا جميعها وأعدوا أسطولا آخر » .

ولم يقتصر الخشب الذى تصنع منه السفن والأساطيل المصرية على ما تنتجه البلاد فحسب ، بل كانت تستورد من بلاد الشام خشب الأرز ، كما كانت تستورد من بلاد الأناضول كذلك ، فقد ذكر ابن بطوطة ، عند كلامه على مدينة (العاليا) الواقعة على ساحل بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) فى الأناضول ، انها كثيرة الخشب ومنها يحمل الى الاسكندرية ودمياط ، ويحمل منها الى سائر بلاد مصر . كذلك كانت مدينة البندقية فى القرن الرابع عشر تمتد مصر بالخشب لبناء السفن مما جعل الامبراطور البيزنطى يحتج لدى « الدوج » أميرها ، فأمر بإيقاف بيع الخشب لمصر ولم يسمح الا بامدادهم بالخشب الذى لا يصلح لانشاء السفن ، لهذا شرط أن يكون من اللبخ والسنديان على ألا يتجاوز طول اللوح خمسة أقدام وعرضه نصف القدم ، واذن أيضا بأن تباع لهم الأدوات المصنوعة من الخشب (٤) . ولما اتفقت مصلحة البنادقة مع مصلحة المصريين ، أيام السلطان الغورى (٥) ،

(١) قوانين الدواوين ص ٣٤٤ .

(٢) ابن مماتي ص ٣٤٧ .

(٣) المقرئى : ج ٢ ص ١٩٢ .

(٤) آدم مثر : حضارة العرب فى القرن الرابع ص ١٩٠ .

(٥) سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٢١٧ .

باعوهم الخشب لعمل السفن . فقد حدث أن وصلت أساطيل البرتغال الى المحيط الهندى والبحر الأحمر وأخذ البرتغاليون يقاومون التجارة المصرية في تلك البحار فنهبوا السفن وأحرقوا بعضها وذبحوا ركابها . ولما كانت البندقية هي العميلة الرئيسية في توزيع تجارة الشرق الأقصى الى أوروبا ، فقد منيت بخسارة فادحة بسبب سياسة البرتغال العدوانية هذه ، فأرسلوا أجود الأخشاب الى السويس كما أرسلوا أمهر الصناع ليتولى انشاء أسطول جديد للقيام بحملة بحرية كبيرة ضد البرتغال .

أما طريقة صنع سفن البحر الأبيض فكانت تتم بعد ترك الخشب مدة ليجف بعد تقطيعه واعداده حتى تظهر الشقوق واضحة ، وبذلك يمكن ملؤها بالقار أو الشمع المذاب أى قلفطتها ^(١) أو قلاقتها ، ثم تكسى الألواح من الخارج بطبقة من القار أو الشمع أو من الاثنين معا . وكان الشمع يذاب على النار حتى يصير قوامه سائلا ثم يضاف اليه لونا ثم تطلّى به السفن بواسطة فرشاة فيعطىها منظرا جميلا الى جانب حمايتها من تسرب الماء الى الخشب .

ويصف (Pliny) ^(٢) الألوان التى استعملت في طلاء السفن فيقول ، انها كانت سبعة ألوان ، قرمزي ، وبنفسجى ، وأزرق وأصفر وأخضر والأبيض بدرجتيه الناصع والمائل الى اللون الزبدى . ثم استحدث بعد ذلك اللون الذى يضاهى لون الأمواج ويقال ان هذا اللون استخدم في سفن القراصنة وسفن الاستطلاع والاستكشاف الحربى وسفن التجسس التى يراد لها الاترى . وفى بعض الأحيان كان معدن القصدير المذاب يحل محل القار أو الشمع اذ يكسى هيكل السفينة بطبقة منه بعد أن يوضع بينه وبين الخشب من قماش القلاع بعد غمسها فى القار . وقد ترك لنا الشاعر دانتى ^(٣) اليجيبرى فى نشيد الجحيم ، حيث يعذب المرتشون الذين استغلوا سلطة وظائفهم ليجمعوا المال ، فتخيل دانتى قطرانا يغلى ، يشبه القطران السميك فى مصنع سفن البندقية ، حيث ترمم السفن المعطبة ، وهنا غطس الآثمون فى القطران ، اذ يقول :

(١) Cecil Torr: Ancient Ships, P. 34-37.

(٢) Pliny : XXXV, 41.

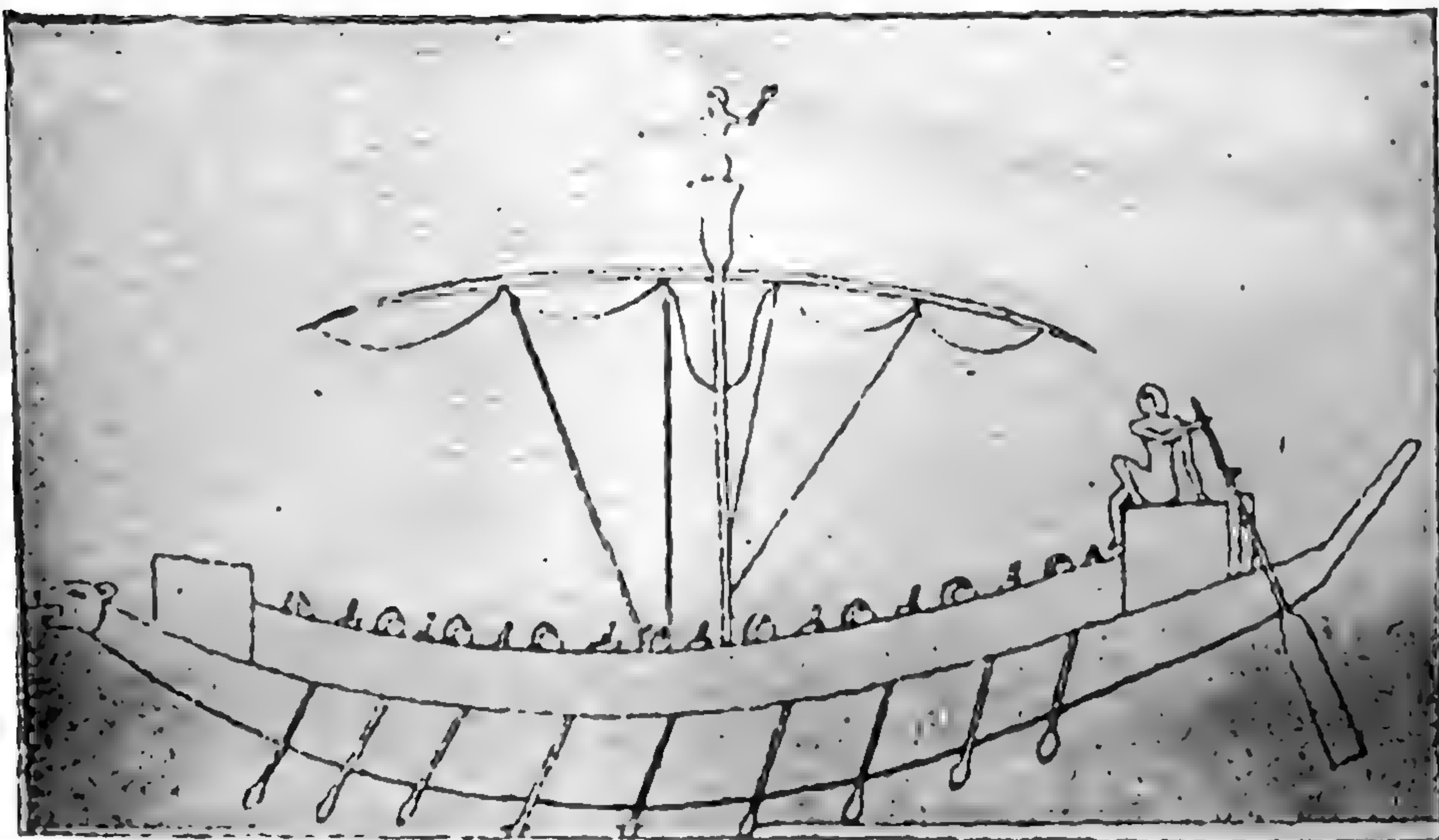
(٣) حسن عثمان: الكوميديا الإلهية - الجحيم (الأنشودة الحادية والعشرون ٧ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٦)

٧ — وكما يغلى القطران الكثيف شتاء ، فى مصنع سفن البنادق ، لطلاء
سفنهم المعطبة .

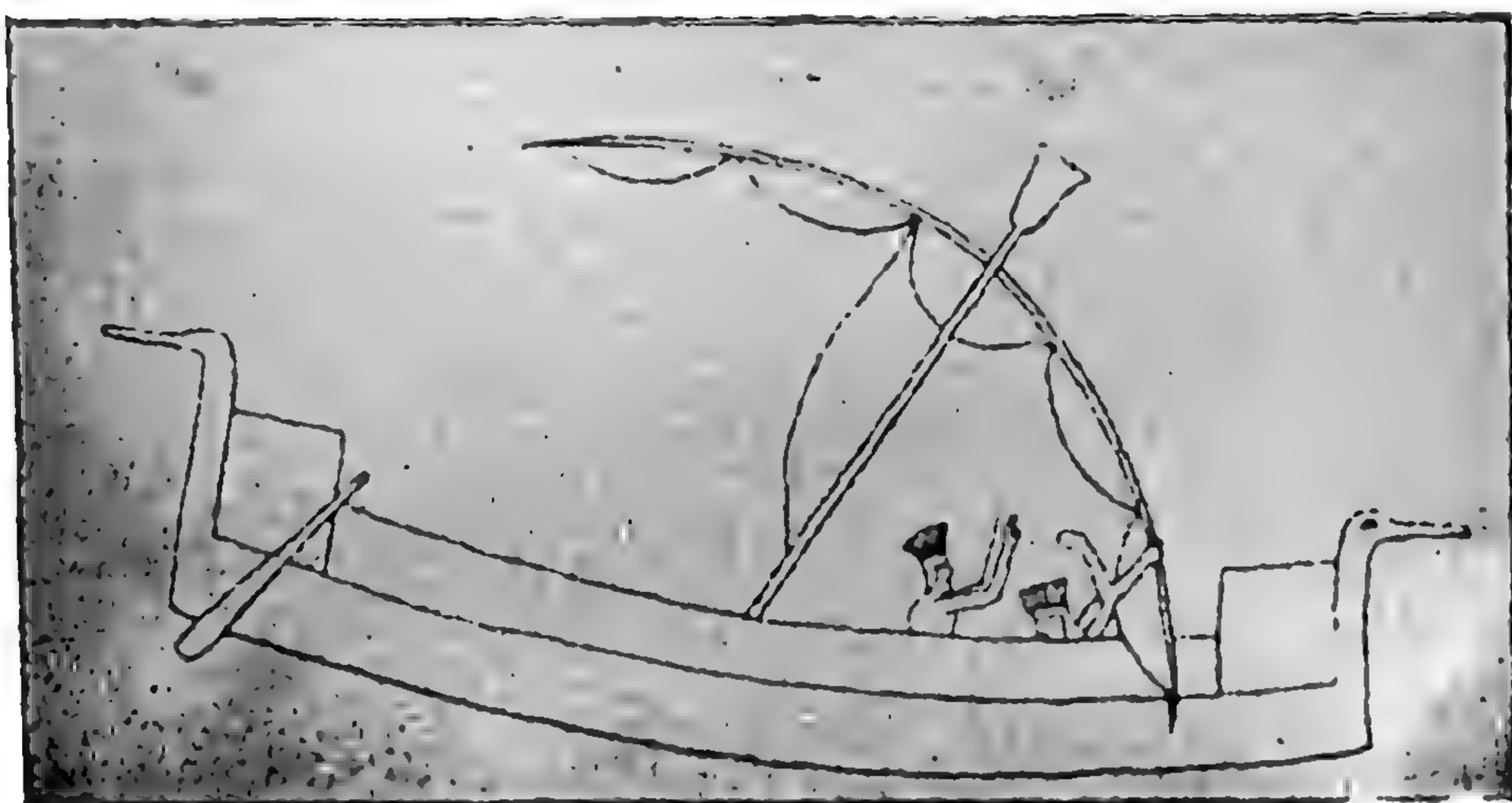
١٠ — التى لا تقوى على الابحار ، وبدلا من ذلك يجدد هذا سفينته ويسد
آخر ، جوانب تلك التى قامت برحلات كثيرة .

١٣ — هذا يضرب المقدمة ، وذاك يطرق المؤخرة ، ويصنع آخرون مجاديف
ويجدل غيرهم حبالا ، وواحد يرتق شراع المقدمة وآخر يصلح
الشراع الأكبر .

١٦ — هكذا كان يغلى هناك فى أسفل قطران « كثيف » ، لا يفعل نار ولكن
بنفث الهى ، وقد غمر الشاطئ فى كل جانب .

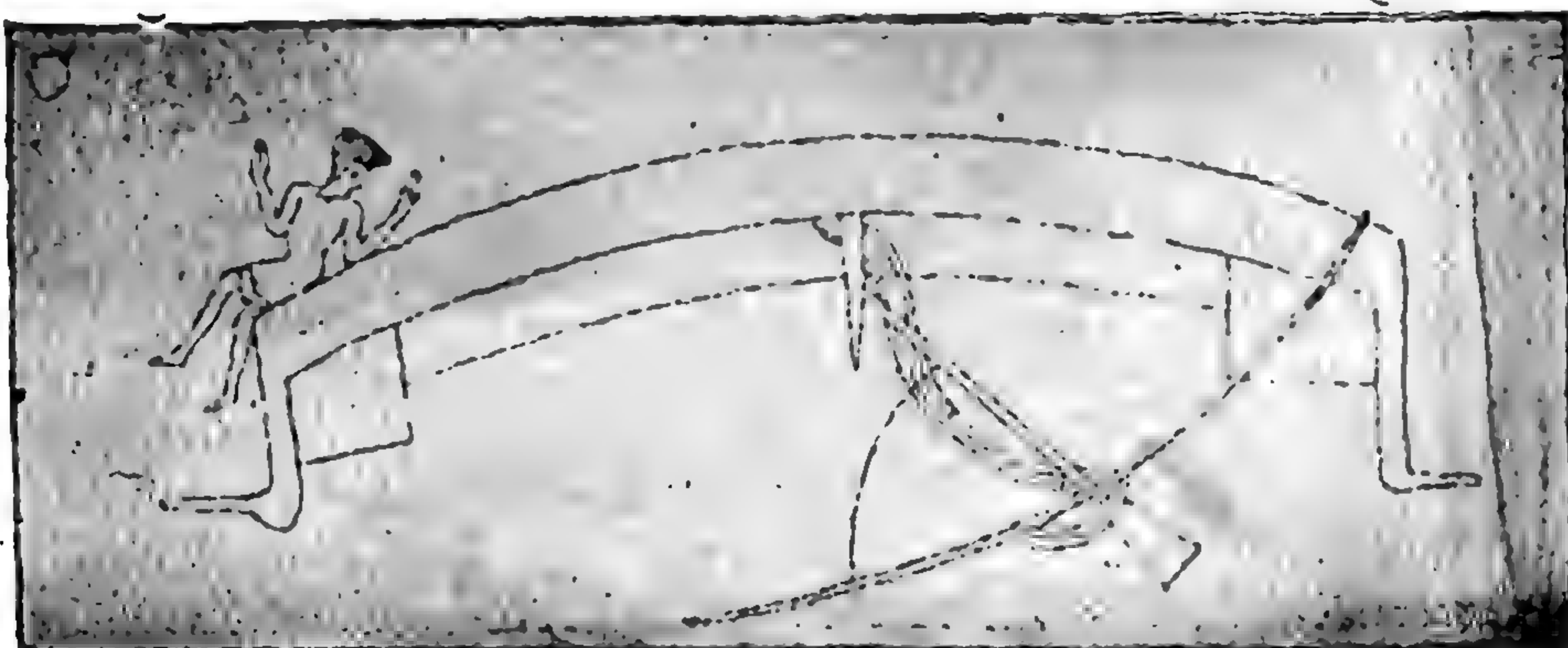


شکل (۱)

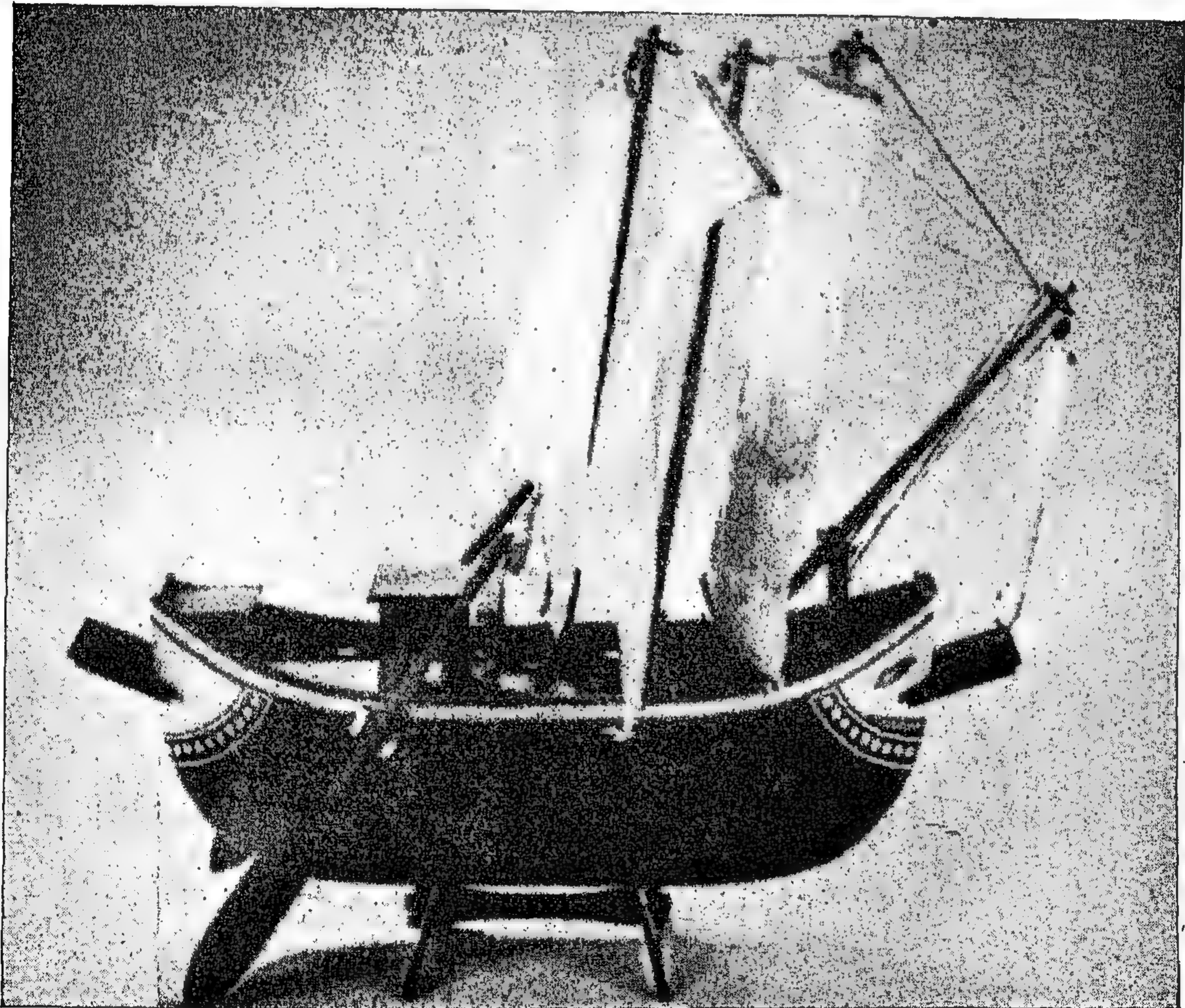


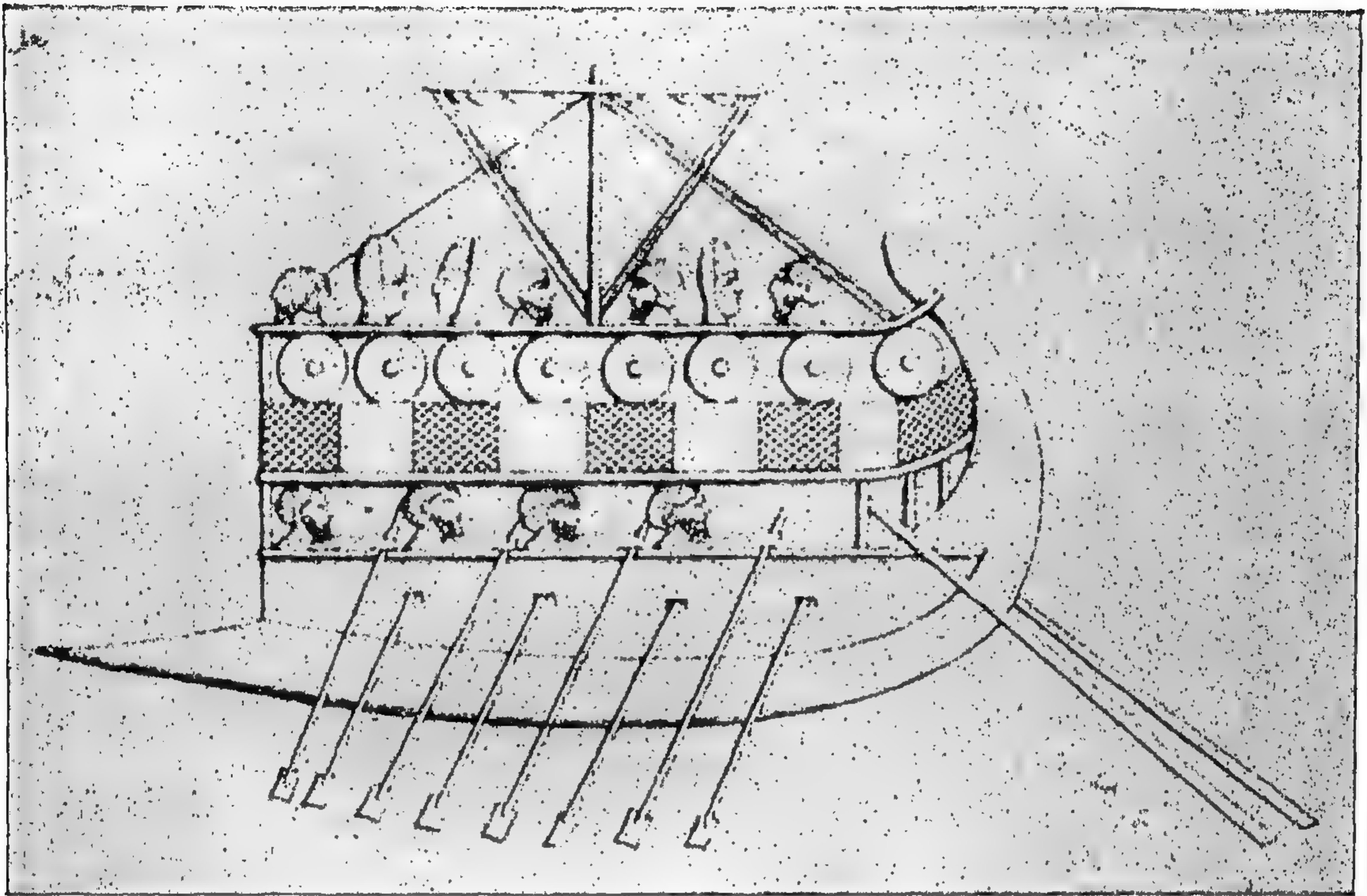
شکل (۲)

شکل (۳)

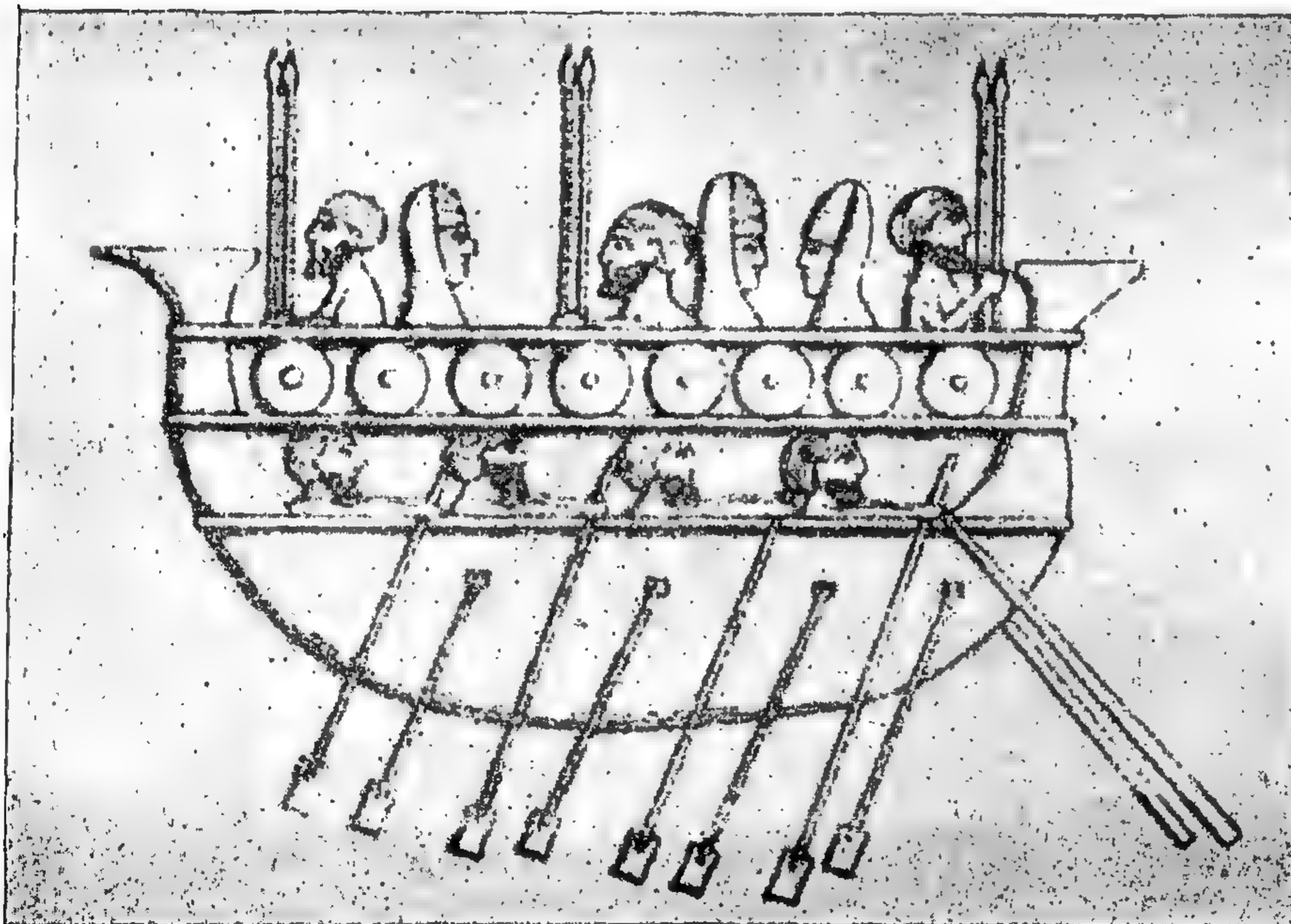


شکل (۴)

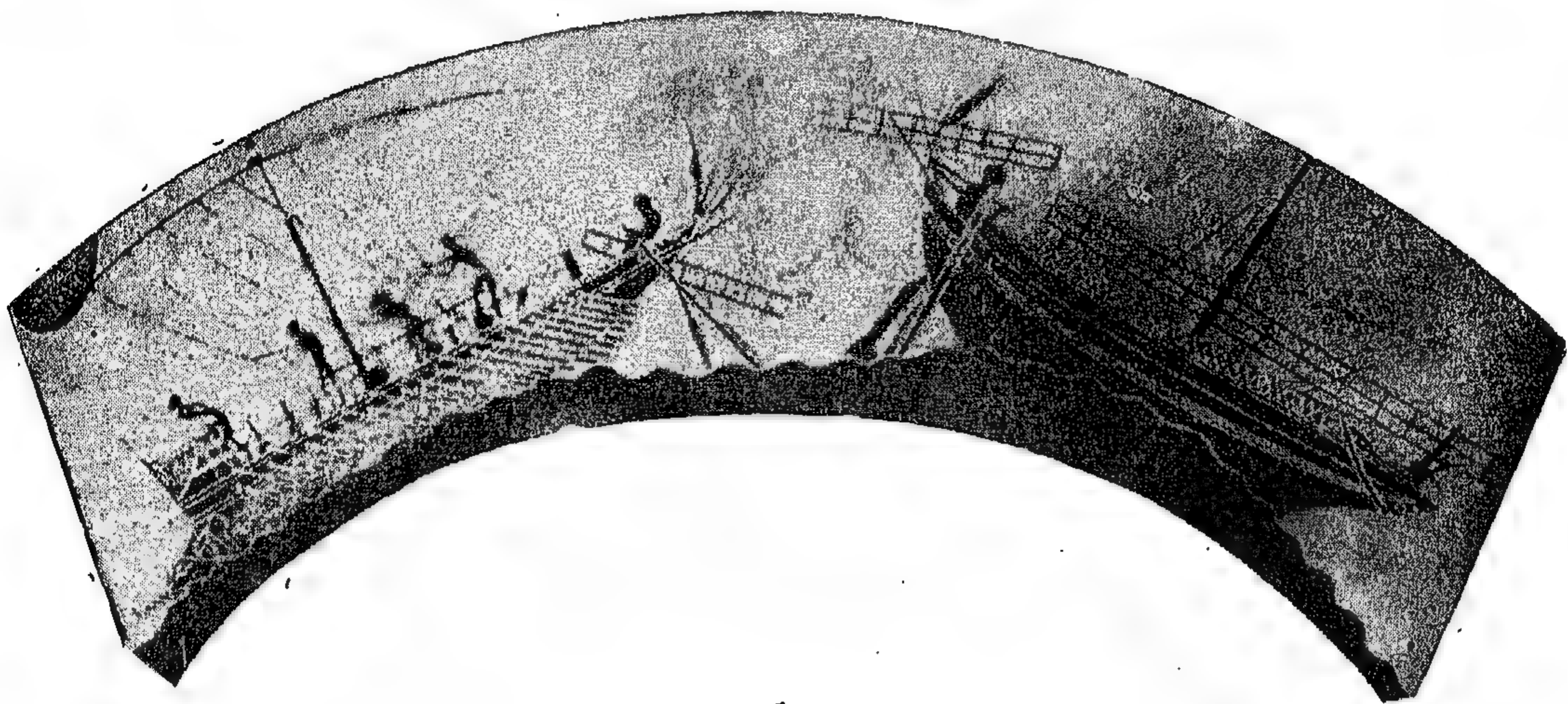




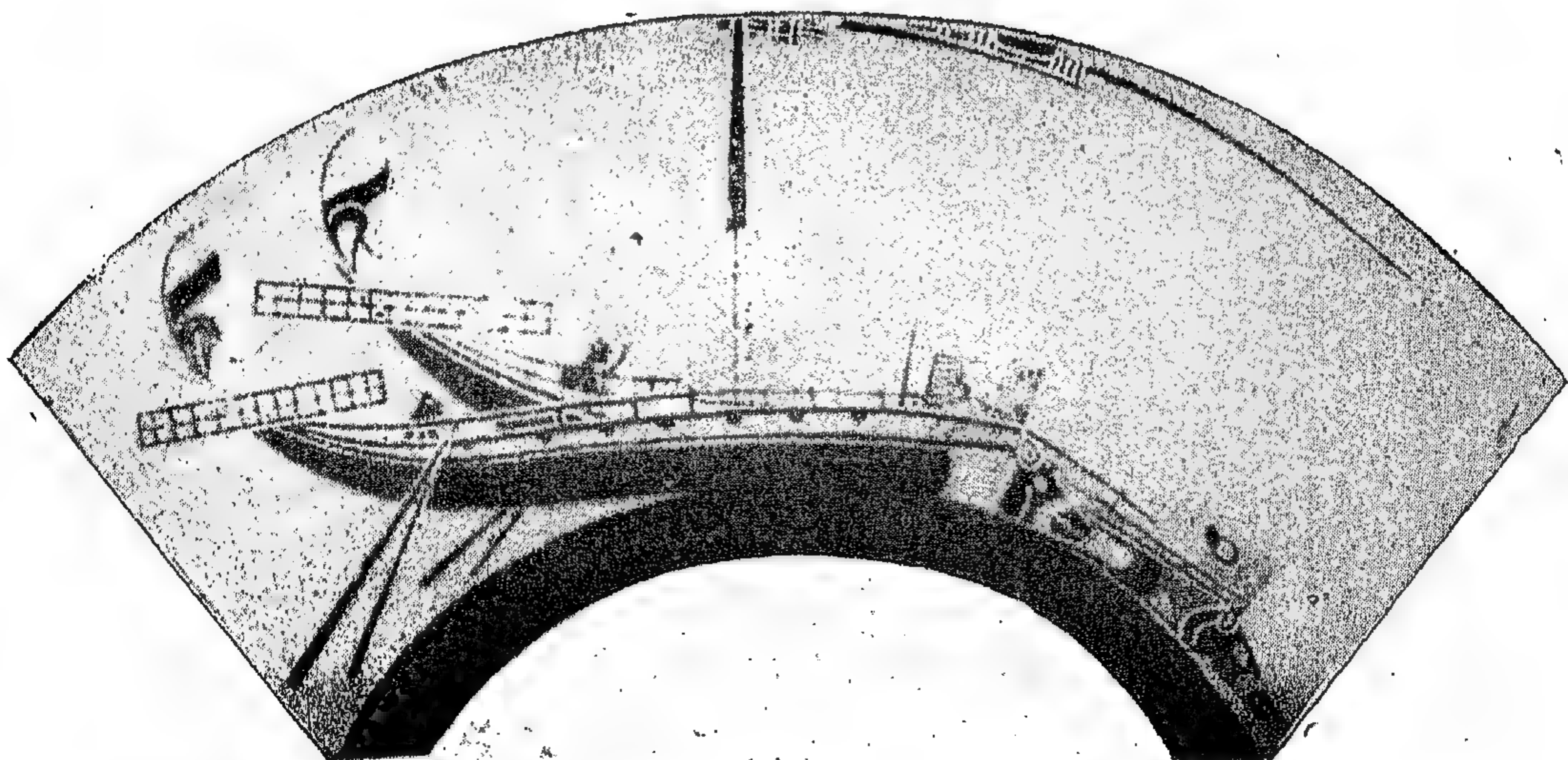
شکل (۵)



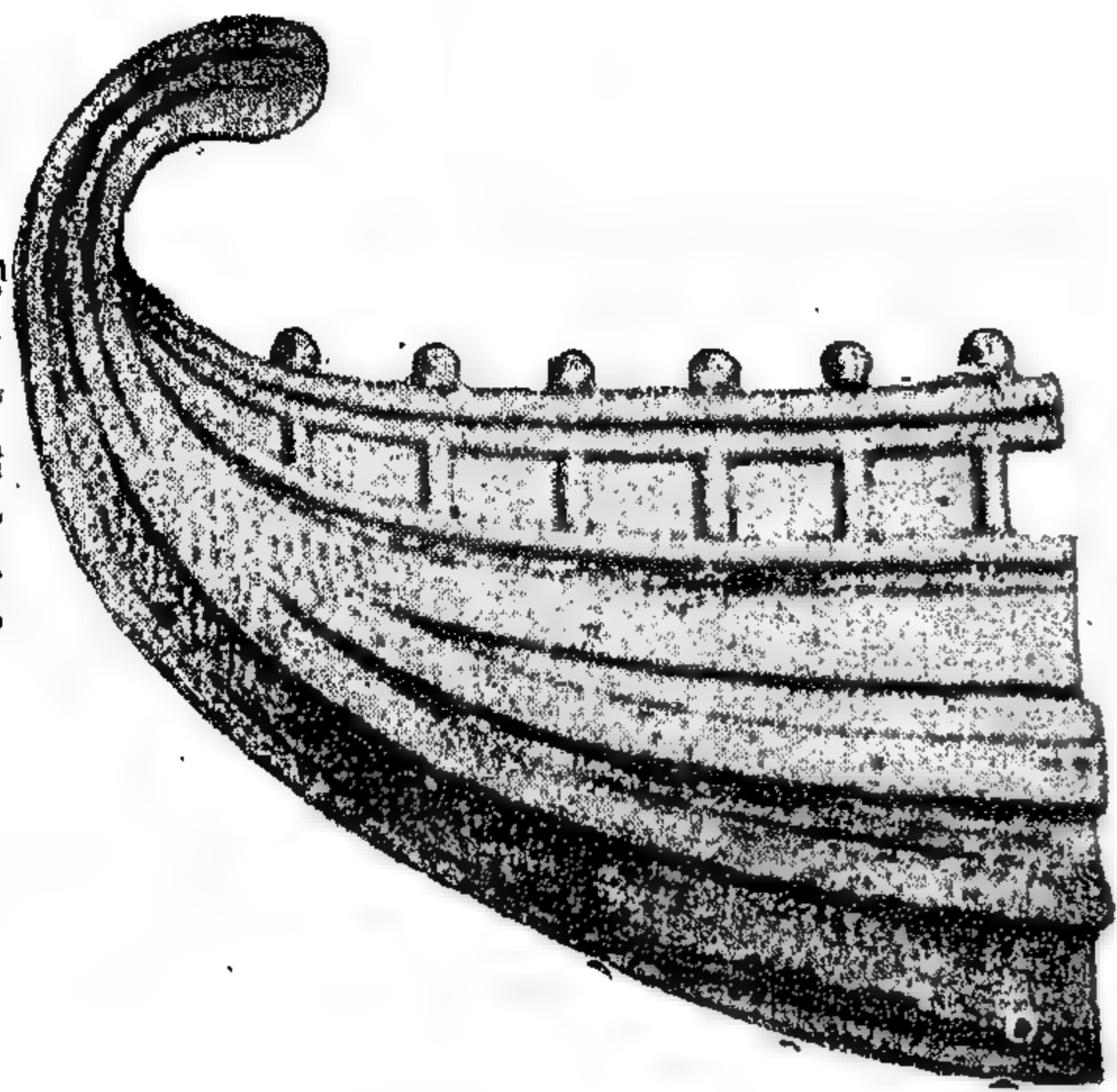
شکل (۶)



شکل (۷)



شکل (۸)

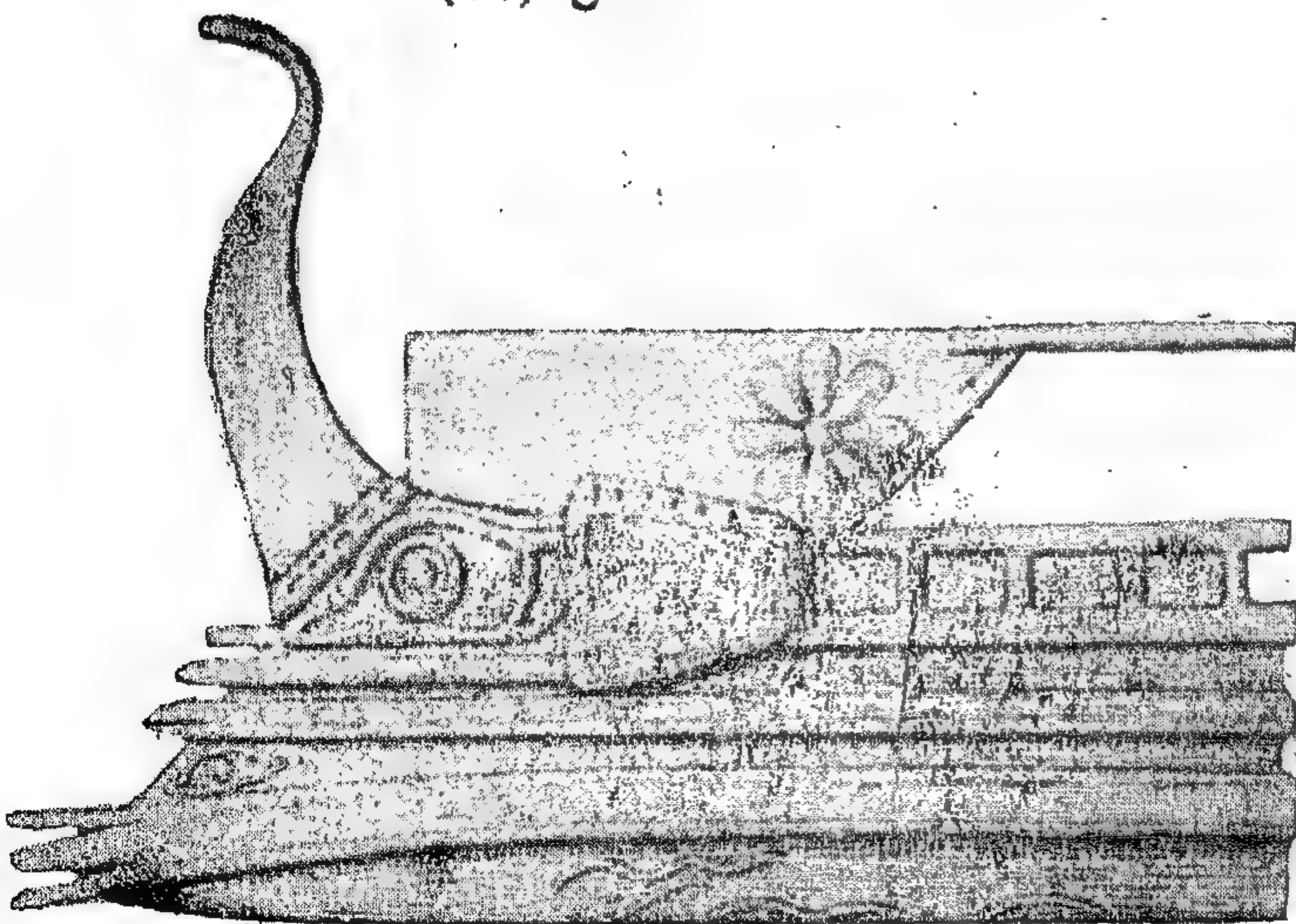


شکل (۹)

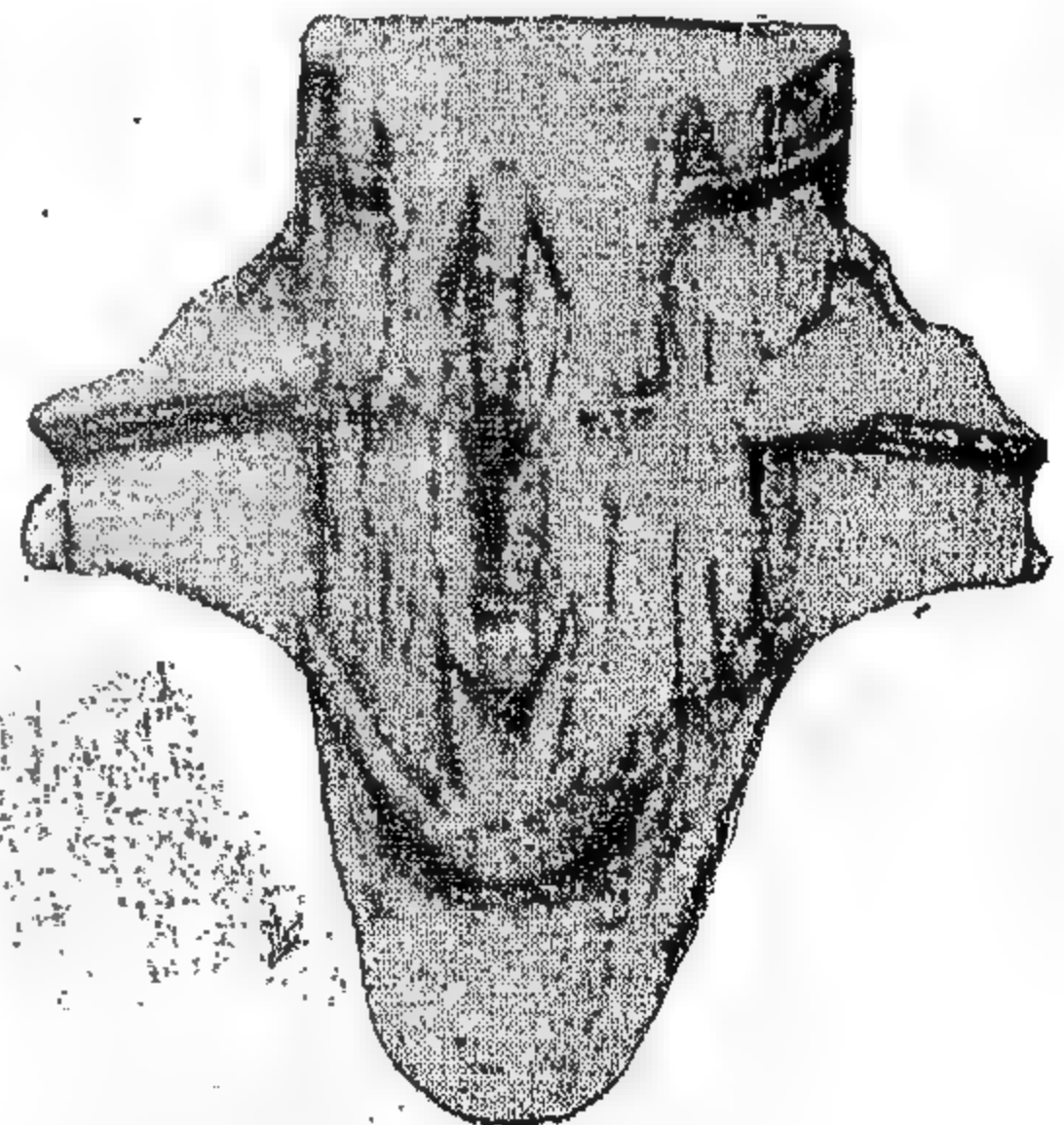


شکل (۱۰)

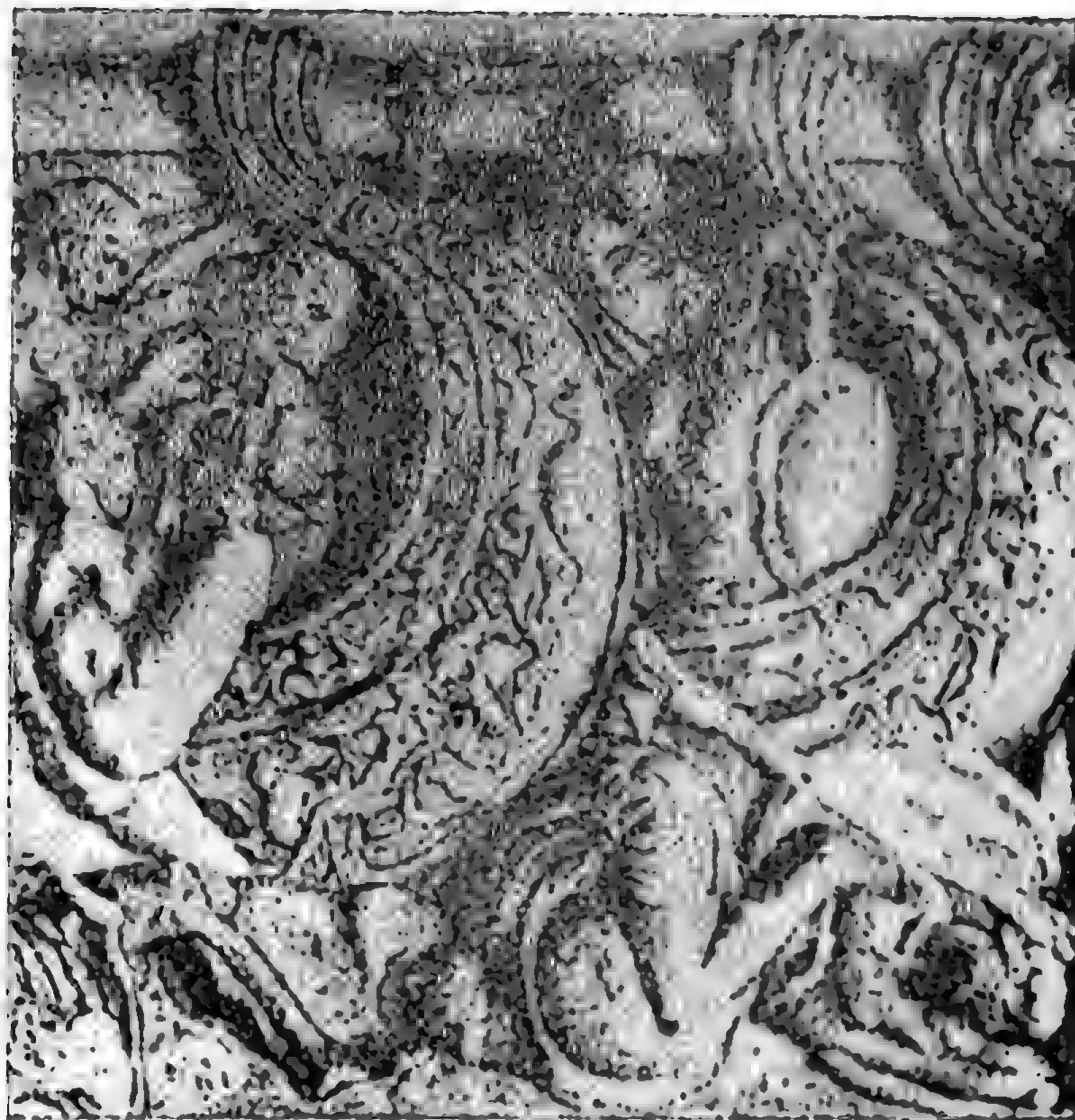
شکل (۱۱)



شکل (۱۲)

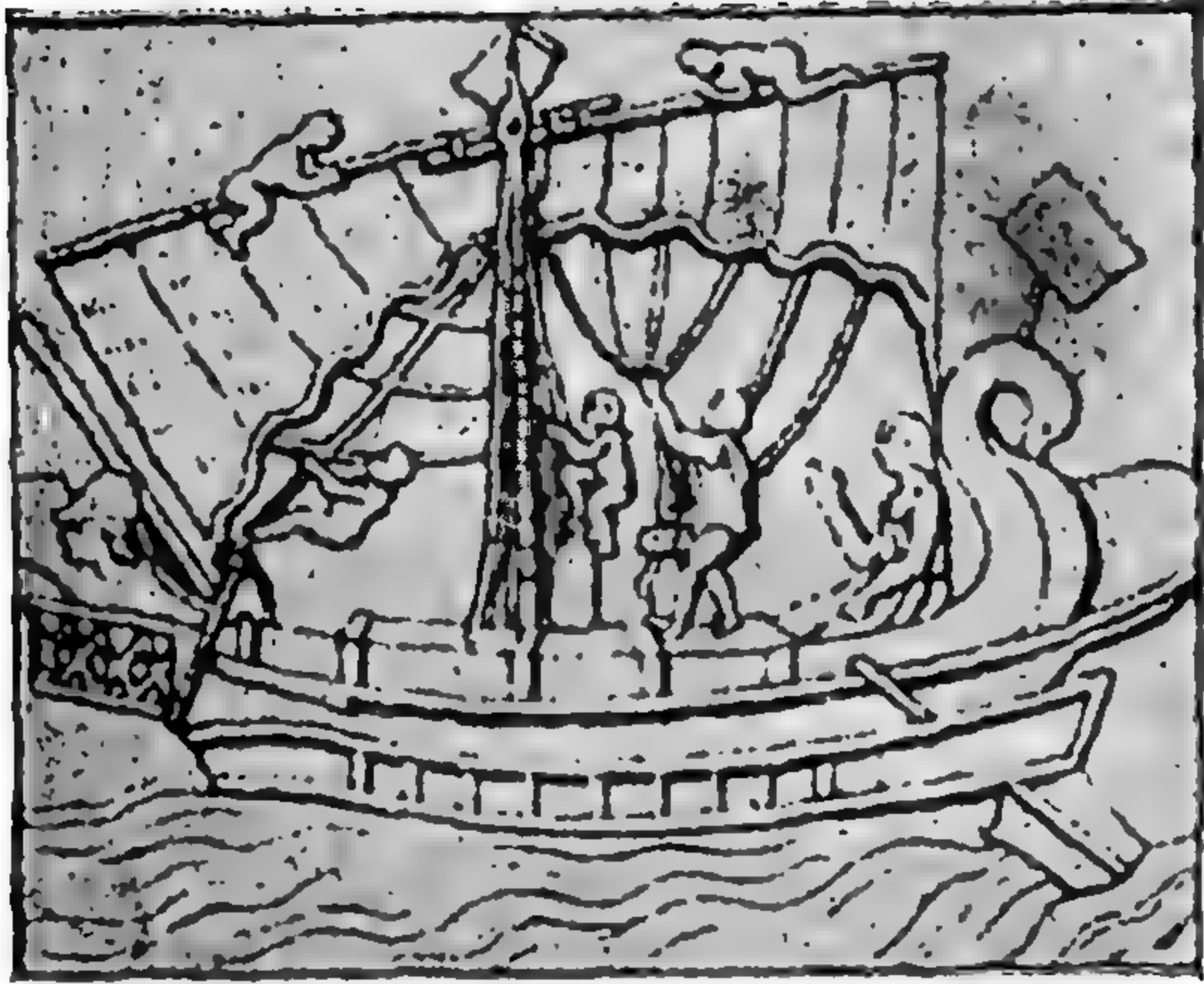


شکل (۱۳)



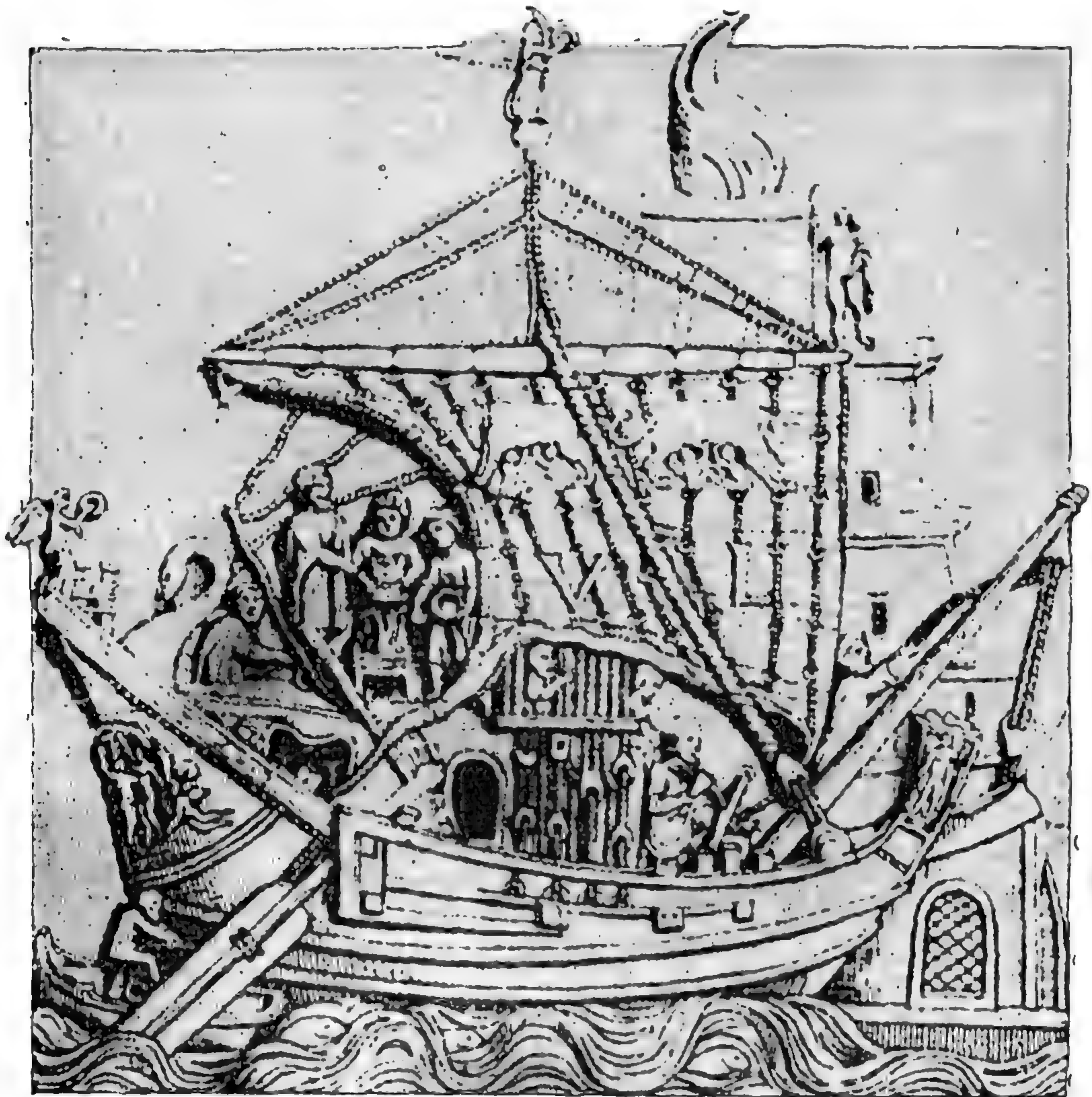
شکل (۱۴)





شکل (۱۵)

شکل (۱۶)

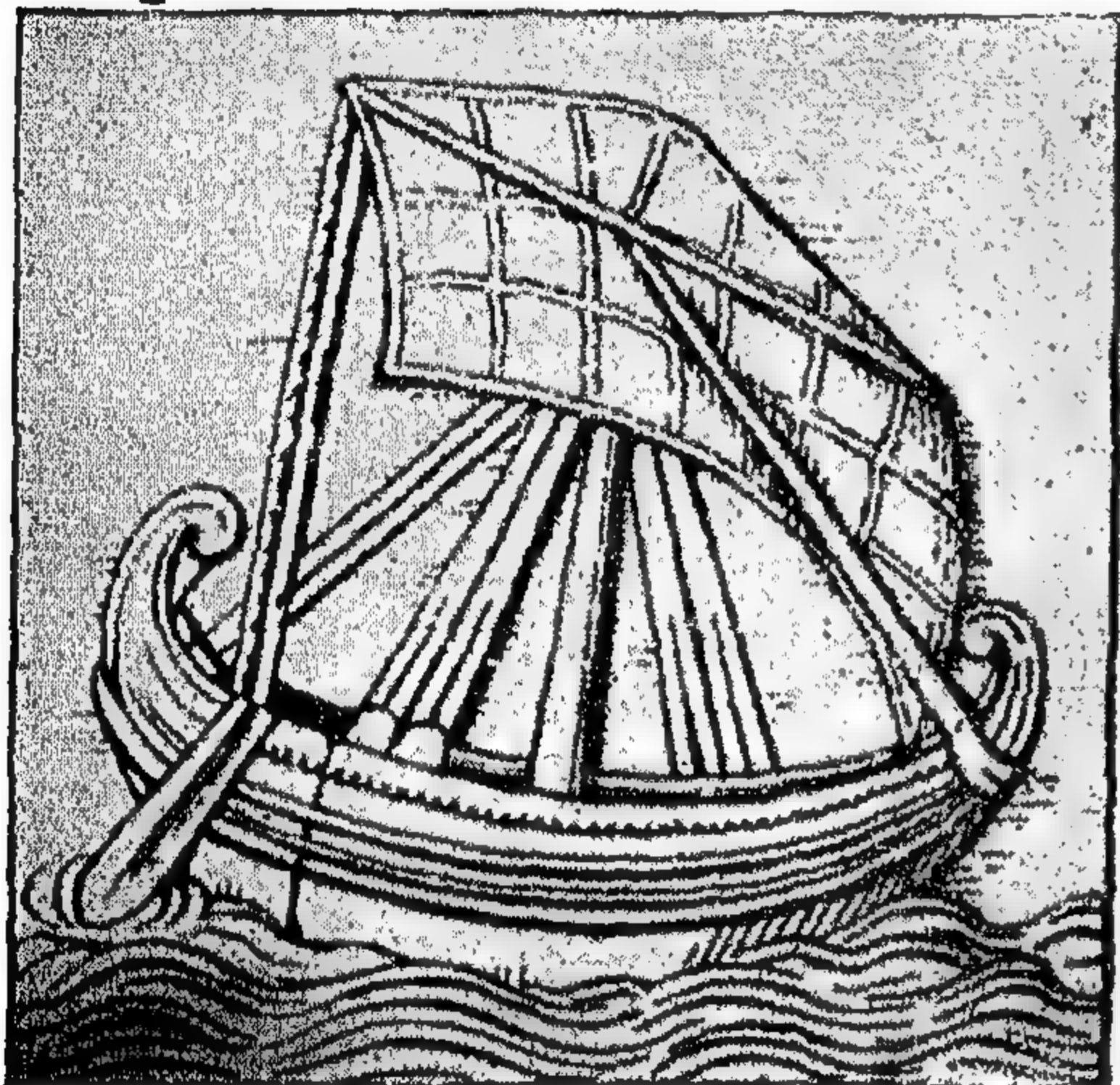




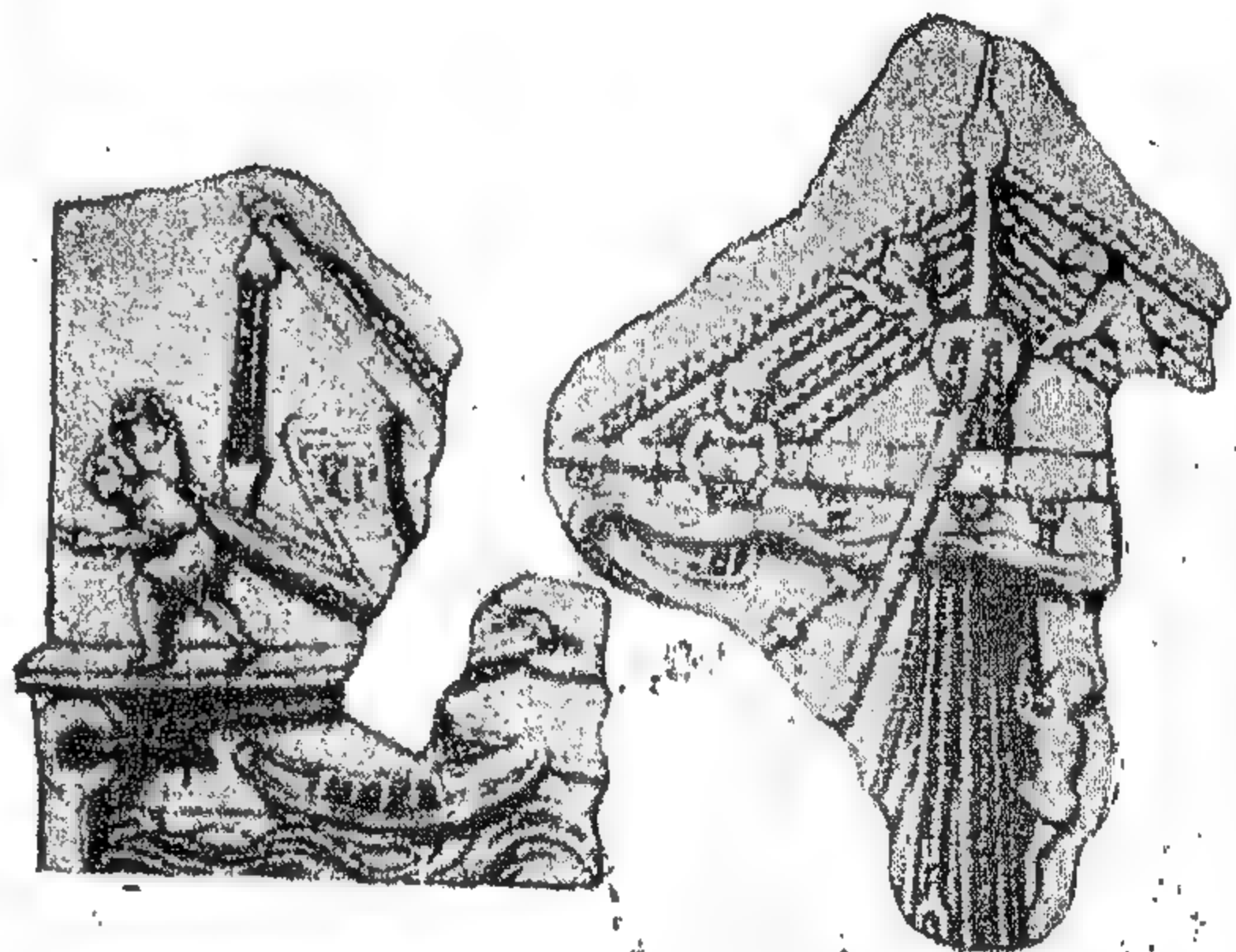
شکل (۱۸)



شکل (۱۷)



شکل (۲۱)



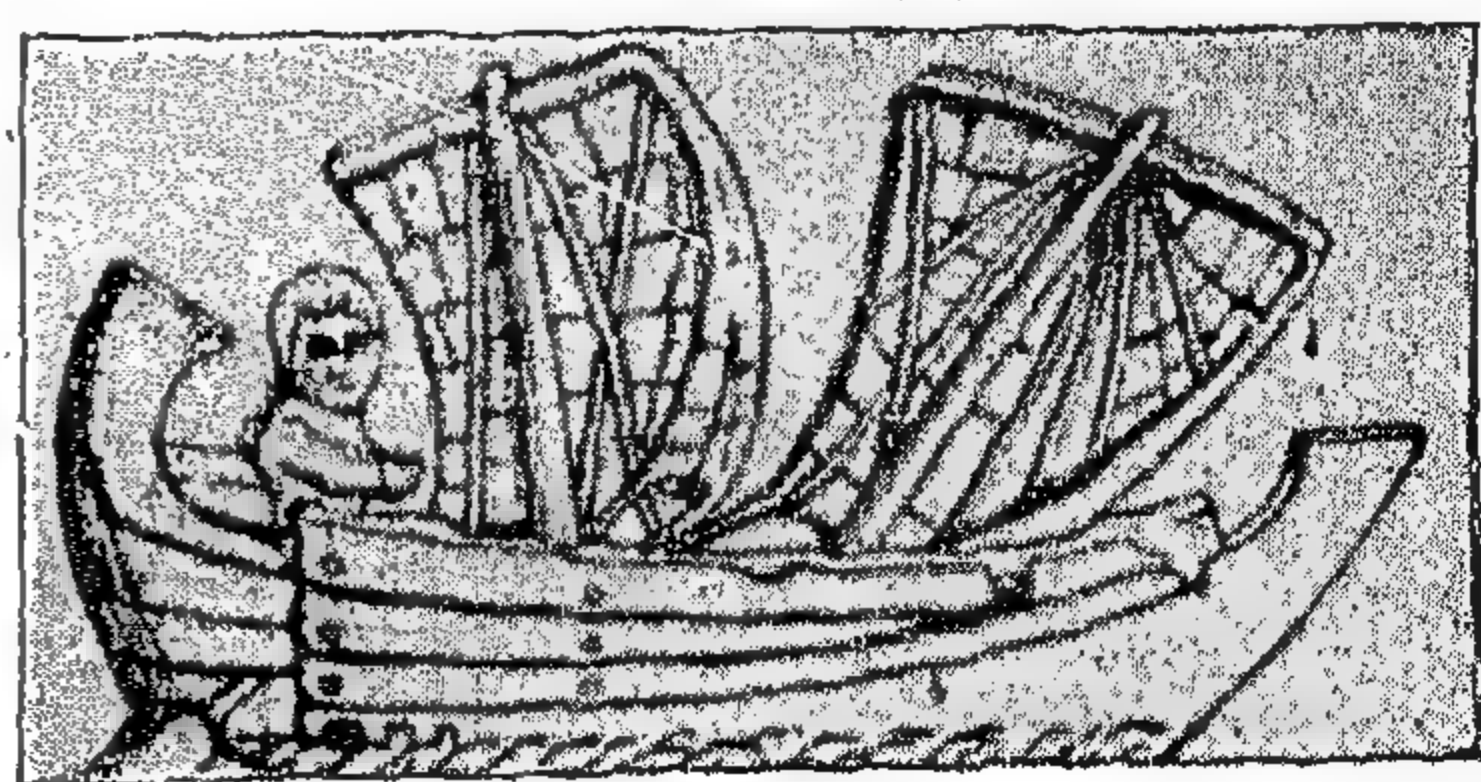
شکل (۲۰)

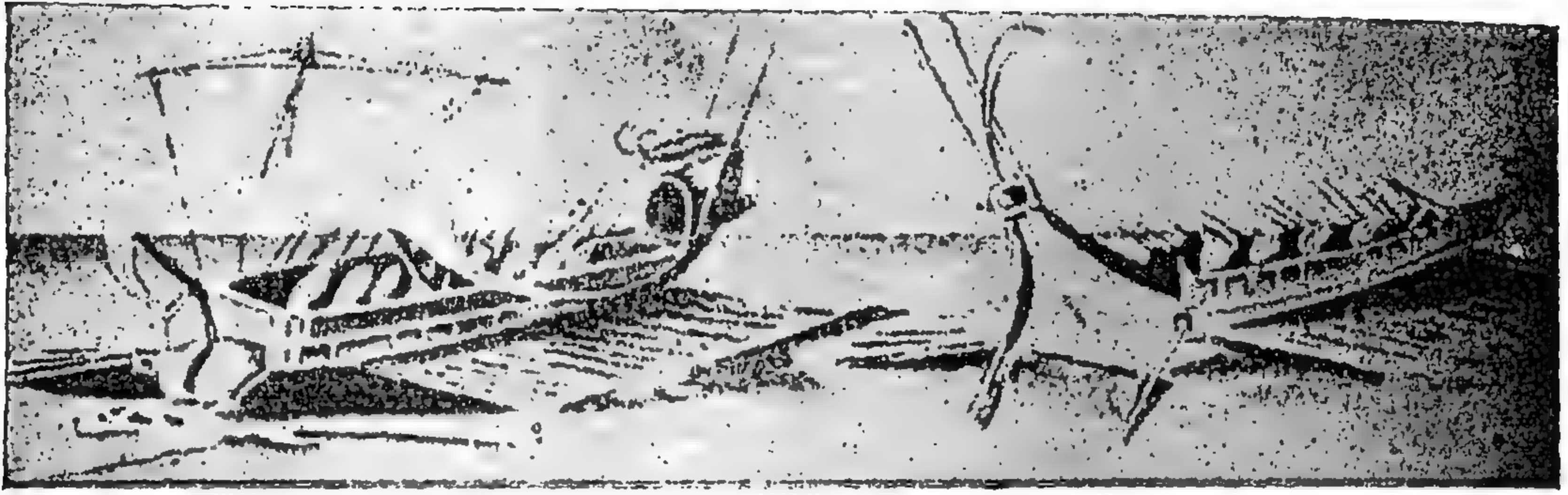
شکل (۱۹)



شکل (۲۳)

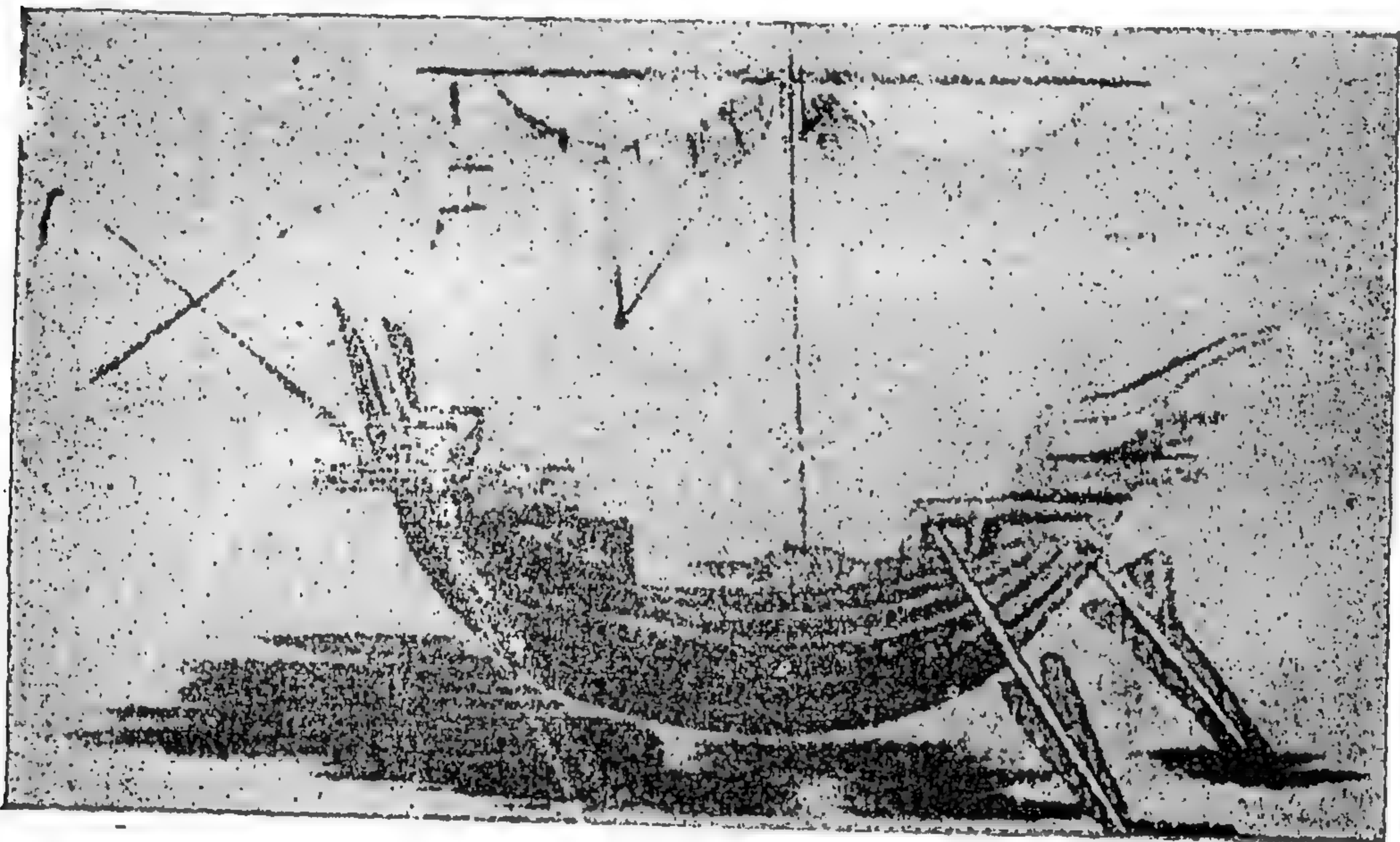
شکل (۲۲)





شکل (۲۵)

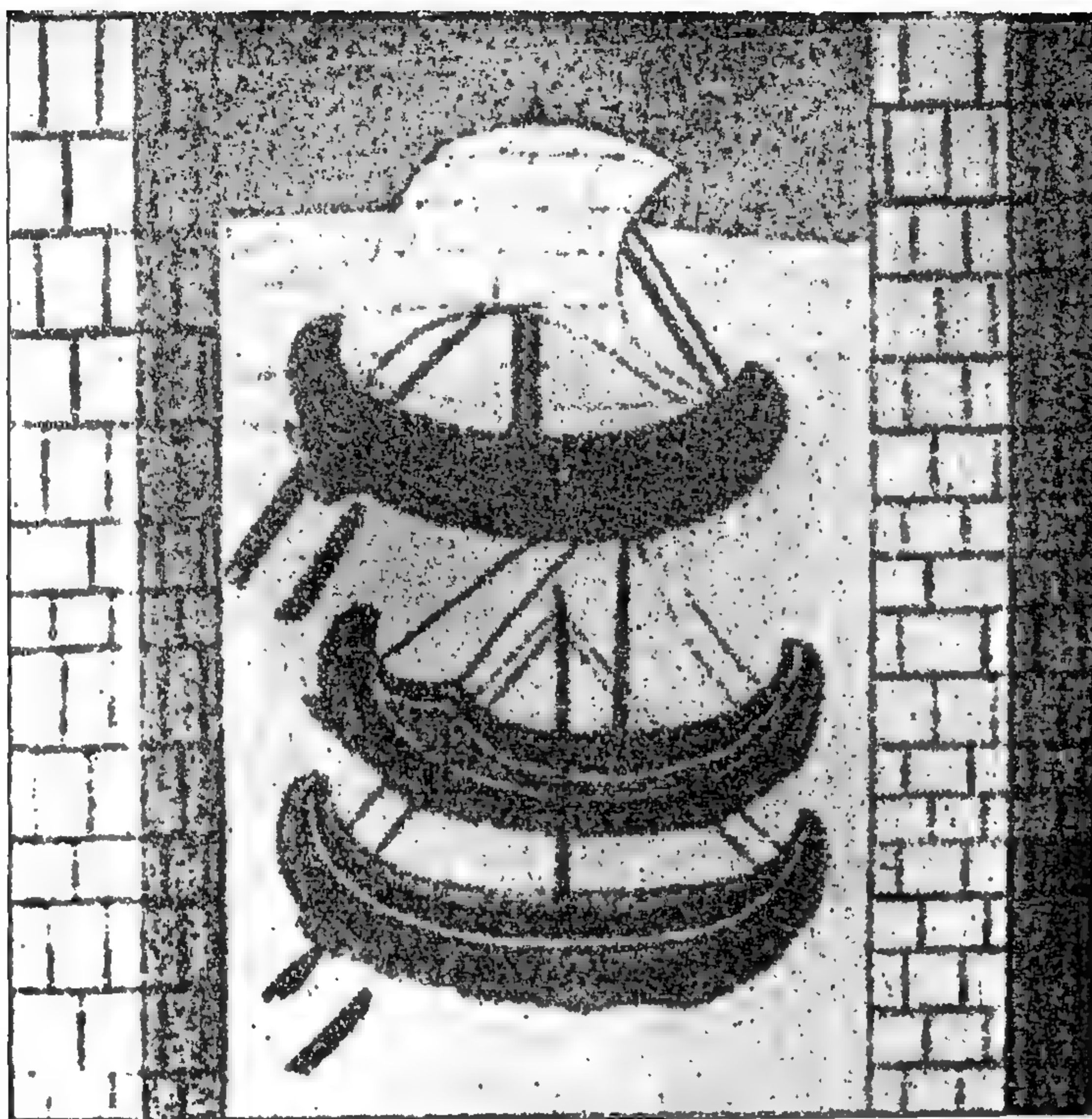
شکل (۲۴)



شکل (۲۶)

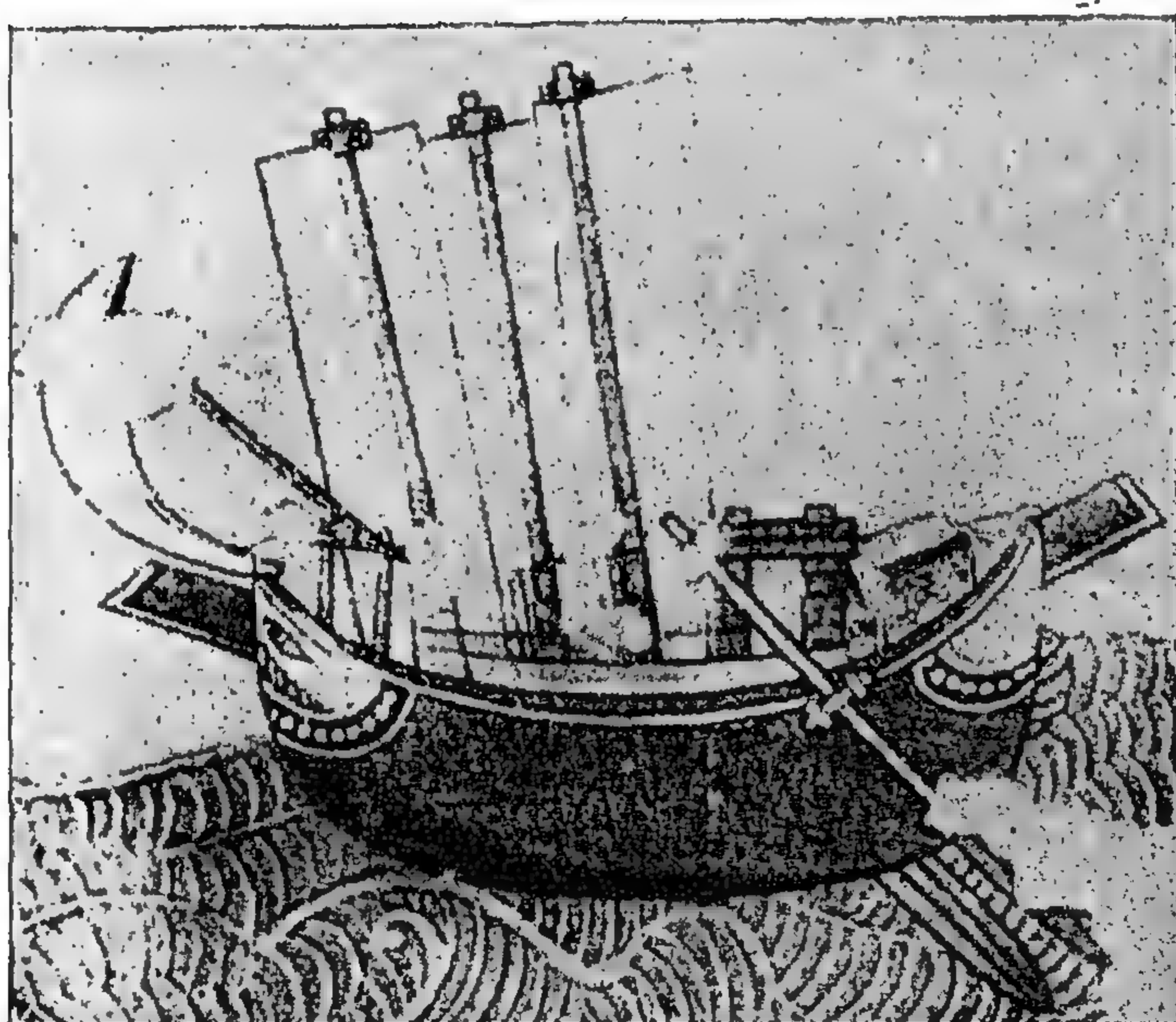


شکل (۲۷)



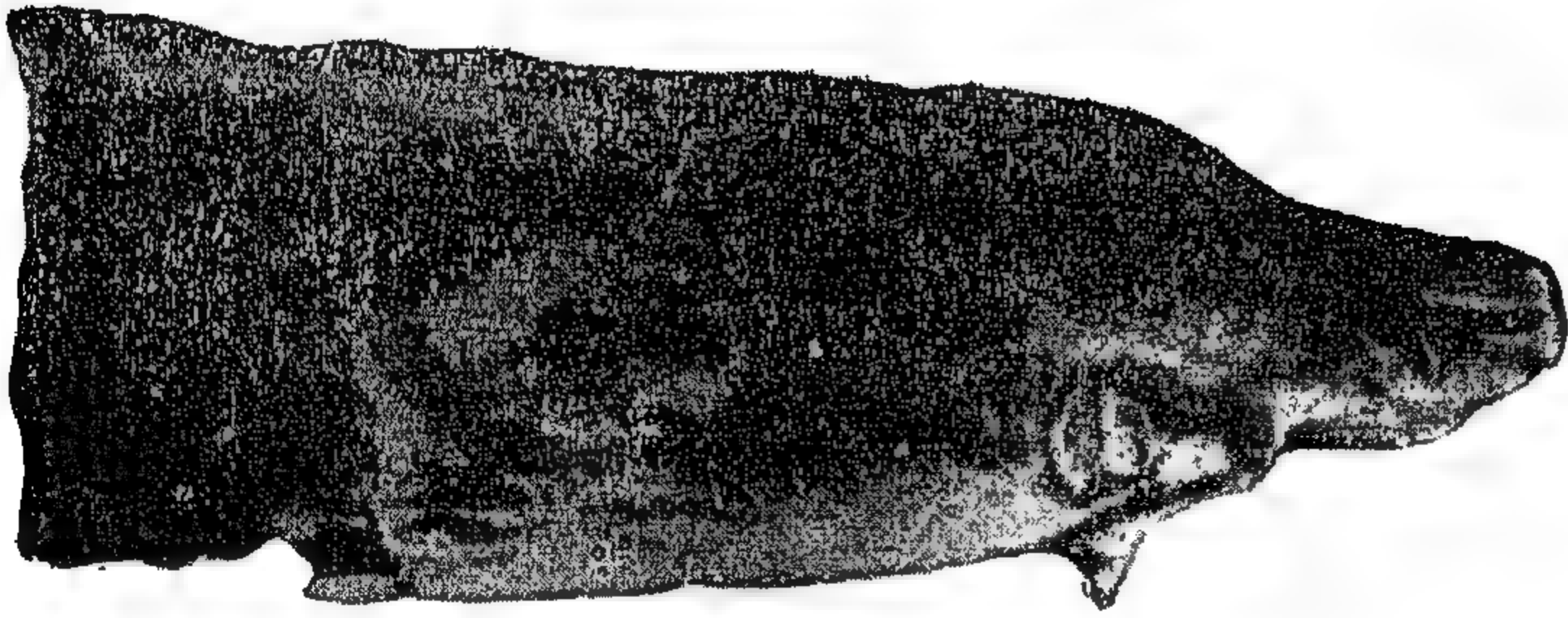
شکل (۲۸)

شکل (۲۹)





شکل (۳۰)



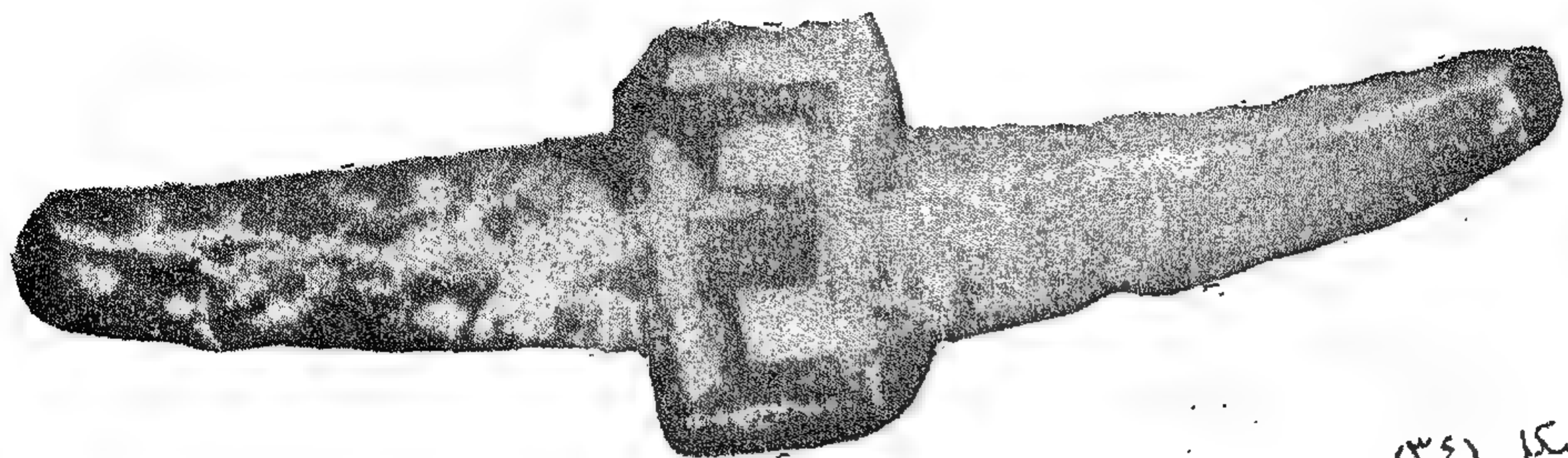
شکل (۳۲)

شکل (۳۱)

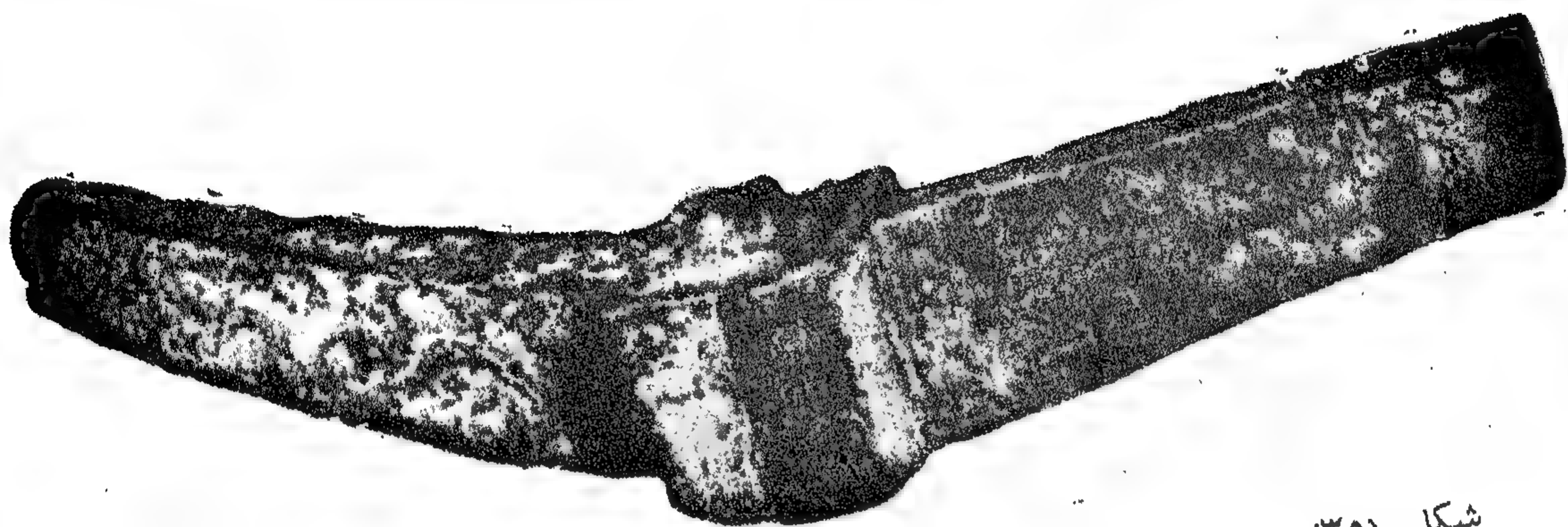


شکل (۳۳)

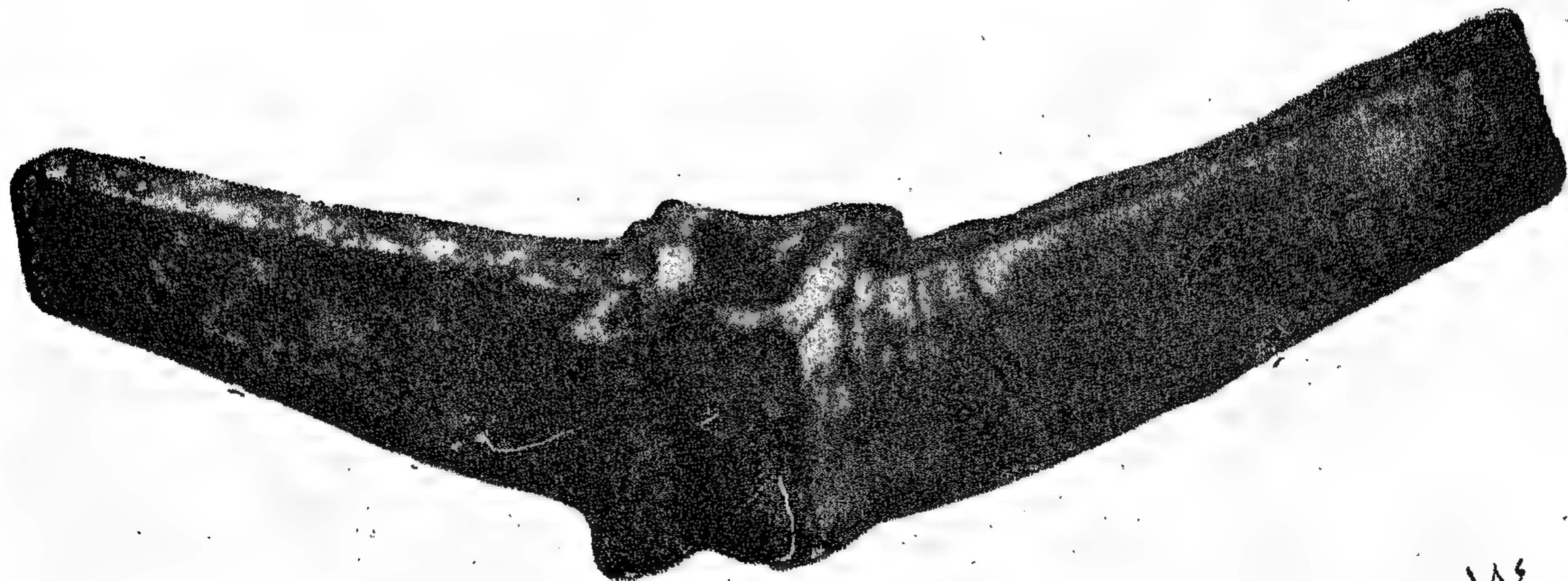




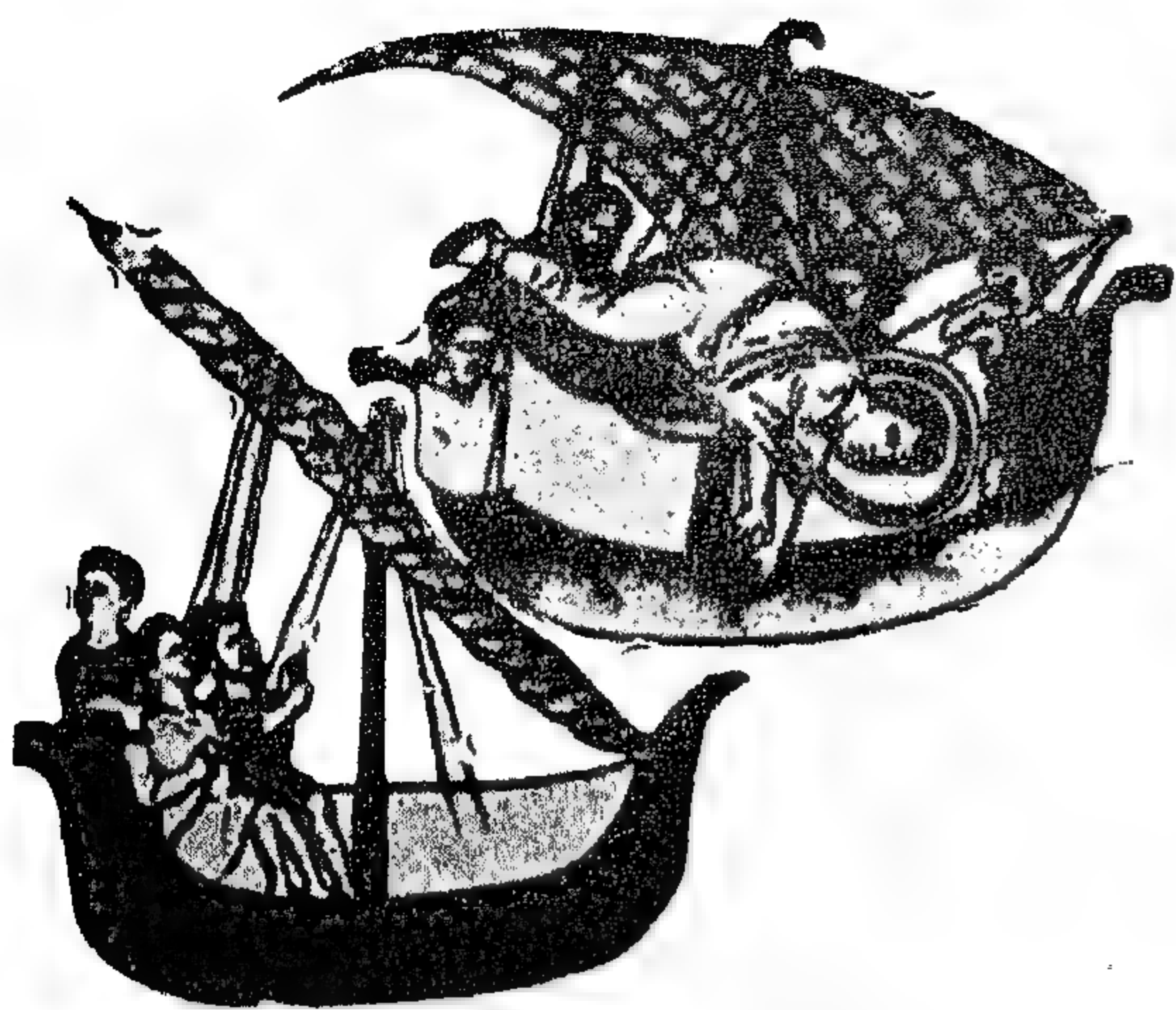
شکل (۳۴)



شکل (۳۵)



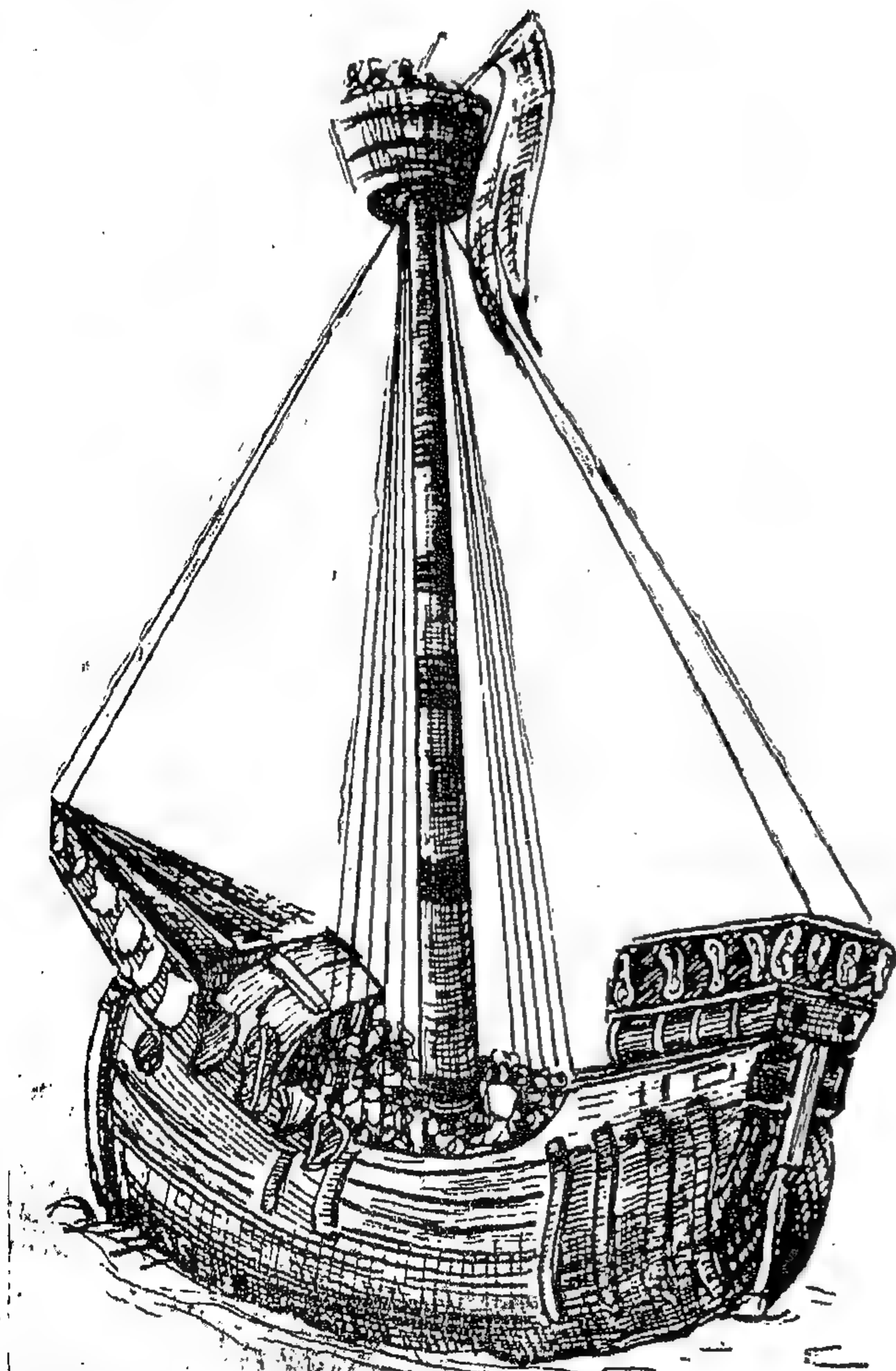
شکل (۳۶)



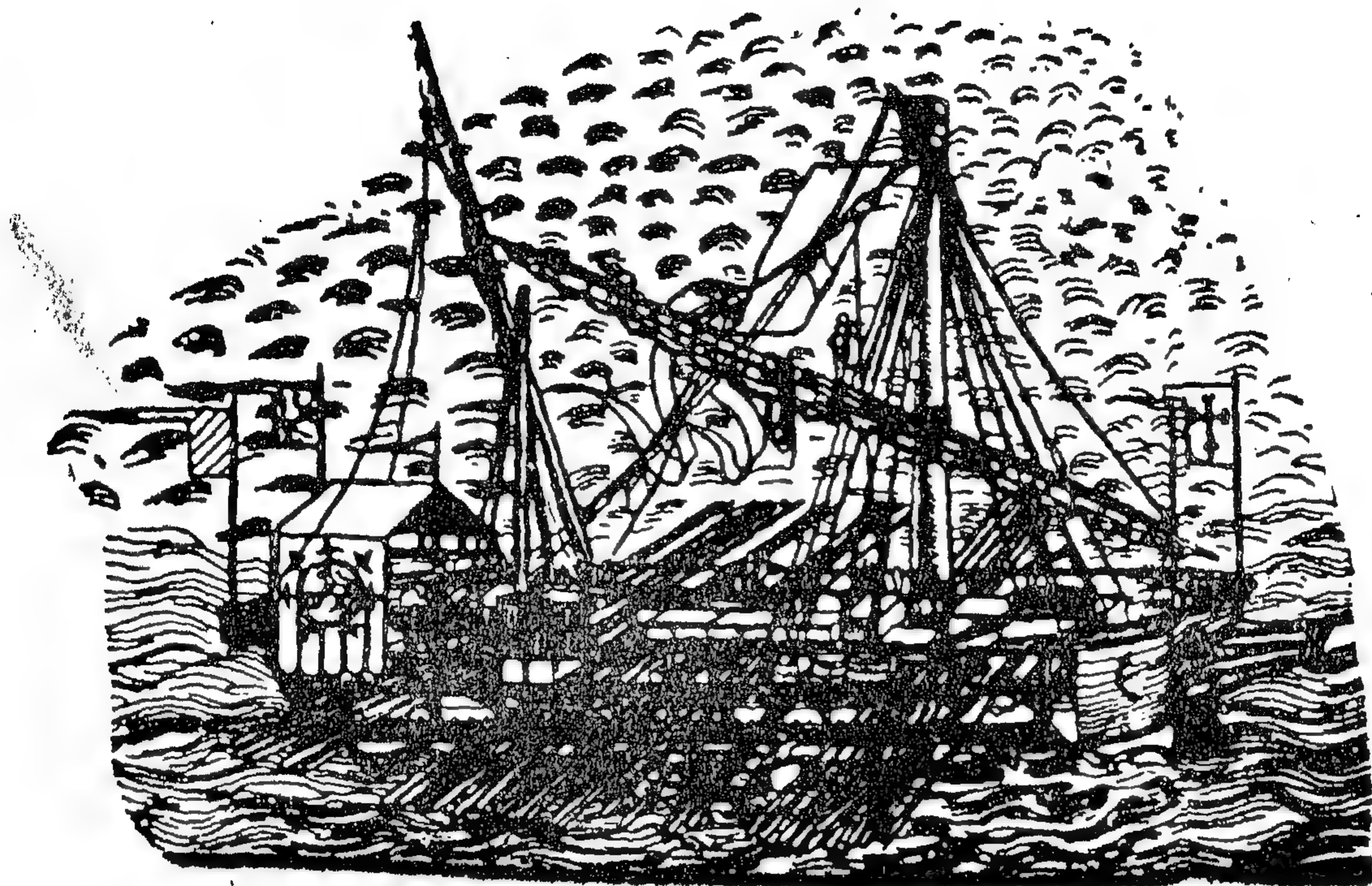
شکل (۳۸)



شکل (۳۹)

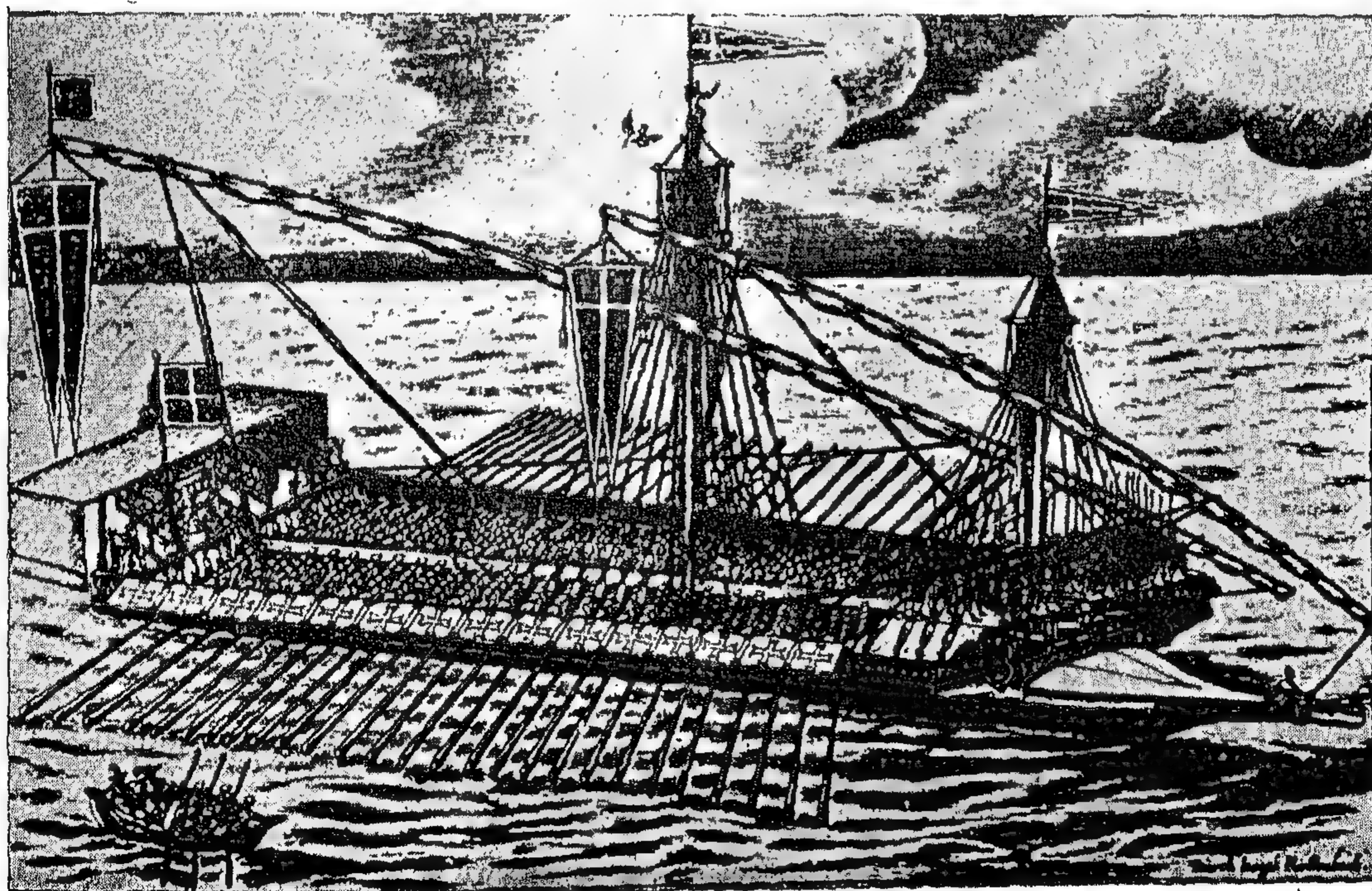


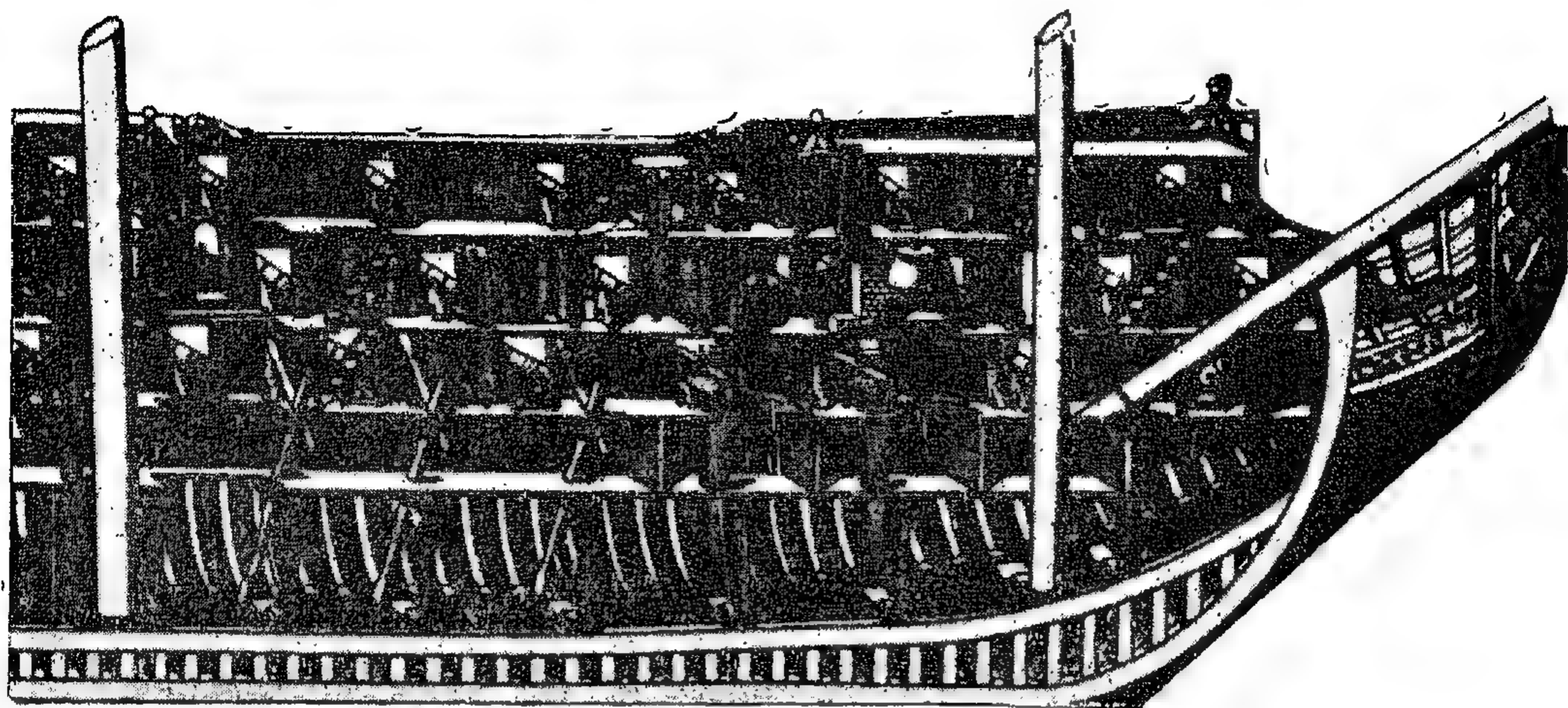
شکل (۳۹)



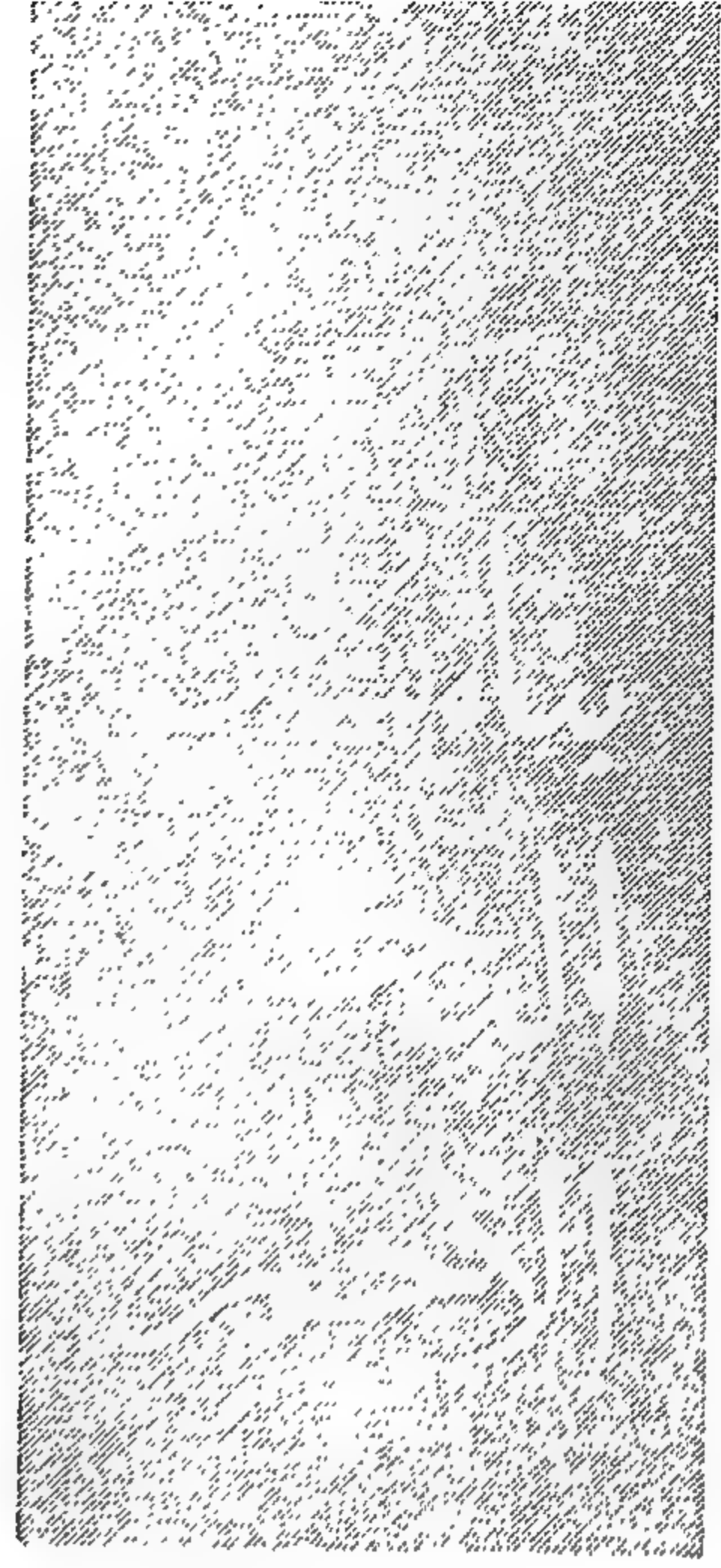
شکل (۴۰)

شکل (۴۱)





شکل (۴۲)



ولما كانت طبيعة البحر الأحمر تختلف عن البحر الأبيض المتوسط ، بما يحتويه من صخور وما به من تيارات بحرية وما يهب عليه من رياح وأعاصير ، فقد تطلب هذا الاختلاف ، تغيراً في بناء السفن التي تسير فيه والتي تبحر في المحيط الهندي ، الذي يشبه في طبيعته وخواصه البحر الأحمر الى حد كبير .

وقد شاهد ابن بطوطة ^(١) صعوبة السير في تلك البحار فقال « وهذا البحر لا يسافر فيه بالليل لكثرة أحجاره ، وانما يسافرون من طلوع الشمس الى غروبها ، ويرسون وينزلون الى البر ، فاذا كان الصباح صعدوا الى المركب وهم يسمون رئيس المركب الربان ، ولا يزال أبداً في مقدم المركب ينبه صاحب السكان على الأحجار ، وهم يسمونها البنات » . كذلك يصف ابن جبير ^(٢) صعوبة الأبحار في هذا البحر فيقول « وكانت أهوال شتى عصمنا الله منها بفضلها وكرمه ، منها ما كان يطرأ من ضعف عدة المراكب واختلالها ، واقتصامها المرة بعد المرة عند رفع

(١) رحلة ابن بطوطة ص ١٧٢ .

(٢) رحلة ابن جبير ص ٧٥ .

الشراع أو حطه أو جذب مرسى من مراسيه ، وربما سحبت الجلبة (١) بأسفلها على شعب من تلك الشعوب أثناء تخللها فتسمع لها هدهة يؤذن باليأس ، فكنا فيها نموت مرارا ونحيا مرارا .

ولما كانت مصر تطل على البحرين الأبيض والأحمر ، وكانت لها أساطيل في كليهما ، فقد كانت دور صناعتها تقوم بأعداد سفن خاصة لكل منهما ، وفي ذلك يقول ابن الأثير (٢) « انهم من عادتهم اذا رأوا الغزو في هذا البحر (الأحمر) يفصلون أجزاء السفن في دور الصناعة في مصر ويحملونها على الجمال الى الطور الى ساحل بحر القلزم (الأحمر) فاذا وصلوا سمروها وأكملوا انشاءها وتآليفها ، ورفعوها في البحر وركبوها . وممن فعل ذلك من الصليبيين (أرناط) صاحب الكرك سنة ٥٧٨ هـ ، فقد أنشأ سفنا حملها على البر الى بحر القلزم ، وأركب فيها الرجال وأوقف منها مركبين على حرزة (٣) قلعة القلزم لمنع أهلها من استقاء الماء ، وسارت البقية نحو عيذاب فقتلوا وأسروا وأحرقوا في بحر القلزم نحو ستة عشر مركبا للمسلمين » .

أما عن الصعوبة في المحيط الهندي في العصور القديمة والوسطى ، فان كتب الرحالة مليئة بالقصص والروايات التي تبين ما تلاقيه السفن والمراكب من الأخطار ، حتى أنه ليخيل لنا نحن أبناء القرن العشرين وكأنها أساطير أو ضرب من الخيال غير المعقول ، فقد جاء في كتاب « عجائب الهند بره وبحره وجزايره » للبحار المشهور (بزرك بن شهريار (٤) الناخذاه الرام هرمزى) في قصته عن مهارة « عبهرة » في الملاحة ما يلي : أصله من كرمان ، وكان يبعث عراها (٥) يرمى

(١) الجلبة : جمعها الجلبات ، وهي السفن التي لا يستعمل في بنائها المسامير المعدنية وسيأتي الكلام عنها فيما بعد .

(٢) ابن الأثير ص ١٣٩ .

(٣) حرزة : جمعها حرز ، يقال حرزة من ترابه ، وجاءت في المراجع العربية بمعنى الصخر البارز في البحر .

(٤) العرب والملاحه في المحيط الهندي (المغرب ص ٢٩٣) .

(٥) عرى : مفردا عروة أى الناحية (المرجع السابق المغرب) .

الغنم ، ثم صار صيادا ، ثم صار أحد بانانية ^(١) مركب يختلف الى الهند ، ثم تحول الى مركب صيني ، ثم صار بعد ذلك ربانا وله في البحر طرايق ، وسافر الى الصين سبع مرار ، ولم يكن سلك قبلة الى الصين الا من غرر ^(٢) ، ولم يسمع أن أحدا سلكه وسلم وعاد قط ، فان سلم في المضي فهو عجب ، فلا يكاد يسلم في العودة . وما سمعت أن أحدا سلم في الذهاب والمجيء سواه . ثم يحدثنا عن غرق سفينة في الطريق الى الهند ، فيقول « ومن مصايب البحر المشهورة التي أثرت الى يومنا هذا ما حدثني به بعض التحال قال : خرجت في مركب من سيراف في سنة ست وثلثمائة (٩١٩م) يريد صيمور ، وكان معنا مركب عبد الله بن الجنيد ومركب سببا وكانت هذه الثلاثة المراكب في نهاية الكبر ، ومن المراكب الموصوفة في البحر ونواخذتها مشهورون لهم قدر ومنزلة في البحر . وفي المراكب ألف ومائتا رجل من التجار والنواخذة والبانانية والتجار وغيرهم من صنوف الناس ، وفيها من الأموال والأمتعة ما لا يعرف مقداره لكثرتة ، فلما سرنا أحد عشر يوما رأينا آثار الجبال ولوايح أرض سندان وتانة وصيمور ، وما سار هذا السير السريع قبلهم أحد فيما سمعنا » ثم يضيف « ثم جاءتنا الريح من الجبال فلم نضبط الشرع ، وأخذنا الخب ، والمطر والرعد والبرق ، فقال الربانية والبانانية نطرح الأمتعة فمنعهم أحمد (ربان مركبنا) وقال لا أطرح الا بعد أن يخرج الأمر عن يدي وأعلم أني هالك . ونزل الرجال ينزفون الجمة ^(٣) ، فلما كان اليوم السادس ، وكاد المركب أن يغوص في البحر ، قال اطرحوا الحمولة ، فلم يمكن طرح شيء لأن الخوابي ^(٤) والأعدال ^(٥) ثقلت بالمطر ، وكان ما فيه خمسمائة منا ^(٦) ، فقد صار فيه ألف وخمسمائة منا بالمطر . وعاجلهم الأمر ، وطرحوا القارب الى الماء ، ونزل فيه

(١) بانانية : جمع باناني ، ومعناه هنا الملاح ، وإن كان المراد به عادة التاجر الهندي والكلمة هندية الأصل .

(٢) غرر بنفسه : عرضها للهلكة .

(٣) الجمة : الموضع الذي يجتمع فيه الماء الراشح .

(٤) الخوابي : جمع خباء ، ويقول دوزي : توجد في مؤخرة السفن المصرية ، وهي كهيئة

ذات جانبيين ومكشوفة للسماء (Dozy Part 1 Part P 347) .

(٥) الأعدال : جمع عدل وهو الكيل .

(٦) المن : كيل معروف أو ميزان أو رطلان .

ثلاثة وثلاثون رجلا ، وقيل لأحمد قم فانزل في القارب ، فقال لا أبرح مركبى ، فانه أرجى في السلامة من القارب ، وان تلف أتلف معه فلاحظ لى في الرجوع بعد تلف مالى . « ولشدة الجوع وما نحن فيه أوما بعضنا الى بعض أن نأكل واحدا منا ، وكان معنا في القارب صبي سمين لا يبلغ ، وكان أبوه في جملة من تخلف في المركب ، فعزما على أكله فأحس الصبي بذلك فرأيته وهو ينظر الى السماء ويحرك شففيه وعينه تحريكا خفيا ، فما مضت ساعة حتى رأينا آثار الأرض » . « وهلك جميع أهل المراكب الثلاثة ، فلم يسلم منهم الا نفر من الذين كانوا في القارب . وكان في جملتهم (من هلك) ربان المركب أحمد وكان اسمه « بقى » .

لذلك فقد احتاجت سفن البحر الأحمر والمحيط الهندي الى أنواع خاصة من الخشب يمتاز بمتانته وصلابته حتى تستطيع مقاومة وتحمل العوامل والتأثيرات الجوية والبحرية القاسية ، فقد كانت ألواح الهياكل تصنع من خشب الساج ^(١) أو خشب جوز الهند ، وهو كما جاء في دائرة المعارف البريطانية « أنفس أنواع الخشب المعروفة جميعا ، فهو شديد الاحتمال فمتى تم اعداده لم ينشق أو يتشقق أو يتقلص أو يتغير شكله واذا اتصل بالحديد لم يكن في هذا الاتصال خير له أو للحديد ، كما أنه ليس شديد الصلابة ولذا يسهل استعماله ، وله مرونة وقوة احتمال عظيمتان . وينمو بكثرة في جنوب الهند وفي بورما وسيام واندونيسيا ، وكانت بلاد الشرق الأوسط والأدنى تستورده من الهند منذ أقدم العصور ، فقد قال ابن جبير ^(٢) ان خشب بناء السفن في عيذاب كان يجلب من الهند واليمن . ويقول المسعودى ^(٣) « ان سفن المحيط الهندي كانت تبنى من الساج لأنه يكاد يمتنع على البلا اذا كان في ماء البحر ، فهو يبقى أكثر من مائتى سنة اذا ظل في الماء ، فاذا أخرج منه كان أسرع الى التلف وان لم يتطرق اليه الا بعد حين » .

ويقول الادريسي « وكانت مراكب أهل سيراف اذا وصلت من بحر الهند الى جدة أقامت بها ، وتقل ما فيها من الأمتعة التي تحمل الى مصر في مراكب القلزم

(١) الساج Teak .

(٢) ابن جبير ص ٧٦ .

(٣) مروج الذهب ص ١٨٩ .

اذ كان يتهيأ لمراكب السيرافيين سلوك ذلك البحر لصعوبته ، وكثرة جباله النابتة فيه ، وانه لا ملوك في شيء من سواحله ولا عمارة ، وان المركب اذا سلكه احتاج في كل ليلة الى أن يطلب موضعاً يستكن فيه خوفاً من جباله فيسير النهار ويقوم للليل ، وهو بحر مظلم كرهه الروائح لا خير في بطنه ولا ظهره وليس كبحر الهند والصين الذي في بطنه اللؤلؤ والعنبر وفي جباله الجواهر والمعادن والذهب .

وكان هيكल سفن البحر الأحمر والمحيط الهندي يثبت بعضه الى بعض على أبسط صورة فقد كان الهراب يوضع على الأرض أولاً ثم تربط اليه ألواح أفقية على كلا الجانبين بخيوط من الليف وتشد هذه الألواح بعضها الى بعض بهذه الخيوط أيضاً . وكانت الخيوط تفرز خلال ثقوب تثقب على أبعاد معينة قرب أطراف الألواح المتجاورة ^(١) . ويقول ابن بطوطة ^(٢) « ان سفن البحر الأحمر كانت تخاط بحبال الليف وهي من صنع أهل عيذاب ، اذ ليس لأهلها حرفة للتعيش الا تعمير سفن الحجاج يسمونها (الحلبات) واحداها (حلبة) وهي ملفقة الانشاء ، ولا يستعملون فيها المسامير ، وانما يخيطنون الخشب بالليف ، ويضعون خلالها دسرا من عيدان النخل ثم يطلونها بالشحوم والنورة فتستمر عرضة للخطر وآفة لحجاج البيت يفرق الكثير منهم بسببها » .

كذلك وصف لنا ابن جبير ^(٣) كيفية صنع مراكب البحر الأحمر فقال « الجلاب التي يعرفونها في هذا البحر الفرعوني (الأحمر) ملفقة الانشاء لا يستعمل فيها مسمار البتة ، انما هي مخططة بامراس من القنبار ^(٤) ، وهو قشر جوز النارجيل ، يدرسونه الى أن يتخبط ويقتلون منه أمراسا يخيطنون بها المراكب ويخللون بها بدسرا من عيدان النخل ، فاذا فرغوا من انشاء الجلبة على هذه الصفة سقوها بالسمن أو بدهن الخروج أو بدهن القرش وهو أحسنها ، وهذا القرش حوت

(١) Cecil Torr : Ancient Ships, P. 37.

(٢) رحلة ابن بطوطة ج ٥ ص ١٨١ .

(٣) رحلة ابن جبير ص ٦٥ - ٧٣ .

(٤) القنبار - أو القنبر بفتح القاف وسكون النون وفتح الباء الموحدة والراء ، وهو ليف

جوز النارجيل وهم يدبغونه في حفر على الساحل ، ثم يضربونه بالمرازب ثم يغزله النساء وتصنع منه

الحبال لحياطة المراكب (ابن بطوطة ج ٤ ص ١٢١) .

عظيم في البحر ، ومقصدهم من دهان الجلبة هو أن يلين عودها ويرطب لكثرة الشعاب المعترضة في هذا البحر ولذلك لا يعرفون في المركب المسارى .

وجاء في كتاب سلسلة التواريخ^(١) « ان مما حدث في زماننا هذا ولم يعرفه من تقدمنا ، أن البحر الذى عليه بحر الصين والهند يتصل ببحر الشام ، ولا يقوم في أنفسهم ذلك ، حتى وجد في بحر الروم خشب مراكب العرب المخرزة ، التى قد تكسرت بأهلها فقطعها الموج وساققتها الرياح بأمواج البحر الخزر ، ثم جرى في خليج الروم ، وتقدم منه الى بحر الشام ، وان الخشب المخرز لا يكون الا لمراكب سيزاف خاصة ، ومراكب الشام والروم مسموزة غير مخروزة .

وجاء في وصف الرحالة الايطالى ماركو بولو^(٢) لسفن المحيط الهندى ما يلى : « ان المراكب التى كانت تستعمل في هرمز من أسوأ صنف ، ومعرضة من يركبها للمهالك وذلك راجع الى أنه لا يستطيع استعمال المسامير في بنائها ، وانما كانت تثقب الألواح قرب أطرافها بأقصى ما يمكن من العناية بمثقاب من الحديد ، ثم توضع في الثقوب مسامير من خشب تصل بعضها ببعض ، بنوع من الليف يصنع من قشر جوز النارجيل ، ولا يطلى بعد ذلك بالقار ، بل بزيت يتخذ من دهن الحوت ، والسفن التى تجرى في هذا المحيط لم يكن فيها أكثر من طبقة واحدة ، وكانت في معظم الأحيان ذات شراع واحد .

وقد اختلف الرحالة والمؤرخون في الأسباب التى من أجلها استعملت الخيوط في بناء سفن البحر الأحمر والمحيط الهندى بدلا من المسامير في تثبيت الألواح . وما هى الحكمة في بقاء طريقة الخياطة قرونا طويلة بعد أن عرف وأمكن استعمال المسامير ، خاصة وانه كان واضحا ضعف السفن المخيطة في مقاومة تلك البحار العاتية ، فقد كتب (جوفانى دى موتى كورفينو) يقول : « ان السفن فى تلك الأنحاء شديدة الضعف والغرابة ، لا حديد فيها ولا جلفطة » ، فاذا انقطع الخيط في مكان ما حدث ثقب ولا ريب ، ولهذا كانوا يصلحون الخيوط ، قليلا أو كثيرا

(١) أبو زيد حسن وسليمان التاجر : سلسلة التواريخ (طبعة باريس سنة ١٨١١ م) .

(٢) آدم متز (حضارة العرب ص ١٥٩) .

مرة كل عام ، اذا أرادوا ركوب البحر (١) . كما أن كتب الرحالة مليئة بذكر القصص التي تبين أن الرياح كانت تفرق الكثير من تلك السفن واذا كان بعضها قد أمكنها الوصول الى الصين وموزمبيق ، فقد كان الفضل في ذلك لشجاعة ملاحيها ومهارتهم ورغبة تجارها في الكسب ، ومع ذلك فقد كان على البحارة دائما قذف الماء من بطنها لأن ألواحها كانت تسمح بتسرب الماء ولأنه لم يكن لها ظهر . هذا وقد جاء في كتاب المواصلات المائية (٢) : أن السفن المخيطة في سيلان ، ظلت حتى عهد اختفائها أخيرا تفك أجزاءها كل عام ثم تجمع وتخط من جديد .

وقد ناقش هذه الأسباب الدكتور جورج فاضلو حوراني (٣) في تفصيل دقيق جاء فيه أن الكاتب الهندي القديم بهوجا (Bhola) كان أول من كتب بالسكريتية قال : انه كانت في البحر صخور من المغناطيس تجذب السفن المثبتة بالحديد الى حتفها ، وان هذه الأسطورة كانت شائعة في العالم القديم ، فقد ذكرها بروكوبيوس (٤) (Procopius) ولكنه أبان خطأها بأسلوب علمي منطقي سليم ، فقد قال ، ان السفن اليونانية والرومانية كانت تبخر في البحر الأحمر ، وكانت بها مسامير وقطع أخرى من الحديد ، ومع ذلك لم يكن يصيبها أبدا أي أذى . واستمرت الأسطورة الى العصور الوسطى ، فقد ذكرها النويري في القرن الرابع عشر (٧٧٥ هـ — ١٣٧٣ م) في كتابه (الامام بما جرت به الأحكام والأمر المرعية في موقعة الاسكندرية) ، كما ذكرها القزويني (٥) فقال : « ان السبب هو خوف الملاحين من جبال المغناطيس ، وهي جبال كثيرة قد علا الماء عليها ، فلهذا لا تستعمل المسامير في هذا البحر خوفا من جذب جبال المغناطيس لها » . كذلك ذكرها ماركو بولو كما سبقت الإشارة .

وفريق آخر من المؤرخين والرحالة عزا السبب في عدم استعمال المسامير في سفن البحر الأحمر والمحيط الهندي الى بعض التفسيرات العلمية والمنطقية ، فقد

(١) العرب والملاحة ص ٢٥٤ (المغرب) .

(٢) Hornell, J : Water Transport : Origins & Early Evolution, P. 236.

(٣) العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ٢٥٥ (المغرب) .

(٤) Procopius : Persian Wars, P. 213.

(٥) عجائب المخلوقات ص ٢٣١ .

قال المسعودى ^(١) « ان استعمال الخيوط بدلا من المسامير في تثبيت الألواح ، لا يكون الا في البحر الحبشى ، لأن مراكب البحر الرومى والعرب ، كلها ذوات مسامير ، ومراكب الحبشى لا يثبت فيها مسامير الحديد لأن ماء البحر يذيب الحديد فترق المسامير في البحر فتضعف ، فاتخذ أهلها الخياطة بالليف بدلا منها وطلبت بالشحم والنورة ^(٢) » .

وهذا رأى وان بدا منطقيا مقبولا ، الا أنه من الناحية العلمية غير سليم ، ذلك لأن البحرين الأبيض المتوسط والبحر الأحمر لا يختلفان في درجة الملوحة أو غيرها من الخصائص الكيميائية الا بنسبة ضئيلة جدا تكاد لا تذكر ^(٣) ، هذا بالإضافة الى أن الألواح المصنوعة من خشب الساج الهندى المستعملة في سفن المحيط الهندى لا تتلف الحديد كما تتلف أخشاب سفن البحر الأبيض المصنوعة من خشب البلوط ^(٤) .

وقد ذكر الأدريسى وابن بطوطة وكذا ابن جبير ، رأيا له وجاhte ، وهو أن الهياكل المخيطة تكون مرنة ، فاذا اصطدمت بشعاب المرجان في البحر الأحمر أو غيره كانت أقل تعرضا للكسر من المراكب المصنوعة بالمسامير . كما أنها تستطيع الرسو على الشواطىء الرملية أو الصخرية الصعبة مثل شاطئ مالايا وكورناتل بالهند . ومما يؤيد رأى هؤلاء الرحالة أن مصر كانت تصنع كلا النوعين من السفن ، المخيطة للبحر الأحمر ، والمصنوع بالمسامير الحديدية للبحر الأبيض المتوسط .

أما الأستاذ جورج ^(٥) فاضلو ، فيرى أن السبب الحقيقى هو الغلاء النسبى لبناء السفن بالحديد في مناطق البحر الأحمر والمحيط الهندى ، ذلك أن استخراج الخام من المناجم وصهره وصناعة المسامير منه كانت تتطلب نفقات كثيرة ، ولذا فلم

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٦٥ .

(٢) النورة : الحجر الذى يحرق ويسوى منه الكلس (لسان العرب) .

(٣) Johnstone, J : Introduction to Oceanography, P. 137

(٤) Moreland (W.H) : The Ships of Arabian Sea about 1566, P. 192. (J.R.A.S. (٤)

Jan & April 1939)

(٥) العرب والملاحة ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

يستطع التثبيت بالمسامير أن يجارى الخياطة من حيث الرخص فالمواد اللازمة للخياطة قريبة المنال ولا تحتاج الى صناعة دقيقة .

وفي رأى أن السبب الذى ذكره الأستاذ جورج فاضلو ، ليس هو كل الحقيقة والا فبماذا نفسر استعمال مصر للنوعين معا .

ولم يقتصر الخلاف بين سفن البحر الأبيض المتوسط وسفن البحر الأحمر على نوع الخشب وكيفية تثبيت الألواح ، بل تعداه الى عملية الجلفطة ، فبينما كانت سفن البحر الأبيض تغلفط بالقار نجد أن سفن البحر الأحمر تغلفط كما يقول ابن جبير (١) بالدر (٢) من عيدان النخل ثم تسقى بالسمن أو بدهن الخروج ، أو بدهن القرش وهو أحسنها ، ومقصدهم من دهان الجلبة أن يلين عودها ويرطب لكثرة الشعاب المعترضة في هذا البحر . ويقول في ذلك المسعودى (٣) « وكانت مراكب البصرة ييضاء مشحمة بالشحم والنورة » أما الادريسي (٤) فقد أعطانا وصفا شاملا لمواد القلفطة وهى أن الألواح كانت تسد بمزيج من القار أو الراتنج ودهن الحوت « ثم يصف الحيتان الصالح دهنها للقلفطة فيقول « وذكر الربايون أنهم يتصيدون ما صغر منها فيطبخونها في القدور فيذوب جميع لحمها ويعسود شحما مذابا ، وهذا الدهن مشهور ببلاد اليمن في عدن وغيرها من المدن الساحلية ، وفي بلاد فارس وساحل عمان وبحر الهند والصين ، وهو عمدتهم في سد خروق المراكب ، وكان الغرض من هذا أيضا حماية القاع من دودة السفن .

وتمتاز معظم سفن البحر الأحمر بعدم احتوائها على ظهر ، فيقول جوردانوس (٥) عند حديثه عن ملبار « كذلك السفن لا ظهور لها ، وإنما هى مفتوحة ويتدفق اليها الماء فترى رجالها في معظم الأحيان يقفون في بركة من الماء يقذفونه في البحر » وكذلك يقول ماركو بولو (٦) عن سفن هرمز (٧) « والسفن التى تجرى في هذا

(١) ابن جبير ص ٧٠ .

(٢) الدر : هنا بمعنى المسامير الخشبية .

(٣) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٦٣ .

(٤) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ص ٦٤ .

(٥) العرب والملاحة ص ٢٦٠ .

(٦) Gule (H.) : The Book of Ser Marco Polo, The Venetian, Part I, P. 111.

(٧) هرمز : فرضة كرمان على بر فارس (ياقوت) .

المحيط لم يكن فيها أكثر من طبقة واحدة ، وكانت في معظم الأحيان ذات شراع واحد . ولكن ليس معنى هذا أنه لم يكن بين سفن البحر الأحمر مراكب ذات ظهر ، فقد وصف لنا ابن بطوطة مراكب الصين وصفا دقيقا ، يفهم منه أن السفن الكبيرة كانت ذات سقف بل انها كانت متعددة الطبقات ، فهو يقول ^(١) « مراكب الصين ثلاثة أصناف ، الكبار منها تسمى (الجنوك) واحدها (جنك) والمتوسطة تسمى « الزو » والصغار يسمى أحدها (الككم) . ويكون في المركب الكبيرة منها اثنا عشر قلعا ، فما دونها الى ثلاثة . وقلعها من قضبان الخيزران منسوجة كالحصر ، لا تحط أبدا ويديرونها بحسب دوران الرياح ، وإذا أرسوا تركوها واقفة في مهب الرياح . ويخدم في المركب منها ألف رجل منهم البحرية ستمائة ، ومنهم أربعمائة من المقاتلة تكون فيهم الرماة وأصحاب الدرق ، والذين يرمون النفط ، ويتبع كل مركب كبير منها ثلاثة : النصفى والثلثى والربرى . ولا تصنع هذه المراكب الا بمدينة الزيتون من الصين أو بصين كلان ، وهى صين الصين . وكيفية انشائها أنهم يصنعون حائطين من الخشب يصلون ما بينهما بأخشاب ضخام جدا موصولة بالعرض والطول بمسامير ضخام ، طول المسامير منها ثلاثة أذرع . فاذا التأم الحائطان بهذا الخشب ، صنعوا على أعلاها فرش المركب الأسفل ، ودفعوها في البحر وأتموا العمل . وعلى جوانب هذا الخشب تكون مجاديفهم وهى كبار كالصواري ، يجتمع على أحدها العشرة والخمسة عشر رجلا ، ويجدفون وقفا على أقدامهم ، ويجعلون للمركب أربعة ظهور ، ويكون فيه البيوت ^(٢) والمصارى ^(٣) ، والغرف للتجار ، والمصرية منها يكون فيها البيوت والسنداس ^(٤) وعليها المفتاح يسدها صاحبها ، ويحمل معه الجوارى والنساء وربما كان الرجل في مصرته فلا يعرف به غيره ممن يكون بالمركب ، حتى يتلاقيا اذا وصلا الى بعض البلاد . والبحرية يسكنون فيها أولادهم ويزرعون الخضر والبقول والزنجبيل في أحواض خشب . ووكيل المركب كأنه أمير كبير ، واذا نزل الى البر مشيت الرماة

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١٠ ص ٣٧٧ .

(٢) مجموعة من الغرف ولوازمها وتكون واحدة تامة وهو ما يعرف الآن باسم (جناح) .

(٣) المصارى جمع مصرية وهى غرفة النوم وما يتبعها من مرحاض وغيره .

(٤) المرحاض .

والجيشان بالحرا ب والسيوف والأطبال والأبواق والأتقار أمامه . واذا وصل الى المنزل الذى يقيم به ركزوا رماحهم على جانبى بابه ، ولا يزالون كذلك مدة اقامته . ومن أهل الصين من تكون له المراكب الكثيرة ، يبعث بها وكلاءه الى البلاد وليس فى الدنيا أكثر أموالا من أهل الصين .

وبعد الانتهاء من هرا ب السفينة كانوا يعلقون حول المراكب من الخارج الجلود أو اللبود المبلولة بالخل أو الماء والشب والنطرون لدفع أذى النفط وقد يحتاطون لذلك بالطين المخلوط باليورق والنطرون أو الخطمى المعجون بالخل فان هذه المواد تقاوم فعل النفط . وكان من شدة حذرهم فى أثناء الحرب اذا جن الليل لا يشعلون فى مراكبهم نارا ولا يتركون فيها ديكا ، واذا أرادوا المبالغة فى الاختفاء سدلوا على المراكب قلوغا زرقاء كيلا تظهر من بعد (١) .

(١) تاريخ التمدن الإسلامى ص ١٦١ .

البابُ الرَّابِعُ

أجزاء السفن
ومعداتها
في الحصن الوسطي

وكان من معدات السفن الحربية في العصور الوسطى الزرد والخوذ والدرق ، والتراس والرماح والقصى والكلايب والباسليقات وهي سلاسل في رهوسها رمانة حديد . وكانوا يجعلون في أعلى السواري صناديق مفتوحة من أعلاها يسمونها التوايت يصعد اليها الرجال قبل استقبال العدو فيقيمون فيها ومعهم حجار صغيرة في مخلاة معلقة بجانب الصندوق فيرمون العدو بالأحجار وهم مستورون بالصناديق . وقد يكون مع بعضهم بدل الحجارة قوارير النفط للاشعال أو جرار النورة ، وهو مسحوق ناعم من مزيج الكلس والزرنيخ يرمون بها في مراكب الأعداء فتعمى الرجال بغبارها وقد تلتهب عليهم اذا تبذرت . وقد يرمون عليهم قدور الحيات والمقارب أو قدور الصابون اللين فانه يزلق أقدامهم . (انظر شكل ٣٩) .

ومن الأدوات الحربية في السفن اللجام ، وهي أداة كالفأس يجعلونها في مقدم السفينة وتتكون من حديدة طويلة محددة الرأس جدا وأسفلها مجوف كسنان

الرمح تدخل من أسفلها في خشبة كالقناة بارزة في مقدم المركب يقال لها الاسطام ، فيصير اللجام كأنه سنان رمح بارز من مقدم السفينة فيحتالون في طعن المراكب به . فاذا أصاب جانب المركب بقوة خرقة حتى يخشى غرقه بما ينصب فيه من الماء فيطلب أصحابه الأمان .

وإذا دنوا من مراكب العدو يلقون عليها الكلابيب فيقفونها ويشدونها اليهم ثم يرمون عليها ألواحاً كالجسور ، ويدخلون اليها ويقاتلون أصحابها . ولمقاومة الكلابيب فؤوس ثقيلة يضربونها بها فتقطع ويبطل عملها . وللوقاية كانوا يستعملون الستائر ، ويقول القلقشندي (١) في وصفها هي آلات الوقاية من الطوارئ وما في معناها مما يستر به على الأسوار والسفن التي يقع فيها القتال ونحو ذلك .

ومن أهم آلات الحروب البرية والبحرية على السواء المدافع ، وهي تصنع عادة من الحديد لقذف الكرات الحديدية فتهدم أو تهشم ما أصابته . ويقول سرهنك (٢) ، ان الصينيين هم أول من عرف المدافع ، فقد ورد في تواريخهم أنها كانت معروفة عندهم منذ سنة ٦١٨ ق . م . وقد أثبت العلامة باري (Pary) صحة هذا الرأي في تقرير قدمه الى الأكاديمية الفرنسية سنة ١٨٥٠ م . وقد استعمل العرب المدافع في عدة حروب ، وكانوا يصنعونها من الخشب ويحزمونها بالجمال ويطلقونها بالطلاء للمتانة ، ثم أخذها عنهم الايطاليون فاستعملوها في حصار مدينة فلورنسا سنة ١٣٢٥ م ثم استعملها ادوارد الثالث ملك إنجلترا سنة ١٣٤٦ م في موقعة (كرسى) . وكان فم المدفع وقتئذ أوسع من أسفله ، ثم أخذت مصانع أوروبا في تطوير صناعة المدافع بسرعة واستعملته الدول البحرية في أساطيلها ، فاشتهرت ألمانيا بمدافع كروب (krupp) وفي إنجلترا اشتهرت مدافع مصانع ارمسترونج (Ararnstrong) وفي فرنسا اشتهرت مدافع كانية (Canet) . أما الأساطيل الأسبانية فكانت تستخدم مدافع هونتوريا (Hontoria) وأساطيل روسيا مدافع أوبوكهوف (Oboukhoff) .

(١) أصبح الأعشى ج ٥ ص ١٢٧ .

(٢) سرهنك ج ٢ ص ٢٤٤ .

ويقول القلقشندي عن مكاحل البارود « هي المدافع التي يرمى عنها بالنفط ،
وحالها مختلف فبعضها يرمى عنه بأسهم عظام تكاد تحرق الحجر ، وبعضها يرمى
عنه ببندق من حديد من زنة عشرة أرطال بالمصرى الى ما يزيد على مائة رطل » .
ويضيف القلقشندي « وقد رأيت بالاسكندرية في الدولة الأشرفية ، شعبان بن
حسين في نيابة الأمير صلاح الدين بن عرام رحمه الله ، مدفعا قد صنع من نحاس
ورصاص ، وقيد بأطراف الحديد ، رمى عنه من الميدان ببندقة من حديد عظيمة
محماة ، فوقعت في بحر السلسلة خارج باب البحر وهي مسافة بعيدة » . وكان
رامى البندق يعرف باسم (الجرخية) ^(١) .

(١) الجرخية : جمعها جرخى أى راي الجرخ أى البندق .

المجاديف

ومن الأجزاء الهامة في السفينة المجداف . ولذلك فإن ترتيب المجاديف ووضعها في صفوف مناسبة كان من أهم المسائل التي يعنى بها في بناء السفن . ويعتبر البحر الأبيض المتوسط من البحار الهادئة التي تستطيع السفن الشراعية أن تسكنها ليالي وأياما دون أن تزعجها الرياح العاصفة أو الأمواج الهائجة ، كما تستطيع قوارب التجديف أن تعبر مياهه الهادئة متلمسة شواطئ القارات والجزر الكثيرة المنتشرة فيه ، تلجأ إليها إذا ما دهمتها الرياح أو اعتراها خطر من الأخطار وهكذا أصبحت المجاديف الآلة المميزة للملاحة في هذا البحر (١) .

وبما أن شعوب البحر الأبيض المتوسط سكنت غرب أوروبا كذلك ، فقد أخذت عنها شعوب شمال أوروبا نماذج السفن الجنوبية على الرغم من قسوة الرياح بالنسبة للشراع وهياج الأمواج بالنسبة للمجاديف ، ولكن سرعان ما أدخل سكان غرب أوروبا أنواعا من السفن الشراعية ، اخترعوها للملاحة في المحيطات . وهكذا

(١) Anderson (R.C.) : The Sailing Ships, P. 54.

حل الشراع محل المجاديف ، وان لم يختف المجداف تماما ، فقد استمرت السفن ذات الأحجام الكبيرة نسبيا في استعماله في البحر الأبيض المتوسط فقط ، الى ما قبيل استعمال البخار ، بدلا من الشراع^(١) ولعل السبب في ذلك وفرة العبيد الذين يقومون بعملية التجديف ، ولكن ليس معنى هذا أن المجدفين في السفن كانوا جميعا من العبيد في العصور القديمة ، فمن الحقائق الثابتة أن الاثنين في عهد بركليس كانوا يتطوعون عن طيب خاطر للتجديف في السفن^(٢) .

لقد نشأ فن التجديف في نهر النيل ، فقد عثر على نقش لمراكب تجديف على الآثار المصرية يرجع الى سنة ٢٥٠٠ ق م . وكذا عثر على مجاديف في المراكب الجنائزية للملك خوفو التي عثر عليها خلف الهرم الأكبر سنة ١٩٥٤ م . ونرى في النقش أن سفن البحر الأبيض المتوسط تحتوى على عشرين مجدافا (انظر لوحة رقم ٢ (ب) ٣) بينما تحتوى سفن البحر الأحمر على ثلاثين مجدافا (انظر لوحة رقم ٥) . وفي نقش مصرى آخر يصور معركة ترجع الى سنة ١٠٠٠ ق م نجد أن السفن الحربية تحتوى أحيانا على اثني عشر وأخرى على اثنين وعشرين مجدافا حسبما يتسع المكان للنحاحات انظر لوحة رقم (٧) ، بينما نجد أن السفن الحربية الآسيوية لا تحتوى على مجاديف على الاطلاق^(٣) .

ويسمى الأغريق المجاديف بكلمة (Taros) تارسوس والعبرانيون يطلقون عليها كلمة (Tarsis) ولذا يظن البعض أن مدينة طرسوس في آسيا الصغرى هي أول من استخدم التجديف في البحر الأبيض المتوسط ولذا عرفت المجاديف باسمها ، وان كان هذا الظن ينقصه الدليل المادى لاثباته^(٤) .

وقد عثر على نقوش آشورية بها رسوم سفن حربية فينيقية ترجع الى سنة ٧٠٠ ق م تحتوى على صفين من المجاديف^(٥) (انظر شكل ٥ ، ٦) .

(١) Cecil : Ancient Ships, P. 2.

(٢) المرجع السابق ص ٢ .

(٣) Smuth (H.W.) : Masts & Sails in Europe & Asia, P. 43.

(٤) Chatterton (H.K.) : Forex & Aft Craft & their Story, P. 26.

(٥) Cecil Torr : Ancient Ships, P. 3.

كذلك يذكر هيرودوت أن سفن مصر الحربية في القرن السادس قبل الميلاد كانت تحتوى على ثلاثة صفوف من المجاديف ، وان كان (Torr) يرى أن المصريين أخذوا فكرة تعدد صفوف المجاديف عن الفينيقيين . وقد استمرت السفن ذات الثلاثة صفوف من المجاديف قرابة قرنين من الزمان تعتبر أكبر السفن الحربية . وتدل أحواض السفن التى عثر عليها فى أثينا والتى ترجع الى سنة ٣٣٠ ق م الى وجود سفن ذات أربعة وخمسة وستة صفوف من المجاديف ، كذلك يقول بلنى (Pliny) (١) ان السفن الحربية ذات الأربعة والخمسة والستة صفوف من المجاديف بنيت فى مدينة خلقدونيا وسلاميس .

ويذكر (Pliny) وغيره من المؤرخين أن سفن الاسكندر المقدونى الحربية وصل عدد صفوف مجاديفها الى عشرة ، كما يقول (Curtius Quintus) أن الاسكندر بنى أسطولاً حربياً فى نهر الفرات سنة ٣٣٣ ق م تحتوى سفنه على سبعة صفوف . أما فى العصر البطلمى فقد وصل عدد صفوف المجاديف فى السفن الحربية رقماً قياسياً ، اذ وصلت الى ثلاثين بل أربعين وستين صفاً ، وقد وصف بلوتارك بعضاً منها وصفاً دقيقاً . أما مقاسات (٢) هذه السفن الكبيرة فيقول (Callixenos) الذى نقل عنه بلوتارك أن السفينة ذات الأربعين صفاً يبلغ طولها (٢٨٠) قدماً ، وارتفاع المؤخرة (٥٣) قدماً ، وارتفاع الهيكل (٤٨) قدماً ، وطول المجداف (٣٨) قدماً ، وأقصى عرض للسفينة ما بين (٣٨ ، ٥٧) قدماً .

أما الرومان فقد كانت سفنهم الحربية سهلة الاستعمال وذات صفين (انظر شكل ١٤) ولذا فقد أصبح الاصطلاح (liburne) يطلق على السفن الحربية الرومانية سنة ٤٠٠ م مهما كان عدد صفوف مجاديفها وان كان الغالب هو اثنين . أما الدولة البيزنطية فقد كان الاصطلاح (dromon) معناه السفن الحربية ، وتمتاز بسرعة الحركة حتى انها لتفوق سرعة السفن التجارية ، وكانت غالباً ذات صف واحد من المجاديف . وقد جاء فى وصف مجاديف السفن الحربية فى المعاهدة المنسوبة الى الامبراطور ليو السادس ، بالآلا توجد سفينة تحتوى على أكثر من

(١) Pliny, VII, P. 57.

(٢) Cecil : Ancient Ships, P. 9.

صفين من المجاديف على ألا يقل عدد مجاديفها عن (٢٥) مجدافا في كل صف ، أى مائة في المجموع ويستعمل المجداف رجل واحد . أما السفن الكبيرة فتحتوى على (٢٠٠) مجداف ورجل ، خمسون يجدفون في الصف السفلى و (١٥٠) يحاربون من أعلى . وقد استعمل مثل هذه السفن قسطنطين الثامن سنة ٩٤٩م في هجومه على جزيرة كريت (١) .

أما عن السفن التجارية في العصور القديمة فهي تختلف اختلافا بينا عن السفن الحربية فبينما تعرف الأخيرة باسم السفن الطويلة فإن الأخرى تعرف باسم السفن المستديرة (٢) . وقد عثرنا على وصف دقيق للسفن التجارية يرجع (٣) الى سنة ١٥٠ م . وهو لاحدى السفن المصرية التى كانت تنقل الغلال الى روما ، وقد جاء فيه ، أن طولها يبلغ (١٨٠) قدما وعرضها أكثر من ربع طولها بقليل أما عمقها فيبلغ (٤٣٥) قدما . وقد وجدت سفن كبيرة جدا وانما لأغراض خاصة ، مثل السفينة التى نقلت المسلة المصرية الى ايطاليا سنة ٤٠ م (مسلة الفاتيكان) والتى يصفها (Pliny) فيقول انها أعجب سفينة رآها أو سمع عنها ، وهو محق في قوله إذ أن وزن المسلة وقاعدتها تبلغ (٤٩٧) طنا ، كما غطيت بطبقة من حبوب العدس لحفظها ثابتة لا تتحرك بلغ وزنه (٨٠٠) طن ، ومعنى هذا أن حمولة المركب بلغت (١٣٠٠) ألف وثلثمائة طن ، أى انها تبلغ خمسة أضعاف حمولة أى سفينة تجارية في ذلك الوقت (٤) . وهناك سفينة مصرية أخرى بلغت حمولتها (٢٧٠٠) طن من الحبوب والفلفل والكتان والورق والزجاج وعدد من البحارة بلغ (١٤٠٠) رجل وذلك بجانب المسلة وقاعدتها التى أرسلت الى ايطاليا سنة ٢٥ م (٥) . وليس من شك في أن مثل هذه المراكب التجارية الكبيرة تحتاج الى عدد كبير من المجاديف الضخمة التى تساعد على الرسو عند الشاطئ والدخول الى الموانئ انظر لوحة رقم (٨) .

(١) Lucian, Navigl .

(٢) Clowes (G.S.L.) Sailing Ships, P. 73.

(٣) Naish (G.P.B. : Ships & Shipbuilding vol. III, P. 471

(٤) Pliny : XVI, P. 76.

(٥) Cedren : P. 172, (Ancient Ships, P. 23).

أما في العصور الوسطى فقد أصبح اصطلاح جاليه (Galca) يعنى السفن الحربية ذات الصف الواحد من المجاديف ، وان كان قد أدخل عليها من التحسينات ما جعل الصف الواحد يقوم مقام الصفوف المتعددة ، فمثلا قصر المسافة بين المجداف ثم استعمال مجاديف بأطوال مختلفة في السفينة الواحدة وكذا قيام أكثر من رجل بالعمل على المجداف الواحد^(١) . ومن القرن الثالث عشر حتى القرن السادس عشر (١٢٩٠ م الى ١٥٤٠ م) كانت السفن الحربية تسمى (Trireme) وكانت تحتوى على (٢٥) أو (٣٠) مقعدا على كل من جانبيها ويجلس على كل مقعد ثلاثة من البحارة المجدفين وكل منهم يشد مجدافا منفصلا ، وجميع مراكز ارتكاز المجاديف على مستوى واحد^(٢) (انظر لوحة رقم ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) .

وكانت السفينة العادية في العصور الوسطى تتكون من الأجزاء الآتية ^(٣) ، ظهر مقسم الى ثلاثة أقسام ، ساحة للقتال عند طرفي السفينة ، وبرج المراقبة عند المؤخرة ، ثم وسط السفينة . وعلى جانبي السفينة مكان متسع لبحارة التجديف ، وكان طول المجداف يتراوح بين (٢٩) الى (٣٢) قدما ويزن (١٢٠) رطلا ، كما كان يصعد لمقاعد المجدفين بدرج . وكان الصاري الخفيف يحمل الشراع المسمى لاتين (Lateen) الذى كان يريح المجدفين عندما تكون الرياح مواتية ، أما في حالة الرياح المضادة فان المجدفين يقومون بتسيير السفينة . وفي ساحة القتال عند طرفي السفينة ، يوجد مدفع كبير وآخر صغير ، وللسفينة دفة في المؤخرة ، كما أن المؤخرة تنتهى ببرز يشبه منقار الطائر ، يستعمل كجسر عندما تلتحم السفينة بسفينة العدو ، كما توجد غرفة لقائد السفينة . ومما يجدر الإشارة اليه أن البحارة المجدفين أصبحوا في العصور الوسطى أحرارا يتقاضون أجورا وليسوا عبيدا كما كان الحال من قبل ^(٤) .

وفي أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر بنيت أكبر وأضخم

(١) Cecil : Ancient Ships, P. 19

(٢) Naish : Ships & Shipbuilding, P. 471

(٣) Anderson : The Sailing Ships. p. 56

(٤) Naish : Ships & Shipbuilding p. 471

مركب تجارية عرفها التاريخ وخاصة في مدينة البندقية ، اذ بلغت حمولتها ٢٥٠ (انظر شكل ٤٠) وكان طولها يبلغ ستة أمثال السفينة الحربية وكان لها ثلاثة صوار وشرع مربع لاتين (lateen) كما كان لها مجاديف وان كانت لا تستعمل الا في الدخول والخروج من الميناء ، وكذا في حالات الضرورة ، وكانت المجاديف منظمة بطريقة الصفوف الثلاثة (trireme) . وكان عدد البحارة من مجدفين ومدفعية يبلغ (٢٠٠) بحار عادة . وقد بلغت هذه السفن شهرة كبيرة في النصف الأول من القرن السادس عشر حتى أن معظم التجار لم يجدوا ضرورة للتأمين على متاجرهم ضد أعمال القرصنة المنتشرة في ذلك الحين ، وذلك لمتانة بناء السفن وقدرتها على الدفاع عن نفسها .

وفي منتصف القرن السادس عشر حدث تغير في طريقة التجديف ، فقد أصبح كل البحارة الجالسين على مقعد واحد يجدفون مجدافا واحدا ، وبذلك زادت سرعة السفن الكبيرة الحجم ، فقد بلغ عدد المجدفين للمجداف الواحد ثمانية والعدد الشائع هو خمسة (انظر شكل ٤١) على أن هذه السفن ذات السلاح الثقيل لم تستطع مقاومة سفن المدفعية الكاملة التجهيز^(١) (انظر شكل ٤٢) .

(١) السفن ذات التجهيز الكامل . (Naish, vol. III, P. 474) Full rigged ships

الشرع

وتعتبر الصواري والشرع هي قلب السفينة النابض فعليها يقع العبء الأكبر في سيرها وحركتها . وكان للصارى أسماء متعددة ، فهو الدَّقَل في المحيط الهندي والدشولى في بحر الصين والصارى في البحر المتوسط ^(١) . ومعنى الدَّقَل ^(٢) في الأصل هو (جذع النخلة) ومعنى هذا أن الصواري كانت تتخذ في تلك الجهات من جذوع النخيل ، ثم تطورت بعد ذلك فأصبحت تصنع في العصور الوسطى من شجر جوز الهند ، ويحتمل أنها كانت تصنع أيضا من خشب الساج . ويمكن القول أيضا أن القرية ^(٣) كانت تصنع أيضا من خشب الساج .

أما الشراع فكانت تصنع من التيل المكون من خليط من ألياف البردى وأعشاب وألياف الكتان ، وكانت أنواع الأقمشة والمنسوجات المستعملة في الشرع مختلفة الجودة والأسعار ، فمنها أنواع ممتازة جدا ومرتفعة الأسعار . أما شرع المحيط الهندي والبحر الأحمر فكانت تنسج من أوراق جوز الهند أو سعف

(١) المسعودى : مروج الذهب ج ١ ص ٢٤٤ .

(٢) العرب والملاحة في المحيط الهندي ص ٢٦٤ (المعرب) .

(٣) القرية : عود الشراع الذي في عرضه من أعلاه (القاموس المحيط) وهي مأخوذة من

الكلمة اليونانية (Keraia) (قاموس ابن جبير ص ٤٤ عن العرب والملاحة المترجم ص ٢٦٤) .

النخيل ، أو تصنع من نسيج الأشرعة القطنى . وكانت نهايات شرع البحر الأبيض المتوسط ومصر خاصة تبطن بالجلد ، أما الجبال فكانت تصنع أحيانا من الجلد والغالب من ألياف البردى والكتان والقنب^(١) . وكانت الشرع متعددة الألوان ، ولكل لون معنى خاص وعلامة مميزة ، فالشرع الأسود علامة الحزن ، واللون الأحمر أو الأرجوانى يستعمل فقط لسفينة أمير البحار أو الحاكم ، أما السفن الكشفية التى تستعمل وقت الحروب فكان شرعها وجبالها تصنع بلون ماء البحر حتى لا تظهر للعدو . وفى بعض الأحيان كان يلون أعلى الشرع ويترك باقية بدون لون ، وأحيانا يضاف إليها قطع من النسيج الملون بأشكال ورسوم مختلفة ، كانت تعنى فى معظم الحالات شارات مثل الرنوك المملوكية ، أو شارات فرسان الاقطاع فى أوروبا فى العصور الوسطى . كما كان يكتب عليها كتابات وشارات ورموز خاصة باسم السفينة وجنسيته ورتبة من يركبها (انظر شكل ١٦) . وكانت سفينة أمير البحار تتميز بوضع علم خاص بالإضافة الى لون الشرع الأحمر . وفى الظلام كان يوضع اضاءة بدلا من العلم وذلك لهداية الأسطول والتفاف وحداته حول قائده . وفى بعض الأحيان كان جميع قطع الأسطول تضاء ، وفى هذه الحالة كان ضوء سفينة أمير البحار يوضع فى مكان مميز أو تضاء بأكثر من شعلة . كذلك كانت سفن الأسطول الواحد تضع أعلاما لبيان جنسيتها لتمييزها عن سفن العدو ، كما كانت الأعلام تستعمل لإعطاء شارات معينة ، فمثلا يستعمل العلم الأحمر علامة بدء المعركة وغير ذلك من الشارات .

وكانت السفن الفرعونية تحتوى على صار واحد وعمودين مستعرضين (قريتين) لحمل الشرع المربع الشكل (انظر لوحة رقم (٥) ، (٧)) ، أما السفن الفينيقية وكذا الاغريقية ، فكانت تحتوى على صار واحد وقرية واحدة^(٢) . (انظر لوحة رقم ١٣ ، ١٥) . ومما هو جدير بالذكر أن الصواري والشرع كانت لها فى العصور القديمة أسماء معينة تبعا لمميزات خاصة بها أو ذكرى

(١) Ancient Ships, P. 96.

(٢) Clowes : The Story of Sails, P. 85.

لمناسبات حروب هامة . فهناك الشراع المعروف باسم اكتيون (Akateion) الذى كانت تستعمله السفن الحربية ذات الثلاث الصفوف من المجاديف ، وكان هذا الشراع كبير الحجم ولذا فانه لا يستعمل الا بعد الانتهاء تماما من القتال ، ذلك أن الاشتباك فى العمليات الحربية يجرى دون الاهتمام باتجاه الرياح ، ولذلك فقد أصبح من الأمثال المأثورة ، ان نشر شراع (Akateion) معناه الهروب من المعركة .

وقد أطلق الاغريق اسم دالون (Dalon) على الشراع الصغير ، وقد أطلق هذا الاسم فيما بعد على السفن الحربية البيزنطية فى القرن السادس الميلادى (سنة ٥٣٣ م . وفى القرن الخامس والسادس الميلادى أطلق اسم (ارتيمون) على الشراع الثانوى أو المساعد للشراع الرئيسى أو الأصىلى ، وهو يوجد غالبا فى السفن التجارية (انظر شكل ١٧ ، ١٨) . ومنذ سنة ٥٠٠ م بدأ يظهر شراع وصارى ثالث فى سفن البحر المتوسط ، ولعلها استخدمت فى السفن التجارية الكبيرة ، كما بدأ يظهر الشراع المثلث الشكل ، الذى كانت تربط قاعدته على القرية ورأسه على الصارى . وبعد ذلك أصبحت المراكب تحتوى على شراع أساسى مربع وآخر ثانوى مثلث ، فقد كانت السفن البيزنطية التى هجمت على قرطاجنة سنة ٥٣٣ م تحتوى على شراعين وصاريين ، وكذلك السفن البيزنطية التى حاربت كريت سنة ٩٤٩ م (١) .

وكان الشراع المربع يصنع من نسيج متين يعرف بنسيج (القلوع) ويتكون عادة من عدة عروض من هذا النسيج الذى يخاط بجانب بعضه البعض على أن تكون الخياطة فى وضع طولى ، ثم تخاط قطعة النسيج المربعة بحبال من جميع جهاتها ، كما يعمل فيها (عراو) ثقوب فى الأركان ، وفى جهات أخرى لكى تسمح بمرور الحبال داخلها . وتعرف الحبال التى تربط الشراع بعمود الشراع بحبال العقد ، ثم يرفع الشراع وعموده الى أعلى الصارى ويربط فى حلقة جديدة مثبتة فى الصارى بواسطة حبل خاص (انظر شكل ١٩ ، ٢٠) . كما يخاط فى الشراع حبال وعراو على

مسافات محددة ، الغرض منها ضم الشراع وارخاءه حسب الحاجة أو ضم وارخاء
أجزاء معينة منه . وفي منتصف القرن السابع عشر امتلأت منطقة الشراع في السفينة
بعدد الشرع المساعدة المثلثة الشكل في المقدمة والمؤخرة وهذه الشرع تنشر على
حبال ممتدة من الصاري . (انظر لوحة رقم ٣٣ ، ٣٤) .

الزُّخارف

وكانت السفن وخاصة مقدمتها تزخرف بزخارف متعددة ، فقد كانت المقدمة تنحت على شكل رؤوس حيوانية كما هو الحال في العصر الفرعوني (انظر شكل ١) ، كما وجدت مقدمات منحوتة على شكل رؤوس آدمية كما هو الحال في مقدمة بعض السفن التي اشتركت في موقعة أكتيوم سنة ٣١ هـ (انظر شكل ٣٠). على أنه يجب أن نلاحظ أن الرؤوس الآدمية أو الحيوانية التي نحتت على مقدم السفينة سواء أكانت مجسمة أو منحوتة نحتا غائرا أو بارزا أو منقوشة على جوانبها ، لم تكن تعنى فكرة دينية ولم تمثل اله من الآلهة ، بل كانت مجرد رموز وشارات للبلدان التي تتبعها ، فمثلا كانت السفن المصرية في العصر الفرعوني ينحت على مقدمها شكل تمساح رمزا لنهر النيل على اعتبار أنه أبرز المظاهر الطبيعية في مصر (انظر شكل ٣٣ ، ١٤) .

ونجد على السفن الرومانية نقش تمثال أسد فرجينيا (Phrygian) والسفن الأثينية عليها تمثال (Pallas) وسفن قرطاجنة عليها تمثال آمون ، وفي بعض الأحيان نجد أن السفينة الرومانية تحتوى على تمثالين في المقدمة ، أحدهما يشكل المقدمة نفسها والآخر يخرج منها على شكل رقبة البجعة أو الأوزة

(انظر شكل ١٦) ، وهذا الأخير غالبا ما يطلّى بطلاء ذهبي أو فضي . كذلك كانت تزخرف مؤخر السفن في بعض الأحيان ، فمثلا السفن الفرعونية كان ينقش عليها زهرة اللوتس أو أوراق أشجار البردي أو شكل ريش أو مراوح نخيلية . (انظر لوحة رقم ٥ ، ٨) . كذلك وجدت نقوش جميلة على مؤخرة سفينة اغريقية ترجع الى سنة ٦٠٠ ق.م (انظر شكل ٧ ، ٨) وأخرى رومانية ترجع الى سنة ٥٠ م (انظر شكل ١٥) .

وكثيرا ما كنا نجد على جوانب السفينة فتحة على شكل العين (انظر شكل ٢٩) وكان القصد منها في أول الأمر أن السفينة في نظر الشعوب القديمة كائن حي ولذا يجب أن تكون له عينا يري بهما طريقه ، ثم تطور الأمر وأصبحت تستعمل في العصور الوسطى كفتحة تتدلى منها المرساة (الهلب) . على أن الزخارف لم تلعب دورا هاما في صناعة السفن ، وإن كانت لها قيمة كبيرة من الناحية المعنوية عند البحارة ، إذا يعتبرونها في كثير من الأحيان شعارا وطنيا ، أو دافعا على بث روح الشجاعة والاقدام لما ترمز اليه من شعارات البطولة . وكانت أكثر السفن زخرفة هي سفن الملوك والأمراء وكبار التجار والقواد ، فقد كانت السفن الحربية في البحر الأبيض في العصور الوسطى تحتوى على زخارف تعتبر روائع فنية أهاجت قريحة الشعراء فأفاضوا في وصفها . فمنها ما صنعوه على أشكال بعض الطيور ومنها ما صنعوه على أشكال الأسماك والحيتان والدلفين ، ولأبى نواس قصيدة في وصف الدلفين :

قد ركب الدلفين بدر الدجى	مقتحما للمساء قد لججا (١)
فأشرقت دجلة من نوره	وأسفر الشيطان واستبهجا
لم تر عيني مثله مركبا	أحسن ان رسا وان عرجا
إذا استحثته مجاديفه	أعنى (٢) فوق الماء أو هملجا (٣)

(١) لجج القوم : ركبوا اللجة ، لججت السفينة : غاصت اللجة .

(٢) أعنت الدابة : سارت سيراً راسخاً فصيحا مضطراً .

(٣) هملج البرذون : مشى مشية سهلة في تربة رطبة .

كما صنعوا السفن على شكل الحيوانات كالقيل والأسد والفرس والعقاب ،
ويقال أن الخليفة العباسي الأمين كان عنده سفن على أشكال هذه الحيوانات
وقد جاء ذكرها في قصيدة أبو نواس في مدح الأمين :

ألا ترى ما أعطى الأمين أعطى ما لسم تزه العيتون
ولم تبلغه من قبل الظنون الليث والعقاب والدلفين
كما وصفها الحسن بن هانئ في قصيدة مدح بها الأمين قال :

سخر الليل للأمين المطايا	لم تسخر لصاحب الحراب
فاذا ما ركابه سرن برا	سار في الماء راكبا ليث غاب
أسدا باسطا ذراعيه يعدو	أهرت ^(١) الشدق كالح الأنياب
لا يعانيه باللجام ولا السو	ط ولا غمز رجلة في الركاب
عجب الناس اذا رأوه على صو	رة ليث يمر مر السحاب
سبحوا اذ رأوك سرت عليه	كيف لو أبصروك فوق العقاب
ذات زور ومنسر وجناحي	ن تشق العباب بعد العباب
تسبق الطير في السماء اذا اس	تعجلوها بمجيئة وذهاب

وقال ابن الساعاتي في وصف مركب على شكل الغراب :

وركبت بحر الروم وهو كحلية	والموج تحسبه جيادا تركض
وكم من غراب للقطيفة أسود	فيه يطير به جناح أبيض
وقال ابن أبي حجلة التلمساني :	
غربانها سود ، ويبيض قلوها	يصفر منهن العدو الأزرق
وقال ابن الرومي يصف سفينة :	

اليك ركبا بطن جوفاء جونة	تخايل في درع من القار فاحم
--------------------------	----------------------------

(١) أهرت : واسع الشدقين .

تواثق أشباها لها ونظائرا
إذا هي قيست بالنور تشابهت
تطير على اقفاؤها وظهورها
إذا عجلت لم تسترث طيرانها
وان أيقنت أن سوف تقطع زاخرا
هو البحر لا ينفك في جنباته
لمعة بالودع سفع الملاطم
بأجنحة خفاقة وخراطم
بمصطب التيار جم الزمازم
وان أمهلت زفت زفيف النعائم
الى زاخر بالمارقات التوائم
رغاء المطايا لا تثيم العلاجم

المجانيق

تعتبر المجانيق أعظم الآلات الحربية القديمة وأشدّها تأثيراً ولا سيما في عمليات الحصار إذ هي بمثابة مدفعية التدمير في عصرنا الحديث ، وقد مر بنا أن جنود الأساطيل كثيراً ما ينزلون البر للالتحام بجنود العدو ، ولا بد لهم قبل النزول أن يستخدموا المجانيق لكي يحدثوا ثغرات في الحصون والأسوار ينفذون منها . أما إذا دارت رحى الحرب في وسط البحار ، فقد كانت المجانيق في هذه الحالة أيضاً هي أول سلاح يستعمله الأسطول في الهجوم قبل أن تقترب مراكبه بمراكب أسطول العدو ويكون القتال في هذه الحالة بالسلاح الأبيض . من هذا نرى أن المجانيق من الآلات الحربية التي لا يمكن الاستغناء عنها في البر والبحر على السواء ، وإن كانت الضرورة اليها في البحر أشد وأقربى .

وقد جاء في كتاب « الحياة العسكرية عند العرب ^(١) » أن العرب عرفوا هذا السلاح (أى المنجنيق) منذ عهد الجاهلية ، فقد أشارت المراجع القديمة الى أن جذيمة الأبرش أحد ملوك الطوائف كان أول من استعمله في الجاهلية .

(١) إحسان هندی : الحياة العسكرية عند العرب ص ١٣٩ .

ويقول الطبرى فى تاريخه « أن عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة لم يشهدا مع الرسول وقعة حنين ولا حصار الطوائف لأنهما كانا يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق فى بلدة جرش ^(١) » ويعلق احسان هندى على رواية الطبرى فيقول « وبما أن بلدة جرش عربية ، وكان يسكنها من قبل نفر من العرب الغساسنة ، لذا يعتبر هذا أنصع دليل على أن العرب ، أو نفر منهم على الأقل عرفوا المنجنيق واستخدامه منذ الجاهلية . »

وقد جاء فى كتاب (الفن الحربى فى صدر الاسلام ^(٢)) . « انه لا يظن أن الجاهلين استخدموا هذا السلاح (المنجنيق) فان أشعارهم التى هى سجل حياتهم لم تذكر عنه شيئاً ولو اشارة عابرة ، تفيد أنهم عرفوه أو عملوا به . ولو كان ذلك لتناولوه بالوصف ونسبوه الى صانعيه ، وأماكن صنعه ، كما فعلوا بسائر سلاحهم وما شاع لديهم من أدوات القتال . » وقد علق الأستاذ احسان هندى ^(٣) فى كتابه « الحياة العسكرية عند العرب » على هذا الرأى بقوله « أن عدم ذكر شىء عن المنجنيق فى الشعر الجاهلى ، لا يصح اعتباره دليلاً على أن العرب لم يعرفوه ، وذلك لأن الشاعر العربى كان يصف الأشياء التى تلوذ به فقط ، فاقصر فى وصف السلاح على وصف سلاحه الفردى بدون أن يتعرض للسلاح الجماعى كالمجانيق والدبابات والأبراج وغير ذلك » وأضيف الى الرأى السابقين ، أن كلا منهما له قيمته ووجهته ، ويتصور جائباً من الحقيقة ، فليس من شك فى أن عدم ذكر المنجنيق فى سجل العرب الشعرى دليل قوى على عدم شيوع هذا السلاح فى العصر الجاهلى ، ولكنه لا يقوم دليلاً قاطعاً على عدم معرفة جميع القبائل العربية وخاصة تلك التى سكنت أطراف شبه الجزيرة العربية مثل المناذرة المجاورين للدولة الساسانية والغساسنة المتاخمين للدولة البيزنطية ، ويؤيد هذا الرأى ما جاء فى تاريخ الطبرى وابن هشام .

(١) تقع مدينة جرش الآن فى الأردن .

(٢) الفن الحربى فى صدر الإسلام تأليف عبد الرؤوف عون ، ص ١٦٢ .

(٣) الحياة العسكرية عند العرب ، ص ١٣٩ .

وقال جمهور علماء الآثار^(١) والتاريخ الاسلامي من المستشرقين وعلى رأسهم (فون كريمر) و (أومان) بأن العرب نقلوا عن البيزنطيين استعمال المنجنيق والعرادة، أما صاحب كتاب «آثار الأول في تدير الدول»^(٢) فيقول بأن الفرس هم أول من استعمل المنجنيق «وأهل مدنها متفوقون يرمون بالحجر المصيب، والمنجنيق من استنباطهم، ويقال انه ظهر في زمن (النمرود) وأعقاب دولتهم».

وقد جاء في معاجم اللغة^(٣) ان كلمة المنجنيق فارسية معربة وانها مكونة من (جه نيك) أي (أنا ما أوجدني)، ويقول الجواليقي «والمنجنيق فارسي معرب». وعلى أية حال سواء أكان المنجنيق بيزنطيا أم فارسي الأصل، فمن الثابت أن المسلمين قد استخدموه منذ عهد الرسول صلوات الله عليه وانهم أدخلوا عليه كثيرا من التحسين والتهديب.

وجاء في كتب السيرة^(٤)، أن المسلمين استخدموا المنجنيق لأول مرة في غزوة الخندق وذلك نزولا على مشورة «سلمان الفارسي» الذي قام بصناعة أول منجنيق اسلامي بنفسه. ولكن جاء في الطبري^(٥) وابن الأثير أن المسلمين استعملوا المنجنيق لأول مرة في حصار الطائف وان الرسول عليه الصلاة والسلام كان أول من رمى به من المسلمين. ويقال ان الخليفة عمر بن الخطاب^(٦)، عني باستعمال المجانيق، حتى أصبح لدى الجيش الاسلامي الذي ذهب لفتح بلاد فارس عشرون منجنيقا استخدمها جيش المسلمين في فتح المدائن، عاصمة الدولة الساسانية. ويقول الطبري ان الجيش الذي فتح سوريا بقيادة خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح، كان مزودا بالمجانيق. كذلك استخدم جيش عمرو بن العاص الذي فتح مصر المجانيق، بعد أن صنعها في مدينة القسطنطينية بعد تأسيسها.

(١) أحمد بن زيني دحلان، ج ١، ص ١٥٢ (الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات

النبوية)، (Calcutta 1920) Von Kremer: The Orient under the Caliphs, p 327

Oman: A History of the Art of wars in the Middle Ages, P. 219.

(٢) الحسن عبد الله: آثار الأول في تدير الدول، ص ١٦٧.

(٣) القاموس المحيط، ج ٣، ص ٢١٨، الجواليقي المعرب، ص ٣٠٥، ٣٠٧.

(٤) السيرة النبوية، لمحمد بن هشام، ج ٤، ص ١٢٦.

(٥) الطبري، ج ٣، ص ١٣٧، الكامل لابن الأثير، ص ٦٣.

(٦) إحسان هندی، ص ١٤٠.

وكان من الطبيعي أن يهتم الأمويون اهتماما خاصا بمثل هذه الآلة الحربية في فتوحاتهم التي امتدت من أقصى الشرق الى أقصى الغرب حتى وصلت المحيط الأطلسي ، فقد صنع في عهدهم أنواع من المجانيق الكبيرة الحجم ، ويقال ان الحجاج بن يوسف الثقفي ^(١) صنع منجنيقا أسماه (العروس) يحتاج الى خمسمائة رجل لخدمته والعمل عليه ، وقد سلم عددا منه الى ابن عمه محمد بن القاسم ففتح هذا بها مدينة (الديبل) في السند سنة ٨٩ هـ (٧٠٧ م) وعدة مدن أخرى هناك . وما جاء القرن الثاني للهجرة حتى كانت المجانيق آلة طيعة ، وسلاحا عاديا عند المسلمين استعملوه في كل فتوحاتهم وحروبهم وخاصة في حصار المدن برا وبحرا . وكذلك في الحروب البحرية التي بدأت تشارك مشاركة فعالة في الفتح الاسلامي وخاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط . أما في العصر العباسي فقد كان عدد المجانيق يقرب من عدد بعض الأسلحة الأخرى الخفيفة ، فقد استخدموه في أغلب معاركهم ، وخاصة في حرب عمورية ^(٢) سنة ٢٢٣ هـ (٨٣٧ م) .

أما عن وصف المجانيق التي استعملت في العصر الاسلامي ، فقد أتى ذكرها في عدد غير قليل من مؤلفات العرب ، غير أن كل مؤلف تناول نوعا معينا من المجانيق فقد جاء مثلا في كتاب « التراتيب الادارية للادريسي » انه آلة لرمي العدو بحجارة كبيرة بأن يشد سوار مرتفع جدا من الخشب يوضع عليها ما يراد رميه ، ثم تضرب سارية موصلة لمكان بعيد جدا . وهكذا نرى دائما وصف نوع واحد من أنواع المجانيق . ولكن وجد وصف شامل لجميع الأنواع التي استعملت في العصر الاسلامي في كتاب « الحياة العسكرية عند العرب ^(٣) » . فقد جاء فيه أن العرب عرفوا ، مجانيق قذف القنابل وقذف النفط والكرات النارية ، كما عرفوا المجانيق القاذفة للأفاعي والعقارب ورمم الحيوانات الميتة والقاذورات .

وهناك نوع آخر من المجانيق ، عرفته بعض المراجع باسم (قوس الزيار) وهو عبارة عن آلة ثابتة ثقيلة تعمل على مبدأ القسي ، أي أن القوة الدافعة فيها تأتي

(١) زبيح دحلان ، ج ١ ، ص ١٥٢ : الفتوحات الإسلامية .

(٢) إحسان هندی ، ص ١٤١ .

(٣) إحسان هندی ، ص ١٢٩ .

من شد وتر ضخّم ثم تركه يعود الى حالته الطبيعية قاذفا ما يحمله الى بعد يتناسب مع قوة الشد ، أى مع (تزيير) الوتر ولذا سميت الآلة باسم (قوس الزيار) . أما السبب في تسميتها باسم (منجنيق السهام) فيرجع الى أن حجمها كان حجم منجنيق يرمى سهما هائل الحجم يتراوح طوله بين ٦٠ — ١٨٠ سم ووزنه من ٢ الى ٣ كيلوجرام . وقد أطلق الصليبيون على هذا السلاح اسما يقابل تماما اسمه العربى وهو (Arcus Manganellus) وعرف بالفرنسية Arcs de mangenneaux ثم تغير هذا الاسم بدوره الى كلمة باليستا (Balliste) في العصور المتأخرة (١) .

وقد جاء في مخطوط « تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة من الحروب ، ومن الأسواء ونشرأعلام الأعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء » تأليف مرضى الطرسوسى (٢) مستشار السلطان صلاح الدين الأيوبي العسكرى ، وصف موجز عن طريقة استخدام المجانيق فقال « للرماية عن المنجنيقات أسرار يجب أن تحرز وتحفظ . فمنها أن الرامى اذا وقف تحت الكفة سواء على الخط المستقيم كان الحجر كثير الارتفاع قريب المسافة وربما أسقط على الرجال ، واذا خرج عن الكفة الى طرف السهم بمقدار شبر واحد كانت الرماية أبعد ، وأكثر ما يخرج عن السهم شبران لاغير ومتى زاد عن ذلك نقصت الرماية . وأكثر المسافة التى يصل اليها الحجر ستون باعا وأقلها أربعون باعا ، والأصل أيضا بعد المسافة وقربها لين الأسهم ويبسه ، فمتى كان السهم فى لين ليس بالمفرط كان ذلك أبعد للرماية وأشد للنكاية ، ومتى كان يابسا كان دون ذلك . ويتعين على الرامى أن يفجج بين رجله ويضبط الكفة بيديه ، ويعقد مع كل جرة بنفسه مع الكفة » .

ويعتبر كتاب « آثار الأول فى تدير الدول » للحسن بن عبد الله ، أقدم الكتب التى تعرضت لوصف وتوضيح المنجنيق ، الا أن وصفه كان مختصرا ولذا فان الفائدة منه كانت قليلة ، فهو يقول مثلا فى وصف المجانيق « منه ما هو بلوالب ، ومنه ما هو

(١) الحياة العسكرية عند العرب ، ص ١٢٤ .

(٢) نسخة منه فى أكسفورد تحت رقم (٢٦٤) ونسخة أخرى بالمتحف الحربى بالقاهرة . وقد نشره وعلق عليه كلود كاهين فى مجلة :

(Bulletin d'Etudes Orientales, T. XII, P 118, Année 1947-1948).

بدائرة وفيه تقالات من الرصاص ، اذا دار فيها الرجال رفعت السهم ، فاذا تركت رمت ، فلا تحتاج الي رجال كثيرة ، وقد يتخذ بقسى كبار موتورة ، وتجعل قبضاتها الى الأرض مشدودة فى قواعد المنجنيق ، وفى أوتارها حبال مشدودة الى حلقة المنجنيق . وتحرك بزيادة قائم حتى تفتح أوتارها ، ويحرك الحجر بالكفة ، ثم يرمى فيخرج أشد ما يكون ، واذا أراد الرمي بقدر النفط أو العقارب أو ما شاء فعل ، فاذا كان ضعيفا ثقله بالرصاص والأحجار وان كان يرمى بالنفط والنار اتخذ له كفة من الزرد وحبالا بسلاسل .

ومن الكتب المتخصصة وأشهرها وأوفاهها كتاب « الأنيق فى المجانيق » (١) لما يحتويه من الرسوم الدقيقة لأجزائه ، واصطلاحات أهل الصنعة وتفصيلات وافية عن الطرق التى يضبط بها الرامى رميته ، وكيف يبعد الرمي أو يقربه ، الى غير ذلك من التفصيلات التى تفيد المتخصص ، وقد جاء فيه « اذا أردت أن ترمى بعيدا فانك تضع الحجر فى المنجنيق وترمى به الى مطلوبك ، فان أردت أبعد منه فانك تدهن فى الثانية أصبع المنجنيق بالزيت ، فان رميت به وبلغت ما تطلب وأردت أبعد من ذلك ، فانك تضع بين حلقة سواعد المقلاع وبين الاصبع الحديد قطعة من المشاق وترمى به ، فان بلغت مقصودك فحسن ، وان أردت أبعد منه ، فانك تدخل فى اصبع المنجنيق كعكة من حبل وترمى به فانك تبلغ مقصودك ، وان أردت أبعد منه فانك تضع فيه كعكة أخرى ، فانك تبلغ الذى تطلبه ان شاء الله تعالى . وان أردت أبعد منه فضع كعكة أخرى تفعل ذلك ثلاث مرات فانك تبلغ الذى تطلبه ، وان أردت البعد أيضا فبشيء آخر وهو انك تغير الساعد المعد للرمي بأرق منه وترمى بعد ذلك فانك تبلغ ما تريد ، وان أردت أبعد منه فانك تضع تحت جسر الدولاب جسرا آخر حتى تشتد السواعد شدا عظيما وترمى به الى القلعة التى تطلبها ، وان كانت قلعة أخرى أبعد منها فانك تضع فوق الكفة التى للمقلاع شيئا ثقيلا (كذا) اما رملا لدا أو غير ذلك من الأشياء الثقيلة وترمى به ، فان بلغت التى تريد فحسن ، وان أردت أيضا أبعد من ذلك الرمي فانك تحفر الأرض التى تحت

(١) ارنبا الزردكاش : الأنيق فى المجانيق ص ٢٤٣، ٤٤٤، ٤٥٥ (مخطوطة مصورة بالجامعة العربية تحت رقم ٩٧٠) .

المنجنيق حتى يفرق المزرب ذراعا واحدا ، وان أردت أبعد منه فنزله أيضا ذراعا آخر وكلما أردت أن تبعد نزلة ذراعا بعد ذراع ، تفعل ذلك الى خمس أذرع وترمى به فانك تبلغ المقصود . وان أردت فبفعل آخر هو أنك تنقص من الحجر رطلا واحدا فانك تبلغ ما تريد وان أردت أبعد منه تنقص من الحجر أيضا رطلا آخر وكلما أردت البعد فانك تنقص من الحجر رطلا بعد رطل الى مائة رطل ، وان أردت أبعد من ذلك الرمي فتفعل فعلا آخر وهو انك تثقل الصندوق بشيء ثقيل ، تفعل في المرة الأولى رطلا واحدا فان أردت أبعد من ذلك فتزيده رطلا آخر وكلما أردت البعد فتزيده رطلا بعد رطل الى مائة رطل فانك تبلغ المقصود ان شاء الله تعالى هذا فيما أردت البعد » . (ورقة رقم ١٢) .

أما عن تقريب المرمى فيقول « وان أردت القرب فانك تضع الحجر وترمى به الى حيث تريد فان أردت أقرب منه فانك تدهن ثلث اصبع المنجنيق وترمى به وان أردت أقرب منه ، فانك تدهن ثلثي الاصبع وترمى فانك تبلغ المقصود ، وان أردت أقرب من ذلك ، فادهن جميع الاصبع وترمى ، فانك تبلغ ما تريد . وان أردت أقرب منه فانك تشيل رأس المزرب الى فوق ذراع واحد فان أردت أقرب منه فانك تشيله ذراعا آخر وترمى فانك تبلغ ما تريد . وان أردت أقرب من ذلك فانك توسع المزرب وترمى به ، وان أردت أقرب من ذلك فانك تنزع جسر الدولاب وترمى به فانك تبلغ المقصود ، وان أردت أقرب منه فانك تغير الساعد بأغلظ منه ، وان أردت أقرب منه فانك تزيد الحجر رطلا واحدا وترمى به فانك تبلغ المقصود ان شاء الله تعالى ، وان أردت أقرب من ذلك فانك تزيده رطلا آخر وترمى به فانك تبلغ المقصود . وكلما أردت القرب تزيد الحجر رطلا بعد رطل الى مائة رطل فانك تبلغ ما تريد وان أردت أقرب من ذلك فبنوع آخر وهو انك تخفف من الصندوق رطلا واحدا وترمى ، فانك تبلغ المقصود . وان أردت أقرب من هذا الرمي فانك تخفف منه رطلا آخر وكلما أردت القرب خفف رطلا بعد رطل الى مائة رطل فانك تبلغ المقصود ان شاء الله تعالى (ورقة رقم ١٣) .

وبعد أن ينتهي من شرح كيفية ابعاد وتقريب المنجنيق في اسهاب ، يبدأ في شرح وتفصيل كيفية الرمي بالقنطور المرسمة بالنقط والزافات أو الكلس والدخانات ،

فيقول : « واذا أردت أن ترمى بقدرة مرسمة بالنفط والزافات أو قدرة كلس والدخانات أو حجر منجنيق مرسوم بالنفط ، فانك تأخذ أولا ما (١٠) الفجل أو الطلق المحلول بالخل العتيق ، وتبل به لبادا وتخط ذلك اللباد في كفة المنجنيق والسواعد الى نصفها وتضع القدرة فيه وترمى فانك تحرق ما تريد » .

ثم يتكلم عن النشاب الذى يرمى بالمنجنيق فيقول « واذا أردت أن ترمى نشابا فى المنجنيق فتارة يكون مرسما بالنار والزقات ، وتارة يكون بلا رسم ، فاذا أردت ذلك فانك تضع فى عدل النشاب كلابا ، ويكون ذلك الكلاب من حديد ويكون الكلاب يحمل السهم ويحمل القرب ، ويكون وجه الكلاب مقابلة نصل النشاب وظهره الى ريش السهم ثم بعد ذلك تقلع كفة المنجنيق وتقلع ساعده الأول ثم تضع الكلاب فى الساعد الثانى ثم ترمى به فانه يصيب من تريد ان شاء الله تعالى . الذى ذكرناه تمام العمل بالمنجنيق الذى يسمى قراغرا » (انظر ورقة رقم ١٤) .

ثم يوضح كيفية وضع المنجنيق والأخشاب اللازمة لذلك فيقول « كيفية وضعه حتى يصير الرامى به مستأنسا فنذكر ما يحتاج اليه من الأخشاب وهى ثمان وعشرون قطعة من الخشب وفيها ما يزيد وما ينقص ، فاذا أردت وضعه فتتظر الى ما قد وضعت من الأخشاب فى هذا الكتاب فتعمل أمثالها وأعدادها والصندوق المرسوم فيه فلا تخرج من عمله وانظر أيضا الى طول النشاب وما هو عليه فاعمل هيئته ومسفله وأعلاه وبخوش الخزيرات وغير ذلك من الأعمال ثم جميع المنجنيق وما يحتاج اليه » (انظر ورقة رقم ١٥) .

ثم يشرح فى تفصيل واف أنواع المقذوفات التى كانت تقذفها المجانيق فيقول : « قدر عراقى يأخذ أربعين قنا وأربعين وشقا وأربعين حصا لبان وأربعين (جلتيت) وأربعين علك صنوبر وأربعين صندروس ينخل الزافات كلهم بقليل من النفط الخوزى يطعم العشار بدهن الرخامة بالنفط وينزل الجميع الى الرخامة ويخدمه عليها ويأخذ صندروس مخرمش ويعلقه ويأخذ قدرة المدورة من الفخار ويفتح لها ثلث شواريق وثلاث منافس ويبيضها (أى يسودها) بالزفت ويضرب الزافات فى القدرة ويأخذ ثلث عزاور مطاولات يملأهم تفت ويعمل على رأس كل عزور وردة من اللباد

ولا يسد فم العزوز ويغرز العزاوز في اللزفات ويطالع الوردات من الشواريق ويطانع من كل شاروق الكريج عراقى مقلى بكيرت ويضرب عليها شبك من الشريط قدر عراقى وهو هذا المثال (انظر ورقة رقم ١٦) . وهكذا يسير على هذا المنوال من الشرح والتفصيل الدقيق في بيان أنواع المقذوفات المختلفة مثل قدر مخاسفة مضربين ، قدر منتن المخاسفة ، قدرة الجير ، قدرة المحزم ، قدر الصنوبرة ، قدر مخفى (انظر ورقة رقم ١٧) . كذلك فصل المقذوفات التى تستعمل لقذف المراكب فيقول « قدر سقوط تأخذ قدرة مدورة فخار وتملاها حب القطن محمص بالزاق وتملا به القدرة ويظخره بظخيرة موقته مقلبة في الكبريت ويعطيه النار من الظخيرة قدر سقوط المراكب ، تأخذ القدر الفخار أكبر ما يكون وتحط فيها حبات عتيق واصماس ونواشيد وتختم رأسها وتسقطها في الثقوب في المركب فأى من لسعته قتلته والله أعلم صفة المركب » . ويذكر نوعا آخر من أنواع القذور التى تقذف على المراكب فيقول « القدرة الجيرية للمخاسفة والمركب تأخذ قدرة فخار وتملاها دواحد وتغطيه وتختم رأس القدرة ختم جيد وتقول بعزيمة ، خذ هذه القدرة واشعله ثم تأخذ الخصم وما يعرف من أين تشعله . فعندما تريد تشعل القدرة خذ العشار بله بالنفط ، والزقه على القدرة فلبس كفك واشعل القدرة وهو به حتى تقوى ناره وأكثره قدام خصمك فيطلع الدواحد الى الخصم حتى يحرقه ويقشر جلده عن لحمه .

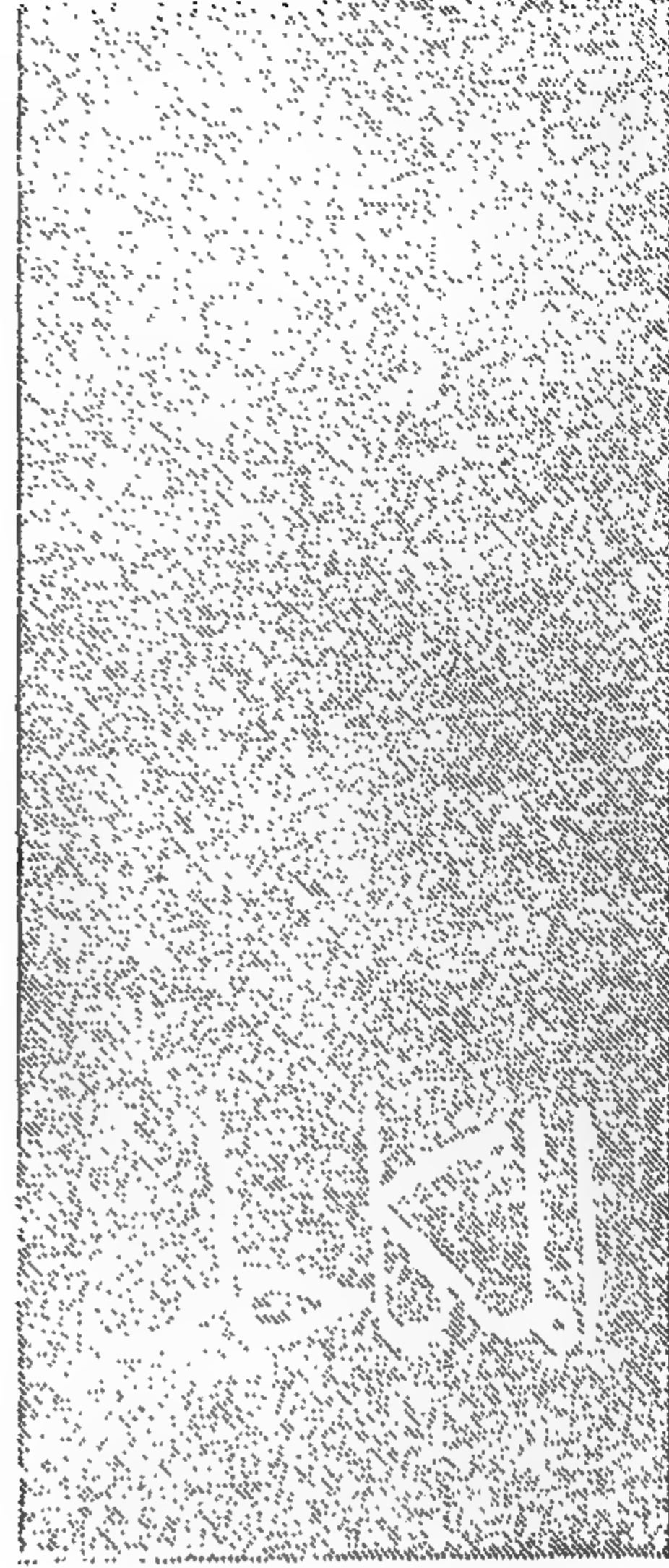
وكان من التقاليد المرعية عند جنود المسلمين أنهم يكبرون ويتلون بعض آيات قرآنية معينة أثناء رميهم بالمجانيق ، فإذا كان المنجنيق يقذف الحجارة قالوا :

« وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود ، مسوءة عند ربك ، وما هى من الظالمين ببيعد » (١) .

وإذا كان المنجنيق يقذف النفط والنار قالوا : « واعتدنا لهم عذاب السعير ، فسحقا لأصحاب السعير » (٢) .

(١) سورة هود الآية ٨٢، ٨٣ .

(٢) سورة الملك آية (٥) .



قبل الكلام عن المدافع أو المكاحل يحسن بنا أن نذكر شيئاً عن المادة التي من أجلها اخترع المدفع لقذفها ، ونعني بها البارود أو كما تسميها المراجع القديمة النار الاغريقية (Feu gregois) . لقد أجمع جمهور المؤرخين من الأوروبيين على أن مخترع هذه المادة (البارود) هي بيزنطة ، ولكننا اذا رجعنا الى المصادر التاريخية التي عاصرت هذا الاختراع وجدنا أن المخترع اسمه (قلينيكوس) وهو مهندس من مدينة هليوبوليس (عين شمس) . ويعود الأوروبيون فيقولون أن مدينة هليوبوليس هذه ليست هي المدينة المشهورة في مصر بل أنها بالشام ، وقد دحض هذا الزعم المؤرخ جيبون^(١) (Gibbon) الذي يقول « وقد أتى قيديرينوس بهذا الصانع (يعني قلينيكوس) من أطلال هليوبوليس وكانت الكيمياء علماً خاصاً بالمصريين » . لذلك أود أن أنبه الى خطأ شائع بالنسبة الى اختراع البارود ، وهو نسبته الى الدولة البيزنطية ، على الرغم مما تثبته المراجع المعاصرة من أنه اختراع مهندس مصري من مدينة هليوبوليس وان اختلفوا في موقعها بمصر أو الشام . على أن ما ذكره المؤرخ (جيبون) يقطع الشك باليقين ، إذ أن روايته تؤكد أن

(١) Bury. Pro. :Gibbon's Decline & Fall P. 52.

مدينة هليوبوليس المذكورة ، بمصر وليست بالشام ، ولم يطعن في هذه الرواية لذلك أرى تصحيح ذلك الخطأ ورد الشيء الى مصدره ، فأقرر أن البارود أو (النار المشهورة بالاغريقية) ، هى فى الواقع اختراع مصرى ، ولعل التصاق كلمة بيزنطة بها يرجع الى أن اختراعها بمصر كان أثناء الحكم البيزنطى . ويؤيدنى فى هذا رأى ما جاء فى فتح العرب لمصر ^(١) « واننا لا يمكن أن نتصور أنه كان من الممكن أن تبنى سفن فى الاسكندرية بعد فتح العرب لمصر بما لا يزيد الا قليلا عن عشرين سنة ، ثم تجهز تلك السفن بالآلات التى تقذف النار الاغريقية ، اللهم الا اذا كان اختراع مزيج تلك النار وعمل آلاتها أصله فى مصر ذاتها » .. ثم يضيف « ومهما يكن من أمر هذه النار فانه لا شك على أية حال فى أن صناعة السفن كانت عظيمة فى مدينة الاسكندرية فى النصف الأول من القرن السابع الميلادى ، وانها لم تضمحل عندما انتهى أمر الدولة البيزنطية بمصر . وهذا يدل بغير شك على أن الصانع الذى قام بصناعة السفن وغيرها من الصناعات كان مصريا ، وانه كان يعمل بوحى من نفسه بغير ارشاد ولا تيسير من الروم ، هذا اذا لم تقل انه كان فى الحقيقة الصانع المعلم » .

وقد كتب (ليو) ^(٢) عن (النار الاغريقية) كتابة مستفيضة جاء فيها « هى مزيج من الكبريت وبعض الراتنجات والأدهان فى شكل سائل يصبونه فى اسطوانة نحاسية مستطيلة كانوا يشدونّها فى مقدم المركب ، ومن هذه الاسطوانة يقذف السائل مشتعلا ، أو يطلقونه بشكل كرات مشتعلة أو قطع من الكتان المعجون بالنفط فيقع على السفن فيحرقها ^(٣) . وكانت هذه النار تشتعل فى الماء والهواء كالنفط وتدمر ما تنصب عليه ، ولذا سميت أيضا (النار البحرية) » .

ويذكر المستشرق الأسباني (كوندى) أن أهل مراکش استخدموا الأسلحة

(١) فتح العرب لمصر ، بتلر ترجمة فريد أبو حديد ص ٨٥ .

(٢) Bury : History of the later Roman Empire, PP. 311-319.

(٣) يقال أن المقلوفات التى احترقت بها الكعبة فى حصار الحصين بن نمير ، لعبد الله

ابن الزبير سنة ٦٤ هـ كانت من هذه النار .

النارية في محاربتهم ، كما ذكر يوسف أشباح ^(١) ، أن المرابطين استخدموا الأسلحة النارية عند فتحهم مدينة سرقسطة سنة ٥١٥ هـ في عهد علي بن يوسف بن تاشفين . كذلك يذكر ابن خلدون استعمال العرب للبارود في حروبهم عندما فتح أبو يوسف سلطان مراكش مدينة سلجماسة ، وأخرج بنى عبد الواد سنة ٦٧٢ هـ ، اذ يقول « ولما فتح أبو يوسف بلاد المغرب وانتظمت أمصاره ومعاقله في طاعته ، وغلب بنى عبد المؤمن على دار خلافتهم ومحارسهم وافتتح طنجة ، وطوع سبته مرفأ الجواز الى العدو وثغر المغرب ، سما أمله الى بلاد القبلة فوجه عزمه الى افتتاح سلجماسة من أيدي بنى عبد الواد المتغلبين عليها وادالة دعوته فيها من دعوتهم . فنهض اليها في العساكر والحشود في رجب سنة ثنتين وسبعين فنازلها وقد حشد اليها أهل المغرب أجمع من زناته والعرب والبربر وكافة الجنود والعساكر ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة ، أما النار الموقدة في البارودة بطبيعة غريبة ترد الأفعال الى قدرة بارئها .»

وقد أدخل المسلمون كثيرا من التحسينات على النار اليونانية ، سواء من ناحية التركيب أو من ناحية الاستعمال ، فمن حيث التركيب أخذوا يضيفون اليها بعض الصمغ التي تزيد اشتعالها أوارا ، وأما من حيث الاستعمال فقد أخذوا يزودون بها أساطيلهم على نطاق واسع ^(٢) ، حتى أصبحت حديث الشعراء فقد قال الشاعر أحمد ابن يس الصقلي يصف النار الاغريقية التي تستعملها أساطيل العرب :

رأوا حريية ترمى بنفـط	لاخماد النفوس له استعار
كان المهمل في الأنبوب منه	الى شى الوجوه له ابتدار
كان منافس البركان فيهما	لا هوال الجحيم بها اعتبار
نحاس يتبرى منه شـمـواظ	لا رواح العلوج به بـسـوار
وما للماء بالاطفاء حكم	عليه لدى الوقود ولا اقتدار ^(٣)

(١) يوسف اشباح : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والمرحدين ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٢) الحياة العسكرية عند العرب ص ١٥٢ .

(٣) الجندية في الدولة العباسية ص ١٩٩ .

وبينما كان المسلمون يستعملون هذا السلاح الخطير في حروبهم البرية والبحرية على السواء كانت أوروبا تجهله جهلاً تاماً ، وليس أدل على ذلك مما كتبه الصليبيون عنها . فقد وصفت الأميرة « أنا كومينا » ابنة « اليكسيوس كومنينوس » الذي شهد عصر الحروب الصليبية الأولى ، هذه النار في كتابها عن سيرة أبيها ، فصورت مقدار روعها حين تملو النار في الجو حين تشتعل ، ثم حين تنقض كقطعة من الجحيم فتشوي الناس وتتركهم رماداً تزرؤه الرياح .

وقد أشارت الأميرة « أنا » الى بعض عناصر هذه النار ووصفت طريقة استعمالها فقالت « انها مزيج من النفط والزيت والكبريت المجدد بنوع من الصنع القابل للاشتعال . وكان هذا المزيج الناري يعبأ في أنابيب من النحاس لها فوهة توقد منها ، وفي مؤخرها قوس تنطلق فتدفعها الى الأمام . وكانت تلك الأنابيب توضع بكميات كبيرة في اسطوانة مستديرة ، توضع في مدافع المنجنيق ثم تقذف على العدو فتصليه نارا حامية ، اذ تنفجر بقوة الاصطدام فيندلع لهيب لا يمكن لانسان أن يخمدته وينتشر شررها في كل جانب فتجعل ما حولها جهنم وبئس المصير » (١) .

واستمر جهل الصليبيين بالنار الأغريقية حتى الحملة الصليبية السابعة التي قادها ملك فرنسا « لويس التاسع » وكان هدفها مصر . فقد جاء في المذكرات اليومية للفارس « دي جواثيل » التي جمعها في كتابه « ذكريات عن الحروب الصليبية » عن ذكرياته عن يومى ٦ ، ٧ فبراير سنة ١٢٥٠ م ما يلى : « في غسق الليل جاء المسلمون بألة عجيبة ووضعوها اتجاہ الأبراج التي كنا ساهرين على حراستها ، أنا والنسير » والتر كوريل » ثم قذفونا منها بشيء ملأ قلوبنا بالدهشة والرعب ، نار كأنها هي الأذنآن المشتعلة وذبولها من خلفها مثل الحراب الطويلة ودويها يشبه الرعد ، كأنها جازح يشق الهواء ، ولها تور ساطع جدا من جراء عظم انتشار اللهب الذي يحدث الضوء ، حتى انك ترى كل ما في المعسكر كما لو كان في وضح النهار . وقد رمى المسلمون علينا هذه النار في تلك الليلة ثلاث مرات من الآلات الكبيرة وأربع مرات من القننى العريضة » .

(١) معركة المنصورة ص ٧٤ .

أما عن المدافع فقد جاء في كتاب « حقائق الأخبار في دول البحار »^(١) انه قد ورد في تواريخ الصينيين أن المدافع كانت معروفة عندهم منذ سنة ٦١٨ ق.م ، وأيد هذا القول العلامة باري (Barye) في تقرير قدمه الى الأكاديمية الفرنسية سنة ١٨٥٠ م . وقد استعمل العرب المدافع في عدة حروب وكانوا يصنعونها من الخشب ويحزمونها بالحبال ويطلقونها بالطلاء للمتانة ، ثم أخذها عنهم الطليان فاستعملوها في حصار مدينة فلورانس سنة ١٣٢٥ م . واستعملها ادوارد الثالث ملك إنجلترا في حربه ضد فرنسا سنة ١٣٤٦ م في موقعة كرسى . وكان فم المدفع وقتئذ أوسع من أسفله .

ويعصف القلقشندي^(٢) المدافع فيقول « مكاحل البارودي هي المدافع التي ترمى عنها بالنفط وحالها مختلف ، فبعضها يرمى عنه بأسهم عظام تكاد تحرق الحجر ، وبعضها يرمى عنه ببندق من حديد زنة عشرة أرطال بالمصرى الى ما يزيد على مائة رطل . وقد رأيت بالاسكندرية في الدولة الأشرفية ، شعبان بن حسين في نيابة الأمير صلاح الدين ابن عرام رحمه الله ، مدفعا قد صنع من نحاس ورصاص ، وقيد بأطراف الحديد ، رمى عنه من الميدان ببندقة من حديد عظيمة محماة ، فوقعت في بحر السلسلة خارج باب البحر وهي مسافة بعيدة » .

ويقال ان احدى المدن الاسبانية التي كانت ما تزال في أيدي العرب في القرن الرابع عشر استخدمت المدافع في حربها ضد قوات الفرنجة المحاصرة لها . فقد فوجئت القوات القائمة بالحصار بسلاح جديد ، يتكون من ماسورة يقترب منها شخص معه عصا من حديد في طرفها لهب يقربه من الماسورة فيحدث صوتا كالرعد ويندفع في الماسورة لهب ودخان وتنطلق منها كرة من الحديد مما جعل القوات المحاصرة تفر من الميدان خوفا من « القوة الشريرة » .

وقد اتقنت صناعة واستخدام المكاحل في مصر في العصر المملوكي وخاصة في عهد السلطان قايتباي فقد وصف لنا ابن اياس^(٣) ، تجربة لاختيار المدفع الذي قام

(١) سر هنك ج ٢ ص ٤٤ .

(٢) صبح الاعشى ج ٢ ص ١٣٧ .

(٣) عبد الرحمن زكي : السلاح في الإسلام ص ١٣٢ .

بصنعه الأستاذ ابراهيم الحلبي فقال « وفي يوم الثلاثاء رابع عشر من شوال سنة ٨٦٨ هـ (١٤٦٤ م) رسم السلطان بتصريح المدفع السلطاني الذي سبكه للسلطان الأستاذ ابراهيم الحلبي بقلعة الجبل . وصرخ (دوى) بين يدي السلطان في أواخر رمضان من تحت القلعة الى جهة الجبل الأحمر غير مرة ثم نقل الى ذيل الجبل الأحمر بالقرب من قبة النصر تجاه ظهر زاوية (كهنيوش) خارج القاهرة ووضع على عاليه ، ووضع رجل المدفع نحو الجبل المذكور وفمه جهة خاتقاه سرياقوس . وصرخ (دوى) هناك في يوم الخميس تاسع هذا الشهر مرتين في الملا من الناس بحضرة جماعة من أمراء الألوف وأعيان الدولة . وقيس مسافة سقوط حجر المدفع المذكور فجاء أربعة آلاف ذراع وستمئة ذراع وعشرين ذراعا . وكان في المرة الأولى التي صرخ فيها بين يدي السلطان لم يقدر أحد على قياسه لأنه كان يصرخ نحو الجبل ولم تعلم مسافة سقوطه . ولم أحضر أنا هذا القياس الثاني ، ولا نقل الى من ثقة بل سمعته من أفواه الناس وفيه اختلاف من زيادة ونقص . وقد سألت السلطان عن أمره ومسافة سقوط حجر المدفع فعرفته أنني لم أحرره ، فسألني أن أحرره في الثالثة فقلت له لا أعلم زنة المدفع ولا زنة حجره ولا زنة باروده ، فأملى على جميع ذلك وغيره من لفظه ، حسبما نقف عليه ان شاء الله في هذا المحل فتأهب له ، فلما كان يوم الثلاثاء هذا وصرخ المدفع ثالث مرة في مكانه المذكور مرتين ، فكان سقوط حجره الثاني « تجاه مسجد التبن من المطرية ، وهو أبعد مسافة من الحجر الأول وأيضاً أبعد مسافة من سقوط حجارة رمى يوم الخميس المقدم ذكره ، وتوليت أنا ومن أثق به قياس هذه المسافة بالضبط والتحرير الزائد فكان طول ذلك خمسة آلاف ذراع وستمئة وأربعين ذراعا وكسرا بالذراع الجديدة وقدر لذلك بالذراع المعتبرة في قياس البرد والأميال ، ستة آلاف ذراع وخمسمئة ذراع وتسع وثمانون ذراعا وثلاث ذراع وذلك ميل ونصف ميل وثمان ميل ونصف ميل وثمان ميل وربع عشر ميل تقريبا ^(١) . وذلك قريب من سدس بريد ، وهذا شيء من النوادر القريبة التي لم نعهد لها ولا سمعنا مثلها في سالف الأعصار . فتعجب الناس

(١) إذا اعتبرنا الميل ١٦٣٢ متراً (عن هامش الحياة العسكرية ص ١٥٩) يكون مجموع

المسافة ١٦٣٢+٨١٦+٢٠٤+٤١=٢٦٩٣ متراً، وهو مدى جيد بالنسبة لذلك الوقت .

أمر هذا المدفع غاية العجب وكان لتصريحه يوم مشهور من كثرة الخلائق ، وبالله لولا اننى شاهدت ذلك ما أثبتته فى تاريخى لغرابية ما شاهدته من عظيم أمره وكل ذلك بسعادة السلطان خلد الله ملكه ، والذي اعتبرته من أمر هذا المدفع المذكور من املاء السلطان ومباشرتى بنفسى أن طوله خمسة عشر شبرا وبالذراع خمس أذرع وربع ذراع ووسع فوهته ثلاث أذرع ونصف ذراع وربع ذراع دورا وسمكه نحو من ثلث ذراع وهو قطعة واحدة مصلع مشرف حلو الشكل . وأما زنته فمائة وسبعون قنطارا بالمصرى وزنة حجر المرمى به أربعة قناطير بالمصرى وزنة باروده سبعة وثلاثون رطلا مصريا .

أما عن تكوين المدافع فى ذلك الوقت ، فكانت عبارة عن ماسورة مكونة من عدة شرائط منحنية ملحومة ببعضها . ثم ثبتت الماسورة بواسطة أربطة حديدية على قاعدة خشبية وهكذا اعتبرت هذه القاعدة الخشبية كعربة للمدفع . وقد استعمل فى أول الأمر غطاء منفصل لقفل مؤخرة الماسورة ثم تطورت وفصلت غرفة خلفية للتعجير عن الماسورة . وتركت فتحة ضيقة فى غرفة التعجير لاشعال المادة القاذفة ، وذلك بواسطة فتيل مشتعل مثبت على عصا طويلة وكانت عملية التصويب على الهدف تتم بالعين المجردة .

أما فى القرن الخامس عشر فقد تطورت صناعة المدافع فأصبحت الماسورة تصنع من طبقتين أو ثلاث طبقات منفصلة من الحديد ، كما استعملت أيضا المواسير المكونة من عدة أجزاء من الحديد ملحومة ببعضها ببعض ، كما صنعت بعض هذه المواسير من البرونز والنحاس . وثبتت على قواعد مختلفة الأشكال . وقد غنيت الدول فى ذلك العصر عناية خاصة بزيادة قوة المدفع وذلك عن طريق زيادة العيار ، ولذلك فقد اتجهوا الى زيادة وزن المدفع الى درجة كبيرة وذلك لأن المدافع لم تكن تحتوى على أجهزة لامتناس الصدمة فقد بلغ وزن المدفع الروسى الذى صنع سنة ١٥٨٦ الذى عرف باسم (قيصر المدافع) (٣٩) ألف كيلوجرام على الرغم من أن طول ماسورته لم تزيد عن ١٤١ متره ، وكان عياره (٨٩٠) مم .

وفى القرن الثامن عشر صنعت المدافع ذات الترباس المنزلق ، وكان هذا النوع من المدافع يضرب أنواعا كثيرة من المقذوفات مثل الاسطوانات (الخراطيش) المملوءة

بكرات الرصاص (شراتيل) أو دانات متفجرة أو حارقة . وقد امتازت هذه المدافع
ببعد المرمى والقدرة على المناورة والتجميع .

وفي نهاية القرن الثامن عشر أخذت تنتظم صناعة المدافع وتوضع لها القواعد
والأصول لبنائها ، فقد أصبح عيار المدافع مثلاً لا يحدد بقطر الماسورة بل كان يحدد
بوزن المقذوف بالرطل ، وكانت القاعدة أن تكون النسبة بين قطر المقذوف وقطر
الماسورة بنسبة ١ : ٢٩ من قطره .

ومن المخطوطات الهامة التي تكلمت بدقة وبتفصيل عن آلات الحرب البارودية
مخطوطة « العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحروب والمدافع » ألفه
بالأعجمية الرئيس ابراهيم بن أحمد بن غانم بن محمود بن زكريا الأندلسي المشهور
بالرباش وترجمه الى العربية أحمد بن قاسم بن الفقيه بن الحجري الأندلسي ترجمان
سلاطين مراکش . ويرجع المخطوط الى القرن الثاني عشر الهجري ، ويمتاز المخطوط
باحتوائه على عدد كبير من الصور والأشكال التي توضح المدافع وأجزاءها وطريقة
استعمالها ، كما توضح بعض المعارك الحربية (انظر ورقة رقم ٢٧ ، ٢٨) .

الباب الخامس



بعد أن فرغ خلفاء بنى أمية من أمور السياسة والفتن الداخلية اهتموا باحياء علوم الجاهلية مثل الشعر والأخبار والصيد والفروسية ، كما أولوا الفنون والصنائع التي تنشأ عادة في حياة الأبهة والترف ورفاهية العيش الكثير من اهتمامهم . كذلك عنى الأمويون بعلوم الطب والكيمياء وأحكام النجوم ، بل أن بعض أمرائهم عنى بترجمة هذه العلوم عن اليونانية . ويقال ان الأمير خالد بن يزيد بن معاوية حفيد معاوية بن أبي سفيان ، المتوفى سنة ٨٥ هـ (٧٠٤ م) كان أول من عنى بالترجمة من اليونانية الى العربية في علوم الطب والنجوم والكيمياء ^(١) حتى سمي حكيم آل مروان ، فقد قال عنه ابن النديم ^(٢) « قال محمد بن اسحق الذي عنى باخراج كتب القدماء في الصنعة : خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان خطيبا شاعرا فصيحاً حازماً ذا رأى ، وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء » وكتاب النجوم ، هو في أحكام النجوم ، ويقال أنه ترجمة كتاب (عرض مفتاح النجوم)

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ص ١٣٦ ، علم الفلك ص ١٣٧ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٤ .

المنسوب الى هرمس الحكيم الموضوع على تداوليل سنن العالم وما فيها من الأحكام النجومية . والكتاب موجود في مكتبة الأمبروزيانية بميلانو وقد جاء في آخر النسخة « وكان ترجمة الكتاب في ذي القعدة سنة خمس وعشرين ومائة هجرية^(١) » . ويقال ان أحد وزراء مصر وجد سنة ٤٣٥ هـ (١٠٤٤ م) في خزانة الكتب بالقاهرة كرة سماوية نحاسا من عمل بطليموس مكتوب عليها « حملت هذه الكرة من الأمير خالد ابن يزيد بن معاوية »^(٢) .

وهرمس الذي قيل أن الأمير خالد ترجم كتابه « مفتاح النجوم » ، حكيم مصري خرافي لم يكن له وجود أبدا . فكثر فيه الخرافات بين العرب في عهد الاسلام فمنهم من قال انه اخنوخ المذكور في التوراة ، ومنهم من قال انه النبي ادريس ، ومنهم من فرق بين ثلاثة هرامسة ، الأول والثاني والثالث ونسب الى الثالث عدة كتب مختلفة في أحكام النجوم والكيمياء والسحر وما أشبه ذلك^(٣) . وجاء في الفهرست^(٤) « وله من الكتب في النجوم كتاب عرض مفتاح النجوم الأول كتاب طول مفتاح النجوم الثاني ، كتاب تسيير الكواكب ، كتاب تحويل سنن المواليذ على درجة كتاب المكتوم في أسرار النجوم ويسمى قضيب الذهب » . ومن الكتب المنسوبة الى هرمس كذلك « كتاب هرمس في النشر والتعاويذ والعزائم وكتاب الهاريطومس في نيرجات الأشجار والثمار والأدهان والحشائش . وكتاب فريقونيوس في الأسماء الحفظة والتمايم والعود من حروف الشمس والقمر والنجوم الخمسة وأسماء الفلاسفة »^(٥) . ويقول ابن أبي أصيبعة « هرمس لفظ يوناني هو اسم اله من آلهة اليونان زعم المصريون منذ عهد الاسكندر انه نعيش الإله تجوت (Thot) الذي نسبت اليه قداماء المصريين اختراع كل علم »^(٦) .

وهكذا أصبح هرمس هذا أبو الحكمة والعلوم عند العرب ، وخاصة علوم

(١) علم الفلك ص ١٤٣

(٢) ابن القفطى : كتاب تاريخ الحكماء ص ٢٨٦ .

(٣) علم الفلك ص ١٤٢ .

(٤) ابن النديم ص ٢٦٧ .

(٥) الفهرست ص ٣١٢-٣١٣ .

(٦) ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٦ ، ١٧ ، ابن القفطى ص ٢٢٧ ، ٢٢٩ .

التنجيم والفلك ، وجرت العادة أن تنسب اليه أصل كل العلوم والفنون ، فقد ذكر اسمه في كثير من المخطوطات التي تناولت صناعة الاسطرلاب وغيرها من الآلات الفلكية على أنه أول من صنعها أو أن ولده هو أول من قام بعملها . فقد جاء في مخطوطة « رسالة في أسماء الرسوم المرسومة على الآلة المسماة بالاسطرلاب الشمالي » في شرح كلمة الاسطرلاب « الاسطرلاب ^(١) معناه ميزان الشمس وقال (كشيار) يعنى مرآة الشمس ، والأصح أسطر معناه تصنيف ولاب ولد هرمس وهو مصنف يوناني » . وجاء في مخطوطة « المقالة الخامسة ^(٢) في رسم الآلات الحادثة على تسطيح الكرة كالاسطرلاب الشمالي والجنوبي والزرقالة والشكازية والأرباع » في معنى كلمة اسطرلاب كذلك « وزعم بعضهم أن أسطر معناها تصنيف ولاب اسم حكيم اخترع الاسطرلاب ، وهو ابن هرمس الحكيم . كما حكى صاحب المقامات الحريية عن أبي نصر الثمين ، أنه قال : أن الاب لما رسم من الدوائر الفلكية في سطح مستو سئل عنه هرمس بأن يقول من سطر هذا ويقول هو في جوابه سطره لاب ، ولهذا سمي بالاسطرلاب » .

وتدلنا كتب المفسرين والمحدثين القدماء في تفسيرهم وشرحهم الأخبار في أمر السموات والأرض والكواكب ، ان المسلمين في القرن الأول للهجرة وأوائل القرن الثاني لم يكونوا على علم ومعرفة كبيرة — فيما عدا الأمير خالد بن يزيد ابن معاوية — بعلوم الفلك وسائر العلوم الرياضية والطبيعية ، لأنهم كلما أرادوا أن يشرحوا شيئاً من علم الهيئة فانهم ينقلون ما كان رائجا عند عوام أهل الكتاب أو المجوس ، وكلها خرافات وأقوال لا يقبلها العقل ، ومثال ذلك ما رواه المطهر ابن طاهر المقدسي ^(٣) ، من علماء القرن الرابع في كتاب « البدء والتاريخ » في وصف الشمس والقمر وسائر الكواكب قال « يروى أبو حذيفة عن عطاء قال انه بلغني أنه قال : الشمس والقمر طولهما وعرضهما تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ ، قال الضحاك فحسبناه فوجدناه تسعة آلاف فرسخ ، والشمس أعظم من القمر ، قال

(١) انظر باب المخطوطات المصورة ص ٣٥١

(٢) انظر باب المخطوطات المصورة ص ٣٥١

(٣) علم الفلك ص ١٣٨ .

وعظم الكواكب اثنا عشر فرسخا في اثني عشر فرسخا . وروينا عن عكرمة أنه قال : سعة الشمس مثل الدنيا وثلاثها . وسعة القمر مثل الدنيا سواء . وعن مقاتل أنه قال : الكواكب معلقة من السماء كالقناديل . قالوا وخلق الله الشمس والقمر والنجوم من نور العرش . ويقول في وصف السماء وشكلها « وزعم الكلبي ^(١) ان السموات فوق الأرض كهيئة القبة الملتصق منها (أى من الأرض) أطرافها . وروى وهب عن سليمان الفارسي رحمه الله ، أن الله خلق السماء الدنيا من زمردة خضراء وسماها برقع . وخلق السماء الثانية من فضة وسماها كذا وخلق السماء الثالثة عن ياقوتة حتى عد سبع سموات بأسمائها وجواهرها » . ومثل هذا قال المسعودي ^(٢) دون ذكر المصدر ، قال « ان السماء الدنيا من زمردة خضراء والسماء الثانية من فضة بيضاء ، والسماء الثالثة من ياقوتة حمراء والسماء الرابعة من درة بيضاء والسماء الخامسة من ذهب أحمر والسماء السادسة من ياقوتة صفراء والسماء السابعة من نور قد طبقها بملائكة قيام على رجل واحدة تعظيما لله لقربهم منه قد خرقت أرجلهم الأرض السابعة واستقرت أقدامهم على مسيرة خمسمائة عام تحت الأرض السابعة » . وروى عن أبي عباس رضى الله عنه أنه قال « ان السماء الدنيا من رخام أبيض وانما خضرتها من خضرة جبل قاف ^(٣) ، وان السماء موج مكشوف » . وجاء في مسند أحمد بن حنبل ^(٤) حديث يرتقى سنده الى العباس بن عبد المطلب روى فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكيف (أى قطع) كل سماء خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلى كما بين السماء والأرض » . وذهب المفسرون القدماء في تفسير بعض الآيات القرآنية الى آراء غريبة تدل دلالة قاطعة على عدم اعتنائهم بعلم الهيئة ، فيقول فخر الدين الرازي ^(٥)

(١) هو المفسر الشهير محمد بن السائب بن بشر الكلبي المتوفى بالكوفة (سنة ١٤٦ هـ سنة ٧٦٢ م) عن كتاب علم الفلك هامش ص ١٣٨ .

(٢) مروج الذهب في الباب الثالث ج ١ ص ٤٦ .

(٣) قيل انه جبل محيط بكل الأرض .

(٤) مسند بن حنبل ج ١ ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٥) فخر الدين الرازي ج ٦ ص ١١٨ .

في تفسيره الآية الكريمة « كل في فلك ^(١) يسبحون » « ان بعضهم قال الفلك موج مكفوف تجرى الشمس والقمر والنجوم فيه ، وقال الكلبي ماء مجموع تجرى فيه الكواكب » وقال في تفسير قوله تعالى « والسقف المرفوع » ^(٢) ، « وقد اتفق المفسرين ان السماء مبسوطة لها أطراف على جبال وهي كالسقف المسوى » .

فلما جاءت الدولة العباسية واختلط العرب بالموالي عن طريق المصاهرة والمعاشرة كثر أخذهم من علوم الأمم الأعجمية ، فزادوا كلفا بأحكام النجوم وحبا في الاطلاع على الكتب في هذا الفن حتى صار جاريا على السنة الناس القول « ان العلوم ثلاثة الفقه للأديان والطب للأبدان والنجوم للأزمان » . ومما ساعد على النهضة في هذه العلوم شغف الخلفاء أنفسهم بتلك الفنون ، فكان أبو جعفر المنصور — ثاني خلفاء الدولة العباسية — يقرب المنجمين ويستشيرهم في أموره ، فقد ذكر ابن الداية ^(٣) « ان نوبخت الفارسي المنجم ، كان يصحب المنصور ولما ضعف عن خدمة الخليفة أمره المنصور بإحضار ولده ليقوم مقامه فسير اليه ولده أبا سهل ابن نوبخت » . ويقول اليعقوبي ^(٤) عند كلامه عن نشأة مدينة بغداد « ان المنصور لما ابتداء بناء بغداد سنة ١٤٥ هـ وضع أساس المدينة في وقت اختاره نوبخت المنجم ، وما شاء الله بن سارية » كما يضيف « وان الذين هندسوا المدينة فعلوا ذلك بحضرة نوبخت وابراهيم بن محمد الفزازي والطبري ^(٥) .

ومن العوامل الفعالة في سرعة نضج العلم في النهضة العباسية كثرة ما ترجم من الكتب العلمية الى اللغة العربية ، ويقول في ذلك جرجي زيدان ^(٦) « ان المسلمين نقلوا الى لسانهم معظم ما كان معروفا من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والأدييات عند سائر الأمم المتقدمة في ذلك العهد ولم يغادروا لسانا من السن الأمم المعروفة اذ ذاك ألا نقلوا منه شيئا وان كان أكثر نقلهم

(١) سورة الأنبياء الآية (٣٣) .

(٢) سورة الطور ، الآية (٥) ، تفسير الرازي ج ٧ ص ٨٦ .

(٣) ابن أبي أصيبعة ص ١٥٣ ، أبو الفرج العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢١٦ .

(٤) البلدان ص ٢٣٨ ، ص ٢٤١ .

(٥) والمحمّل أنه عمر بن الفرخان المنجم الشهير (هامش علم الفلك ص ١٤٥) .

(٦) التمدن الإسلامي ج ٣ ص ١٦٢ .

عن اليونانية والفارسية والهندية . فأخذوا من كل أمة أحسن ما عندها فكان اعتمادهم في الفلسفة والطب والهندسة والموسيقى والمنطق والنجوم على اليونان ، وفي النجوم والسير والآداب والحكم والتاريخ والموسيقى على الفرس وفي الطب والعقاقير والحساب والنجوم والموسيقى والأقاصيص على الهنود ، وفي الفلاحة والزراعة والتنجيم والسحر والطلاسم على الأنباط والكلدان ، وفي الكيمياء والتشريح على المصريين . فكأنهم ورثوا أهم علوم الآشوريين والبابليين والمصريين والفرس والهنود واليونان وقد مزجوا ذلك كله واستخرجوا منه علوم الاسلام .

وقد يكون من المفيد أن نذكر في شيء من التفصيل الكتب الأولى التي ترجمت في علم الفلك والتي قام على أسسها علم الفلك الاسلامي .

من المعروف أن الهنود من أقدم الأمم التي تمرست في ركوب البحار والمحيطات وساعدتهم في ذلك معرفتهم التامة بعلوم الهيئة ، فقد كانت لهم معرفة حسنة بالنجوم ومواقعها وأبراجها ، ولها أسماء خاصة بلغتهم ، فقد قسموا علم الفلك على مذاهب ثلاثة (١) مذهب الأرجهيز والثاني مذهب الأركند ، أما المذهب الثالث فيعرف باللغة السنسكريتية سدهنتا (Siddhanta) ، وهو عبارة عن زيچ (٢) ذكروا فيه آراءهم في حركات الكواكب . وهذا المذهب الأخير هو الذي نقله العرب الى اللغة العربية وسموه (السندهند) . ومن ألف على هذا المذهب محمد بن ابراهيم الفزارى وحبش بن عبد الله البغدادي ومحمد بن موسى الخوارزمي وغيرهم (٣) . ومما قيل في هذا الصدد ، ما ذكره البيروني (٤) ان رجلا هنديا جاء بغداد (سنة ١٥٤ هـ / ٧٧١ م) في جملة وفد السند على المنصور وهو ماهر في معرفة حركات الكواكب وحسابها وسائر أعمال الفلك على مذهب علماء أمته ، وخصوصا على مذهب كتاب باللغة السنسكريتية اسمه (براهمسيهطسدهانت) ألفه سنة ٦٢٨ م (٦ أو ٧ هـ)

(١) التمدن الإسلامى ج ٣ ص ١٢٤ .

(٢) الزيچ : انظر ص ٢٣٦ .

(٣) ابن القطي ص ١٧٧ .

(٤) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ص ٢٠٨ ، ٢١١ .

الفلكى والرياضى الشهير (برهمكيت) للملك (فياكهزمكة) . وكلف المنصور ذلك الهندى باملاء مختصر الكتاب ثم أمر بترجمته إلى اللغة العربية وباستخراج كتاب منه تتخذ العرب أصلا فى حساب حركات الكواكب وما يتعلق به من الأعمال ، فتولى ذلك الفزارى وعمل منه زيجا اشتهر به بين علماء العرب حتى أنهم لم يعملوا الا به إلى أيام المأمون حيث ابتدأ انتشار مذهب بطليموس فى الحساب والجداول الفلكية .

أما عن الكتاب الذى أطلق عليه العرب اسم السندهند ، فقد شرح معناه اللفظى الأستاذ كرلونينو (١) ، شرحا مفصلا جاء فيه « أما لفظ سدهانت (Siddhanta) فمعناه بالسنسكريتية معرفة وعلم ومذهب علمى ، وأطلق ذلك اللفظ اصطلاحا على كل كتاب فى علم الهيئة وحساب حركات الكواكب . فمعنى (براهمسيهطسدهانت) كتاب الهيئة المصحح المنسوب إلى برهم ، وحذف العرب ثلثى اللفظ مقتصرين على الثلث الأخير وهو سدهانت ثم حرفوه قليلا لميلهم إلى المزوجة والاتباع فى الكلام وضبطوه على وزن أسماء البلاد التى نقل منها الكتاب ، فقالوا السندهند ، وسماه بعض المتأخرين السندهند الكبير تمييزا بينه وبين كتاب السندهند تأليف محمد ابن موسى الخوارزمى فى عهد المأمون .

كذلك ترجم المسلمون عن اليونانية كتاب المجسطى الشهير تأليف بطليموس القلوذى ، وقد استفاد من هذا الكتاب محمد بن موسى الخوارزمى ، أشهر علماء الفلك فى عهد الخليفة المأمون ، فقد كان منقطعا إلى بيت الحكمة وله علم واسع فى النجوم فاصطنع زيجا جمع فيه بين مذاهب الهند والفرس والروم ، فجعل أساسه على السندهند وخالفه فى التعاديل والميل فجعل تعاديله على مذاهب الفرس وجعل ميل الشمس فيه على مذهب بطليموس واخترع فيه أبوابا استحسنه أهل عصره وطاروا به فى الآفاق (٢) . ولا شك أن كتاب (المجسطى) من أهم ما نقل من التراث اليونانى إلى العربية ، ومن أكثر المؤلفات التى ساعدت على تقدم الفلك عند العرب .

(١) علم الفلك ص ١٥٠ .

(٢) التمدن الإسلامى ج ٣ ص ١٩٠ .

ويقول عنه ابن القفطى^(١) « ولا يعرف كتاب ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها، فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن ، غير ثلاثة كتب أحدها « كتاب المجسطى » هذا في هيئة علم الفلك وحركات النجوم ، والثانى (كتاب أرسطوطاليس) فى علم صناعة المنطق ، والثالث (كتاب سيويه البصرى) فى علم النحو العربى وقد نقل كتاب (المجسطى) الى العربية أكثر من مرة »^(٢) .

(١) اخبار الحكماء ص ٦٧ ، ٦٩ .

(٢) تراث العرب العلمى ص ١١٢ .

المرصد

ولم يقف العرب عند حد الدراسة النظرية في علم الفلك ، فبعد أن نقلوا مؤلفات الأمم التي سبقتهم وصححوا بعضها وتقحوا الآخر وزادوا عليها ، خرجوا الى الجانب العملى ، وهو رصد الكواكب والأجرام السماوية . ولا شك أن العرب لم يصلوا بعلم الفلك الى ما وصلوا اليه الا بفضل المراصد ، فالرصد أساس علم الفلك وعليه المعدل في تعيين أماكن النجوم وحركاتها ، ويقال ان أول من عنى بإقامة المراصد اليونان وكان ذلك في القرن الثالث قبل الميلاد ، فقد بنوا مرصدا في مدينة الاسكندرية بلغ قيمة ارتقائه في عهد بطليموس القلوذى صاحب المجسطى . ويقول الأستاذ جرجى زيدان ^(١) ، وظل المرصد السكندرى وحيدا في العالم حتى نهض العرب وأنشأوا المراصد في بغداد ودمشق ومصر والأندلس ومراغة وسمرقند وغيرها . أما الأستاذ قدرى حافظ طوقان ^(٢) ، فكان أكثر حرصا اذ يقول « وقد يكون اليونان أول من رصد الكواكب بالآلات ، وقد يكون مرصد الاسكندرية الذى أنشئ في القرن الثالث قبل الميلاد ، هو أول مرصد كتب عنه » .

(١) التمدن الإسلامى ج ٣ ص ١٩١ .

(٢) تراث العرب العلمى ص ١٣١ .

ويقال ان الأمويين ابتنوا مرصدا في دمشق^(١) ، وان كان الثابت ان الخليفة المأمون جمع علماء النجوم في عصره وأمرهم أن يصنعوا آلات يرصدون بها الكواكب كما فعل بطليموس صاحب المجسطى ، ففعلوا وتولوا الرصد بها بالشماسية في بغداد وجبل قيسون في دمشق سنة ٢١٤ هـ . ولما توفي المأمون سنة ٢١٨ هـ ، توقفوا عن العمل وقيدوا ما كانوا قد تبينوه من رصدهم وسموه الرصد المأموني^(٢) . وقد ابتنى (بنو موسى)^(٣) مرصدا في بغداد على طرف الجسر وفيه استخرجوا حساب العرض الأكبر من عروض القمر . وبنى شرف الدولة ابن عضد الدولة مرصدا في طرف بستان دار المملكة في منتصف القرن الرابع الهجري وقد رصد فيه الكواكب السبعة أبو سهل الكوهي^(٤) . وقد أنشأ الفاطميون في عهد الخليفة الحاكم مرصدا على جبل المقطم عرف بالرصد الحاكمي وفيه استخرج ابن يونس الزيج الحاكمي^(٥) ، ثم أعيد بناؤه في أيام الأفضل بن أمير الجيوش سنة ٥١٥ هـ . وظل المرصد الحاكمي عمدة المراصد حتى بنى نصر الدين الطوسي^(٦) في عهد هولاكو مرصدا في مراغة في بلاد التركستان سنة ٦٥٧ هـ أعد فيه كل ما يلزم من الآلات وأنفق فيه الأموال الطائلة وأنشأ له مكتبة يقدر ما كان فيها بـ ٤٠٠٠٠٠ مجلد من المخطوطات ، أكثرها منهب من بغداد والشام والجزيرة . ثم بنى تيمورلنك مرصدا في سمرقند ، ثم بنى غيرهم مراصد أخرى في أصبهان ومصر والأندلس^(٧) .

(١) تراث العرب العلمي ص ١٣٢ .

(٢) التمدن الإسلامي ص ١٩٢ ، تراث العرب العلمي ص ١٣٢ .

(٣) تراث العرب العلمي ص ١٣٢ ، جاء في التمدن الإسلامي (بنو شاذان) بدلا من (بنو موسى) .

(٤) أبو الفرج : تاريخ مختصر الدول ص ٢٠٧ ، التمدن ص ١٩٢ ، تراث العرب العلمي ص ١٣٢ .

(٥) ابن خلكان ج ١ ص ٣٧٥ .

(٦) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٥١ .

(٧) التمدن الإسلامي ج ٣ ص ١٩٣ .

وكان للرصد آلات تختلف باختلاف الغرض منها . وقد وضع الفلكيون فيها الكتب والمصنفات الطوال ، فقد وضع (الخازن) كتابا سماه « الآلات العجيبة » ذكر فيه كثيرا من آلات الرصد ، ووصفها وذكر طريقة العمل بها ، كما ألف « غياث الدين جمشيد » رسالة باللغة الفارسية وصف فيها بعض آلات وصفا علميا دقيقا . أما تقي الدين الراصد ^(١) الذي اخترع كثيرا من آلات الرصد ، فقد وصف وشرح الآلات التي اخترعها وفيما يلي بيان بأهم هذه الآلات .

اللبنة : وهى جسم مربع مستو يستعمل به الميل الكلى وأبعاد الكواكب وعرض البلد .

الحلقة الاعتدالية : وهى حلقة تنصب فى سطح دائرة المعدل ، ليعلم بها التحول الاعتدالى .

ذات الأوتار : وهى أربع اسطوانات مربعات تغنى عن الحلقة الاعتدالية ، ويعلم بها تحويل الميل ، ويقول حاجى خليفة ^(٢) ، إن هذه الآلة من مخترعات « تقي الدين الراصد » .

ذات الحلق : وهى أعظم الآلات هيئة ومدلولا ، وتركب من حلقة تقوم مقام منطقة فلك البروج وحلقة تقوم مقام المارة بالأقطاب تركب احدهما فى الأخرى بالتنصيف والتقطيع وحلقة الطول الكبرى وحلقة الطول الصغرى ، تركب الأولى فى محذب المنطقة والثانية فى مقعرها ^(٣) . وجاء فى فوات الوفيات ^(٤) « أن ذات الحلق ، خمس دوائر متخذة من النحاس ، الأولى دائرة نصف النهار وهى مركوزة على الأرض ودائرة معدل النهار ، ودائرة منطقة البروج ، ودائرة الميل . وكذلك الدائرة الشمسية التى يعرف بها سمت الكواكب » .

(١) تراث العرب العلمى ص ١٣٢ ، أيجد العلوم ص ٣٤٢ .

(٢) كشف الظنون ج ١ ص ١٣٦ .

(٣) التمدن الإسلامى ج ٣ ص ١٩١ .

(٤) ابن شاكر الكتبي ج ٢ ص ١٥١ .

ذات السميت والارتفاع : هى نصف حلقة قطرها سطح من سطوح اسطوانة متوازية السطوح يعلم بها السميت وارتفاعه ، ويقول حاجى خليفة ^(١) ، « وهذه الآلة من مخترعات المسلمين » .

ذات الشعبتين : وهى ثلاث مساطر على كرسى يعلم بها الارتفاع .
ذات الجيب : وهى مسطرتان منتظمتان انتظام ذات الشعبتين .

المشبهة بالمناطق : وهى كثيرة الفوائد فى معرفة ما بين الكواكب من البعد وهى ثلاث مساطر اثنتان منتظمتان انتظام ذات الشعبتين ، وهى من مخترعات « تقى الدين الراصد » ^(٢) .

وبالاضافة الى هذه الآلات ذكر حاجى خليفة « الربع المسطرى » ، « وذات النقبتين » « والبنكام الرصدى » .

ويقول السنيور « كرلونينو » ^(٣) وبما أن الأحكام النجومية لا تبني الا على معرفة الطالع وارتفاعات الكواكب عن الأفق فى الوقت المفروض ومثل ذلك ، ولا يمكن اقامة الطالع وقياس الارتفاعات الا بالآلات رصدية أبسطها « الاسطرلاب المسطح » .

وفى هذه المراصد أجرى المسلمون أرصادا كثيرة ووضعوا الأزياج القيمة الدقيقة والأزياج مفردتها زيغ ، وهو عبارة عن القوانين المبنية على طريقة حركة الكواكب وعددها بالأرقام الحسائية ، ويعرف ابن خلدون ^(٤) الزيغ فيقول « ومن فروع علم الهيئة علم الأزياج وهى صناعة حسائية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته ، وما أدى الى برهان الهيئة فى وضعه

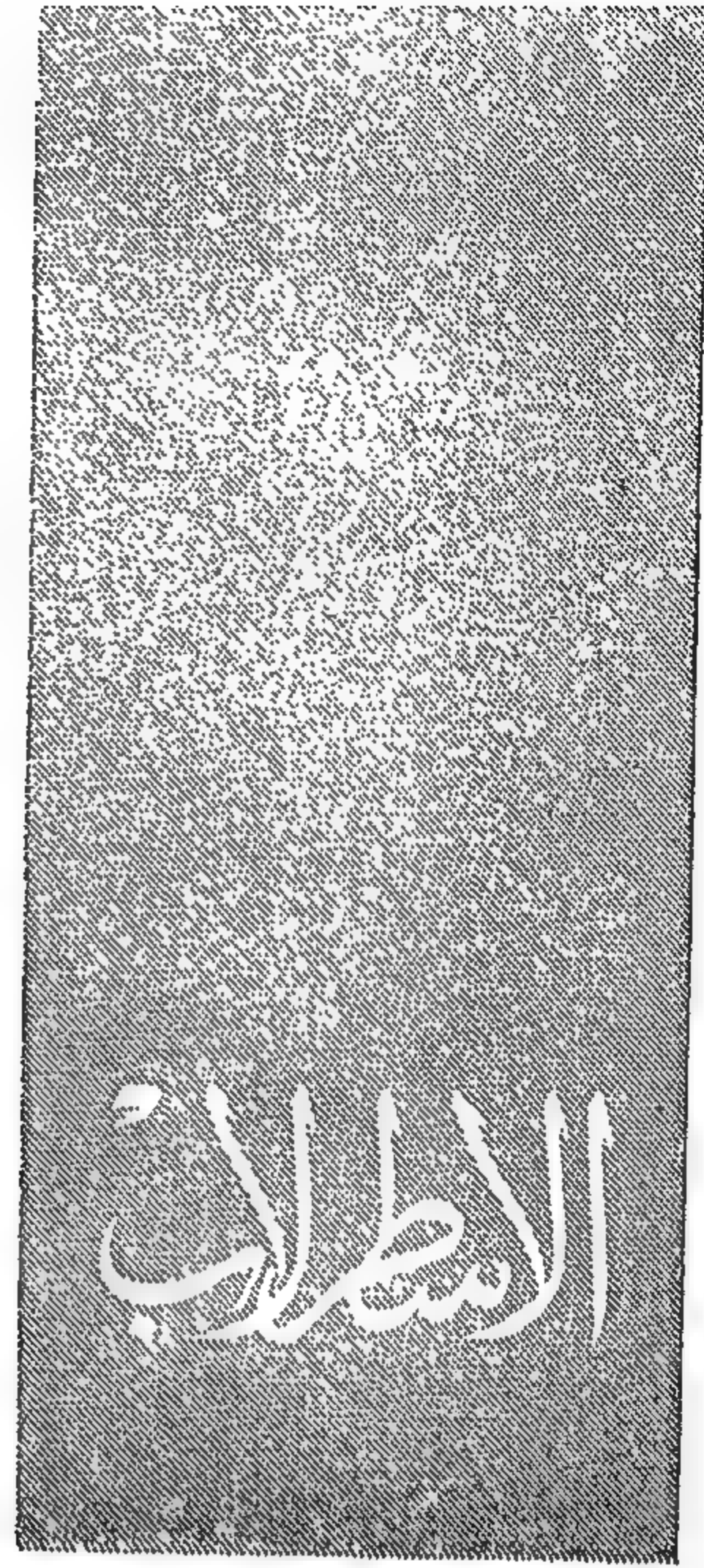
(١) كشف الظنون ج ١ ص ١٣٦ .

(٢) حاجى خليفة ج ١ ص ١٣٦ .

(٣) علم الفلك ص ١٤٧ .

(٤) المقدمة ص ٥٨٥ .

من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك ، يعرف به مواضع الكواكب في
أفلاكها لأي وقت فرض من قبل حسابان حركاتها ، على تلك القوائين المستخرجة
من كتب الهيئة . ولهذه الصناعة قوانين في معرفة الشهور والأيام والتواريخ
الماضية ، وأصول متقررة في معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات
واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسهيلا على المتعلمين
وتسمى الأزياج » .



ولما كان الاسطرلاب من الأدوات الهامة التي ساعدت على تقدم فن الملاحة في العصر الاسلامي ، بحيث أصبح من الميسور على السفن والمراكب السير في البحار ليلا ونهارا وفي المحيطات والبحار على السواء ، فقد أفرد له الفلكيون المسلمون عددا كبيرا من المصنفات زادت عن مائتي مخطوطة . وقد اختلف بعض الفلكيين في تفسير كلمة الاسطرلاب ، فقد جاء في مخطوطة « رسالة في أسماء الرسوم المرسومة على الآلة المسماة بالاسطرلاب الشمالي » في شرح كلمة الاسطرلاب : « ان الاسطرلاب معناه ميزان الشمس وقال (كشيار) يعنى مرآة الشمس ، والأصح أسطر معناه تصنيف ولاب ولد هرمس ، وهو مصنف يوناني » . وجاء في مخطوطة « المقالة الخامسة في رسم الآلات الحادثة على تسطيح الكرة كالاسطرلاب الشمالي والجنوب والزرقالة والشكازية والأرباع » في معنى كلمة الاسطرلاب كذلك « وزعم بعضهم ان أسطر معناها تصنيف ، ولاب اسم حكيم اخترع الاسطرلاب ، وهو ابن هرمس الحكيم . كما حكى صاحب المقامات الحريزية عن أبي نصر الثمين ، انه قال ان لآب لما رسم من الدوائر الفلكية في سطح مستو سئل عنه هرمس بأن يقول من سطر هذا ويقول هو في جوابه سطره لآب ، ولهذا سمي الاسطرلاب » .

وجاء في كشف^(١) الظنون ث تفسير كلمة الاسطرلاب : « وهي كلمة يونانية تعرف بالاسطرلابون وتتكون من كلمتين (أسطر) بمعنى النجم (والابون) بمعنى المرأة ومن ذلك قيل لعلم النجوم اسطرلوميا (Astronomy) .

وفي تفسير آخر لكلمة الاسطرلاب « الاسطرلاب أو الاصطرلاب لفظة يونانية الأصل من (استرولابس) من (استرو) أى نجم أو كوكب (لايون) أى أخذ لأنه استعمل أولا في أخذ درجات ارتفاع الكواكب . فهو ، على ما يدل عليه اسمه آلة لقياس الكواكب الثابتة والسيارة في طلوعها وغروبها وميلها وارتفاعها وغير ذلك من حركاتها التي تعرف أحوال الفلك ليلا ونهارا وفي فصول السنة المختلفة »^(٢).

وجاء في الموسوعة العربية الميسرة^(٣) : وقد اخترع الاسطرلاب هيباخوس أو أبو لونيوس ثم انتشر عند الاغريق والسوريين^(٤) ولكن في أبسط صورة . وقيل أن « أول مسلم عمل اسطرلابا وألف فيه كتابا أبو اسحاق ابراهيم بن حبيب ابن سليمان الفزارى من فلكى المنصور »^(٥) وجاء في كتاب الفهرست^(٦) أن اسم الكتاب هو (العمل بالاسطرلاب المسطح) وألف أيضا رسالة مسماة كتاب بالاسطرلاب وهو ذات الحلق . ومن ألف أيضا في الاسطرلاب المسطح من منجمى المنصور^(٧) (ما شاء الله) ضاع أصل كتابيه العربى ولم تنج من التلف الا ترجمة لاتينية لكتاب الاسطرلابات والعمل بها .

وقد أطلق كلمة اسطرلاب على عدة آلات فلكية تنحصر في ثلاثة أنواع رئيسية

(١) حاجى خليفة ج ١ ص ١٣٦ .

(٢) بشير فرنسيم وناصر النقشبندى : الاسطرلاب في دار الآثار العربية في بغداد (مجلة سومر المجلد ١٣ لسنة ١٩٥٧) .

(٣) الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٨ .

(٤) تراث العرب العلمى ص ١٣٤ .

(٥) علم الفلك ص ١٤٧ .

(٦) ابن النديم ص ٢٧٣ ، ابن القفطى ص ٢١٥ .

(٧) علم الفلك ص ١٤٨ ، ابن النديم ص ٢٧٣ ، ابن القفطى ص ٢١٥ .

بحسب ما اذا كانت تمثل مسقط الكرة السماوية على سطح مستوى ، أو مسقط على خط مستقيم أو الكرة بذاتها بلا أى مسقط (١) .

وعرف حاجي خليفة (٢) علم الاسطرلاب بقوله « هو علم يبحث فيه عن كيفية استعمال آلة معهودة يتوصل بها الى معرفة كثير من الأمور النجومية على أسهل طريق وأقرب مأخذ مبين في كتبها كارتفاع الشمس ، ومعرفة المطالع ، وسمت القبلة ، وعرض البلاد وغير ذلك أو عن كيفية وضع الآلة على ما تبين في كتبه . وهو من فروع علم الهيئة » . وقد ذكر طاش كبرى زادة (٣) علما آخر وسماه (علم وضع الاسطرلاب) قال « هو علم باحث عن كيفية وضع الاسطرلاب ومعرفة صنعة خطوطه على الصفائح ، ومعرفة كيفية الوضع في كل عرض من الأقاليم . وقد يعمل اسطرلاب شامل لجميع البلاد ، وهذا عظيم النفع جدا » .

وكرثت أنواع الاسطرلاب وتعددت أشكاله تبعا لاتساع الحاجة الى استعماله في مختلف الأغراض الفلكية ، ومن أنواعه : الاسطرلاب التام ، والمسطح ، والطومارى ، والهلالى والزورقى ، والعربى والأسى ، والقوسى والجنوبى والشمالى والمنسطح والمسطرق ، وحق القمر المغنى والجامعة . وهناك نوع آخر عرف باسم عصا الطوسى نسبة الى مخترعه المظفر بن المظفر الطوسى المتوفى (سنة ٦١٠ هـ — ١٢١٤ م) . وهو يشبه بهيئته مسطرة الحساب فان مسقط الاسطرلاب العادى للكرة المسطحة ، يقع فيه على خط من خطوط مسطحة المستوى بنفسه ، فهذه الأداة تمثل اذن خط تقاطع سطح لهاجرة من سطح مسقط اسطرلاب الكرة المسطحة . وتشير النقط المعلمة على العصا الى الصعودات المستقيمة والمائلة ، كما تشير الى أقسام الدائرة الكسوفية والمقنطرات (٤) . وجاء فى دائرة المعارف الإسلامية (٥) عن الاسطرلاب المسمى (عصا الطوسى) « وفى الاسطرلاب خيوط مربوطة بالعصا وهى تصلح لقياس الزوايا .. » .

(١) دائرة المعارف الإسلامية مجلد (٢) ص ١١٤ (المترجمة) .

(٢) كشف الظنون ج ١ ص ١٣٦ .

(٣) مفتاح السعادة ومصباح السيادة ج ١ ص ٣٢٥ .

(٤) تراث العرب العلمى ص ١٣٤ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية مجلد (٢) ص ١١٧ .

وهناك الاسطرلاب المعروف (بالاسطرلاب الكرى) يصفه (نلليانو) (١) فيقول : وهو يمثل الحركة اليومية للكرة بالنسبة لأفق مكان معلوم ، دون الالتجاء الى مسقط ، فهو اذن صالح لقياس ارتفاعات الكواكب عن الأفق وتعيين الزمن ، وحل طائفة من مسائل علم الفلك الكبرى .

ومن أنواع الاسطرلاب الأرباع ، كالتام والمجيب والمقنطرات والشكازى والأفاقي ودائر المعدل وذات الكرسي (٢) . وهناك نوع آخر عرف بالزرقالة نسبة الى الزرقالى من علماء الأندلس ، الذى استطاع أن يحول الاسطرلاب من خاص الى عام باستبداله من المسقط القطبى الاستريوجرافى ، الى المسقط الأفقى الاستريوجرافى ، وبمقتضى هذا التحويل يكون موضع عين الراصد فى تقطى الاعتدالين . وجاء فى دائرة المعارف « ويكون مستوى المسقط هو بعينه مستوى الدائرة الكبرى المارة بنقطتى الانقلابين » .

وتعددت الوجوه والأغراض التى كانوا يستعملون الاسطرلاب فيها ، « فقد كانوا يعملون به فى استخراج البرج الذى تكون الشمس فيه وعدد الدرجات التى قطعتها منه وفى معرفة وقت الظهر والعصر وآخر العصر ، ومغيب الشفق وطلوع الفجر ، وفى معرفة أوقات النهار وأوقات الليل وما مر من ساعات زمانية منهما . ومعرفة يوم مجهول مساو ليوم معلوم ، ومعرفة ما هو مجهول من كواكب السماء الموضوعة فى شبكة الاسطرلاب من قبل معلوم منها ، ومعرفة أى درجة تتوسط السماء مع أى كوكب شئت ، ومع أى درجة يطلع ويغرب ، ومعرفة القبلة بالليل والنهار ، ومعرفة الطول والعرض ، وأخذ عرض كل بلد وأخذ طوله ومعرفة الظل من قبل ارتفاع الشمس وارتفاع الشمس من قبل الظل ، ومعرفة ظل نصف النهار الذى هو ظل الزوال ومعرفة ظل وقت الظهر ووقت العصر فى أى يوم من أيام السنة . ومعرفة ارتفاع ما بين مكانين وما يزيد الأعلى منهما على الأخفض ، ومعرفة موضع القمر من البروج ومواضع الكواكب السيارة فيها على المقارنة ومعرفة المشارق والمغارب وما الى ذلك من المسائل » .

(١) تراث العرب العلمى ص ١٣٥ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مجلد (٢) ص ١١٦ .

ويصنع الاسطرلاب عادة من النحاس الأصفر أو الأحمر أو من البرونز ،
ويزخرف في كثير من الأحيان بنقوش محفورة حفرا غائرا ومملوءة بمادة (النيلو)
السوداء . وفي بعض الأحيان يزخرف الاسطرلاب بطريقة (التكفيت) بمادة الفضة
أو الذهب أو كليهما معا . وقوام الزخارف عناصر نباتية وأخرى هندسية ويندر
أن نجد عناصر حيوانية أو رسوم آدمية . ويتكون الاسطرلاب من الأجزاء الآتية:
(انظر لوحة رقم (٨٢) أ ، ب) .

الحلقة : وتسمى العلاقة ، وهي التي يعلق الاسطرلاب بها لأخذ الارتفاع
والرصد .

العروة : وهي التي تصل الحلقة بالكرسی .

الكرسى : وهو ما بين العروة وأم الاسطرلاب .

أم الاسطرلاب: وهي الصفيحة المستديرة الكبرى ذات الطوق الجامعة للصفائح
الأخرى بداخلها .

الحجرة : هي الفراغ الموجود في أم الاسطرلاب ويضم الصفائح والعنكبوتية
وينقش عليها أحيانا أطوال وأعراض بعض المدن .

الصفائح : هي أقراص مستديرة يختلف عددها في كل اسطرلاب وهي من
ثلاث الى أكثر من عشر صفائح . وهي مثقوبة في مركزها ومثلومة
من جانبها لتثبت في تتوء خاص داخل الحجرة يمنعها من الدوران.
وفي كل صفيحة منها ثلاث دوائر على مركز الصفيحة ، فالصغرى
منها مدار السرطان والوسطى مدار رأس الحمل والميزان والكبرى
مدار رأس الجدى .

العنكبوت : وهي الشبكة ذات الخروق والنتوءات التي تعين بعض الكواكب
وفيها دائرتان الكبرى من المركز هي مدار الجدى والصغرى
مركزها مدار السرطان وعليها البروج الاثنا عشر . وقوس مداره
رأس الحمل والميزان وهو مدار الاعتدال وتكون شبكة العنكبوت
وجه الاسطرلاب وهي تعلق جميع الصفائح ، وفيها عتبة لتحريكها.

العضادة : وهى الساق المتحركة على ظهر الاسطرلاب وفيها شطبتان مثقوبتان يؤخذ بها ارتفاع الشمس بالنهار والكواكب بالليل ، وأخذ الأبعاد والمرتفعات الأرضية .

المحور : وهو القطب المسك للصفائح والعنكبوت من ثقوب في مراكزها .

الفرس : وهو الداخل في القطب المسك له .

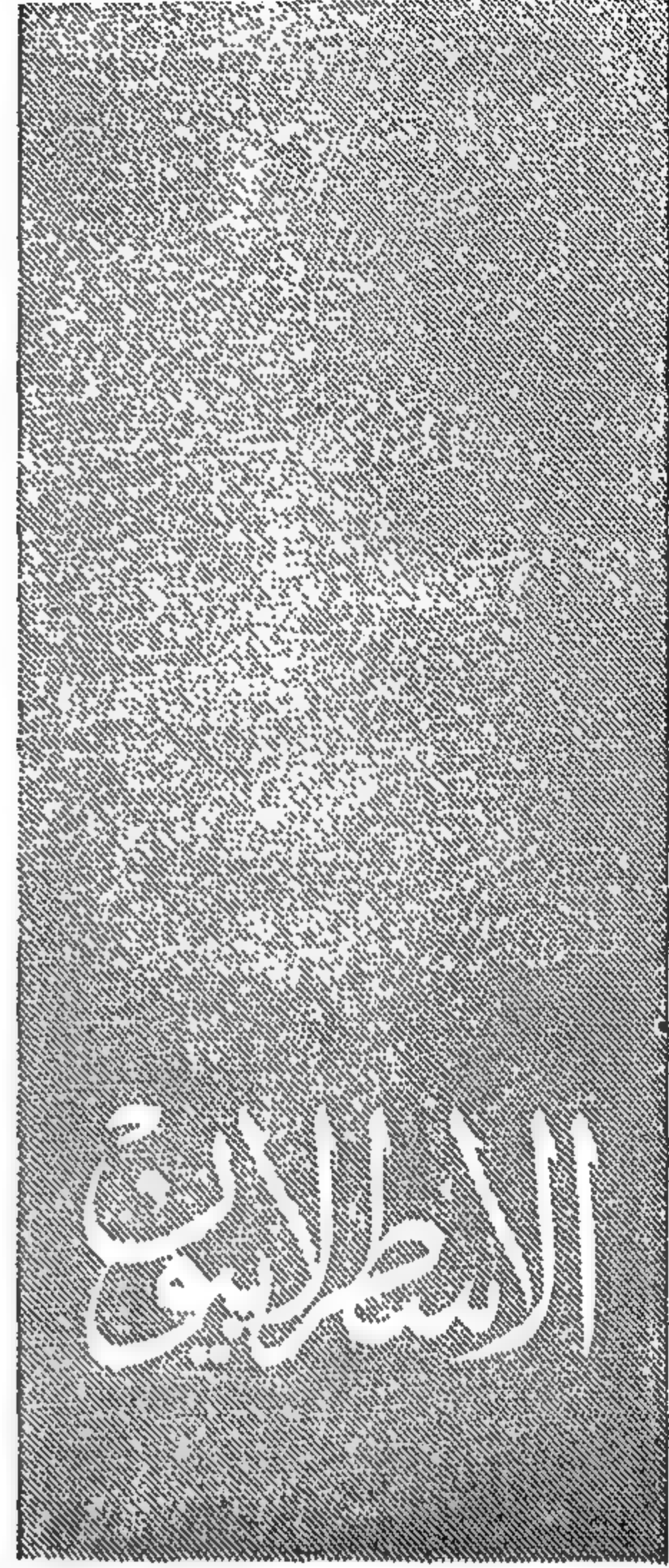
المسرى : وهو الزيادة التى تكون في رأس الجدى .

ظهر الاسطرلاب : وينقسم عادة الى ثلثمائة وستين درجة والى أرباع الدائرة وينقش فيها ، فى بعض الاسطرلاب ، أسماء البروج وغيرها من الرسوم اللازمة للعمل بالاسطرلاب ^(١) (انظر لوحة رقم ٨٠) .

الحاصرة : هو الجزء الذى يعلو (أم الاسطرلاب) ويكون عادة على شكل مثلث مزخرف وهو الذى يعرف أيضا بالكرسى وكثيرا ما نجد اسم صانع الاسطرلاب أو صاحبه منقوشا على الحاصرة أو الكرسى وتاريخ صنعه . (انظر لوحة رقم ٧٦) .

ومما يجدر ملاحظته فى الاسطرلاب ، أن جميع الأعداد التى تشير الى الزوايا والى الارتفاع والانخفاض كتبت بحروف الكلم ولم تكتب بالأرقام الحسائية .

(١) الإسطرلاب : سومر (المجلد ١٣ سنة ١٩٥٧) ص ١٠ ، ١١ .



إذا استقصينا تراجم الاسطرلابيين وجدنا أن معظمهم كانوا منجمين محترفين وكانوا يصنعون آلاتهم بأنفسهم ، كما كان يصنع المنجمون الفرس^(١) ، ولذا فقد كانت آلاتهم غاية في الدقة والاتقان . وكانوا يبدأون أسماءهم بهذه الكلمات (صنعة) وأحيانا أخرى قليلة (صانعة) أو (معدل) أو (موقت) . وكان بعض الاسطرلابيين يسمى صنعة الاسطرلاب ، كما يظهر ذلك في امضاءاتهم مثل (عبد الباقي وعبد الغفار الكبير) يكتبون على آلاتهم (صنع ونسق) ، والبعض مثل (محمد الجزولي) يحفر على الاسطرلاب كلمة (نقشة) .

وهكذا نستطيع أن نقول أن كل من وضع أمضاءه على الآلة الفلكية سواء أكانت أرباع أو دائرة فلكية أو ساعة شمسية أو اسطرلابات ، هم الذين قاموا بصناعتها ، اللهم الا اذا وجدنا كتابة أو مصدرا تاريخيا يفيد غير ذلك . أما عن المدة التي يقضيها الاسطرلابي في عمل الاسطرلاب ، فقد استطعنا أن نعرف ذلك على وجه التقريب ، فقد يحدث أحيانا أن يحفر الاسطرلابي هذه الجملة (عملت الاسطرلاب العاشر) مثل (حاجي علي) الذي كان يسجل دائما مع تاريخ صناعة

(١) Mayer L. H. : Islamic Astrolabists & their Works, P 13

الاسطرلاب ، رقمه بالنسبة الى الاسطرلابات التي قام بصنعها ، فقد سجل على الاسطرلاب الذي صنعه سنة ١٢٠٣ م أنه الثاني وعمل الثالث سنة ١٢٠٥ م والثالث عشر سنة ١٢٠٨ م ومعنى هذا أن الاسطرلابي يستطيع أن يصنع ثلاثة أو أربعة اسطرلابات في العام الواحد .

وعلى الرغم من الجمل التي ينقشها الاسطرلابيون على آلتهم التي تدل على الزهد والورع والتقشف مثل (العبد الآثم) ، (العبد الهاجر) ، (أقل الطلبة) ، (العبد الخادم) النادم ، (المحتاج الى رحمة الله) ، أما الشيعة منهم ، فنجدهم ينقشون على آلتهم مثل هذه العبارة (تراب عتبات رضا) ، فائنا نجد الى جانب ذلك عبارات أخرى تدل على كبريائهم واحساسهم بالترفع والعظمة عن باقى المشتغلين بالعلوم والصناعة . فنجد مثلاً امضاء ابراهيم بن سعيد (مما أقام صنعه) كذلك كتب تلميذه محمد بن سعيد ، نفس هذه الكلمة وكتب على بن ابراهيم بن الأشتن (ابتكره) ونقش شكر الله على اسطرلابه (علمى وعمل)^(١) .

وبعض الألفاظ التي حفرت على الاسطرلاب تستحق أن نعيها شيئاً من الالتفات والأهمية ، فكلية (نمقة) التي نجدها منقوشة على معظم الاسطرلابات الصفوية كانت تعنى زخرفة ، أما كلمة (رقمه) فتعنى حفرة فقط . وبعض الاسطرلابيين ، مثل محمد حسن ، كان يمضى العبارة الآتية (كتبه ورقمه) ، ومثل هذه العبارات نجدها منمضاة على الصور واللوحات التي يرسمها المصورون في المخطوطات . كذلك نجد بعض الامضاءات مثل (تصنيف) فى صناعة الساعة الشمسية ، كما فعل (على بن ابراهيم) أو (ألفه) كما فعل أحمد بن ابراهيم ، ومثل هذه العبارات كان يستعملها مؤلفو ومصنفو الكتب وذلك حتى يخرجوا من زمرة الصناع والعمال وأصحاب الحرف وينضموا الى طبقة الكتاب والمفكرين . وقد كان كبار رجال الدولة وعلية القوم لا يجدون غضاضة فى أن يكتبوا على آلتهم أنهم قاموا بصناعتها وحسابها فقد ذكر لنا الجبرتي^(٢) (ان حاكم مصر

(١) Mayer : Islamic Astrolabists, P 15

(٢) الجبرتي ج ١ ص ١٨٧ .

أحمد باشا كتب على الساعة الشمسية الرخامية التي صنعها انه صنعها وحفرها بالأزميل .

ومن الصعب أن نضع قاعدة ثابتة للمكان الذي اصطلح الاسطرلابيون أن ينقشوا فيه امضاءاتهم ، وان كنا نستطيع أن ندلى ببعض أحكام ليست شاملة ، ولا قاطعة . فمثلا نجد معظم الاسطرلابيين يضعون امضاءاتهم على ظهر الاسطرلاب ، وان كانت هناك بعض الاستثناءات مثل محمد بن محمد بن هذيل سنة ٦٥٠ هـ ، وأحمد بن عمر سنة ٩٣٣ هـ ومصطفى الأيوبي سنة ١١١٠ هـ . وكانت الحاصرة (أو الكرسي) تترك عادة خالية أو مزخرفة بزخارف نباتية أو كتابات قرآنية ، أما اذا احتوت على أسماء . فان صانع الاسطرلاب كان يكتب اسمه على ظهر الحاصرة ويترك الوجه لى يكتب فيه اسم مقتنيه ومالكه أو اسم السلطان أو الأمير الذي صنع في عصره (انظر لوحة رقم ٧٦) .

ولم يعن الاسطرلابيون الأوائل بوضع امضاءاتهم في مكان معين أو ظاهر ، أما في القرن الخامس الهجري فقد لاحظ الاسطرلابيون أن تكون امضاءاتهم في مكان معين ، مما سهل على علماء الآثار معرفة صانع الاسطرلاب وتميزه عن مقتنيه . فقد كانت الامضاءات تحفر على النصف العلوي من ظهر الاسطرلاب مقابل مربع الظل ، اما في خط مستقيم أو خط دائري ^(١) ، وان كان معظم ما عثر عليه من اسطرلابات ترجع الى القرن الخامس الهجري كانت من صناعة الأندلس ^(٢) . وفي القرن السادس حفر اسطرلابيو أصفهان امضاءاتهم في النصف الأسفل من الاسطرلاب تحت مربع الظل . وخلال القرن السابع الهجري حفر اسطرلابيو الأندلس امضاءاتهم في وجه الحواصر ، أما اسطرلابيو شمال أفريقيا فقد استمروا في القرن الثامن في حفر امضاءاتهم في النصف الأعلى من الظهر ، كما كان يفعل أساتذتهم الأندلسيون في القرون السابقة . أما عن الأسطرلابيين في مصر والشام وإيران ، فقد كانوا من القلة حتى القرن الثامن بحيث لم نستطع أن نعطي أحكاما

(١) Mayer : Islamic Astrolabists, P. 15.

(٢) تراث العرب العلمى ص ١٣٤ ، P 17 . Mayer .

عامة عنهم ، اذ أنها حالات فردية . وفي عهد الصفويين وخاصة في القرن الحادى عشر الهجرى كثر انتاج الاسطرلابات في ايران ، وأصبحت الامضاءات تكتب في (خرطوش) ونلاحظ في اسطرلابات تلك الفترة أن صانع الاسطرلاب أصبح غير المزخرف ، اذ وجد اسم وامضاء كل منهما محفورا في (خرطوش) خاص به مع مراعاة أن يكون اسم النقاش في (خرطوش) أسفل خرطوش الصانع ، مما أعطانا فكرة عن مركز كل منهما في الحياة الاجتماعية في ذلك العصر .

وكانت القاعدة العامة في كتابة التاريخ على الاسطرلابات أن تكون بحروف الكلم ، فكانت المئات تكتب أولا ثم تأتى العشرات وأخيرا الآحاد ، ويندر أن نجد التاريخ مكتوبا بالأرقام الحسابية كما هو الحال في اسطرلاب (أحمد بن حسين البصو) فقد وجدنا تاريخ سنة ٧٠٩ هـ بالأرقام ^(١) . كما كان التاريخ يكتب بالسنين الهجرية حتى لو لم ينص على ذلك (أى لا يكتب هجريا) . وهناك مجموعة كبيرة من الاسطرلابات الايرانية ، نجد التاريخ « الزيدى » بجانب التاريخ الهجرى ، وكذلك التاريخ السلوقى ^(٢) . ولكننا لم نجد آلة واحدة عليها التاريخ الميلادى سواء أكان بمفرده أو حتى مرافقا للتاريخ الهجرى أو غيره من التواريخ. ويدعو هذا حقا للدهشة وخاصة بالنسبة الى الايلخانين حماة المنجمين والمشتغلين بعلم الفلك ، وكذا بالنسبة لمرصد مراغة ^(٣) .

وكانت الاسطرلابات تصنع في معظم الأحيان بناء عن طلب خاص ، ولكن هذا لا يمنع أن عددا ليس بالقليل كان يصنع للبيع ، ولذلك فقد كانت الحواصر تترك فارغة لكى يوضع فيها اسم المشتري الذى سيقتنها . ولذلك فائنا كثيرا ما نجد خلافا بين التاريخ الذى يسجله الصانع والتاريخ الذى ينقشه المشتري بعد اقتنائه الاسطرلاب . ومن أمثلة ذلك اسطرلاب صنعه (عبد الأئمة الكبير) عليه تاريخ سنة ٩٨٦ هـ ، ومع ذلك نجد عليه اسم الشاه عباس الصفوى ، الذى اعتلى

(١) Mayer : PP. 17 & 18.

(٢) نسبة إلى السلوقيين خلفاء الإسكندر المقدونى الذين حكموا منطقة ما بين النهرين وبلاد

الشام منذ القرن الرابع قبل الميلاد .

(٣) Mayer : P. 18 .

العرش بعد هذا التاريخ بثلاث سنوات سنة ٩٨٩ هـ . وتفسير ذلك بطبيعة الحال ، هو أن (عبد الأئمة) صنع الاسطرلاب في التاريخ الثابت عليه ، ثم أضيف عليه في تاريخ متأخر اسم الشاه عباس ، وفي بعض الأحيان يترك (الخرطوش) أسفل مربع الظل خاليا لكي يضع فيه المشتري اسمه ، ولذلك فانه كثيرا ما يحدث لبس فيما اذا كان الاسم لنقاش أو لصانع الاسطرلاب (انظر اللوحة رقم ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠) .

وتزخر المتاحف ودور العرض والمراصد وغيرها من المؤسسات العلمية بالكثير من الاسطرلابات . ويقول كوركيس عواد ^(١) ، انه على الرغم من أن هذه الآلة الفلكية قد أصبحت في عداد الآثار القديمة ، فاننا نعرف في عصرنا (القرن العشرين) غير واحد ممن يحسن استعمالها ، ونود أن ننوه بوجه خاص بثلاثة من العراقيين الذين يجيدون العمل بها ، وهم الملاحر أفندي وهو أبو بكر من اربيل (المتوفى سنة ١٩٤٢ م) ، والشيخ محمد السماوي في النجف (المتوفى سنة ١٩٥٠ م) والشيخ عبد الحلیم الحافاتي في بغداد (المتوفى سنة ١٩٤٣ م) .

أما عن الكتب والرسائل والمصنفات التي كتبت وألفت في الاسطرلاب فهي كثيرة جدا ولا يتسع المجال لحصرها ، ومنها المخطوط ومنها المطبوع . وقد تفضل الأستاذ كوركيس عواد بجمع عدد كبير من أسماء الكتب والرسائل الموضوعة في الاسطرلاب في مجلة سومر ^(٢) ، لذلك فقد اكتفيت بإضافة أهم أسماء وتراجم الاسطرلابيين الذين لم ترد أسماؤهم في القائمة التي أوردها كوركيس عواد ، وهم:

١ — المروزي : هو أحمد بن عبد الله حبش الحاسب ، ظهر في عصر (المأمون) ولم تكتب عنه المصادر شيئا جديرا بالاعتبار ، ويقول ابن النديم ^(٣) انه جاوز سن المائة قضى معظم أوقاته في المطالعة والبحث في كتب الأقدمين في مختلف الفروع وهو من الذين كتبوا كثيرا في الفلك وآلات الرصد ^(٤) . ويقال انه عمل أول جدول للظل وللظل التام ،

(١) كوركيس عواد : مجلة سومر ص ١٥٦ (المجلد الثالث عشر سنة ١٩٥٧) .

(٢) مجلة سومر ص ١٥٦ ، ص ١٨٧ (المجلد الثالث عشر سنة ١٩٥٧) .

(٣) النهرست ص ٢٨٤ .

(٤) تراث العرب العلمي ص ١٨٥ .

ويوجد هذا الجدول في احدى المخطوطات في برلين ^(١) . وله مؤلفات
فلكية كثيرة هامة منها « كتاب عمل الاسطرلاب » .

٢ — الصاغانى ^(٢) : هو أبو حامد أحمد بن محمد الصاغانى ، اشتهر في صناعة
الاسطرلاب والآلات الرصدية وأتقانها ، كما اشتهر في الهندسة وعلم
الهيئة وهو من الذين عهد اليهم في الرصد في مرصد (شرف الدولة
ابن عضد الدولة) توفي حوالى سنة ٩٨٩ م .

٣ — ابن يونس المصرى : هو على بن عبد الرحمن بن يونس بن عبد الأعلى
الصدفى المصرى كان من مشاهير الرياضيين والفلكيين الذين ظهروا
بعد (البتانى) و (أبى الوفاء البوزجاني) وبعده (سارطون) من
فحول علماء القرن الحادى عشر للميلاد ، وقد يكون أعظم فلكى ظهر
في مصر ، ولد فيها وتوفي بها سنة (٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م) . ويكفى
ابن يونس فخرا أنه هو الذى اخترع الرقاص (بندوق الساعة) وبذلك
يكون قد سبق (غاليليو) في هذا الاختراع بستة قرون ^(٣) . وقد
عرف الفاطميون لابن يونس علمه ونبوغه ، فأجزلوا له العطاء وشجعوه
على متابعة بحوثه في علم الهيئة والرياضيات . وقد بنوا له مرصدا على
(جبل المقطم) وجهازه بكل ما يلزم من الآلات والأدوات .

٤ — البديع الاسطرلابى : هو أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف
الاسطرلابى المعروف بالبديع ، نشأ في اصفهان ثم رحل الى بغداد
حيث اشتغل بالفلك وأصابه منها رزق كثير في عهد الخليفة المسترشد ،
وتوفي سنة ١١٣٩ م . ويقول سارطون « من الثابت أن البديع
الاسطرلابى أعظم معاصريه في انشاء الاسطرلابات ، وأكثرهم بروزا
في صناعة الآلات الفلكية الأخرى » .

(١) Smith : History of Mathematics, vol II, P. 620.

(٢) تراث العرب العلمى ص ٢٦١ .

(٣) قدرى حافظ طوقان ص ٢٧٥ .

٥ — شرف الدين الطوسي : نشأ في مدينة طرس ثم رحل الى الموصل ثم الى دمشق ، يقول (طوقان)^(١) أنه كان موجودا في نيس (سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩) . ويقول ابن أبي أصيبعة^(٢) . كان أوحدا زمانه في الحكمة والعلوم الرياضية وغيرها ، فاضلا في الهندسة ، وليس في زمانه مثله ، ألّف في الجبر والهندسة واليه ينسب اختراع أحد أنواع الاسطرلاب ، كما ألف فيه منها :

(أ) معرفة الاسطرلاب المسطح والعسل به .

(ب) رسالة في الاسطرلاب الخطي .

٦ — ابن البناء المراكشي : هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي وكنى بابن البناء لأن أباه كان بناء ، كما اشتهر بلقب المراكشي لأنه ولد في مراكش (سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) . كان ابن البناء عالما منتجا ومثمرا فقد صنف أكثر من سبعين كتابا ورسالة ضاع معظمها ولم يعثر الا على القليل منها الذي نقل بعضه علماء الافرنج ، وقد تجلّى لهم منها فضل ابن البناء على بعض العلوم التي صنف فيها مثل الحساب والجبر والفلك . ومن مؤلفاته في الفلك^(٣) : (كتاب الاسطرلاب واستعماله) .

٧ — محمد بن أحمد المزي^(٤) : هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد ابن عبد الرحيم المزي . ولد وتعلم في القاهرة على يدي ابن الأفغاني . عمل في دمشق مؤقت في الربوة ثم في المسجد الأموي . ألف كثيرا من الكتب عن الاسطرلاب والأربع ، وكان ربعه يباع بدينارين وأكثر

(١) تراث العرب العلمي ص ٤٠٦ .

(٢) عيون الأبناء في طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٩١ .

(٣) غير الدين الزركلي : الأعلام ج ١ ص ٢١٣ .

(٤) Rep XV (No. 5655) 1955 & Mayer : P. 61 .

أما اسطرلابه فكان يباع بعشرة دنانير وأكثر . مات في دمشق سنة
٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م (انظر لوحة رقم ٧٩) .

٨ — عبد الكريم المصرى الاسطرلابى ^(١) : اشتغل عبد الكريم بصناعة
الاسطرلابات في آخر العصر الأيوبي في عهد الملك الأشرف موسى
وأول سلاطين المماليك الملك المعز ايبك والأمير شهاب الدين .
(انظر لوحة رقم ٨١) .

Lane Poole : Art of the Saracens, P. 213 & Survey, Vol. III, P. 2518 & Rep. (١)

XI 1941. P, 54-

الأسطول
في العصد
الأسلامي

لقد أنشأ المسلمون السفن والشواني وشحنوها بالرجال والسلاح وأمطوها
العساكر والمقاتلة لغزو ما وراء البحر وسموا مجموع السفن أسطولا ، وهو لفظ
يوناني الأصل (Stolos) ثم عرب . وكان الأسطول يطلق أحيانا على المراكب الحربية
المجتمعة ، فقد جاء بهذا المعنى في قصيدة البحترى ^(١) الرائية التي يمدح فيها
أحمد بن الدينار بن عبد الله ، ويصف مركبا كان اتخذده ، وهو والى البحر ، وغزا
فيه بلاد الروم .

غدوت على (الميمون) ^(٢) صبحا وانما
غدا المركب الميمون تحت المظفر
أطل بعطفه ومر كأنما
^(٣) تشوف من هادى حصان مشهر

(١) ديوان البحترى : المجلد الثانى شرح وتعليق حسن كامل الصيرفى ص ٩٨٠ .

(٢) الميمون : اسم أطلقه ابن الدينار على سفينته الحربية .

(٣) تشوف : رفع بصره لينظر باسطقفه كالمستظل من الشمس ، وتشوف تطلع ، واطلع من فوق .

تشوف : نظر وأشرف وتطلع وارتفع .

يسوق أسطولا كأن سفينة

سحائب صيف من جهام ^(١) ومطر

كما يطلق لفظ أسطول على مجموعة السفن أيا كان نوعها ، يقول أمالي المرتضى:

« ذكرني أستاذي عند قراءة شعر البحترى عليه بأصبهان ، أن الأسطول لغة
مصرية ، وهى عندهم عبارة عن جماعة العسكر الذين يتوجهون الى البحر
بحوائجهم فهم بمجموع مراكبهم وحراقاتهم ^(٢) وشباراتهم ^(٣) وتجارهم أسطول .

وأحيانا يطلق الأسطول على مركب حربى واحد ، كما قال صاحب شفاء الخليل:
« والأسطول مركب تهيأ للقتال ونحوه » ، ويورده ابن خلدون فى تاريخه بهذا المعنى
فيقول « وصلة من مرية ^(٤) بعشرة أساطيل » ، « جهاز له مئة وثمانين أسطولا » .
ويطلق لفظ أسطولى على الجندى الذى يعمل فى البحر .

وذكر قدامة « انه كان يجتمع الى مراكب الشام التى كانت تغزو من الثغور
الشامية ، مراكب الشام ومصر من الثمانين الى المائة والغزاة اذا غزوا عليها فى
البحر ، كوثب أصحاب مصر والشام فى العمل على ذلك والتأهب له ، ليجتمع
بجزيرة قبرص ، ويسمى ما يجتمع منها الأسطول ، كما يسمى ما يجتمع من الجيش
فى البر المعسكر » .

ولكل أسطول قائد ورئيس ، يقال له أمير البحر أو والى البحر أو أمير الماء ،
وقد انتقل الاصطلاح الأخير الى اللغات الأفرنجية وعرف عندهم بـ Admiral
أو (Amiral)

(١) جهام : السحاب لاءاء فيه .

(٢) حراقات : جمع حراقة وهى سفن فيها مراى نيران (التاج) .

(٣) الشبارة : نوع من السفن التى تسير فى نهر دجلة وهى تشبه الحراقة عند المصريين .

(٤) مدينة على الساحل الشرقى للأندلس .

ويعرف رئيس الملاحين أو النوتية ^(١) بالربان أو الاشتيام أو الاستيام ، وقد حقق الدكتور زكى المحاسنى هذا اللفظ فقال « ان لفظها فى الأفرنجية (Iethyame) وورد فى معجم (Augé) الفرنسى أن (اشتى) كلمة يونانية معناها المسيح المنقذ Christ Sauveure (وآم) من معانيها الروح والحرارة . وقال الطبرى فى تاريخه سنة ٢٥١ هـ : « ولخمس بقين من صفر دخل من البصرة عشر سفائن بحرية تسمى البوارج فى كل سفينة اشتيام » . وقال امالى المرتضى « والاشتيام : رئيس المركب ، كلمة بنطية . وقال الاشتيام : كلمة لم يذكرها المتقدمون من أهل اللغة ، فاذا سئل من ركب البحر قال : البحريون الذين يسلكون بحر الحجاز يسمون رئيس المركب الاشتيام . فان كانت الكلمة عربية فهى الافتعال من شام البرق لأن رئيس المركب يكون عالماً بشئون البروق والرياح ويعرف من ذلك ما لا يعرفه سواه فكأنه مسمى بالمصدر من اشتام . وفى البحر سمكه تعرف بالاشتيام وهى عظيمة ، ويجوز أن تكون سميت برئيس المركب كأنها رئيسة السمك . واذا أخذ بهذا المعنى فهمة الاشتيام همزة وصل ، واذا كان الاشتيام كلمة أعجمية فهمزته همزة قطع » . وجاءت كلمة الاشتيام فى قصيدة البحترى الرائية بمعنى الربان ورئيس النوتية اذ يقول :

اذا زمجر النوتى فوق علته ^(٢)

رأيت خطيباً فى ذؤابه منبر

يفضون دون الاشتيام عيونهم

وفوق السماط للعظيم المؤتمر

(١) النوق : الملاح الذى يدير السفينة فى البحر . والمركب الملاح أيضاً ، والملاح الذى يل الشراع أما الملاح ككتاب فهى الريح تجرى بها السفينة . ونوق من فات ينوت أى تمايل وقد سمي الملاح نوتياً لأنه يميل مع السفينة من جانب إلى جانب . وهو معرب من الكلمة اللاتينية (Nauta) ومنها اشتقت الكلمة اليونانية (Nafta) والكلمتان الفرنسيتان (Naute) ، (Nautonier) بمعنى بحار وملاح (البحرية المصرية . جميل خانكى ص ١٢) .

(٢) العلة : سندان الحداد ، وأراد به الشاعر البرج وقد اعتلاه ربان السفينة (حاشية ديوان البحترى تحقيق لحسن كامل الصرقى ص ٩٨٠) وجاء فى نهاية الأرب ج ٦ ص ٩٧ ، العلة الموضع الذى يركب فيه الملاح السفينة .

إذا عصفت فيه الجنوب (١) اعتلى لها

جناحا عقاب (٢) في السماء مهجر (٣)

وجاء ذكر رئيس السفينة وربانها باسم الناخذاه وجمعه النواخذة ، مأخوذة من الفارسية (ناو) سفينة (وخذا) سيد (٤) . وجاء في القاموس المحيط النواخذة ملاك سفن البحر أو وكلاؤهم فارسية معربة .

وكانت الوظائف والمهام الملقاة على عاتق الربان كثيرة ومتعددة تتطلب معرفته بعدة ثقافات ، فقد كان عليه تدير جرى الأسطول بالرياح أو المجاديف ، وأن يعرف مسالك البحر ومجاريه بواسطة الرهمانى ، والرهمانى كتاب ارشادات الملاحة ، من رهنامة في الفارسية (نامه) بمعنى كتاب أو قصة و (راه) طريق . ويضم هذا الكتاب جداول فلكية وخطوط العرض ، كما يضم معلومات عن الرياح والسواحل والشعاب ، بل كل ما يحتاج الربان الى معرفته من مد وجزر وخلافه من علوم البحار . وقد ذكر لنا أحمد بن ماجد (٥) أن الذى ألف كتاب رهمانى ثلاثة من الربانة (٦) القدامى ، عاشوا في العصر العباسى وهم محمد بن شاذان ، وسهل بن ابان ، وليث بن كهلان . وقد اعتمد أحمد بن ماجد في تأليف كتابه « الفوائد في أصول علم البحر والقواعد » على نسخة منه ، نسخها حفيد ليث بن كهلان ، فقد جاء في مخطوط ابن ماجد : « وقد رأيت ذلك بخط ولد ولده في رهمانى تاريخه خمسمائة وثمانين سنة » .

وينتقد ابن ماجد كتاب رهمانى فيقول « اعتنوا بتأليف هذا الرهمانى الذى أوله انا فتحنا لك ولم يكن فيه أرجوزة ولا قيد الا فى كتاب ملفق لا له آخر ولا له

(١) الجنوب : الريح التى تهب من الجنوب .

(٢) العقاب : طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى .

(٣) المهجر : الضارب في الهجرة أى شديد الحر

(٤) العرب والملاحة في المحيط الهندى . (هامش ص ١٩٩ العرب يعقوب بكر) .

(٥) انظر المخطوطات المصورة ص ٣٥١ .

(٦) ابن ماجد : الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ورقة (٦) (مخطوطة رقم ٥٧

جغرافياً دار الكتب المصرية) .

صححة ، يزداد فيه وينقص ، وهم مؤلفون لا مصنفون ولم يركبوا البحر الا من سيراف الى مكران . وساروا يسألون عن كل بر أهله ويؤرخون . وكان في زمانهم من المعاملة (كذا) المشهورين عبد العزيز بن أحمد المغربي وموسى القنذراني وميمون بن خليل ، وألف قبلهم أحمد بن بترويه وأخذوا من مؤلفاته وأخذوا الوصف من المعلم خواشیر بن يوسف بن صلاح الدرکی وكان يسافر في عام أربعمائة من الهجرة النبوية (١) وكان في عصرهم من النواخذة المشهورة أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي الفضل بن أبي المعیری .. وغيرهم (٢) ، فيأخذون من كل أحد معرفة بره وبحره ويؤرخونه ، وهم مؤلفون لا مجربون » ثم يضيف ابن ماجد فيقول « ونهاية المتقدم بداية المتأخرين وقد عظمنا علمهم وتأليفهم وجللنا قدرهم رحمة الله عليهم بقولنا انا رابع الثلاثة ، وربما في العلم الذي اخترعناه في البحر ورقة واحدة تقيم في البلاغة والصحة والفائدة والهداية والدلالة بأكثر مما صنفوه » .

وقد بين لنا أحمد بن ماجد في شيء من التفصيل العلوم والثقافات التي يجب أن يلم بها ربان السفينة فيقول (٣) : ان لركوب البحر أسبابا كثيرة فأهمها وأولها معرفة المنازل والأخنان والدير والمسافات والباشيات والقياس والاشارات وحلول الشمس والقمر والرياح ومواسمها . ومواسم البحر وآلات السفينة ، وما يحتاج اليه وما يضرها وما ينفعها وما يضطر اليه في ركوبها . وينبغي أن تعرف المطالع والاستوايات ، وجلسة القياس وترتبه ومطالع النجوم ومغاربها وطولها وعرضها

(١) يرى جورج فاضلوا في كتابه (العرب والملاحة ص ٢٨١) كما يرى سوفاجيه في كتابه :

الإرشاد في البحرية القديمة عن العرب في بحر الهند

(Sauvaget : Sur d'Ancienne instruction nautique Arab, Vol. 236, P. 11, Journal Asiatique 1948).

ان كتاب رهماني كتب قبل احمد بن ماجد ٨٠ هـ سنة . لأنه ألفه سنة ٨٠ هـ . ولكن يخطئ

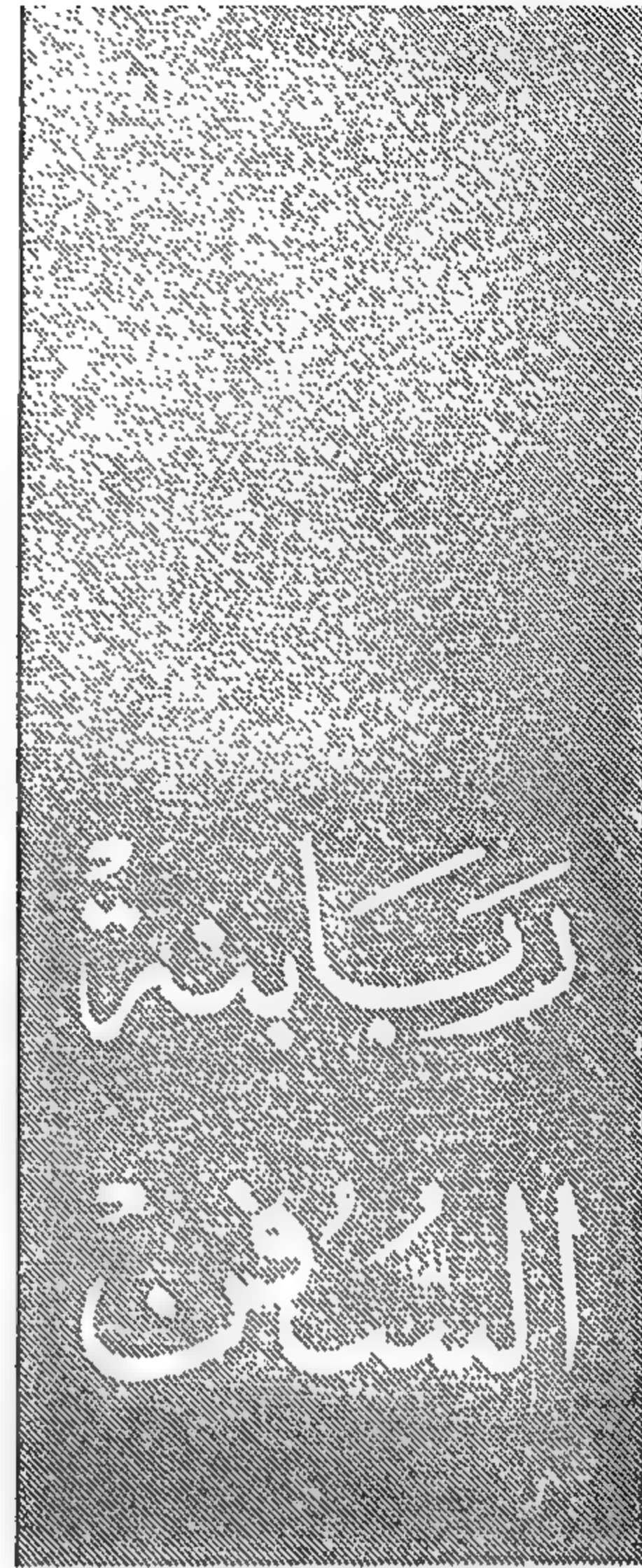
هذا الرأي ما ذكره ابن ماجد من ان مؤلفي كتاب رهماني أخذوا عن المعلم خواشیر بن يوسف بن صلاح الدرکی الذي عاش في عام أربعمائة من الهجرة النبوية .

ويرى هذا الرأي يعقوب بكر معرب (كتاب العرب والملاحة) .

(٢) ابن ماجد ورقة (٧) .

(٣) الفائدة الثانية ورقة (٩) .

وبعدها وممرها . وينبغي أن تعرف الرياح والمد والجزر في كل طريقة ويكمل جميع الآلة ويتفقد في أحضان السفينة وآلاتها ورجالها ولا يشحنها غير العادة ولا يطلع في مركب لا يطاع فيه ولا مركب بغير اعتداد ولا في موسم ضيق . ويحترز من الأخطار في مثل عدة ورجال وغيره . ثم ينصح ابن ماجد ربابنة بحار الهند فيقول « لأن الذي يستقبل الخليج البربرى من باب المندب خارجا للبحر الكبير ان كان لمنار أو الى جوزرات أو الى قلهمات أو الى ظفار أو مكران أو هراميز فلا بد له أن يجعل صدر مركبه أول الليل وأول الموسم بين النسرين (نجمين) وآخر الليل وآخر الموسم الرمانى بين الذراعين ويصير الدقل بين النسرين (١) » .



وكان لربابنة السفن ورؤسائها قوانين ونظم تلزمهم بها عاداتهم البحرية أو مشارفو المرافئ ، وكانت لهم سياسة خاصة في ترتيب السفن ووسقها أو ردها في تفصيل وشرح دقيق يورده أحمد بن ماجد^(١) اذ يقول « فاذا فرغ الربان من معرفة المنازل والأخنان والدير والباشيات والنجوم ومواسمها أخذ يشرع في الاشارات والسياسات وترتيب العسكر لأن ذلك ليس هو بعلم هو لا يتسم لهذا العلم فاعلم وفقك الله اذا عرفت جميع ذلك وأردت الفعل به تماما في السفينة وهي فوق الأرض فاكتب جميع خللها — وقليل في زماننا من يفعل ذلك في الناس — وانما القول على أهل الكمال ليس القول على مفلس جمع نفسه وعرضه بأيسر شيء من الطمع ، واذا ركبت فيها انصب عودا وفيه خرقة درا وحرير وقطن لتعرف الريح به من أى خن وجلس الحققة في مكانها وتفقد كل التفقد ، أولا في نصب الحققة ، لأن من المراكب ما يكون تجارته خلا فيعدى بك عن مجراك ، فاستدراك الأمر بأوله ، وتأمل الجاه بالليل ، وحطه في مكان يوافق المكان الذي حكمت عليه

(١) الفائدة الثانية ورقة (٦٢ ، ٦٣) .

بالحقة بالنهار حتى لا يكون بالنهار مجرى والليل مجرى ويطول الطريق ، فحكم جميع ذلك أول سفرك فما تنفع الندامة آخر السفر وتنخات القبيحة . وتفقد جميع الركاب والعسكر ، وتأمل نهوضهم لتكون عارفا بهم عند الشر ، وأعمل خلاصك واسمع جميع أقوالهم وخذ مليحها ودع قبيحها وكن حازما قويا في قولك لين الطبيعة ، ولا تصحب من لا يطيعك فيما يعنيك ، فلم تجده لك في الشدائد شريكا الا الأشرار ، وكن شجاعا (كذا) بأس ، قليل الغفلة كثير الهمة كثير الصبر والاحتمال ، تقيا لا تظلم أحدا لأحد وتأمل جميع الآلات خصوصا في السكان في كل حين وساعة وتأمل بحسن النبأ المستقبل ، لا يغمك التعب الذي أنت فيه فانه منسى ، ولا تتم الا بقدر ما يدفع عنك السنة والسهر وعندما ترقد لا تغلى المسكن وحده وحارب النوم الحرب الكلى . ولا ترى خلا في السفينة وتهمله الى وقت آخر الا عند الضرورة أشد مما أبت فيها . وحدد الموسم ، واختصر الشحنة وأحسن حساب الحازمين العارفين الخير والشر . فان قصرت في شيء من ذلك فلا تلومن الا نفسك فان أدركك أعظم درك من جميع من ركب البحر فان فعلت جميع ما أمرتك به وأخطأت فأنا الملموم حيا وميتا ، وأما القضاء والقدر فهو غالب لأنه من الله تعالى . وقد قيدوا ذلك بقيدين جميع ما يخشى يذم عليه الانسان الا القضاء والقدر فلا حيلة له فيه بل يتلقاه بالدعاء فيصلحان الى يوم القيامة فآثروا من الدعاء لأنه ما هلك معه أحد وقال سبحانه وتعالى : « ادعوني أستجب لكم » . ولا تتركوا حزب البحر وعدة الحصن الحصين عليك عند الكرب بقوله « لا اله الا الله العظيم الجليل لا اله الا الله رب العرش العظيم » .

ولم تكتف البحرية المصرية في العصر المملوكى على مجرد تصنيف المؤلفات في ارشاد وتنبيه الربان ، بل أوردت كذلك الأسفار الطوال لبيان ما يجب على الربان أن يعرفه حق المعرفة وما يجب أن يتبعه ويعمل به ، ومن المراجع الهامة في هذا الموضوع كتاب « الأحكام المملوكية والضوابط الناموسية في فن القتال في البحر » للفاضل محمد بن منكلى الذى كان ثقيبا على الجيش في عهد السلطان الأشرف شعبان (٧٦٤ — ٨٧٨ هـ) . فهو ينصح الربان باختيار الوقت المناسب في البدء في صناعة السفينة وذلك اعتمادا على معرفته بعلم الفلك الذى يساعده

على اختيار الطالع السعيد فيقول (١) « وما جرب وفق اثنين وثلاثين اذا وضع والشمس في أول درجة من الحمل ومن الثور أو في الحادية عشرة من الجوزاء أو الخامسة من السرطان أو في الرابعة عشرة من الأسد أو في الثالثة عشرة من السنبلة أو في الاثنتين والعشرين من الميزان أو في الثالثة عشرة من العقرب أو في التاسعة عشرة من القوس أو في الثامنة عشرة من الجدى أو السادسة من الدلو وفي الخامسة من الحوت » . ويضيف « وذلك أن أكثر الاعتماد في الأسفار في البحر على الطالع الذى به ابتداء انشاء السفينة ، فانه دال على ثباتها وسلامة ركاها . وسمعت من الثقات يقول بعضهم (وعانيت سفنا سافرت عشرين سنة في البحر ولم يصب أحد من ركاها ولا جرى عليها مخوف . وسفنا عدة لا يزال ركاها يصابون بالرياح ولقاء العدو ونحو ذلك) . فينبغى الاحتراز في اختيار وقت انشاء السفينة فانه أصل قوى وهو اذا أردت أن تعمل سفينة فليكن ابتداء عمل ذلك والمشتري والزهرة في الوند الرابع ينظرون الى القمر والطالع . وأجوده أن يكون المشتري والزهرة في الوند الرابع في برج من أجناس الماء وأفضل ما يكون ذلك والقمر والثور أو في الجوزاء أو في السرطان أو في السنبلة أو في القوس أو في آخر درجات الجدى . ولكن أفضل البروج الثور ثم السمكة ثم الجوزاء ثم آخر درجات الجدى . وليكن مع ذلك الشمس في مثلثة السمود والقمر زائد في الحساب والضوء والعرض والطول ينظر الى آخر السعود ، وأحذر أن يكون المريخ ينظر الى الطالع والى القمر » .

فاذا تم صنع السفينة فيجب أن يختار كذلك الوقت الذى تطرح فيه في الماء ، ويقول في ذلك « وليكن ضريح السفينة في الماء والشمس والقمر خاليان من النحوس، والمشتري بربع القمر ، والزهرة مع المشتري اذ نظرت هي القمر فانه أفضل وأجود . وينبغى أن يكون القمر والزهرة تحت الشعاع وان نظرت الزهرة والمشتري الى الشمس والقمر مع عطارده فهو أفضل ما يعمل لطرح السفينة في الماء . ويجب وقت السفر والاقلاع أن يكون القمر في برج مائى ، وتكون البروج المائية خالية من النحوس والقمر مسعود . ويجوز السفر والاقلاع اذا كان القمر في

(١) المخطوطات المصورة ص ٣٦٢ الباب الثالث ورقة (١٠) .

العقرب ، وقد أقلعت سفينة في هذا الوقت أعن والقمر في العقرب فقال شخص لأصحابه ممن عنده علم بهذه الصناعة : « أن القوم هالكون فما مضت مدة يسيرة حتى كان ما قيل » . ثم يستشهد بما قاله قاضى القضاة في هذا الموضوع فيقول : « نهى قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة في كتابه « مناسك الحج » عن السفن والقمر في العقرب ^(١) » .

ثم أفرد بابا خاصا بالأطعمة والأشربة التى يجب أن يتناولها راكب البحر قبل الرحيل وأثناء السفر حتى لا تضار صحته جاء فيه « في ذكر ما يفعله ويتزود به راكب البحر من الأغذية والأشربة لدفع الميـد والعمدة من ذلك تقليل الغذاء بحيث لا يتضرر الانسان به ويكون قبل ركوب البحر بأيام ليقل الخلط ويكثر نشاطه . وينبغى أن يكون عند ركوب البحر ممتلئا من الطعام ، فانه اذا حصل له القيء كان في معدته ما يستفرغه ، وقد أخبر من فعل ذلك ، وانتفع به ، ثم يقلل الغذاء بعد ذلك » . ويقول المؤلف « هذه الوصية نافعة لكن لا تصلح للقدافين ولا لمسك الدقل ، فانه لا غنى للقذاف ، اذا كان ممن يعتريه الميـد والغثيان فانه لا يصلح لهذه الوظيفة .

وكانت للملاحة في العصور الوسطى نظم وقوانين يجب على الربان مراعاتها والعمل بها في وقت الحرب والسلام على السواء ، فقد أصدر السلطان ^(٢) محمود شاه ، سلطان (ملقا) في القرن الثالث عشر الميلادى قانونا يحول دون المنازعات والمنافسات التى تقع بين الملاحين والربانية وكان هذا القانون يحتم على المعلم (الربان كما كان يسمى في بحر الهند) الذى يضل مركبه وينكسر من جراء اهماله وتقصيره أن ينتحر ^(٣) ان لم تتدراكه عناية الله . واذا أصابه حادث أثناء سفره فعندما يعود الى وطنه ويلقى مرساته يحسن الى الفقراء ويتصدق على المساكين . ويجب عليه أن يلاحظ في البر والبحر الرياح والصخور الناتئة والتيارات ، ومسير القمر والنجوم ، وأقسام السنة والرياح الهندية ، والخلجان

(١) ورقة ١٣ .

(٢) محمد ياسين الحموى : تاريخ الأسطول العربى ص ١٠٧ .

(٣) ما يزال هذا التقليد معمولا به حتى الآن .

والشواطىء والرءوس والجزر ، وسلاسل الأحجار والمضايق والشواطىء الصحراوية ، والجبال والهضاب ، فيجب أن يعرف دقائق هذه الأمور ليكون المركب بمأمن من الأخطار فى البحر كما لو كان على البر ، وليكون المعلم معصوما من الخطأ ، ولا ينسى الاستعانة بالله ورسوله ليكون محفوظا من كل خطر . والمعلم كالإمام تلك ارادة القانون واذا أراد أن يترك السفينة فى أى مكان كان ، فلا يستطيع ذلك كما تقضى التقاليد .

أما القوانين التى كان على الربان اتباعها فى الحروب البحرية ، فقد أورد لنا المقرئزى (١) وصفا دقيقا لها فى العصر المملوكى جاء فيه « أما الحروب البحرية بين السفن فكان لها قوانين فى دولة المماليك البرجية والبحرية فى مصر منها ، انه اذا كانت الحرب بين الشوانى وبين البطس والمسطحات فانهم لا يأتون بالشوانى ولا بالمراكب الصغيرة خلف البطس والمسطحات لئلا تغرق فى وادىها ، ولا يأتون بها من جانبها فانها لا يمكنها الالتصاق بها بل تقابلها عن بعد وتشطحها بالفأس الذى يقال له اللجام فيدخل عند الحرب فى اسطام المركب وهى الخشبة التى فى مقدم الشين . واذا أمكنتهم الفرصة تأخروا به قليلا ثم قذفوا قذفة واحدة قوية فينطح المركب ويدخل الماء فيه ، واذا كانت الحرب بين الشوانى وبعضها تقرب الشينى من الشينى ، فتوقفه ثم يطرح الألواح بينها كالجسر ويدخلون اليه ويقاثلون . وكانت المراكب الكبار اذ سكنت الريح عنها ، جذبتها الشوانى الى موضع القتال وكان الأصل عندهم فى قتال البحر هو معرفة الرياح ، فكانوا يحركون المراكب بالأرجل حتى يتقدم مركب خصمه أو يعلو عليها فوق مهب الريح » (انظر لوحة رقم ٤٤ ، ٣٨ ، ٤٩) .

ويقول الحسن بن عبد الله (٢) عن الحرب البحرية « ان الحرب فى البحر شديدة صعبة عسرة لأمور منها ، أن المجال ضيق ولا تكاد السهام والأحجار تخطىء ، وكل رشق ينكى ، ومنها اختلاف الرياح بما يضر أو ينكوتها عند وقت الحاجة اليها ، ومنها أنه لا يمكن فيه الهرب والفرار ان اقتضت المصلحة ذلك ولا الاستتار . وقد مثل العرب حرب البر وحرب البحر بالشطرنج والنرد ، فقد

(١) المقرئزى ج ١ ص ٤٣٨ .

(٢) آثار الأول فى ترتيب الدول ص ١٦٥ .

قالوا نقلا عن أحد حكماء الفرس : ان الشطرنج وضع فيمثل حرب البر ، والنرد وضع لتمثيل حرب البحر ، فصاحب النرد وان وضع المعارك في الموضع الجيد وأحرز ، فاذا جاءت الفصوص بما لا يوافق الغرض لم ينتفع باحترازه وبطل عليه تديره كاختلاف الريح واضطراب البحر .

وقد بين لنا المقرئى (١) الواجبات التى يجب على الربان اتباعها قبل انزال الأسطول البحر لخوض المعارك البحرية « وكان على والى حرب البحر اذا خرج للقتال أن يستجيد المراكب ويستجدها ، ويكثر تقويتها وادخار آلاتها ، حتى اذا تلف شيء من ذلك وجد ما يخلفه ، ويحتاط في تغييرها ، وأحكام ما يلقى الماء منها فانه الأصل الذى يعول عليه ، ويتخير القواد والرؤساء العارفين بمسالك البحر ومراسيه ، وعلامات الريح ، وتغييرات الأنواء والحركات البحرية من المد والجزر وكان من واجباته وقت الحرب ألا يهجم على المراسى لئلا تكون مراكب العدو بها كامنة . ولا يتقدم الى البر الا بعد المعرفة ، والاحراز من الأحجار والشعاب والأحراش التى تنكسر عليها المراكب . ويكثر من الماء والزاد ليستظهر على طول المدة ان دعت الحاجة اليه كادخار أصحاب الصحون ، وان كان القتال قرب البر والسواحل والجزائر فيجعل عيونه وطلأعه على الجبال فيتأهب لذلك . وبفعل مقدم المركب من تأليفه أصحابه ووعدهم واستمالتهم وتحريضهم قبل الحرب كما يفعل والى البر وأبلغ من ذلك ، لأن هذا لا منجى منه ولا مخلص الا بصدق القتال أما كاسرا أو مكسورا .

ويقول ابن خلدون (٢) عن الربان وقائد الأسطول ما يلى : « قيادة الأساطيل من مراتب الدولة وخططها في ملك المغرب وأفريقية ، ومرءوسه لصاحب السيف ، وتحت حكمه في كثير من الأحوال ، ويسمى صاحبها في عرفهم (الملند) بتفخيم اللام منقولاً عن لغة الافرنجة فانه في اصطلاح لغتهم » . ثم يشرح ابن خلدون مهمة الربان وأعباء وظيفته فيقول « كان يطلق على وزير البحر (مقدم الأسطول) في دولة بنى الأغلب ، وكانت أساطيلها مجتمعة من سائر الممالك من كل بلد تتخذ

(١) المقرئى ج ٢ ص ١٩٧ .

(٢) المقدمة ص ٢٨١ .

منه السفن أسطول يرجع نظره الى قائد من النوتية يدبر أمر حربه ، وسلاحه ومقاتلته ، ورئيس يدبر أمر خبرته بالريح أو بالمجاديف ، وأمر ارسائه في مرفئه فاذا اجتمعت الأساطيل لغزو محتفل ، أو عرض سلطاني مهم عسكرت بمرفئها المعلوم ، وشحنها السلطان برجاله ، وانجاد عسكره ومواليه ، وجعلهم لنظر أمير واحد من أعلى طبقات أهل مملكته . يرجعون كلهم اليه ، ثم يسرحهم لوجهتهم وينتظر اياهم بالفتح والغنيمة .

ولما زادت أهمية الأسطول الاسلامي ابان الحروب الصليبية ، أصبح من وظائف المحتسب في ذلك العهد مراقبة السفن والأسطول قبل شحنه ووسعه وله أن يتصدى لربان الأسطول ولرؤساء السفن فقد جاء في معالم القرية في أحكام ^(١) الحسبة « يؤخذ على أصحاب السفن والمراكب ألا يحملوها فوق العادة خوف الغرق وكذلك يمنعهم من السير وقت هبوب الرياح واشتدادها ، واذا حملوا فيها النسوان مع الرجال حجبوا بينهما بعائل » ويقول المقرئ ^(٢) « المحتسب له نواب يلزمون رؤساء المراكب ألا يحملوا أكثر من وسق السلامة » .

ومن الوظائف الهامة في البحرية التي تلى الربان في الأهمية وظيفة الديدبان وهو الرقيب الذي يقف في مقدمة السفينة يستطلع أحوال البحر في حالة السلم وأخبار العدو في وقت الحرب . ثم المنادى ومهمته تبليغ أوامر الربان الى الملاحين والنوتية بصوته الحاد المرتفع . ومن الوظائف التي لا يستهان بها كذلك بالنسبة للسفن والأساطيل ، هو (القلاووز) ^(٣) وهو الدليل الذي يرشد السفن عند دخول الموانئ أو عند المرور على السواحل الخطرة أو المضائق الصعبة وأرباب هذه الوظائف يكونون في العادة عارفين بفنون الملاحة لتسير السفن وواقفين على تأثير الرياح ومجاري المياه والتيارات مطلعين على الحسابات الفلكية وغيرها عالمين بطرق سير المراكب وواقفين على أحوال السواحل والثغور ومسالك الموانئ ومواقع الصخور المائية والمياه الضحلة . وكانت السفن في العصور القديمة لا تسير

(١) ابن الإخوة : معالم القرية في أحكام الحسبة ص ١١٣

(٢) الخطط والآثار ج ٣ ص ٢٩٥ .

(٣) سرهنك ج ٢ ص ٣٩ هامش .

بدون (القلاووزة) لأنهم كانوا ملاحين خيرين بأحوال المد والجزر والرياح مما يعين السفن على السير ، ولذلك فانه يتحتم على كل أسطول أن يصطحب معه (القلاووزة) مهما كان ربانه حاذقا عارفا خيرا بأمور البحر ، هذا بالإضافة الى أنه كثيرا ما كان يعهد لقواد البر أو الأمراء بالرياسة على المراكب الحربية فكانت القوانين تقضى باستخدام (القلاووزة) . وفرضت لهم مرتبات مخصوصة وقضت بأنه عندما يكون القلاووز مشغلا بتسيير السفينة يكون رؤساء السفن عبارة عن قواد أو مديرين تتعلق بهم ادارة السفن فقط .

كما كان لابد للربان أن يصحب معه في حالة الحرب ، قائدا أو رئيسا يتولى قيادة الجنود اذا ما انتقل ميدان الحرب من البحر الى البر ، وكثيرا ما يحدث . وقد أعطانا لاجين الحسامى المعروف بالطرابلسى المتوفى سنة ٧٣٨ هـ — وكان يشغل وظيفة مقدم الممالك السلطانية الملكية الظاهرية — وصفا كاملا عن تشكيلات الجيش المختلفة في ميدان القتال . ولعل أهم ما جاء في هذا الوصف هو الرسوم التوضيحية ، التى وضعت المتن وجعلت الفكرة أتم ، فقد جاء في كتابه « تحفة المجاهدين في العمل في الميادين »^(١) ما يلى : « أن يتفرق^(٢) الفرسان صفا واحدا والمقدمان في وسطهم وأن يكونا فارسين عارفين ثم يسوقون مقرنين ميدانين بتثقل حربى ، فاذا وصلوا الى رأس الميدان يردون ويقفون ثم بعد ذلك يخرج المقدمان يدور كل منهم على أصحابه تابعونه . ويخرج المقدمان من وسط جفثاه ويقطعون قطارين وكل ينظر الى غريمه يفعلون ذلك مرتين (انظر شكل ٤٣) ثم بعد ذلك اذا وصلوا الى رأس الميدان يرد المقدمان الى برا وأصحابهم متتابعون، يفعلون ذلك مرتين (انظر شكل ٤٤) . فاذا فعلوا ذلك يتموا سابقين قطارين . فاذا وصلوا رأس الميدان يرد المقدمان من جوا وأصحابهم متتابعون بعضهم بعضا يفعلون ذلك مرتين (انظر شكل ٤٥) . ثم يسوقون قطارين واذا وصلوا الى رأس الميدان يرد المقدمان أحدهما من جوا والآخر من برا على غريمه وكل ينظر الى غريمه (انظر شكل ٤٦) . ثم يسوقون^(٣) قطارين الى رأس الميدان

(١) مخطوط بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية . (مصورة رقم ٩٠٢) (ف) .

(٢) ورقة رقم (٣) .

(٣) ورقة رقم (٤) .

يوسع المقدمان بينهم ويقصدون جوانب الميدان الواحد من جوا والآخر من برا
يميناً وشمالاً ويتقابلون بالطعن والتبديل وكل ينظر الى غريمه حتى يصرون حلقة
في حلقة يترجل أحد المقدمين عن فرسه في الوسط وعينه الى غريمه وأصحابه
المدورون عليه الأول وهم دايمون لا يخرج أحداً (كذا) عن أحد (انظر
شكل ٤٧) .

فإذا جاء دور المباراة ^(١) ، يتفرق الصفان من وسط الميدان ويطلب كل صف
رأس الميدان ويردون ويقفون وينظر كل واحد الى غريمه ثم يخرج المقدمان وكل
يطلب الآخر مبارزين وسط الميدان ويدوران خلفه ، ويتطاعنان ويرجع كل واحد
الى أصحابه يدور عليهم ويقف مكانه ويخرج الجميع واحداً بعد واحد الى أن
يفرغ الجميع ، يفعلون ذلك مرتين (انظر شكل ٤٨) . فإذا ^(٢) انتهوا في المباراة
وقفوا على ترتيبهم ثم يسوقون على بعضهم البعض وكل ينظر الى رأس غريمه
ثم يرجعون الى أن يتوسطوا الميدان وهم مقرنصون الرماح ، فإذا تقاربوا ركزوا
رماحهم وخدم بعضهم بعضاً ثم يخرج أحد المقدمين يفعل قطارا ويدور جوانب
الميدان وأصحابه متتابعون ، والمقدم الآخر تابع صاحبه الى أن يصلوا الى رأس
الميدان (انظر شكل ٤٩) . ثم يرد على رأس رمحه ويقف ويأخذ أصحابه الى
جانبه صفاً بعد أن يدوروا عليه حلقة ، والمقدم الآخر بجانب رفيقه يفعل بأصحابه
كما فعل الأول ، ويصفون صفاً واحداً كما كانوا في الابتداء ثم ينصب لهم
برجاس ^(٣) على هذه الصورة ويخرج كل مقدم وأصحابه طاعنين البرجاس
واحداً بعد واحد الى أن يفرغ الجميع بعد أن يتفرق الفرسان صفين سواء
يميناً وشمالاً ، والبرجاس في الوسط يبرزون اليه بالنوبة فارساً على هذا الترتيب
وهذا صفته ترتيب الصفين (انظر شكل ٥٠) .

أما عن ^(٤) ترتيب الجند في الميدان فله أشكال عدة ولكل منها اسم خاص ،
منها أن يخرج مقدمان قطارين في جوانب الميدان ، ويفعلون ترتيب القرقورة ^(٥)

(١) ورقة رقم (٧) .

(٢) ورقة رقم (٨) .

(٣) ورقة رقم (٩) .

(٤) ورقة رقم (١٠) .

(٥) ورقة رقم (١١) .

(انظر شكل ٥١) . أو يترتبون صفة البقجة (انظر شكل ٥٢) أو يفعلون ميدان الطير^(١) ويسوقون يمينا وشمالا والى بحرى (انظر شكل ٥٣) : ثم يقفون صفين والمقدمان على الرؤوس ويدور الصف الأول حلقة والثاني عليه من برا صفة الهلال يترتبون ثم يدخل مقدمان وسط الحلقة يلعبون البنود والتساريح ثم يخرجون ويدخل غيرهم وهذا يختص بالمعلمين دون غيرهم (انظر شكل ٥٤) ، ثم يصف الفرسان لدخول البتية (انظر شكل ٥٥)^(٢) . وقد أخذت ميادين القتال في العصر المملوكى أسماء عدة ، كانت في معظم الأحيان تمثل الشكل الذى اتخذته الجنود فيه ، مثل ميدان الغراب (انظر شكل ٥٦) والحلقة المشقوقة (شكل ٥٧)^(٣) ثم ترتيب الصفوف وسط الميدان (شكل ٥٨) والدر المنشور (شكل ٥٩)^(٤) . والدر المنظوم (شكل ٦٠)^(٥) الكلاب المربع المزدوج (شكل ٦١) .

وفي الجيوش الحديثة ينظم الجنود في الميدان على أشكال ثلاثة ، الأول على شكل حرف (T) والثاني على شكل هلال والثالث على شكل رأس السهم . والواقع أن هذه التشكيلات الثلاث استخدمها العرب منذ عهد بعيد يرجع على أقل تقدير الى القرن الثانى الهجرى ، فقد أوردها الهرثمى وهو من رجال الحرب في ذلك القرن في كتاب له اسمه « مختصر في سياسة الحروب »^(٥) قال ان تشكيلات الجيوش في عهده كانت ثلاثة أنواع وسماها صفوفاً . الصف المستوى ، وهو الذى يكون فيه الجناحان والقلب في خط مستقيم ، وهذا أوفق الصفوف (أى التشكيلات) وأنسبها للعرب ، ولم يذكر فيه قوات الاحتياطية خلفية ، كالتشكيل الحديث وانما تقف فيه القوات بعضها بجانب بعض (انظر شكل ٦٢) وهو يشبه حرف (T) .

(١) ورقة رقم (١٢) .

(٢) ورقة رقم (١٣) .

(٣) ورقة رقم (١٤) .

(٤) ورقة رقم (١٥) .

(٥) ورقة رقم (١٦) .

(٦) مختصر في سياسة الحروب ، (مخطوطة مصورة بالجامعة العربية رقم (ف ٨٤٤) .

أما الصف الثاني فهو الهلالي ، وهو خارج الجناحين داخل الصدر ، وهو أوثق للقلب وأضعف للجناحين ، ولذا كانوا يصيرون مع كل طرف من الجناحين الخارجين كردوسا ^(١) من الخيل المقوية له تساعد وتحميه وهو يشبه شكل الهلال.

والصف الثالث هو المعروف باسم الصف المعطوف ، وهو الداخل الجناحين الخارج القلب ، وهو أضعف للقلب وأقوى للجناحين ، وهو يشبه ما يعرف الآن باسم رأس السهم وكان العرب يكرهون تشكيل جيوشهم بهذه الطريقة ولا يتخذونه الا عن ضرورة . وفي هذا النظام يجعلون أهل البأس والنجدة في الميمنة والميسرة ليكون ذلك تقوية للقلب فان لم يكن ذلك عمدوا الى تقوية القلب بكردوسين من الخيل ، بحيث يكونان أمامه قليلا ، يردان عنه أى هجوم . وكان يخصص في مؤخرة كل تشكيل من هذه التشكيلات مكان للأمتعة ومكان للصلاة عليها حراس أشداء في العدة والسلاح . وجماعة من الفرسان لافتراض غرة العدو أو سد الخلل ان كان عند الجولة .

وكان لأخذ الجيش الاسلامي بنظام (الصف) فوائد شتى ، حتى اعتبره كثير من مؤرخي العصور الوسطى من جملة أسباب انتصار المسلمين في العهد الاسلامي الأول ، وقد لخص ابن خلدون ^(٢) فوائد هذا التشكيل الذي أطلق عليه العرب اسم الصف في نقاط ثلاث وهي « تكون الصفوف أثبت عند المصارع وأصدق في القتال ، كما أنها أرهب للعدو لأنه كالحائط الممتد والقصر المشيد الذي لا يطمع في ازالته ، على أن المقصود من تنظيم الجيش بطريقة الصف حفظ النظام » .

ويقول جرجى زيدان ^(٣) ، « وبعد رسوخ المسلمين في المدينة تفننوا في تعبئة الجيوش بما اقتبسوه من فنون الحرب عند القدماء اذ تعددت ضروب التعبئة عندهم حتى صارت سبع تعبئات » . ويقتضى تنظيمها الى انفتاح الوحدات عن بعضها ولذا أطلق عليه اسم نظام الانفتاحات ^(٤) .

(١) ما يزال هذا التقليد معمولا به حتى الآن .

(٢) المقدمة ص ٣١٩ .

(٣) تاريخ التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٥٠ .

(٤) نعمان ثابت : الهندية في الدولة العباسية ص ٢٥٩ (المجلة العسكرية ج ١ ص ٤٩) .

وقد فصل جرجى زيدان هذه التعبّات السبع فقال « التعبّة الأولى أن ترتب الجيوش بشكل الهلال ، قالوا ان الفرس المتقدمين ذكروه وهو نوعان : الهلال المرسل أو الحاد وهو البسيط مثل هلال السماء والهلال المركب وهو أن يكون الى جانبي الهلال شبه هلالين كأنهما جناحان وهي التعبية الثانية والتعبية الثالثة المربع والتعبية الرابعة الهلال المقلوب . والخامسة أن ينظم الجيش في شكل المعين أو المربع المنحرف . والسادسة المثلث والسابعة الدائرة المزدوجة وهي دائرتان أحدهما داخل الأخرى ، وكانوا يعمدون الى هذا الضرب من التعبية اذا كان جندهم قليلا وجند عدوهم كثيرا ، وهو يشبه آخر ما بلغ اليه المتمدنون من التفنن في التعبية ونعنى به مربع نابليون بونابرت الذي دوخ به الممالك . فكان المسلمون اذا عبثوا الجيش الى الحرب نظموا إما كراديس أو مربعات أو مثلثات أو جعلوا بعضه كراديس وبعضه مربعا أو هلاليا أو معينا أو مثلثا على ما تقتضيه الأحوال . ولم يكتف المسلمون بوضع نظام لتشكيلات الجيش العام ، بل وضعوا نظاما للوحدات الصغيرة مثل الزمرة ، والجماعة ، والفصيلة والسرية . وقد أوضح ذلك القاضي (١) أحمد بن محمد الحموي في كتابه « النغمات المسكية في صناعة الفروسية » بالنسبة للتشكيلات الصغيرة فقال « وان أردت أن ترتب خمسة نفر فعلى هذا الترتيب :

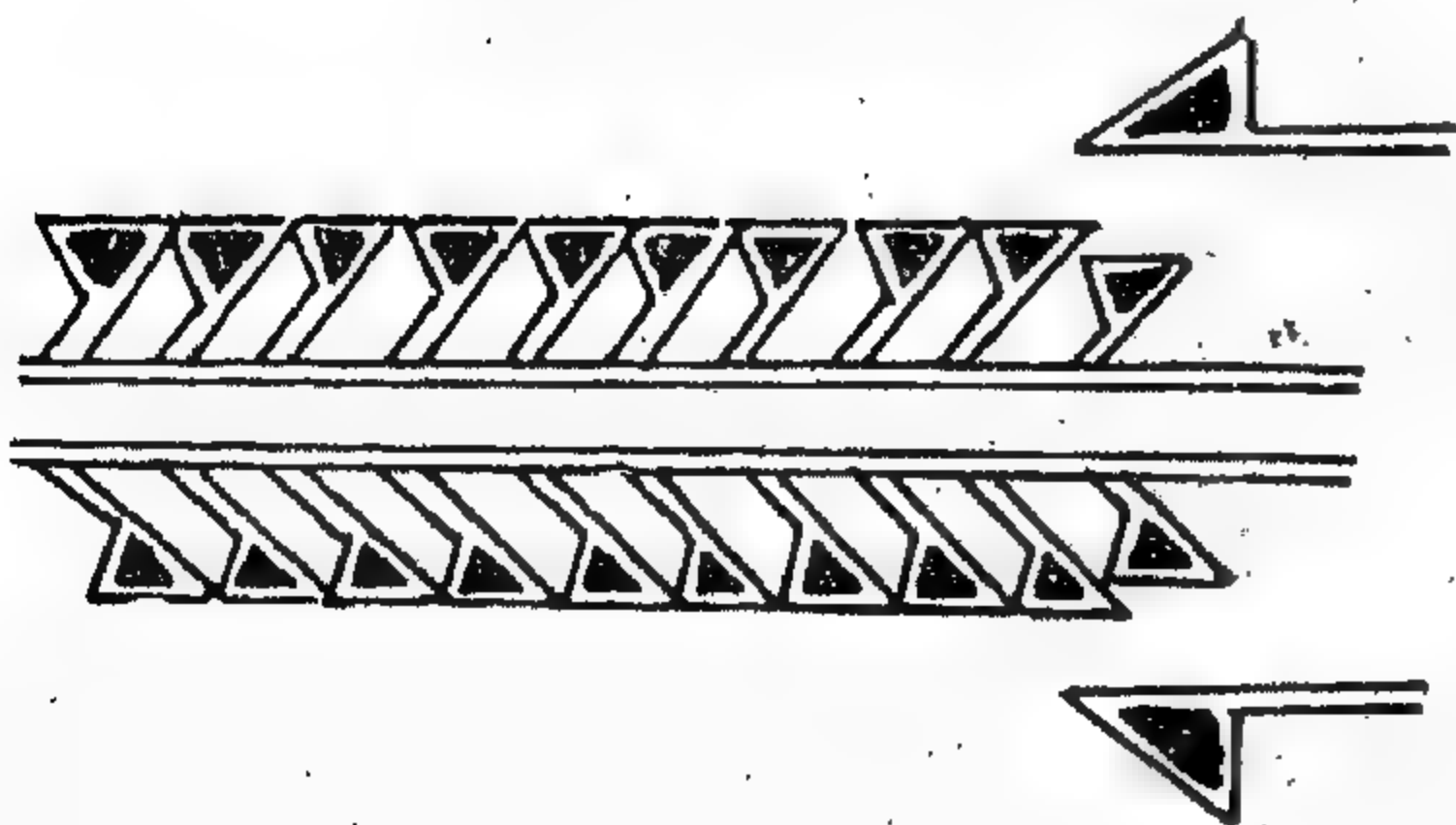
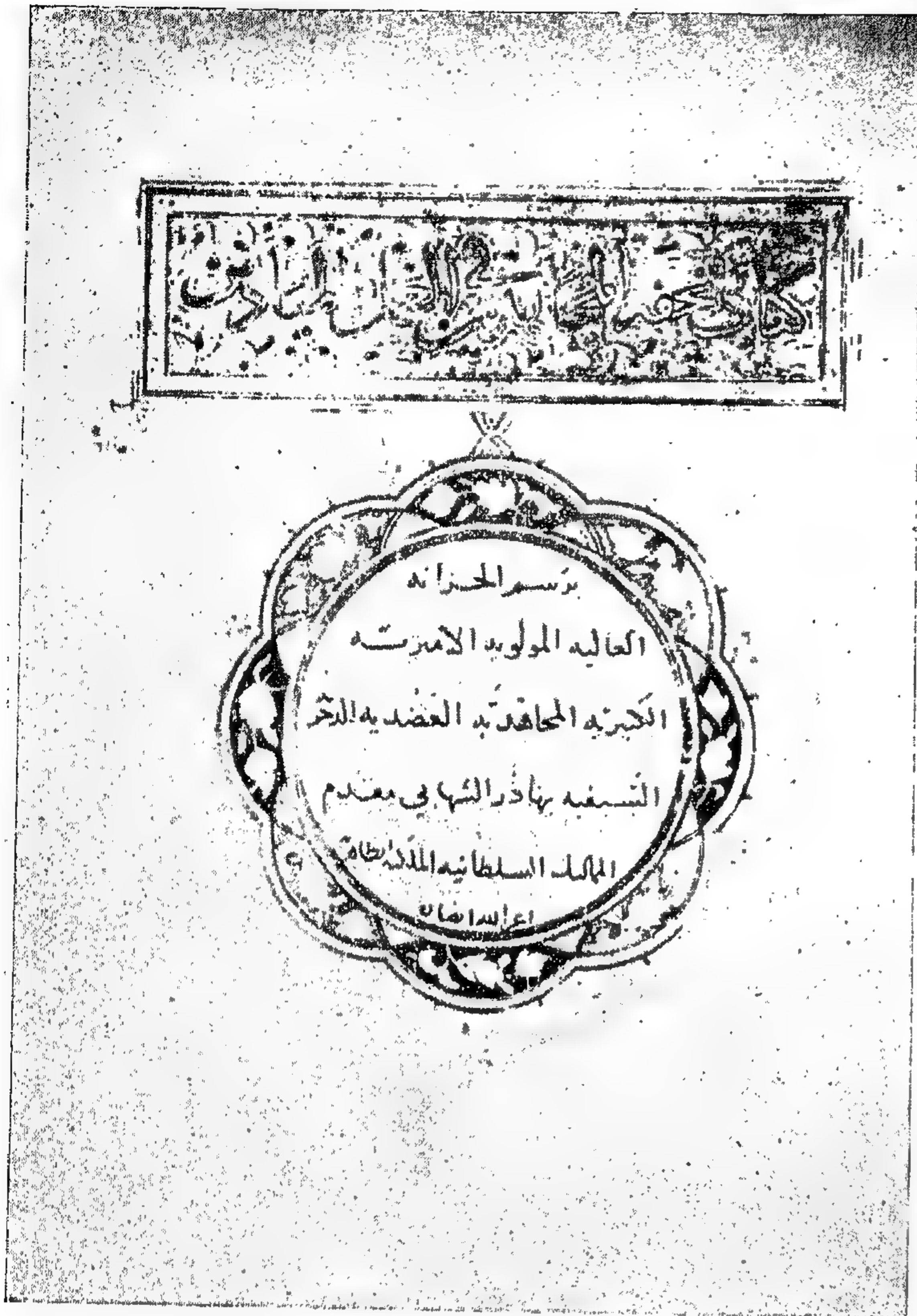
وهي تشكيلة تشبه تشكيلة مثلث القاعدة الى الأمام . أما الجماعة التي يبلغ عدد أفرادها تسعة رجال فتشكل على مثلث الى الأمام . كما تسمى حاليا . أما الفصيلة التي يبلغ عدد أفرادها نحو عشرين رجلا فتشكل على شبه المنحرف القاعدة الكبرى الى الأمام . وذكر الحموي تحت اسم (الوقفة الوقفية) تشكيلة تصلح لسرية (٢) ، وذلك بقوله (٣) « وكان ملوك الاسلام قديما يعتمدون عليها ، جملة رجالها أو فرسانها خمسة وأربعون . فليتقدم بحول الله وقوته فارس واحد ثم بعده فارسان على شماله . ثم يتقدم ثلاثة على يساره ثم أربعة على

(١) النغمات المسكية في صناعة الفروسية ص ٨٩ .

(٢) احسان هندي : الحياة العسكرية عند العرب ص ٢٥٦ .

(٣) القاضي الحموي ص ٨٩ .

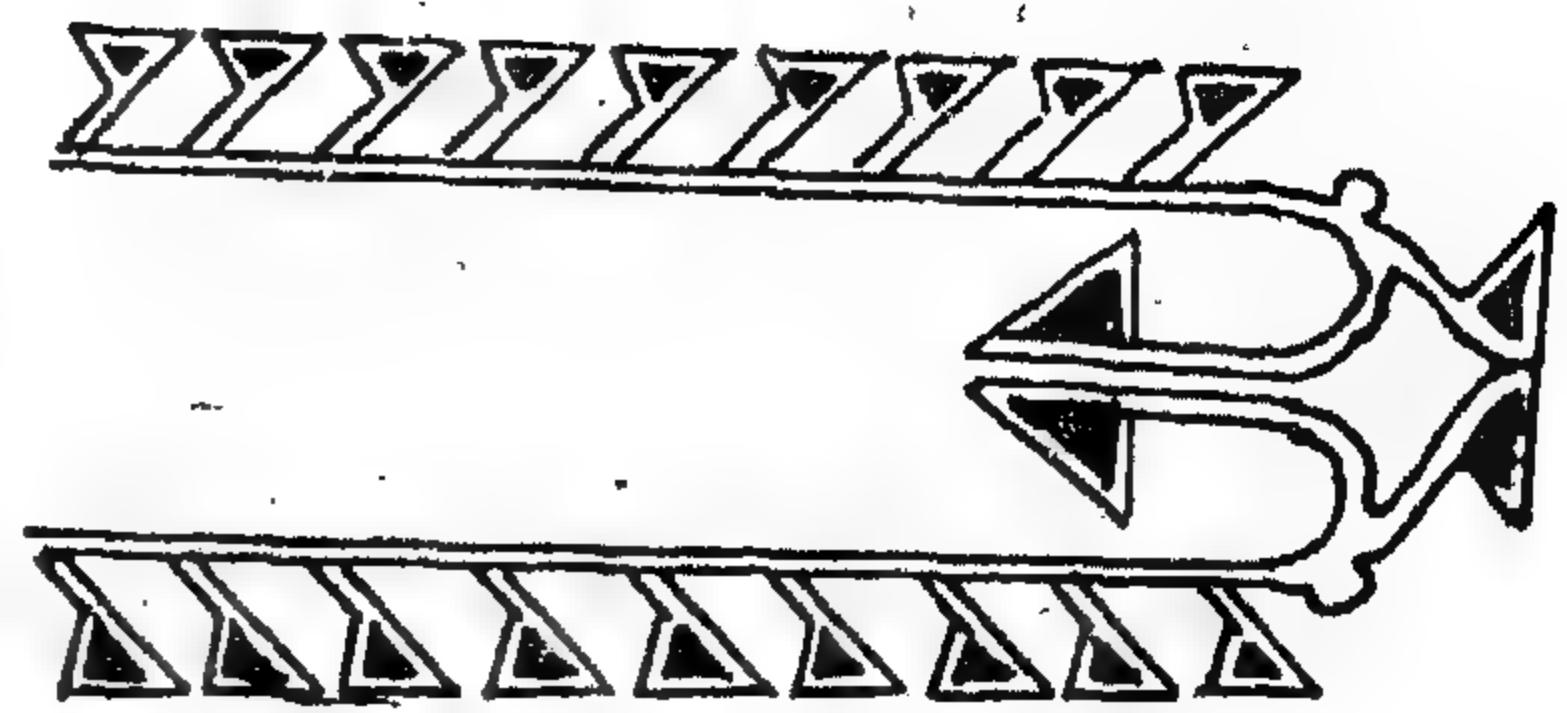
يساره ثم خمسة فوارس على يمينه ثم ستة على يساره ثم سبعة على يمينه
ثم سبعة بعدهم ثم تسعة فوارس وراء الجمع المنصور . فاذا أرادوا رميا
بالسهام فليرم الواحد مستعينا بالله تعالى ثم الاثنان ثم الثلاثة ثم الأربعة ثم الخمسة
ثم الستة ثم السبعة ثم الثمانية ثم التسعة ، ويكون رمى كل طائفة معا كرمى رجل
واحد دائما ، ويكونون قد ألقوا هذا الترتيب المبارك وعملوه وعلموه . فان
كان رماحه تباعدوا عن رفقتهم بقدر تفريق الرماح فاذا حملوا ، حملوا دفعة
واحدة معا ، لا خروج لكل عدد من رفقته » .



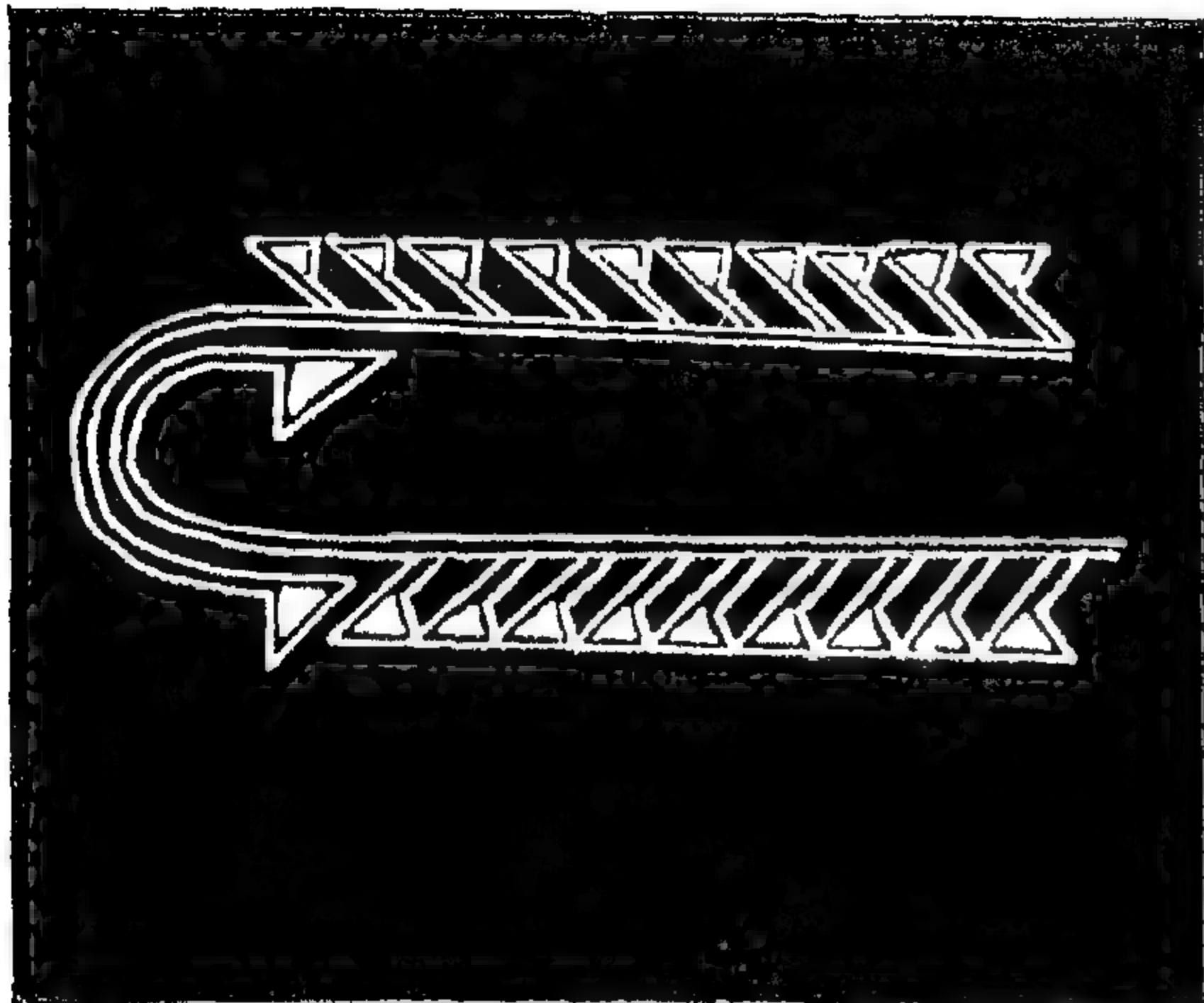
شكل (٤٤)



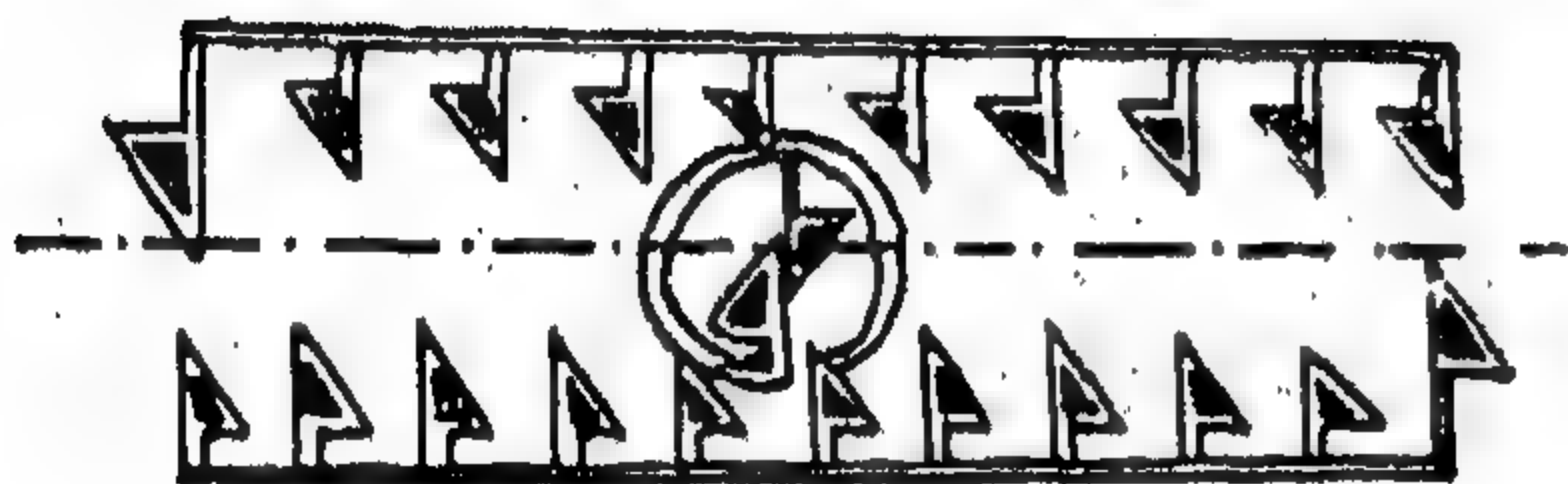
شكل (٤٣)



شکل (۴۵)



شکل (۴۶)

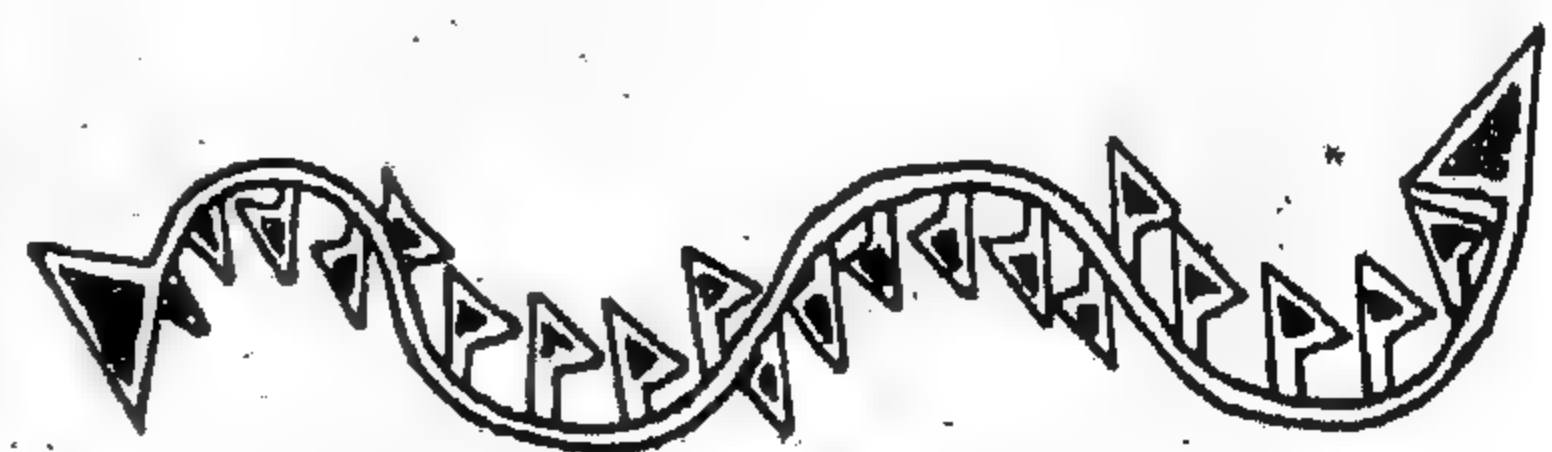
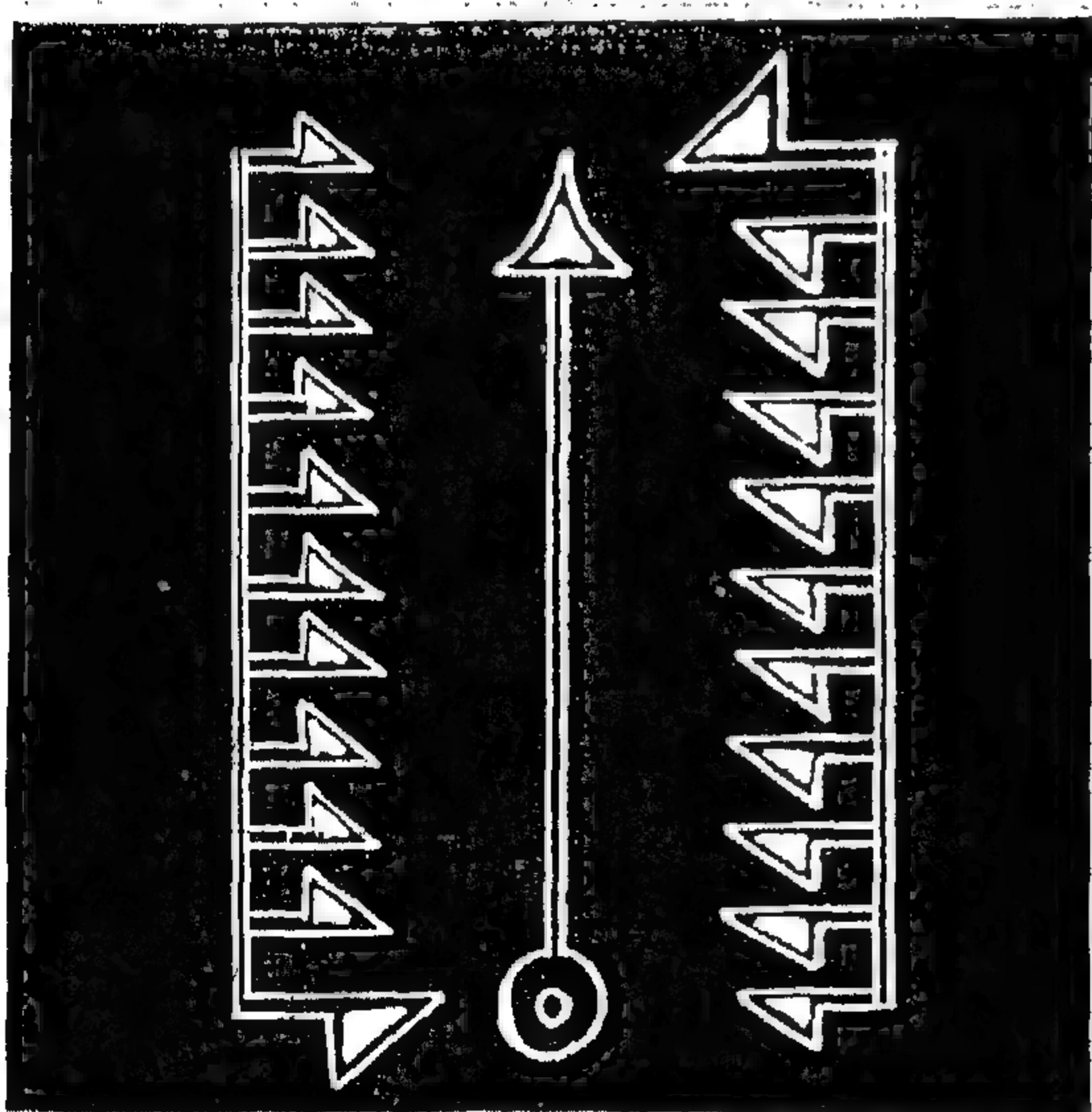


شکل (۴۸)

شکل (۵۰)



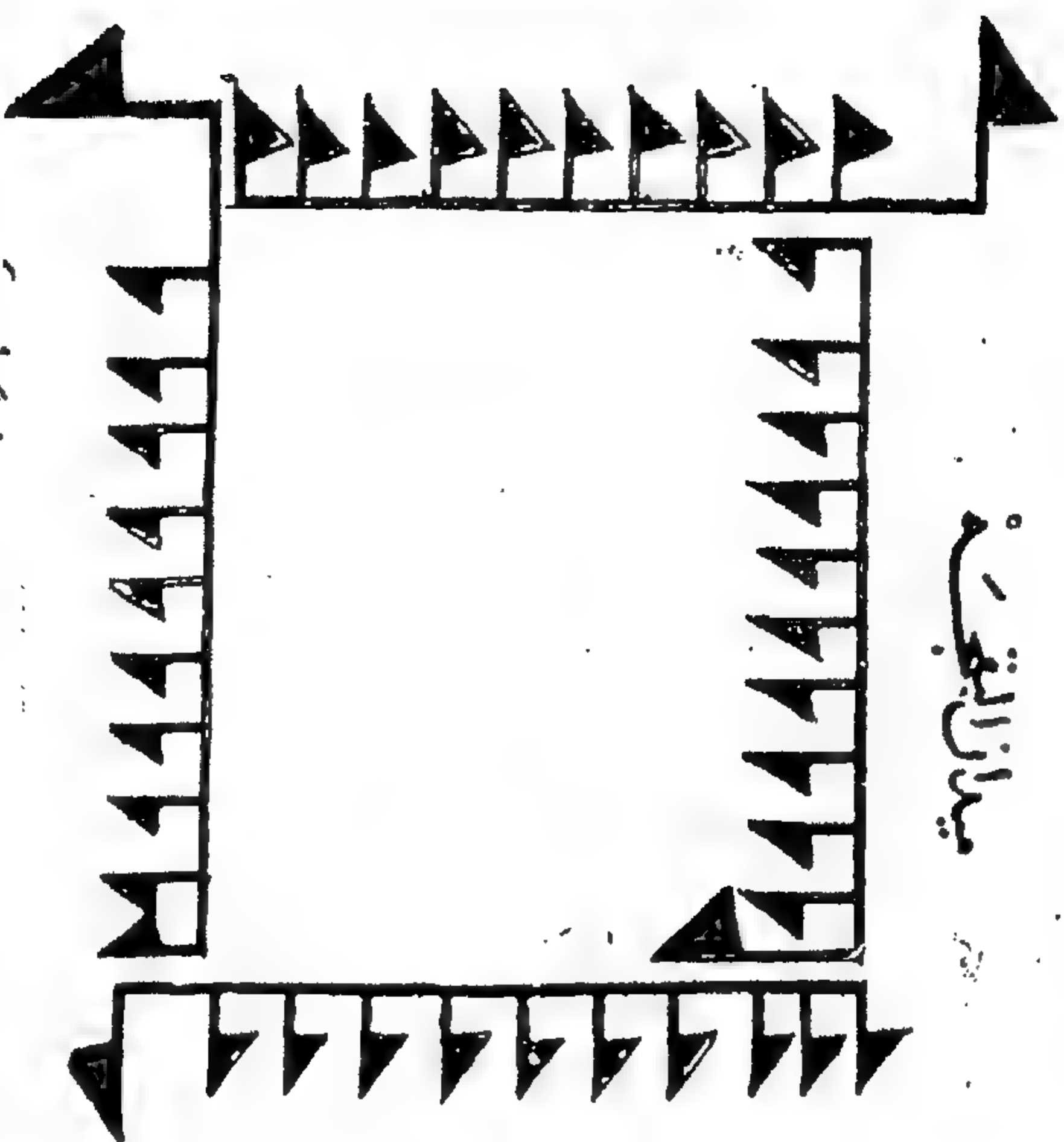
شکل (۴۷)



شکل (۴۹)

شكل (٥٢)

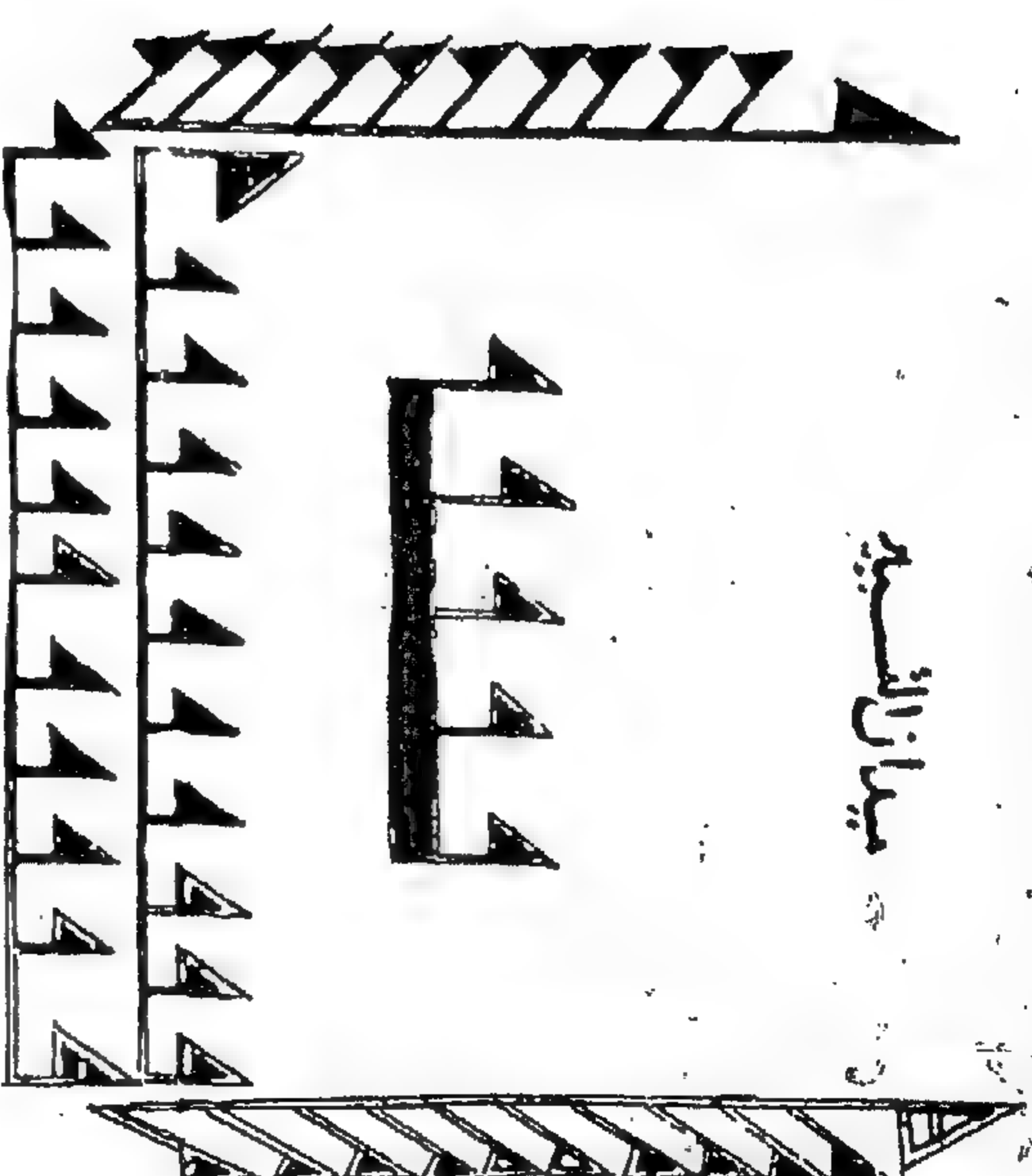
ميدان النخيل



فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ خَرَجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَطَارًا لِقَضَائِهِ
وَيَتَرَبَّعُونَ عَلَى هَذِهِ الصِّمَّةِ وَيَعْلُونَ بِمَدَانِ الطَّيْرِ وَلِيَتَرَبَّعُوا
بَيْنًا وَبَيْنًا لَا وَالْإِحْرَى كَذَلِكَ مَرَّتَيْنِ مِنْ هَذَا أَوْ ثَلَاثِينَ مَرَّةً

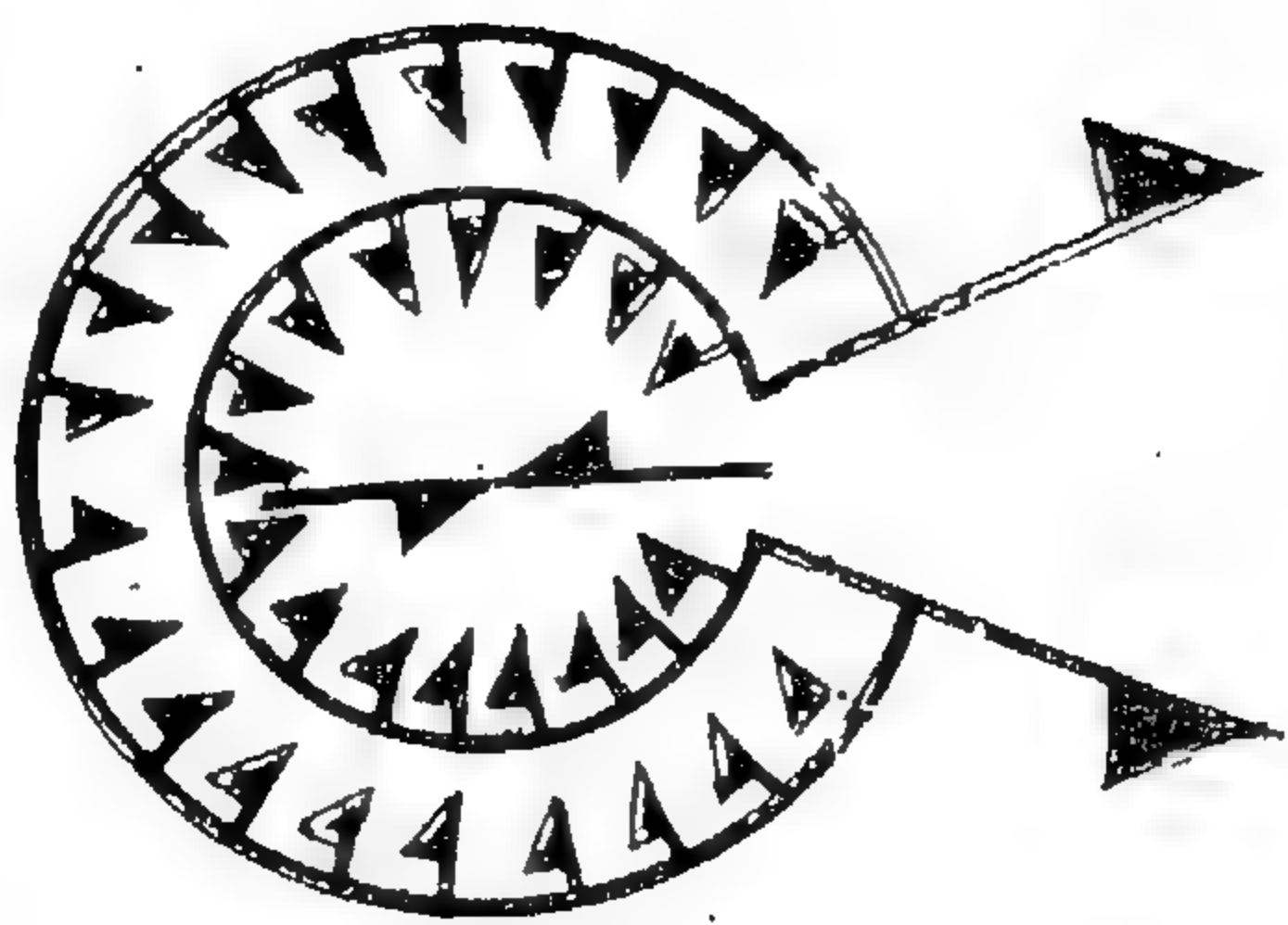
شكل (٥١)

ميدان النسيج



فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ يَتَقَدَّمُ الصَّفُّ الَّذِي عَلَى يَمِينِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ
خَلْفَتِهِ فِي مَرْزَلِيهِ وَالْجُنَا حُرَّتْ فِي مَكَائِهِمْ وَيَتَرَبَّعُونَ صَفًّا
الْبَعْثِ وَيَسُوقُونَ مَرْتَبِعِينَ الْمَرْطَحِ إِلَى قِبَلِ نَارَةٍ وَالنَّخْلِ
نَارُهُ تَحْرَقُ وَيَعْلُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْأَوَّلِ شِقَاقًا قَوَّاحًا مَعًا قَدُورَ هَذَا بَعْثِ

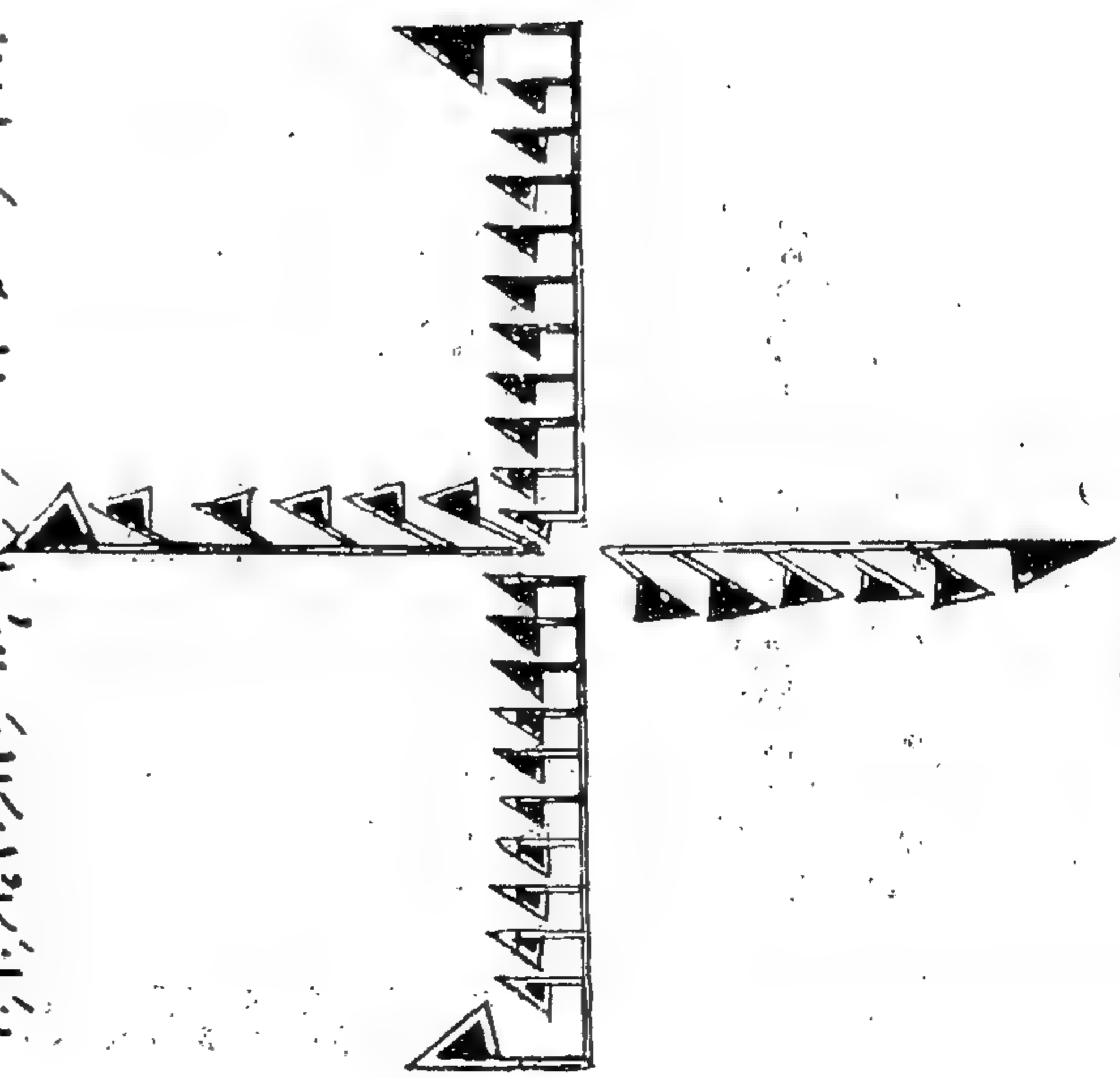
وَالسَّارِخُ تُخْرِجُونَ بِدُخَانٍ عَذِيبٍ وَهَذَا يُجْمَرُ
بِالْعُلَيبِ دُونَ غَيْرِهِمْ وَهَذَا تَرْبِيَّتُهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ



وَهَذَا أَصْفَةُ الْبَيْتِ وَاللَّخْوَلِ الْيَمَانِ وَتَرْبِيَّةِ الْمَرْسَلِ
كَيْفَ يَصْطَفُونَ لَهَا وَهَكَذَا تَرْبِيَّتُهُمْ ٥

شكل (٥٤)

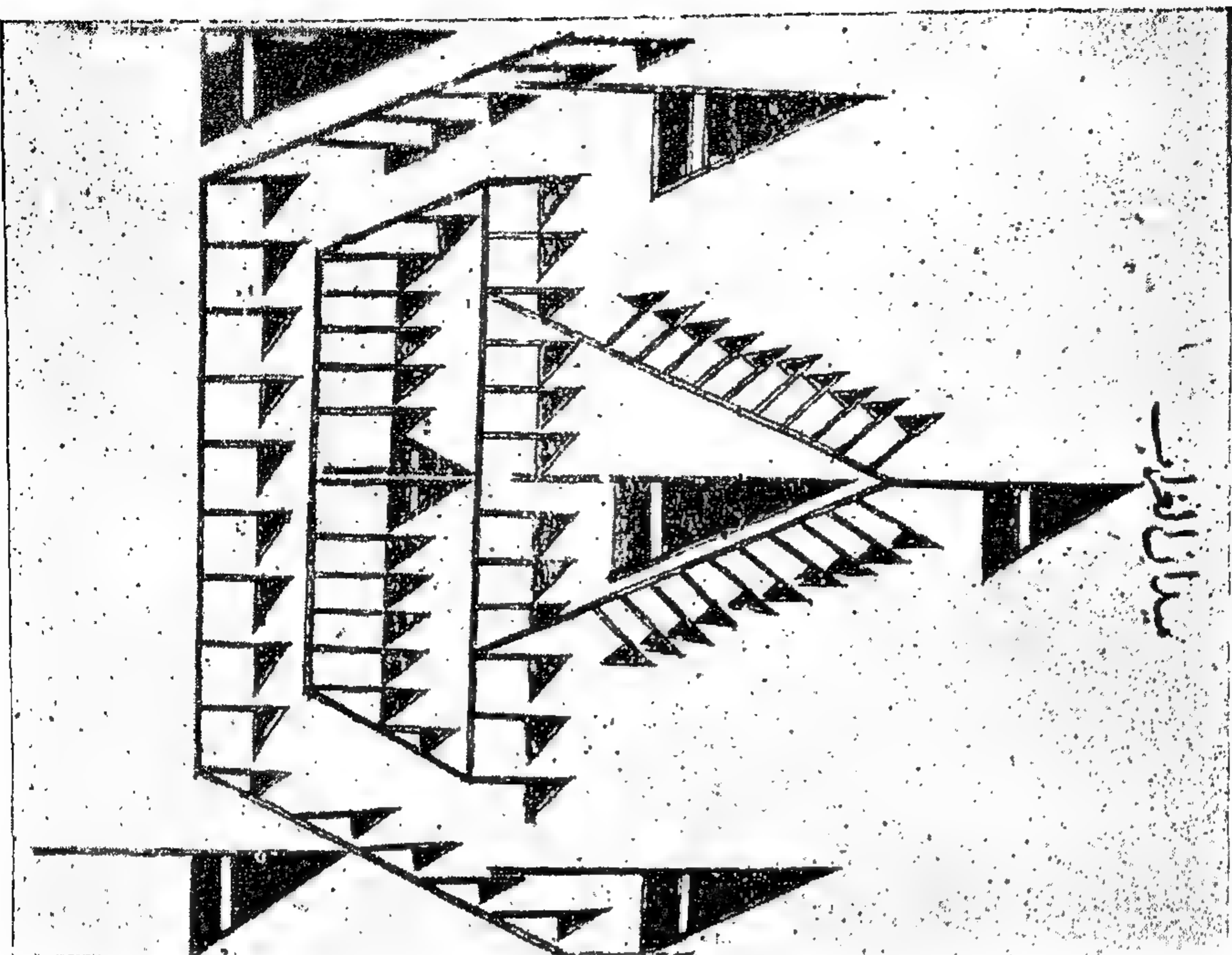
ميدان الطير



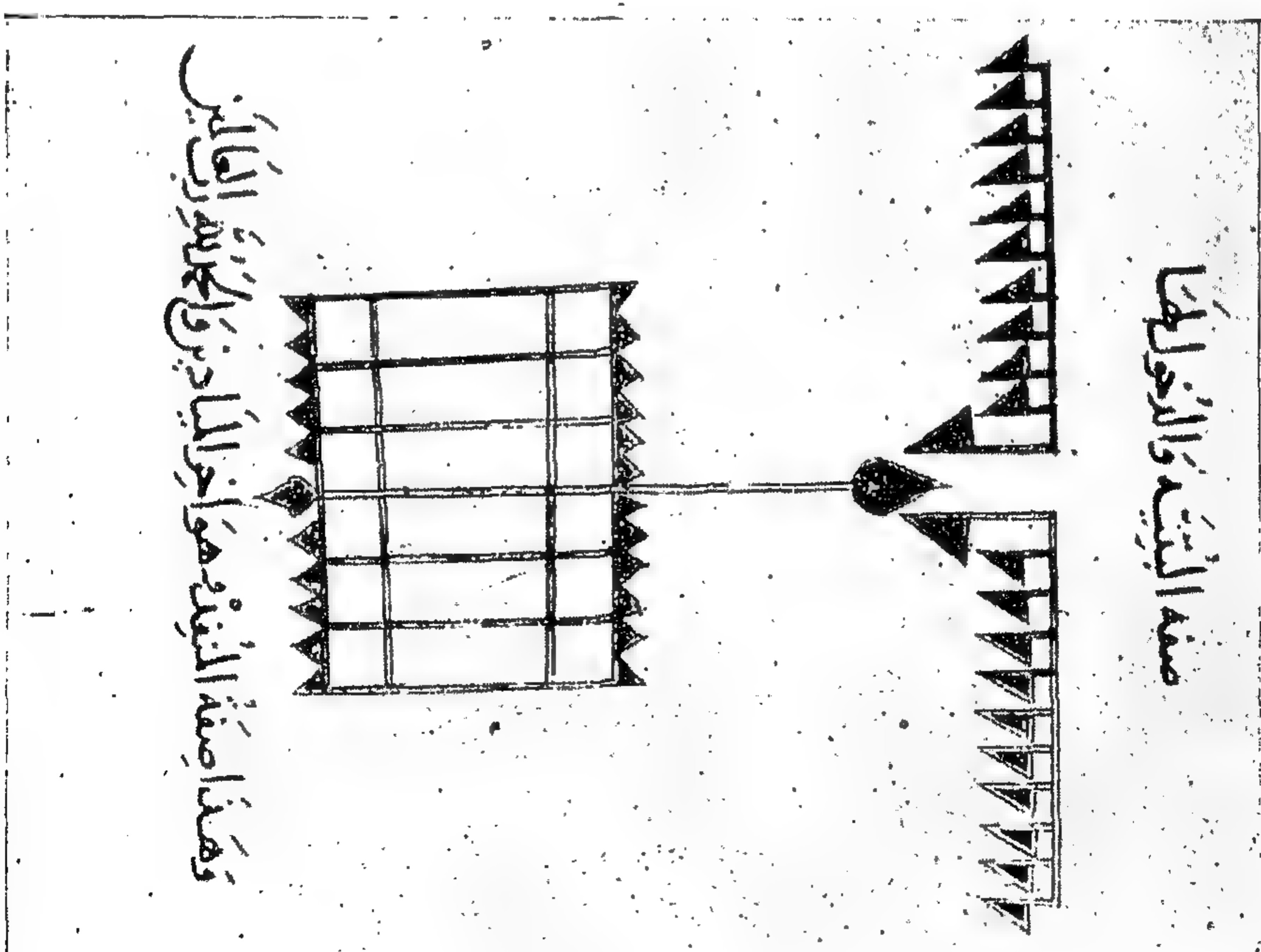
وَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ يَقْعُوا صَغِيرًا وَالْمَقْدِيرُ عَلَى الرَّؤُوسِ
وَيَدُورُ الصَّفْحُ الْأَوَّلُ حَلَقَةً وَالثَّانِي عَلَيْهِ مِنْ بَرَاصِنَةٍ
الْهَلَاكِ تَرْبِيَّتُهُمْ بِدُخَانٍ عَذِيبٍ وَالْحَلَقَةُ يَلْعَبُونَ

شكل (٥٥)

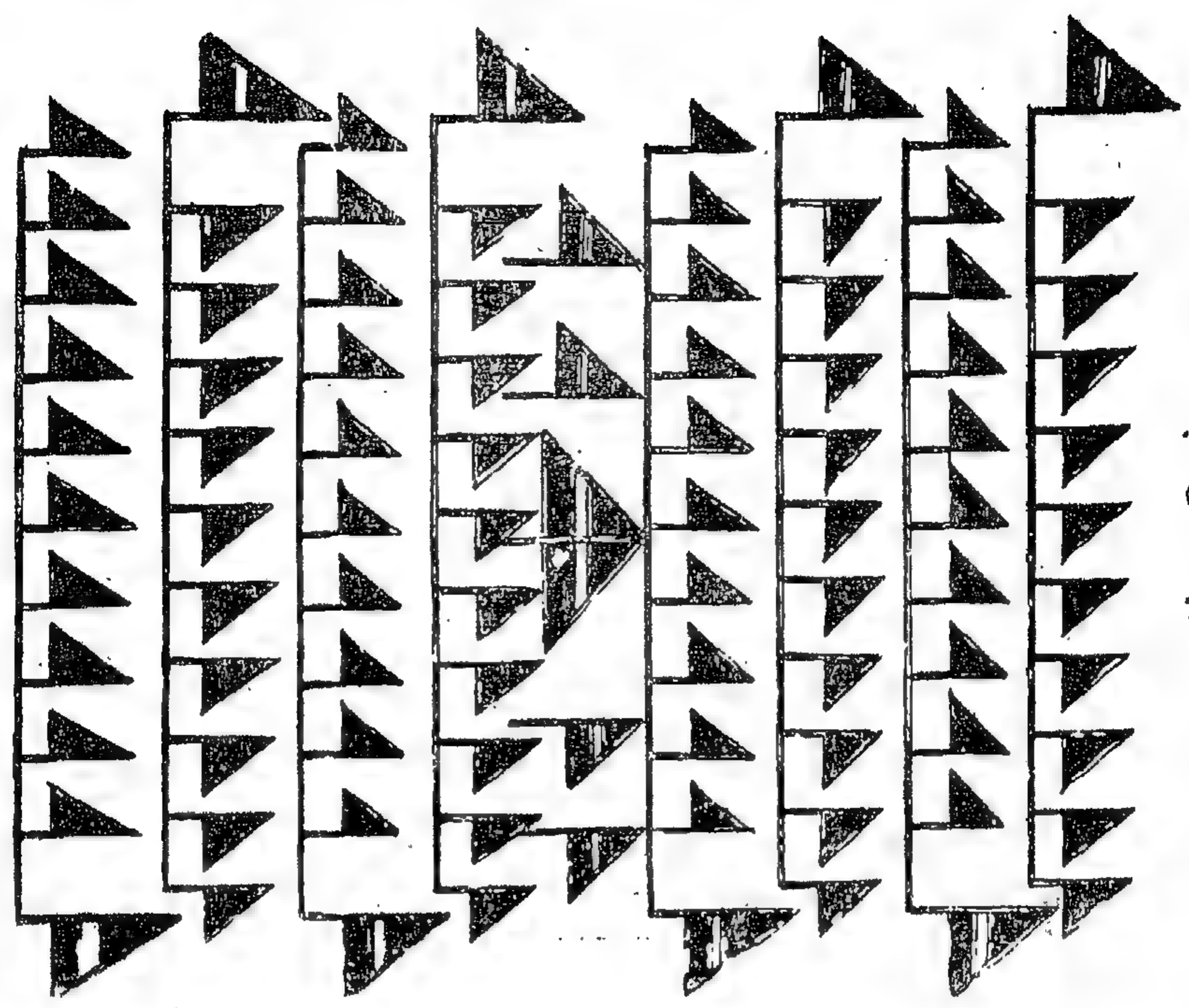
شكل (٥٦)



شكل (٥٥)

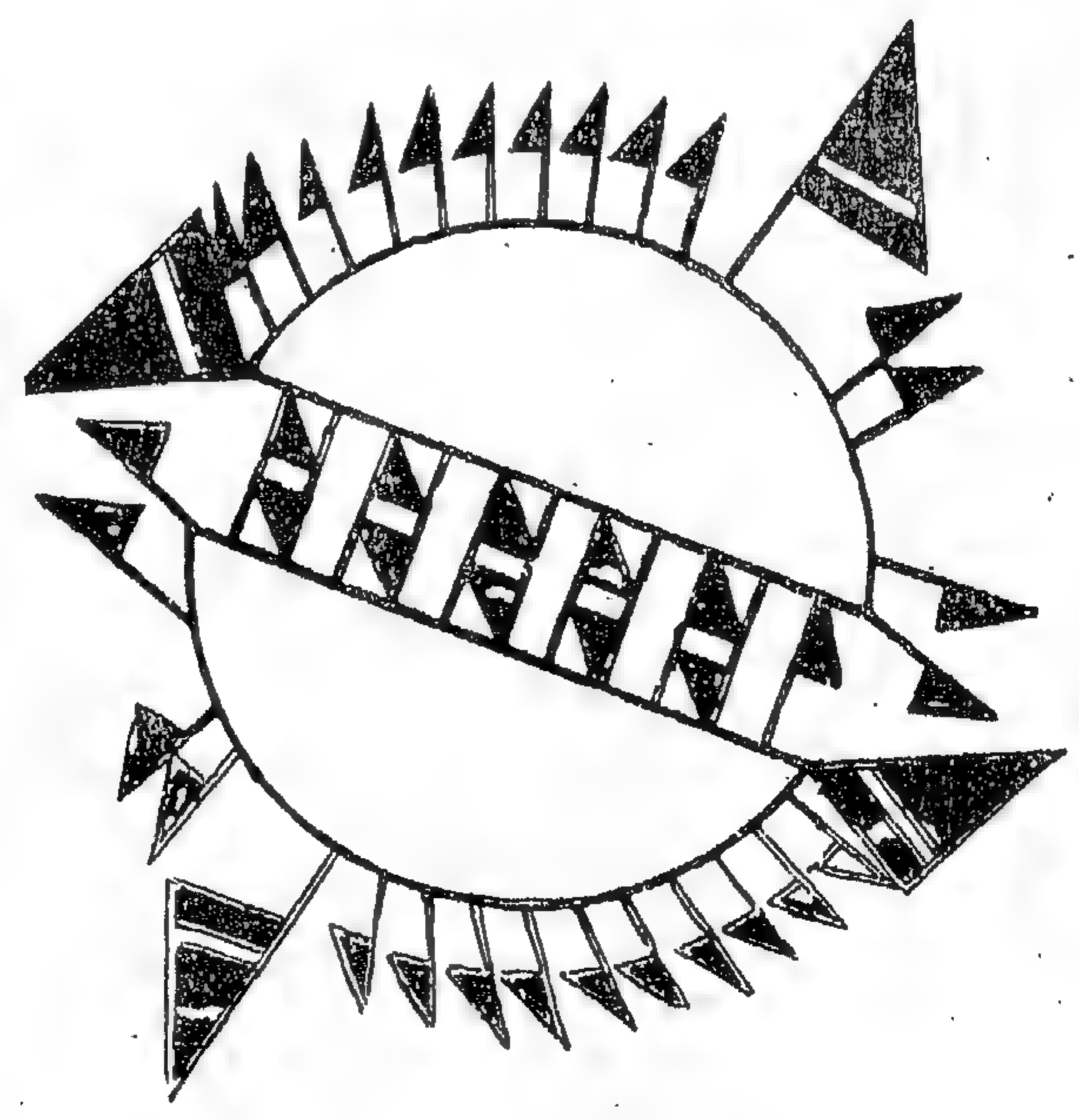


رَبِّهِمْ مِنْ قُلُوبِهِمْ

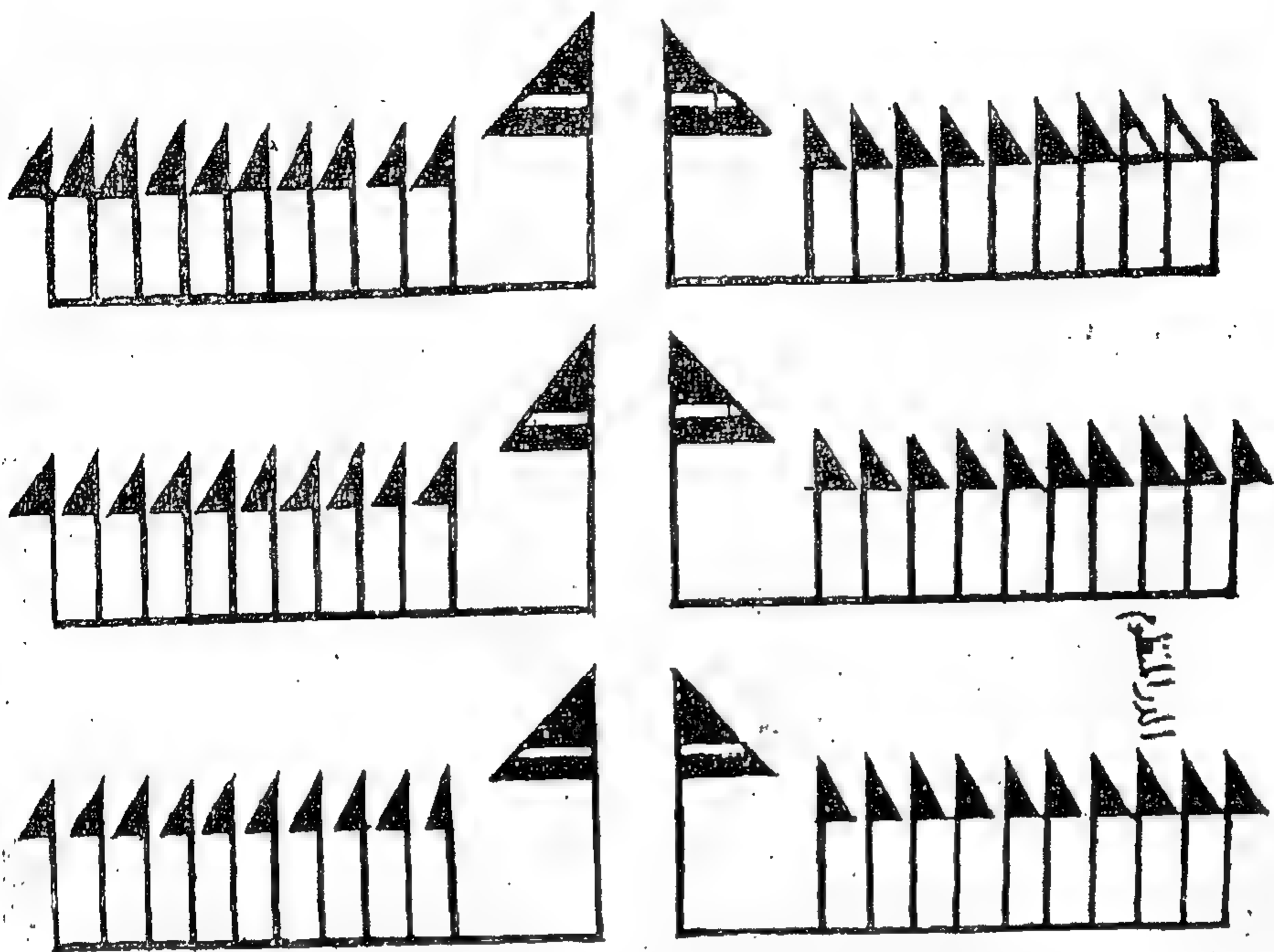


شكل (٥٨)

رَبِّهِمْ مِنْ قُلُوبِهِمْ

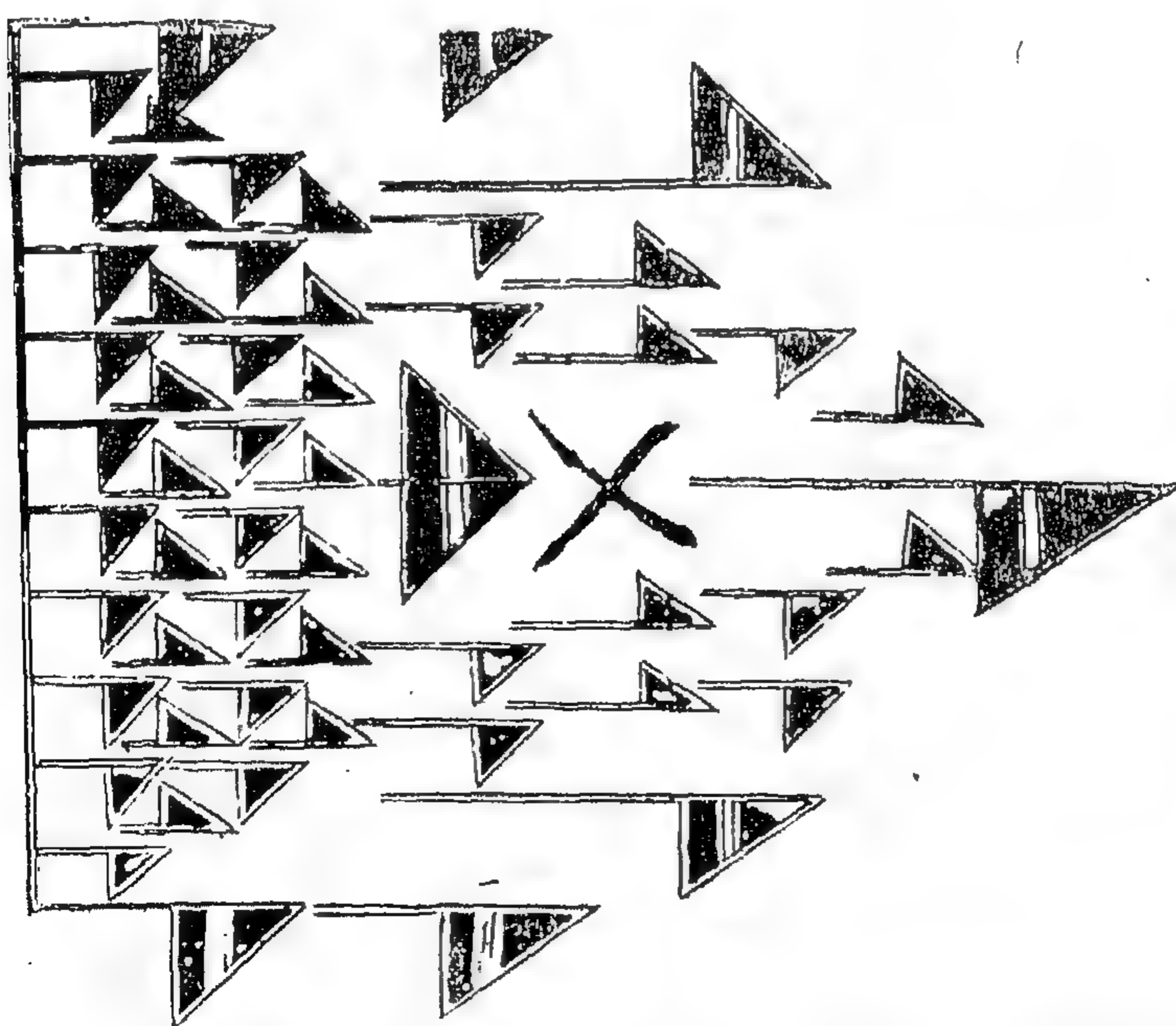


شكل (٥٩)



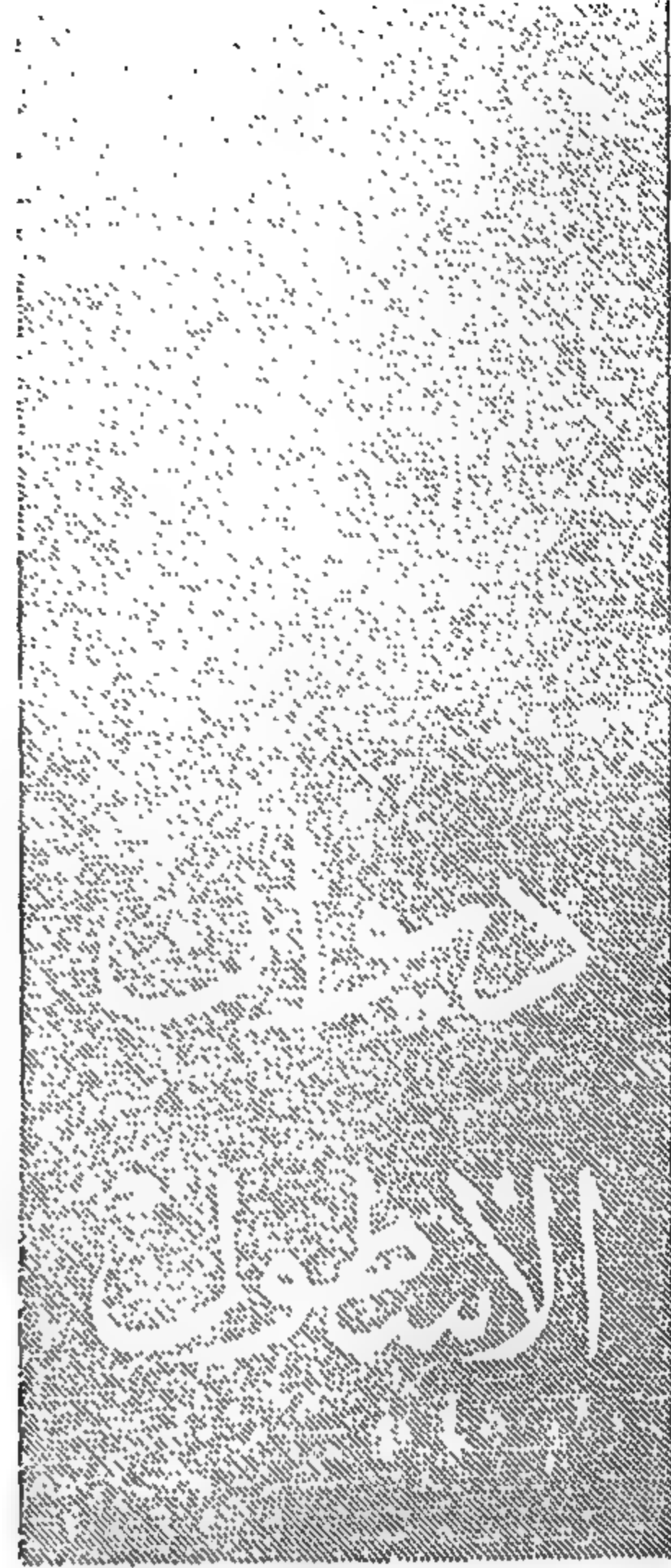
الدر المنظم

شكل (٦٠)



الدر المنظم

شكل (٥٩)



وكان من الطبيعي بعد أن وصل المسلمون الى هذه الدرجة العظيمة من التقدم والرقى فى فنون الحرب ، أن يخصصوا ديوانا خاصا للبحرية أطلقوا عليه اسم ديوان الأسطول . ومن المعروف أن أول من دون الدواوين فى الاسلام هو الخليفة عمر بن الخطاب ، فقد أسس ديوانا للجند فى المدينة دون فيه أسماء الرجال وفرض لهم إعطياتهم ، وهكذا نرى أن التجنيد الالزامى بدأ بتأسيس عمر للديوان ، وأفرد للجند دفاتر خاصة تسمى (ديوان الجند) يدون فيها اسم الجند مع نسبه وقبيلته وبيان قده ولونه وملامحه وسائر ما يتميز به عن غيره لئلا تتفق الأسماء وليسهل استدعاؤه (١) . ومما يؤيد أن التجنيد كان الزاميا فى عهد عمر ما رواه ابن الأثير (٢) عن الشعبى قوله « كان الرجل اذا أخل بواجبه الذى يكتب له زمن عمر وعثمان وعلى نزعت عمامته ويقام فى الناس ويشهر أمره » .

ولما كثر الناس واضطرتهم المدنية الى الاستغلال بغير الجهاد عمد عمر بن الخطاب الى تنظيم الجيش على الوجه التالى : جنود نظاميون ولهم ديوان خاص ،

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ج ١ ص ١٢٤ .

(٢) الكامل فى التاريخ ج ٤ ص ١٥٨ .

ويعصرف لهم عطاؤهم من بيت المال فوق أسهمهم من المغانم ، وهم كانوا موقوفين للجهاد لا يشتغلون بغيره من تجارة أو زراعة أو غيرها ، وإن فعلوا عوقبوا (١) . أما الفريق الثانى فهم المتطوعون الذين يلحقون بالجيش من البوادي والأمصار والبلاد المفتوحة ، وهؤلاء كانوا يجندون وقت الحرب ويسرحون وقت السلم ، وحظهم من الجهاد هو مساهمتهم فقط ، ولا يمنعهم الخليفة من زراعة الأرض أو الاشتغال بأي حرفة أخرى ، وكذلك كان عبيدهم وأتباعهم .

ولعل جنود البحرية كانوا من الفريق الثانى أى من المتطوعين ، كما يفهم من قول الخليفة عثمان بن عفان لمعاوية بن أبى سفيان لما أذن له فى الغزو بحرا بعد الحاح منه « لا تنتخب الناس ولا تفرع بينهم خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه » . وأغلب الظن أن ديوان الجند فى زمن الأمويين كان قد اتسع وزاد عدد جنوده حتى انه أصبح يضم رجال البحرية والأسطول .

وقد بنى أول أسطول عربى فى عهد معاوية بن أبى سفيان عندما كان واليا على بلاد الشام من قبل الخليفة عثمان بن عفان . فقد أنشأ السفن والشوانى وشحنها بالرجال والسلاح عندما أذن له الخليفة بأن يغزو فى البحر . وسار خلفاء معاوية من بنى أمية على سنته فأكثروا من انشاء الأساطيل الحربية ، وجهزوها بأدوات الكفاح ، ورتبوا عليها القواد وزودوها بالأقوات والأرزاق فى مدة لا تتجاوز قرنا . وإذا كان معاوية قد نفذ الخطوات التمهيدية كبناء السفن وشحنها بالمقاتلة ، فإن عبد الله بن سعد بن أبى سرج والى مصر ، هو الذى بدأ بناء السفن الأولى التى تكونت منها نواة الأسطول المصرى فى العصر الاسلامى . ذلك أن مصر كانت أيام تبعيتها للروم قبل استيلاء العرب عليها مشهورة بمهارة صناع السفن ، وكثرة دور الصناعة التى صنعت الأعداد الوفيرة من سفن الروم وأساطيلهم . فتابع عبد الله بن سعد بن أبى سرج سياسة بناء السفن فى مصر ، وزود بها السواحل والثغور الشامية التى كانت تفتقر الى دور الصناعة فى ذلك الوقت .

(١) رقيق العظم : مشاهير الاسلام ص ٣١٦ ، عهد الروم عوث ، الفن الحربى فى صدر الإسلام ص ٩٩ .

ولما كانت مصر فقيرة في أخشابها التي تصلح لبناء السفن على حين تكثر في بلاد الشام ، فمن ثم بات التعاون بين مصر والشام ضرورة تقتضيها الظروف الطبيعية والاجتماعية ، فقد كانت مصر تستورد الأخشاب من الشام وترده سفنا مصنوعة . وظلت مصر وحدها تصنع السفن والمراكب التي تمد بها جميع الأساطيل الاسلامية سنة ٤٨ هـ / ٦٦٩ م ، حتى كثرت غارات الروم في حوض البحر الأبيض المتوسط ، فوجد معاوية من الضروري انشاء دور لصناعة السفن بالشام الى جانب دور الصناعة بمصر (١) .

وقد بلغت نفقات الأسطول المصري ، في اليوم الواحد في عهد الخليفة المعتضد بالله العباسي (٢) سنة ٣٧٩ هـ سبعة عشر دينارا ، ثمن أرزاق الملاحين في الطيارات والشذات والجراقات وغيرها من السفن ، وأربعة دنانير ثمن النفط والمشاقة للنفطات والمشاعل وأجرة الرجال لخدمتها . وفي العصر الفاطمي زادت أهمية الحروب البحرية حتى انهم أفردوا ديوانا خاصا بالأسطول أطلقوا عليه اسم « ديوان العماثر » وكان مقره بدار الصناعة بمصر . وقد نقل المقرزي (٣) عن ابن الطوير قال « ان الخدمة في ديوان الجهاد ويقال له ديوان العماثر ، وكان محله بصناعة الانشاء بمصر ، للأسطول والمراكب الحاملة للغلات السلطانية والأحطاب وغيرها . ولكل منها رئيس ونواتي لا يرحون ينفق عليهم من مال هذا الديوان ، وبقية العشاريات والدواميس برسم ولادة الأعمال المميزة فهي تجرى لهم وينفق في رؤسائها ورجالها أينما كانوا من مال هذا الديوان ، وتقيم مع أحدهم مدة مقامة . فاذا صرف عاد فيه وخرج المتولى الجديد في العشارى المرسى في الصناعة ولا يخرج الا بتوقيع باطلاقة والاتفاق فيه للمشارفين بالأعمال عشاريات دون هذه . وفي هذا الديوان برسم خدمة ما يجرى في الأساطيل نائبان من قبل مقدم الأسطول ، وفيه من الحواصيل لعمارة المراكب شيء من بيت المال ما يسد خلله .

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٢٤ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٩٧ ، المقرئى ج ١ ص ٤٨٣ .

(٣) المقرئى ج ١ ص ٤٨٣ .

وكان من أهم أمورهم الاحتفال بالأساطيل والأجناد ومواصلة انشاء المراكب بمصر والاسكندرية ودمياط من الشوانى الحربية والشلنديات والمسطحات الى بلاد الساحل » .

أما عن الرواتب التى كان يتقاضاها قواد الأسطول وبخارته من تقود وأراضى زراعية وغيرها من الأشياء العينية فقد فصلها المقرئى^(١) فيما يلى « وكانت جريدة قواد الأسطول أكثر من خمسة عشر آلاف مدونة ، منهم عشرة أعيان ، تصل جامكية^(٢) كل منهم الى عشرين دينارا ثم الى خمسة عشر ثم الى عشر دنائير ، ثم الى ثمانية ثم الى دينارين وهى أقلها . ولهم اقطاعات تعرف بأبواب الغزاة بما فيه من النطرون فيصل دينارهم بالمناسبة الى نصف دينار وحواليه ، ويعين من هؤلاء القواد العشرة من يقع الاجماع عليه لرياسة الأسطول المتوجه للغزو ، فيكون معه الفانوس وكلهم يهتدون به ، ويقلعون بأقلاعه ويرسون بارسائه ، ويقدم على الأسطول أمير كبير من أعيان الأمراء وأقواهم جنانا . ويتولى النفقة فيهم للغزو الخليفة بنفسه بحضور الوزير ، فاذا أراد النفقة فيما تعين من عدة المراكب السائرة ، وكانت آخر وقت تزيد على خمسة وسبعين شينيا وعشر مسطحات وعشر حمالات فيتقدم الى النقباء باحضار الرجال ويسمح بذلك لمن هو خارج مصر والقاهرة فيدخل اليها ولهم المشاهرة^(٣) والجرايات^(٤) المتقررة مدة أيام السفر وهم مصروفون عند عشرين تقيبا ولا يعترض أحد أحدا منهم الا من رغب فى ذلك من نفسه . فاذا اجتمعت العدة المغلقة للمراكب المطلوبة أعلم المقدم بذلك الوزير فطالع الخليفة بالحال وقرر يوم للنفقة فحضر الوزير بالاستدعاء على العادة فيجلس الخليفة على هيئة مجلس ويجلس الوزير فى مكانه ويحضر

(١) المقرئى : ج ١ ص ٤٨٣ .

(٢) Dozy : Supplément au dictionnaires Arabes, vol. I, P. 168 جامكية من الفارسية .

(جامكى) أى الثوب . وكان المقصود بها أصلا النقود اللازمة لشراء الثياب ثم صارت تطلق على الجعل أو الأجر أو المرتب ولإسيا الذى كان يعطى فى عصر المماليك بلحد السلطان وماليكه الذين لم يكونوا يقطعون شيئا من الأرض .

(٣) المشاهرة : أى الراتب الذى يدفع شهريا ويكون عادة نقودا .

(٤) الجرايات أو الجوارى : الراتب يدفع سنويا أو فى المواسم أو شهريا ويكون لقدا أو مينا .

صاحباً ديوان الجيش وهو المستوفى^(١) وهو أميرهما ويجلس داخل عتبة المجلس وهذه رتبة له ميزة وكاتب الجيش الأصل ويجلس بجانبه تحت العتبة على حصر مفروشة بالقاعة ولا يخلو المستوفى أن يكون عدلاً أو من أعيان الكتاب المسلمين . أما كاتب الجيش فيهودى فى الأغلب ويفرش أمام المجلس انطاع نصب عليها الدراهم ويحضر الوزانون بيت المال لذلك ، فإذا تهيأ الاتفاق أدخل القابضون مائه مائه ويقفون فى آخر الوقوف بين يدي الخليفة من جانب واحد نقابة نقابة وتكون أسماؤهم قد رتبت فى أوراق لاستدعائهم بين يدي الخليفة ويستدعى مستوفى الجيش من تلك الأوراق واحداً واحداً فإذا خرج اسمه عبر من الجانب الذى هو فيه الى الجانب الخالى فإذا تكمل عشرة رجال وزن الوزانون لهم النفقة، وكانت لكل واحد خمسة دنانير وصرف كل دينار ستة وثلاثون درهماً فيتسلمها النقيب^(٢) وتكتب بيده وباسمه وتمضى النفقة كذلك الى آخرها .

ويقول قدامه عن نفقات الأسطول عندما يستعد للغزو وذلك فى العصر المملوكى « ومقدار النفقة على المراكب اذا غزت من مصر والشام نحو مائة ألف^(٣) دينار » .

كذلك كان من عادتهم اذا جهزوا الأسطول للغزو أن يوسقوه بما يحتاجه الملاحون من الميرة والزاد ، ويقول فى ذلك الرحالة ابن جبير^(٤) « فكل ما يحتاج المراكب شراؤه يوجد من خبز وماء ومن جميع الفواكه والأدم ، كالرمان والسفرجل ، والبطيخ السندى ، والكمثرى ، والشاه بلوط ، والجوز ، والحمص ،

(١) المستوفى : موظف من كتاب الأموال بالدواوين عمله ضبط الديوان التابع له والتنبيه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك ومن المستوفين مستوفى الصحة وهو يشارك الوزير ويعاونه فى الأمور العامة مثل كتابة المراسيم وتسجيلها ومثله فى النفوذ مستوفى الدولة . وكان لكل ديوان من دواوين الدولة ناظر وتحت المستوفى والشاذ . (صبح الأعشى للقلقشندي . ج ٥ ص ٤٦٦) .

(٢) نقيب : وجمعها نقباء وكان عمل صاحب هذه الوظيفة عند السلطان أو الأمير قادية الخدمات الصغيرة لمسيده . ونقيب الجيش هو الذى يتكفل بأحضار من يطلبه السلطان من الأمراء واجناد الحلقة ونحوهم (القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ١١ ، ج ٥ ص ٤٥٦) .

(٣) جرجى زيدان ج ١ ص ١٥٥ .

(٤) ابن جبير ص ٧٣ .

والباقلانيا مطبوخا ، والبصل ، والثوم ، والتين ، والجبن ، والحوت وغير ذلك مما يطول ذكره عاينا جميع ذلك يباع » .

وقد بلغ من اهتمام الفاطميين بالأسطول أن أفردوا له نصيبا خاصا في مخازن الغلال والاتبان فقد جاء في الخطط والآثار « وكان للخلفاء الفاطميين في مصر أماكن تخزن بها الغلال والاتبان ولا تفتح الا عند الضرورة ، وكان لها الحماة من الأمراء والمشارفين العدول والمراكب واصلة اليها بأصناف الغلات الى ساحل مصر، وساحل المقس ، والحمالون يحملون ذلك اليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب وأمنائها من كل ناحية سلطانية (١) » .

وكانت مخازن الغلال تسمى باسم (الأهرام المباركة) (٢) ، ويقول المقرئى « ومن الأهرام تخرج جرايات رجال الأسطول ، وجرايات السودان ، ومنها ما يستدعى بدار الضيافة لأخبار الرسل ومن يتبعهم ، وما يعمل من القمح برسم الكعك لزد الأسطول » .

وأولى صلاح الدين الأسطول الكثير من اهتمامه ، فقد كان في شديد الحاجة اليه في محاربة الصليبيين ، فخصص له ديوانا عرف بديوان الأسطول وعين لهذا الديوان خراج الفيوم بأعمالها والحبس الجيوشى في البرين الشرقى والغربى وغيرها من الاقطاعات . وقد بلغت الزكاة التى كانت تجبى بمصر لديوان الأسطول خمسين ألف دينار ونيفا في السنة الواحدة . وقد نصب صلاح الدين أخاه الملك العادل أبا بكر محمد بن أيوب على رأس هذا الديوان ، فأقام في مباشرته وعمالته صفى الدين عبد الله بن على بن شكر وتقرر ديوان الأسطول الذى ينفق في رحاله نصف وربع دينار بعد ما كان نصف وثمان دينار » .

(١) المقرئى : ج ١ ص ٤٦١ .

(٢) الأهرام بالفتح جمع هرى بالضم وهو بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان .

وجاء في قوانين النواوين لابن ماقى ص ٣٥٠ « الأهرام المباركة مخازن يحمل اليها مايرد من الغلات السلطانية من منفلوط والحبس الجيوشى ، وينفق منها مايوقع به عليها . الحال فيها معلوم غير محتاج الى زيادة بيان ولها مستخدمون وما يجب عليهم إضافة وفر الكيل مع أحدهم بالانصاف فيه (فهرس الاصطلاحات والألفاظ المستعصية-ابن ماقى ص ٤٥٢) المقرئى ج ١ ص ٤٦١ . ويتكلم القلقشندى عن (نظر الأهرام بمصر بالصناعة) وهى شونة الغلال السلطانية .

وكان لديوان الأسطول مراكب خاصة مهمتها جمع الأموال وكذا الأخشاب للأسطول وقد عرفت تلك المراكب باسم (الملوحة)^(١) « هذه مراكب جارية في ذلك الديوان ، يضمنها الرؤساء لمدة معلومة بأجرة معينة . وإذا احتاجت الى عمارة أعتد لهم بأجرة مدتها ، بالنسبة من تقسيطه ذلك الفصل ، وستنتها ثلاثة عشر شهرا منها خمسة^(٢) نيلية يجب عنها نصف الضمان ، وفيها سبعة أشهر يجب عليها النصف الثاني في أقساط (كذا) متساوية ، والشهر الثالث عشر عطلة لا قسط فيه » .

وكانت غزوات الأسطول لها أوقات معينة تعين باعتبار الفصول ، فمنها غزوة صيفية أو شتوية أو ربيعية . فكانت الربيعية تقع في العاشر من شهر آيار (مايو) أى بعد أن يكون المسلمون قد أربعوا دوابهم وحسنت أحوال خيولهم فيقيمون في الغزوة ثلاثين يوما أى الى العاشر من يونيه فكانهم يجدون الكلا حينئذ في بلاد الروم ممكنا فتربع دوابهم ربيعا ثانيا . ثم ينفلون فيقيمون ٢٥ يوما أى الى ٥ من تموز (يوليه) حتى تقوى الخيول فيجتمعوا لغزو الصائفة أى الصيف . ثم يغزون لعشر تخلو من تموز فيقيموا الى وقت ققولهم ستين يوما وكانوا في بعض السنين يغزون صائفتين ، يسمونها الصائفة اليمنى والصائفة اليسرى .

أما في فصل الشتاء فالأسطول في حالة ركود تقريبا ، اذ أن غزواته لا تزيد على عشرين ليلة ويكون ذلك في آخر شباط (فبراير) ، فيقيم الغزاة الى أوائل آذار (مارس) ثم يرجعون ويربعون دوابهم .

(١) ابن بطي ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(٢) وهي شهور (بؤونه وأيبب ومسرى وتوت وبابه) .



ومن الشعارات الهامة بالنسبة للأسطول البنود والأعلام ، وهي شعارات
قديمة في تاريخ البحرية فقد عرفها المصريون القدماء ، كما عرفها الفرس ثم انتقلت
الى العرب في الجاهلية فقد كان لكل قبيلة راية تجتمع تحتها . والبند هو العلم
الكبير أو اللواء أو الراية ، وربما كان اللواء أصغر من الراية أو أن الراية تسمى
لواء اذا عقدت الحرب ، وهي الأعلام أو البنود أو البيارق . وكان لكل قبيلة في
الجاهلية بندها الذي يتميز عن غيره بلونه وشكله ، وكان يربط في طرف الرمح
ويحمله سيد القبيلة أو أحد المتقدمين فيها وكانوا اذا خرجوا الى حرب أخرجوا
الراية ، فاذا اجتمع رأيهم على أحد سلموه اياها والا فانهم يسلمونها الى صاحبها.
وجاء في السيرة الحلبية ، أن المسلمين في غزوة بدر الكبرى كانت لهم ثلاث رايات ،
أحدها بيضاء دفعها الرسول صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير ، والأخريان
سودوان أحدهما حملها على بن أبي طالب ويقال لها العقاب ، صنعت من مرط
للسيدة عائشة رضوان الله عليها ، والثالثة مع رجل من الأنصار . كما كان أبو سفيان
يحمل راية الرؤساء في تلك الواقعة واسمها أيضا راية العقاب . ويقول جرجي

زيدان (١) « الظاهر أن العقاب كان اسماً لصنف من الرايات استعمله الرومان وليس اسماً واحدة منها » .

ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وتعددت الشعوب والأجناس التي انضوت تحت لواء الإسلام ، تعددت البنود والأعلام وتنوعت أشكالها واختلفت ألوانها ، كما كثرت أسماؤها . فقد قيل أن أبا مسلم الخرساني عقد له لواء عند قيامه بالدعوة العباسية عرف باسم (الظل) وكان طوله أربعة عشرة ذراعاً (٢) . ولما عقد المتوكل البيعة لبنيه سنة ٢٣٥ هـ عقد لكل واحد منهم لوائين أحدهما أسود وهو لواء ولي العهد والآخر أبيض وهو لواء العمل . ولما ولي الخليفة المأمون الفضل ابن سهل على المشرق كله وسلم إليه رئاسة الحرب والقلم وسماه ذا الرئاستين عقد له لواء على سنان ذي شعبتين (٣) .

أما عن ألوان البنود فقد جاء في آثار الأول (٤) أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له راية سوداء اسمها العقاب وكانت له رايات أخرى بيضاء ، وكانت أعلام الأمويين بيضاء وأعلام العلويين خضراء وأعلام العباسيين سوداء . ولم يقتصر استخدام الأعلام والبنود في القتال فحسب بل كان لها كذلك شأن خطير في الاحتفالات الدينية ، وكان القوم ينسجون عليها أو يطرزون فيها الشهادتين أو بعض الآيات القرآنية أو العبارات الدينية ، كما اعتادوا أن يصنعوا علمين على جانبي المنبر في الصلاة (٥) . ويذكر مسكويه أنه كان من التقاليد المتبعة في تنويع الخلفاء في بعض الأحيان أن يؤتى بلواء يعقده الخليفة بيده ثم يتسلم خاتم الخلافة (٦) . وكانوا أيضاً يعقدون الألويا أيضاً للولادة والعمال إذا ولوهم الأمصار وخاصة في أوائل العهد الإسلامي ، لأن العمال كانوا وقتئذ قواد الجند ، وكانوا يعقدونها على حساب النجوم فيختارون أحد الاقتران على زعمهم (٧) .

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٣٤ .

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٣٤ .

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٣٤ .

(٤) آثار الأول ص ٧٥ .

(٥) زكي حسن : كنوز الفاطميين ص ٦٥ .

(٦) مسكويه : تجارب الأمم ج ٥ ص ٤٥٣ .

(٧) Mez : Die Renaissance des Islamm M 131 .

وقد جاء في المقرئى (١) أن البنود كانت تصرف فى العصر المملوكى باسم العصائب السلطانية . وكان من ألقاب السلطان قايتباى صاحب السيف والقلم والبند والعلم ، ومن ألقاب السلطان المؤيد أبو النصر صاحب العلمين (٢) . وكان الخلفاء فى صدر الاسلام اذا وجهوا جيشا الى حرب عقدوا له الألوية وسلموها الى الأمراء ، ويدعون لهم بالنصر ويوصونهم بالصبر والجلد . وكان الخليفة عمر بن الخطاب اذا عقد لواء يقول وهو يعقده « باسم الله وبالله وعلى عون الله أمضوا بتأييد الله وما النصر الا من عند الله ولزوم الحق والصبر فقاتلوا فى سبيل الله ، من كفر بالله . ولا تعتدوا . ان الله لا يحب المعتدين ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا وتوقوا قتلهم اذا التقى الجيشان وعند شن الغارات » (٣) .

وكان للدولة الفاطمية دار يقال لها « خزانة البنود » كانوا يخزنون فيها الأعلام والبنود والرايات وكانوا ينفقون عليها سنويا (٨٠٠٠٠٠) دينار ويقول المقرئى (٤) أن الذى بناها هو الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله وانها كانت تشتمل على كميات كبيرة من الرايات والأعلام والآلات الحربية ، وأن الخليفة الظاهر اتخذ فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين فى سائر الصنائع .

وقد وهب الخليفة المستنصر بالله خزانة البنود لسعد الدولة المعروف بسلام عليك وقد حدث عند نقلها ليلا أن سقط من أحد الفراشين شمع موقد فاحترق جميع ما فى الخزانة وكان ذلك سنة ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م (٥) .

وعلى الرغم من كثرة المراجع التى تكلمت عن الأعلام والبنود ، الا أن أحدا لم يعن عناية خاصة بوصف شامل لبنود كل دولة على حدة ، وبنود كل فرقة فى الجيش والتفريق بين أعلام الجيوش البرية وبنود البحرية . على أننا نستطيع أن نستخلص من ثنايا الحديث عن الحروب البحرية أشكال بعض البنود

(١) المقرئى : المخطوط ج ١ ص ٤٢٣ .

(٢) Van Bercham=Corpus, vol. I, P. 328.

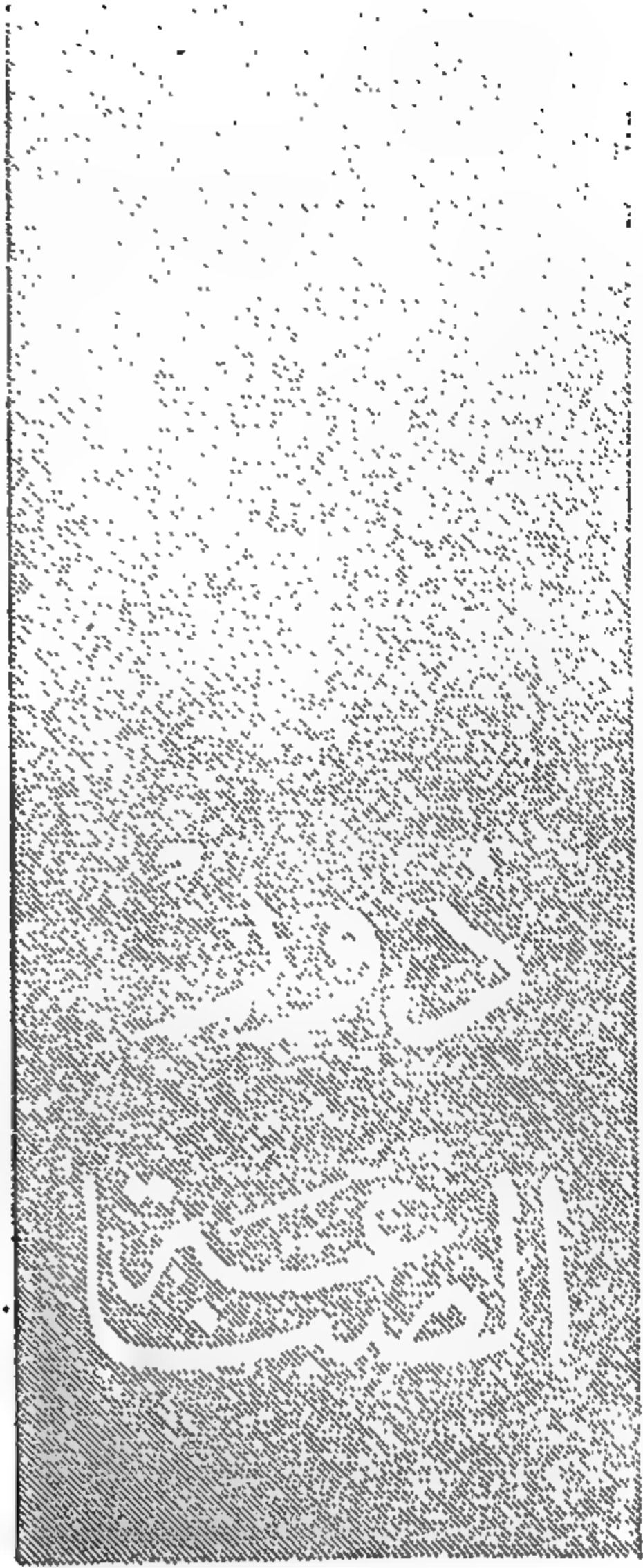
(٣) التمدن الاسلامى ج ١ ص ١٣٦ .

(٤) المقرئى : ج ١ ص ٣٥٥ كنوز الفاطميين ص ٦٥ .

(٥) المقرئى ج ١ ص ٤٢٥ .

وأوصافها (انظر لوحة رقم ٣١) . ففي الحملة التي شنّها الأسطول المصرى على قبرص سنة ١٢٧٠ م ، فى عهد السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى ، يقول المقرئى (١) . « واستدعى شوانى الثغور الى مصر فبلّغت زيادة على أربعين قطعة سوى الحرايق والطرائد ، فانها كانت عدة كثيرة ، وذلك فى شوال سنة تسع وستين ومستمائة ، ثم سارت تريد قبرص ، وقد عمل ابن حسون رئيس الشوانى فى أعلامها الصليبان (انظر لوحة رقم ٤٩) يريد بذلك انها كانت تخفى اذا عبرت البحر على الفرنج حتى تطرقهم على غفلة ، فكره الناس منه ذلك » . يستفاد من رواية المقرئى أن أعلام الصليبيين كانت تضع الصليب شارة لها ، وليس بمستبعد أن تكون أعلام المسلمين أبان الحروب الصليبية تزان بالهلال الى جانب شارات أخرى فرعية .

(١) المقرئى ج ٢ ص ١٩٤ .



وما دما قد تكلمنا عن الأسطول المصري ، فمن الواجب بل من الضروري أن نتناول بالبحث والدراسة دور الصناعة التي قامت بتصنيع هذا الأسطول الذي كتب له النصر في معظم المعارك التي خاضها . وقد أطلق العرب أسماء عدة على المصانع البحرية ، فقد عرفت في أوائل العصر الاسلامي باسم (دور الصناعة) . واطلاق لفظ الصناعة دون تخصيص على صناعة السفن ليدل دلالة واضحة على مبلغ اهتمام الدولة الاسلامية بالقوى البحرية ، ولذا فقد أصبحت الصناعة لديها ، تعنى في المقام الأول صناعة السفن والأساطيل . ولما اتصل الفرنج بالعرب عن طريق الأندلس في المغرب وفي الحروب الصليبية في الشرق ، وتأثروا بمدنيتهم اقتبسوا عنهم فيما اقتبسوه من هذه الألفاظ ، هذا اللفظ فقال الأسبان (Darcinah) وأخذتها عنهم سائر اللغات الأوروبية فتقلبت بالنحت حتى صارت (Arsenal) ثم عاد العرب فأخذوها عن الأسبان (Tarsanah) وظنوها تركية فعربوها الى (ترس حانة) أو ترسانة . ويضيف جرجي زيدان فيقول ، أن لفظ ادميرال (Admiral) أخذ عن « أمير البحار » العربية (١) .

(١) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٦١ .

ويرى ابن خلدون أن العرب اعتمدوا في أول أمرهم على أبناء الأمم التي خضعت لسلطانهم ممن كانت لهم دراية بالبحر وثقافته في بناء السفن والأساطيل. وقد كانت مصر بطبيعة الحال من أولى تلك الأمم ، فمن المعروف أن أكبر صناعات مدينة الاسكندرية قبيل الفتح العربى ، كانت صناعة بناء السفن ، اذ كانت الاسكندرية أكبر أسواق العالم ، وأكثر ثغوره ازدهاما وحركة بالتجارة الواردة اليها من البحر الأحمر عن طريق القلزم (السويس) ومنها تحصل في ترعة تراجان الى مدينة منف على نهر النيل ، ومن منف تنحدر بها السفن في النيل الى ميناء الاسكندرية حيث كانت تصدر الى جميع موانئ البحر الأبيض المتوسط . ومثل هذه التجارة العظيمة لا بد لها من عدد كبير من السفن . ولما كانت مصر خلوا من موارد الخشب الذى يصلح لصناعة السفن ، فقد كانت تستورده من بلاد الشام وغيرها من البلدان المنتجة لهذا النوع من الخشب ، ثم تقوم بصناعته في مدينة الاسكندرية . فضلا عن ذلك، فان مصر تبت نوعا من الكتان تصلح أليافه صلاحية تامة لعمل الحبال وأدوات السفن ، فقد قال ابن الفقيه (١) « ومن عجائب مصر نوع من الكتان اسمه (الدقس) كانت تصنع منه حبال السفن وكانت تسمى (القرقس) » . ويصف سيبوس (٢) في تاريخه احدى السفن التجارية التى صنعت في الاسكندرية فيقول « انها كانت تحمل عشرين ألف مد (٤٠٠٠ أردب) » . ويعلق بتلر (٣) على حمولة هذه السفينة فيقول « ان أحدا من المؤرخين لم يذكر أن حمولة السفينة كانت فذة ، مما يدل على أن صناعة مثل هذه السفن ذات الحمولة الكبيرة كان شيئا عاديا بالنسبة للسفن التى كانت تصنعها مدينة الاسكندرية » (انظر لوحة رقم ٧٥) .

والى جانب السفن والأسطول التجارى ، كانت مصر تصنع كذلك السفن الحربية لها وللدولة البيزنطية ، وقد ترك لنا (Sebeos) وصفا مسهبا على جانب

(١) ابن الفقيه : كتاب البلدان ج ٥ ص ٦٦ .

(٢) Sebeos : Translation by Conybeare, P. 82.

(٣) فتح مصر ص ٨٢ .

عظيم من الأهمية للسفن المصرية التي أرسلت لنزو بزنتة في عهد معاوية ، جاء فيه أن عدد السفن الكبرى ثلثمائة ، كل منها يحمل ألف رجل ، وعدد الطرادات خمسة آلاف كل منها يحمل مائة رجل » ويضيف سيبوس فيقول ، « ان السفن الحربية كانت مزودة بآلات القذف التي تتكون من المجانيق وآلات رمى الحجارة وبالأبراج العالية التي تستعمل في تسور صرح الأسوار المحصنة » .

ولقد كان لا تتصار الأسطول المصري في موقعة (ذات الصواري) سنة ٣٥ هـ سنة ٦٥٤ م أكبر الأثر عند العرب في تأمين سلامة شواطئهم على البحر الأبيض المتوسط ، كما جعلتهم يدركون أنهم قد أصبحوا قوة بحرية لها خطرها ، وأن الموقف الجديد أصبح يحتم عليهم الفصل في سيادة ذلك البحر وانتزاعه نهائيا من قبضة الروم . ومن ثم فقد أصبح بناء دور لصناعة الأساطيل ضرورة لا مفر منها ، ولذلك فقد بدأ معاوية سياسته البحرية بتقوية الثغور البحرية في مصر والشام ، كما وجه اهتماما خاصا الى دور الصناعة لانتاج السفن الحربية وغيرها من المراكب الخاصة بنقل المؤن والعتاد .

وأنشئت في مصر أول دار لصناعة السفن في العصر الاسلامي سنة ٥٤ هـ / ٦٧٤ م في عهد واليها مسلمة بن مخلد من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، وكان مقرها جزيرة الروضة ، ولذا عرفت باسم « صناعة الروضة » . وقد أدت كثرة الغزوات التي شنّها الروم على الثغور المصرية في العصر العباسي الى اهتمام الخلفاء (بصناعة الروضة) ، ففي سنة ٢٣٨ هـ / سنة ٨٥٣ م ، أقلت سفن أسطول الروم الى الشواطئ المصرية ، وصبت جام غضبها على مدينة دمياط ، ويقول المقرئزي^(١) « ولما كانت خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله ، وأمير مصر يومئذ عنبسه بن اسحق ، نزل الروم دمياط يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائتين فملكوها وما فيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والأطفال » ويضيف المقرئزي^(٢) « فوقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الأسطول وصار من أهم ما يعمل في مصر ، وأنشئت الشوانى برسم الأسطول وجعلت الأرزاق لغزاة

(١) المقرئزي ج ١ ص ٣٤٦ .

(٢) المقرئزي ج ٢ ص ١٩١ .

البحر ، كما هي لغزاة البر وانتدب الأمراء له الرماة فاجتهد الناس بمصر في تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة ، وانتخب له القواد العارفون لمحاربة العدو ، وكان لا ينزل في رجال الأسطول كسلان أو جاهل بأمور الحرب . هذا وللناس اذ ذاك رغبة في جهاد أعداء الله واقامة دينه ، لا جرم انه كان لخدام الأسطول حرمة ومكانة ولكل أحد من الناس رغبة في أن يعد من جملتهم فيسعى بالوسائل حتى يستقر فيه .

ويفهم من العبارة التي أوردها المقرئى من أنه « قد حصلت الأرزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر » انه قد أصبح لمصر في العصر العباسى في القرن الثالث الهجرى جيش بحرى ثابت له رواتب ثابتة مثل الجيش البرى ، كما أصبح لا ينضم الى جنود الأسطول الا المدربون العارفون بأمور الحرب ، وهذا يقتضى بطبيعة الحال تخصيص مبلغ ثابت للاتفاق على « دور الصناعة » .

وقد ساعدت الأحداث السياسية في مصر على الاهتمام بالأسطول ودور الصناعة فقد قامت فيها ولاية مستقلة عن الخلافة العباسية في بغداد استقلالا اسميا ، على يد أحمد بن طولون الذى ولى شئون مصر سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م . وبادر أحمد بن طولون الى دعم قوته البحرية ليدفع عن نفسه وعن ولايته محاولات الخلافة العباسية استرداد نفوذها المطلق ، ومن ثم اهتم بشئون أسطول مصر ، فجدد بناء (دار صناعة الروضة) كما دب النشاط في القواعد البحرية في دمياط وتيس والاسكندرية . وقد وصف المقرئى^(١) الأسطول المصرى في عهده بقوله « بنى ابن طولون أسطولا يتألف من مائة مركب حربية سوى ما يضاف اليها من العلايات والحمائم والعشاريات والسنايك والزوارق وقوارب الخدمة » .

قال ابن اياس^(٢) « حدث أبو كامل شجاع بن أسلم الحاجب قال : لما أطلقنى أحمد بن طولون الزمنى دار الصناعة فدعانى يوما فقال لى : كل ما تعمل لى من العدة يكتفى فيه بالقليل ، مع تقدم هيتى في صدور الناس ، الا المراكب فان البحر لا يهابنى ولا يخاف ثورتى وليس يعمل في البحر الا الوثاقة ، والجودة في

(١) المقرئى ج ١ ص ٣٢٢ .

(٢) ابن اياس : بذائع الزهور في وقائع الدهور ج ١ ص ١٨٥ .

الصناعة ، وتقديم الاحسان ، فقدم الحزم في الاحتياط والاستزادة والاتفاق على المراكب . فتسلم بعون الله عز وجل وتوفيقه من معرة البحر » .

وفي منتصف القرن الرابع الهجرى عنى محمد بن طنج الاخشيدى سنة ٣٧٣ هـ سنة ٩٣٧ م بانشاء المراكب الحربية ، فنقل جزءا من دار صناعة السفن من جزيرة الروضة الى الفسطاط في دار عرفت باسم « صناعة السفن (١) » . وغدت السفن الحربية والتجارية تصنع في دار صناعة مصر تارة وفي دار صناعة الجزيرة تارة أخرى . وكانت هذه الصناعة بساحل مصر القديمة ، ويعرف موضعها بدار خديجة بنت الفتح بن خاقان زوجة أحمد بن طولون . فقد رأى الاخشيد من الوجهة العملية أنه يحول بينه وبين صناعة الروضة الماء ، فاختار الفسطاط مكانا لدار صناعة مصر . وما زالت دار صناعة مصر عامرة حتى سنة ١٣٠٠ م حتى تحولت أرضها الى بستان عرف ببستان ابن كيسان (٢) ثم بستان الطواشى .

ويقول المقرئى ، « وكان بهذه الصناعة ديوان العماير ، وقد أنشأ الوزير المأمون (٣) هذه المنظرة والصناعة التى فيها ولم تزل الى آخر الدولة ودهليزها ممدود بمصاطب مفروشة بالحصر العبدانى بسطا وتأزيرا » . ويضيف المقرئى (٤) فيقول « قال ابن المأمون : كانت جميع مراكب الأساطيل ما تنشأ الا بالصناعة التى بالجزيرة ، فأنكر الوزير المأمون ذلك وأمر بأن يكون انشاء الشوانى وغيرها من المراكب النيلية الديوانية بالصناعة بمصر وأضاف اليها دار الزيب ، وأنشأ المنظرة بها وكتب عليه اسمه وقصد بذلك أن يكون حول الخليفة يوم تقدمه الأساطيل ورميها ، بالمنظرة المذكورة وأن يكون ما ينشأ من الشوانى والشلنديات فى الصناعة بالجزيرة » . وقال ابن الطوير (٥) « الخدمة فى ديوان الجهاد ، ويقال له ديوان العماير ، وكان محله بصناعة الانشاء بمصر للأسطول

(١) الميرون الدمع فى حل بنى طنج ص ١٢٩ .

(٢) المقرئى ج ٣ ص ١٩٧ .

(٣) الوزير مأمون البطائحي فى عهد الخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمى .

(٤) المقرئى ج ١ ص ٤٨٢ .

(٥) المقرئى ج ١ ص ٤٨٢ .

عشاريا ويلها عشرون ديماسا منها عشرة برسم خاص الخليفة أيام الخليج وغيرها والمراكب الحاملة للغلات السلطانية والأحطاب وغيرها . وكانت تزيد على خمسين ولكل منها رئيس ونواتى لا يبرحون ، ينفق فيهم من مال هذا الديوان وبقية العشاريات والدواميس برسم ولاية الأعمال المميزة فهمي تجر لهم وينفق في رؤسائها ورجالها أينما كانوا من مال الديوان .

وكانت محاولة الروم الاستيلاء على بيت المقدس دافعا قويا وسببا مباشرا في انشاء الخليفة المعز لدين الله دارا لصناعة السفن بالمقس بالاضافة الى الدارين السابقتين بجزيرة الروضة وبالفسطاط . « والمقس ^(١) ضيعة كانت تعرف باسم أم دين واقعة على ساحل النيل ، وقد جعلها المعز مرفأ صناعيا ، وأنشأ بها الخليفة الحاكم جامع المقس » وقد عرفت في أول الأمر باسم (المكس) ^(٢) لاقامة صاحب المكس والعشار بها ثم قلبت (الكاف) قاف فقيل المقس . وقد وصفها المؤرخ المصرى ، عز الملك المسبحى ، بقوله « انه بنى فيها ستمائة مركب ، وانه لم ير مثلها فيما تقدم كبرا ووثاقة وحسنا » وقال في هذا المعنى ابن أبى طيى في تاريخه عند ذكر وفاة المعز لدين الله « انه أنشأ دار الصناعة التى بالمقس وأنشأ بها ستمائة مركب لم ير مثلها فى البحر على ميناء » .

ويقول المقرئى ^(٣) « وكانوا يحتفلون باقلاع الأسطول الى الغزو احتفالا شائقا يحضره الخليفة فيجلس فى منظره معدة له على ساحل النيل بالمقس هو والوزراء للوداع ، ثم تجيء القواد بالمراكب من مصر الى هناك للحركات فى البحر بين يديه وهى مزينة بأسلحتها ولبوسها ، وفيها المنجنيقات ، تلعب فتتحدر وتقلع بالمجاديف كما يفعل فى لقاء العدو بالبحر » .

وقد حدث سنة ٩٩٦ م أن أمر الخليفة العزيز بالله باعداد أسطول فى دار الصناعة بالمقس للهجوم على قواعد الروم المجاورة للشام ، ولكن ما كادت دار الصناعة أن تفرغ من بناء السفن حتى شبت فيها النار فأحرقت معظم قطع الأسطول .

(١) ياقوت ج ٣ ص ١٢٢ .

(٢) المكس : هى الدراهم التى كانت تؤخذ من بائى السلع فى الأسواق .

(٣) المقرئى ج ٢ ص ٣٦٨ .

واتهم الخليفة تجار الروم وعملائهم من مدينة (أمالفي) بتدبير الحادث ، ولا سيما أنهم يقيمون في أحد الفنادق المجاورة لدار الصناعة ، واعترف الروم بجريمتهم وغادروا البلاد مطرودين . ولكن حالة مصر الاقتصادية ، وكذا قوة استعدادات دور الصناعة المصرية لم تتأثر بهذا الحادث الطارئ ، اذ أمر الخليفة العزيز بالله بجمع الأخشاب من سائر أنحاء البلاد وبناء أسطول آخر (١) .

فلما انتقلت السلطة الى صلاح الدين الأيوبي ، خص الأسطول بكامل عنايته وأفرد له ديوانا خاصا أسماه « ديوان الأسطول » وأقر له ميزانية خاصة من خراج الفيوم وأعمالها وكثير من البلدان مثل بهتيم والأميرية وأوسيم ، ونصب على رأس الديوان أخاه الملك العادل أبا بكر محمد بن أيوب (٢) . كذلك اهتم اهتماما بدور الصناعة الموجودة بالموانئ والثغور التي تقع على البحر الأبيض المتوسط ، وذلك لقربها من ميدان القتال في بلاد الشام . ويقول ابن مماتي « انه كان بمصر حتى آخر القرن السادس الهجري ، ثلاث دور لصناعة السفن بمصر والاسكندرية ودمياط . وكانت صناعة العماير فيها تنشيء المراكب ولها مستخدمون يستدعون لما يحتاج اليه ، ويطلق لهم المال والأصناف ويسترفع منهم الحسابات وفيها ما يباع من حطام وغيره (٣) » . ويضيف ابن مماتي « كذلك كانت هناك صناعة العماير في ثغر الاسكندرية ، لها مستخدمون يستدعون ما تحتاج اليه ، ويقومون بتجهيز سفن الأسطول » .

ولأهمية الاسكندرية فقد تعرضت كثيرا لغارات الأعداء وهجماتهم مما حمل أهلها على تحصينها برا وبناء الأسوار وبحرا بنصب الأبراج على مينائها واقامة المآصر بينها . والمآصر هي سلاسل (٤) ضخمة من الحديد كانت تعترض الميناء فتحده من جهة البحر ، وكان يرسخ أحد أطرافها في صخرة مرتفعة مشرفة على جانب الميناء ويربط طرفها الآخر بقفل محكم الصنع ، يوضع داخل برج مظل على

(١) المقرئى ج ٢ ص ٣٦٩ .

(٢) المقرئى ج ٢ ص ١٩٤ .

(٣) ابن مماتي ص ٢٤٠ .

(٤) القلقشنلى : صبح الاعشى ج ٢ ص ١٣٧ .

الميناء من جهته الثانية ، ويجلس في البرج شخص يطلق عليه اسم (صاحب القفل)
عنده الأمر والنهى في خروج السفن من الميناء ودخولها اليه ، فيعمل على رفع
السلسلة أو على خفضها . وكانت الضرائب والعشور تجبى عند هذه المآصر على
كل مال أو طعام أو حيوان أو غير ذلك مما يدخل البلاد أو يخرج منها .

ويقول المقرئى (١) « وكانت بميناء دمياط دار صناعة لانشاء السفن يديرها
أهل خبرة في هذا الفن » ويضيف عن سلسلة ثغر دمياط أيام صلاح الدين فيقول
« ان برج دمياط كان برجا منيعا فيه سلاسل من حديد غلاظ تمد على النيل لتمنع
المراكب الواصلة في البحر المالح من الدخول الى ديار مصر في النيل » .

وهكذا نرى أنه كان بمصر في العصر الاسلامى خمس دور لصناعة السفن،
وهي صناعة الروضة ، وصناعة مصر ، وصناعة المقس ، وصناعة الاسكندرية
وصناعة دمياط .

(١) المقرئى ج ٢ ص ١٩٥ .

الفاخون البحرى

واتماما للفائدة رأيت أن أتناول في ايجاز نشأة القانون البحرى فى العصور القديمة والعصر الوسيط ، فليس من شك فى أن القانون البحرى قديم قدم الملاحة البحرية ذاتها ، الا أنه شأن أى قانون آخر أخذ يتطور بتطور البيئة التى يحكمها. ويعتبر البابليون أول من عرف القرض البحرى سواء على السفينة (Bottomny) أو على البضاعة (Respondentia) ، اذ ورد فى قانون حمورابى سنة ٢٢٥٠ ق . م نص يتضمن فى شكل بدائى العناصر الجوهرية (١) . ولما كان الفينيقيون على اتصال تجارى مع البابليين ، كما كانوا على درجة كبيرة من التقدم فى الملاحة ، فقد نقلوا عقد القرض البحرى عند البابليين بعد تطوره وتعديله بما يلائم احتياجاتهم الخاصة (٢) . ومن أهم القوانين البحرية التى وضعها الفينيقيون فى جزيرة رودس حيث استقروا ، هو قانون الالقاء فى البحر ، الذى يعتبر أصلا

(١) Trener : The Origin & Early History of Insurance, P. 45.

(٢) محمود نعيم الشرقاوى : الخطر فى التأمين البحرى ص ٢٠ .

لفكرة الخسارات المشتركة والذي يقضى بأن يشترك الأطراف المعنية في الخسارة التى تحدث نتيجة القاء بعض البضائع فى البحر لتخفيف حمولة المركب وانقاذها . وعن الفينيقيين أخذ الرومان هذا القانون الذى عرف عندهم (Lex Rhodia de Jactu)^(١) كما تأثر الأغريق بقانون رودس وساروا على هديه . وقد أضاف الرومان بعض القواعد الخاصة بالقانون البحرى أبرزها ما عرف بدعوى الغير قبل مالك السفينة (Actio exercitoria)^(٢) وبمقتضاها يستطيع الغير الذى تعاقد مع الربان أن يرجع مباشرة على مالك السفينة على الرغم من مبدأ عدم جواز النيابة فى التصرفات القانونية^(٣) .

على أن عناصر القانون البحرى بالمفهوم الحديث لم تنشأ الا فى العصور الوسطى نتيجة للحروب الصليبية التى ظهرت على مسرح الأحداث فى حوض البحر الأبيض المتوسط منذ القرن الحادى عشر ، وقد أدى هذا بدوره الى انتعاش الملاحة البحرية بسبب ثقل الجنود والمؤن بين غرب البحر الأبيض المتوسط وشرقه . وترتب على هذا نشأة تقاليد وعادات بحرية فى مدن ايطاليا البحرية مثل جنوه والبندقية ، وقد دونت تلك التقاليد والعادات البحرية ومن ثم أصبحت عرفا يتعامل به دوليا فى ذلك الوقت . ومن أهم وأشهر تلك التقاليد البحرية المدونة مجموعة قواعد أوليرون (Les Rôles d'Oléron) وقنصلية البحرية (Le Consulat de la mer) ومرشد البحر (Le Guidon de la mer)^(٤) .

أما عن قواعد أوليرون ، فمن المرجح أنها ترجع الى القرن الثانى عشر الميلادى وقد أخذت اسمها من جزيرة اوليرون التى تقع فى المحيط الاطلسى بالقرب من الشاطئ الغربى لفرنسا . وقد قننت هذه القواعد القضاء البحرى الذى استقر فى الموانى الفرنسية المطلة على المحيط الأطلسى ، فقد وجدت بهذه الجزيرة محكمة بحرية قام احد الموثقين بها بتدوين أحكامها ، ثم امتد سلطان تلك القواعد خارج الجزيرة الى البلاد الواقعة على ساحل المحيط وبحر الشمال .

(١) محمود شمير الشرقاوى : القانون البحرى ص ١٠ .

(٢) La Revue :Internationale du droit maritime (1885)

(٣) مصطفى طه : أصول القانون البحرى رقم (٢٩) سنة ١٩٥٢ .

(٤) Ript (G) :Précis de droit maritime 7th ed. No. (10).

وقنصلية البحرية كان لها نفس أهمية قواعد اوليرون ، وانما في حوض البحر الأبيض المتوسط وسميت كذلك نسبة الى محكمة بحرية تحمل هذا الاسم في برشلونة ، ومن المرجح أنها دوت في القرن الرابع عشر باللغة المحلية لأهل برشلونة . ووضعت مجموعة مرشد البحر في مدينة روان (Rouen) بشمال فرنسا في القرن السادس عشر والتي أرسى لأول مرة قواعد تفصيلية للتأمين البحري^(١) ، والذي أغفلته المجموعتان السابقتان .

ولما تحققت لفرنسا الوحدة الشاملة في القرن السابع عشر وأصبحت السلطة المركزية تتمتع بسلطان مطلق ، اتجه الرأي الى توحيد القانون في المملكة كلها وبذلك ظهر أول تقنين بحري في عهد لويس الرابع عشر ووزيره كولبير (Colbert) سنة ١٦٨١ م عرف باسم أمر البحرية (Ordonnance de la marine) ، وقد تناول فقهاء القرن الثامن عشر هذا الأمر بالشرح والتعليق .

أما في البلاد الإسلامية فالى جانب معرفتهم بالقوانين والعادات والتقاليد الدولية ، كانت لهم قوانين وعادات وتقاليدها خاصة بهم تعتمد في أساسها على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد وجدنا الكثير من هذه القوانين والتقاليد في كتب الحسبة ، التي لم تترك صغيرة ولا كبيرة فيما يختص بالبحرية الا أحصته وبينت أوجه الصواب فحشت عليه وأوجه الشر أو الضرر فنهت عنه . فقد جاء في مخطوطة الحسبة للإمام محمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن الاخوة القرشي^(٢) في الباب الخاص بربان السفن وأصحاب المراكب، ما يلي « يؤخذ على أصحاب السفن والمراكب ألا يحملوها فوق العادة خوف الفرق ، كذلك يمنعهم من السير وقت هبوب الرياح واشتدادها ، وإذا حملوا فيها النسوان والرجال حجب بينهما » .

وجاء في مخطوطة « نهاية الرتبة في طلب الحسبة لابن بسام^(٣) ما ينبغي على صانعي السفن والمراكب من تجارين وقلافة وخلافه ، عمله والأخذ به فقد قال

(١) Paul Coissin : Institutions militaires et navales, P 27.

(٢) مخطوط الحسبة الباب (٥٤) ص ١٢٢ (مخطوطة رقم بمتحف الفن الاسلامي)

(٣) مخطوط نهاية الرتبة في طلب الحسبة الباب (٦٥) ص ٥٩ ، ٦٠

« ينبغي أن يشرف عليهم عريف ثقة ثم ان هؤلاء النجارين والقلافة يأخذون في الصناعة المعمورة ^(١) بالعز الدائم من السلطان عزه الله تعالى ^(٢) » ثم هو ينهى تقابات نجارى المراكب والقلافة وغيرهم من صناع السفن من الاتحاد والتكتل للأضرار بالناس وأصحاب السفن فيقول « ثم يشترطون على أرباب المراكب يأخذون عما شاءوا أجرته درهما واحدا خمسة دراهم فاذا امتنع عليهم أحد تركوه وانصرفوا عنه وحلفوا أنهم لا يعملون الا بزيادة عما قرروه في الأول فيرجع اليهم للضرورة لأنهم عصبية لا يخالف بعضهم بعضا . ثم هو بعد ذلك يشير الى تشريع دينى ورد في السنة النبوية وهو تحريم شركة الأبدان فيقول « فهم في هذا أول شيء خالفوه ، خالفوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه حرم شركة الأبدان ، وهم في ذلك يشيعون على السلطان بالكذب لأنهم يذكرون للناس أنهم يعملون في الصناعة عملا يساوى فوق أجرتهم أضعاف ما يأخذون (كذا) فينبغى ألا يسمكوا من الشركة لأنها حيف ومضرة على أرباب المراكب فينبغى أن يحلفوا جميعا على ترك هذه الشركة ، ويشهر هذا الأمر بالحرس في كل السواحل ، ويعملوا لسائر الناس (صحتها ويعلم سائر الناس) كما يعمل نجارو (كذا) الدور وغيرهم من الصناع وكذلك القلافة من غير أن يحف على الجهتين ومن خالف أدب » .

ولم يكتف المحتسب بمراقبة الربانة وأصحاب السفن وصانعى المراكب من نجارين وقلافة فحسب ، بل عنى كذلك عناية خاصة بالمراسد والمراقب وذلك لأهميتها البالغة في ارشاد السفن وهوايتها ، ولذلك فقد حتم عليها أن تراعى الأوامر ^(٣) الآتية ، « ينبغي أن يتقدم الى متولى المراقب على البحر الملح ورصده البحار ويأمرهم بالتهليل والتكبير والتوقيد للنار في ليلة جمعة ، ليعلم أنه مستيقظ وعلى حذر ، فاذا رأى خيرا ولاح سبب ، ويتفقد ولم يغفل عن مراعاته نهارا كان أو ليلا ويراعى ذلك منهم ويتفقد سفينتهم في المراقب ، فان جرى من أحد

(١) المقصود هنا بالصناعة المعمورة هي صناعة الأساطيل .

(٢) يفهم من هذه الجملة أنه على النجارين والقلافة الذين يعملون في صناعة الأساطيل أن يحصلوا

أولا على ترخيص من السلطان أو من ينوب عنه وهذا يدل على مدى أهمية وخطورة هذه الصناعة .

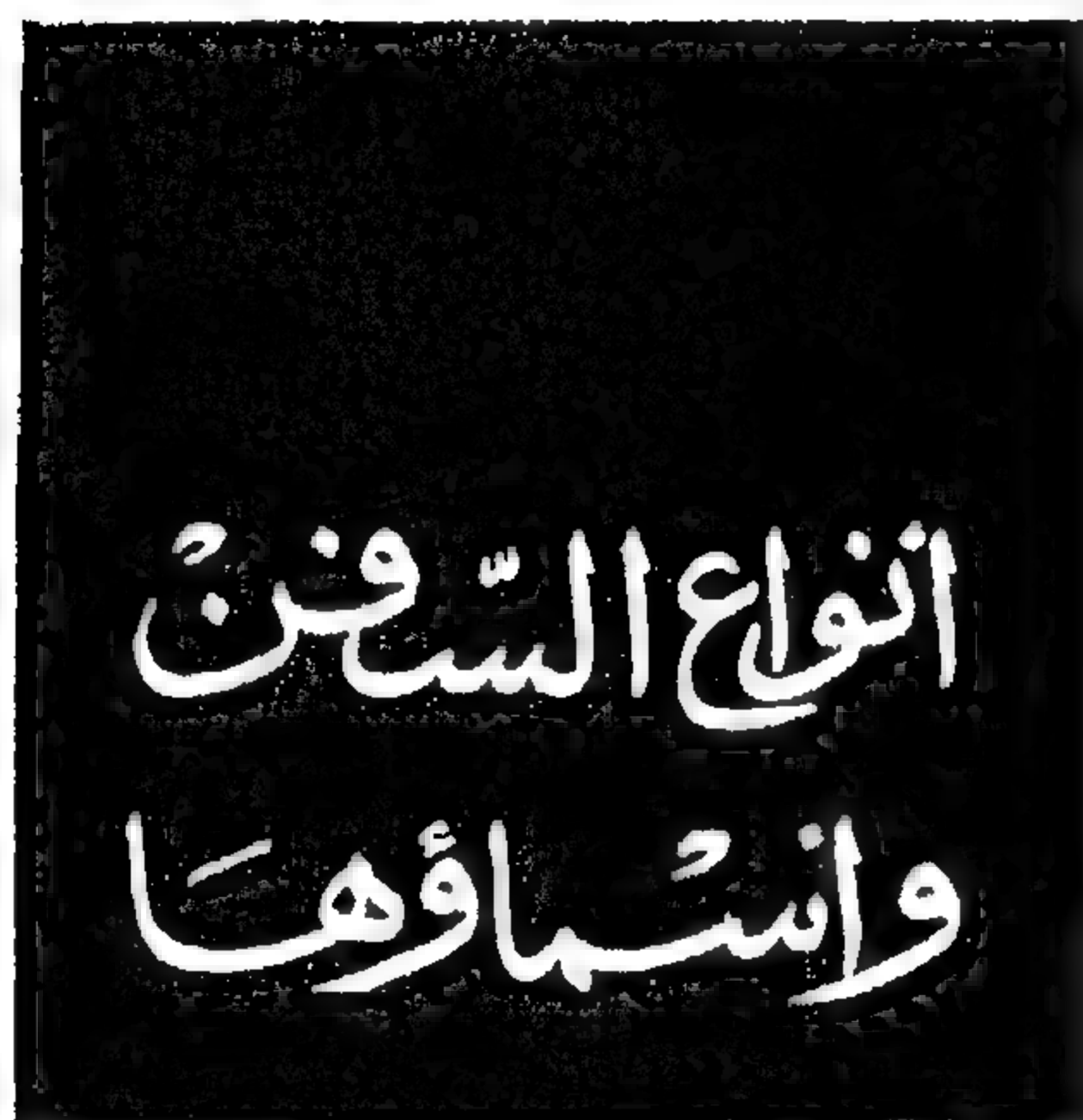
(٣) نهاية الرتبة في طلب الحسبة باب (٨٩) من ٧٢ .

نقص استبدل به غيره ، والصواب أن يسأل قوم من المتسورين وكذلك من المؤقتين ومن شاكلهم أن يذكروا الناس في الأسواق بتأذين بالتهليل والتكبير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الأئمة وينهون الناس عما نهاهم الله من النجس والظلم لقوله عز وجل « ويل للمطففين » (الآية) فقد توافق هذا التحذير بالاقلاع عن الأضرار ويخشوا أيضا على اشتهاار أمر الأعلام ، والمرضى في منازلهم من المسلمين ليعدد (صحتها ليعضد) بعضهم بعضا ، لما في ذلك من المثوبة والحسنة ، فقد لحقت شيوخا مستورين كانوا يسألون الأطباء عن الأعلام والمرضى فيخبرهم بأماكنهم فيمضون اليهم ويلطفونهم ويعاونونهم بالملاطفة والهدايا والأشربة والفواكه وغير ذلك .

وقد ظلت مصر الإسلامية تعمل بالقوانين والأوامر التي تصدر في كتب الحسبة وهي كما رأينا تقوم على القرآن والسنة وعلى ما انتهى اليه المجتهدون من الأئمة ، حتى كان القرن التاسع عشر ، حيث وضع قانون تجارى بحرى جديد سنة ١٨٨٣ ، هو في الواقع عبارة عن ترجمة ركيكة لقواعد الأمر الملكى الفرنسى (١) الصادر في عهد لويس الرابع عشر سنة ١٦٨١ م .

(١) القانون البحرى ص ١٢ .

الباب السابع



كانت السفن والمراكب أنواعا تتفاوت شكلا وجرما وقوة ، فمنها الحربية ومنها التجارية ومنها ما هو للرحلة والنزهة فقط . وقد زخرت كتب مؤرخى العرب وغيرهم فى العصور القديمة والوسطى ، وأسفار الرحالة والمستكشفين بمئات من أسماء السفن والمراكب ، كما حظيت لغة العرب وأشعارهم بالكثير من أسماء السفن وأدواتها ، مما يؤكد خبرتهم الواسعة بركوب البحر ووسائله .

فقد جاء فى وصفها « ولا تنس الجوارى والمنشآت فى البحر كالأعلام ، التى تسبق عند طياب الريح مفوقات السهام ، واعجابها بغربائها البحرية وحراقاتها الحربية وشوانيتها وهول مبائنها وجلال شكلها وجمال معانيها ، تبدو موشاة بالنضار الأحمر ، منقشة باللون الأفخر ، فهن كالأرقم المنمر ، أو كمتلون الثمر ، أو الطاووس الذكر ، أو النافس لبنى الأصفر ، معمرة ببأس الحديد والأحجار ، محمولة على سبج الماء التيار مشحونة بالرجال ، منصورة عند القتال مصونة بالمجن والنبال ، تبرز مذكرة بالآية النوحية وتضمن اخراز الهمة العلية الفتحية حصون أمنع من أعز قلاع ، تطير اذا فتح لها جناح القلاع ، فتسبق وقد الريح عند

الاسراع ، وتفوق سرعة السحاب عند الاتساع ، فهي مع العقبان في النيق حوم ،
وهن مع البنيان في البحر عوم (١) .

وكانوا في بعض الأحيان يضعون أوصافا لتلك المراكب تميزا لها وفي الأعم
الغالب كانت تترك دون اشارة . لذلك رأيت اتماما للفائدة أن أجمع أسماء السفن
والمراكب من المراجع العربية والأجنبية قدر المستطاع ، في ترتيب أبجدي ، ثم أقوم
بوصفها وصفا يمكن تصوره ، مع توضيح بالصور المنقولة من المخطوطات
والرسوم المنقوشة على الآثار :

١ — ابكترا (Epaktra) (٢) يطلق هذا الاسم على سفن الصيد عند
الفينيقيين وقد استعملت في أغراض أخرى غير ذلك وخاصة وقت الحرب
وقد ظلت مستعملة حتى العصور الوسطى وخاصة في الحروب
الصليبية (٣) .

٢ — أجفان : من المراكب النهرية المستعملة في الصين ، ويقول ابن بطوطة (٤)
« وركبت النهر في مركب يشبه (أجفان) بلادنا الغزوية ، الا أن الجذافين
يجذفون فيه قياما ، وجميعهم في وسط المركب ، والركاب في المقدم
والمؤخر . ويظللون على المركب ثيابا تصنع من نبات بلادهم يشبه الكتان
وليس به ، وهو أرق من القنب » وكانت الأجفان تستعمل كذلك في
سيلان بكثرة ، فيحدثنا ابن بطوطة عن سلطان سيلان فيقول « رأيت
مرة وأنا بالمعبر (مدينة بسيلان) مائة مركب من مراكبه (يعني مراكب
السلطان) ، بين صغار وكبار ، وصلت الى هنالك ، وكان بالمرسى ثمانية
مراكب للسلطان للسفر الى اليمن ، فأمر السلطان بالاستعداد وحشد
الناس لحماية (أجفانه) (٥) » .

(١) المقرئى : ج ١ ص ٣٧٠ .

(٢) Cecil Torr : Ancient Ships, P. 105.

(٣) Aulus Gellius, X, P 25.

(٤) رحلة ابن بطوطة ج ١١ ص ٤١٨ .

(٥) ابن بطوطة ج ١٠ ص ٣٩٥ .

٣ — اعزاري : سفينة صغيرة من سفن الأسطول المصرى مخصصة لحمل المؤن والازواد ، ويقول ابن مماتي^(١) « ان الاعزاري مع توابع الأسطول تحمل فيه الازواد » .

٤ — أعواذى : جمعها اعواديات ، وهى من السفن الصغيرة التابعة للأسطول المصرى .

٥ — اکتواری (Actuarie) ^(٢) - قسمت الشعوب القديمة السفن ثلاثة أقسام رئيسية ، سفن للحرب ، وتمتاز بطولها ، والسفن التجارية وتكون مستديرة ، أما القسم الثالث فسفن صغيرة وسط بين القسمين الأولين من حيث الطول والاستدارة وسفن الاکتواری من النوع الثالث .
(انظر لوحة رقم ١٠ ، ١١) .

٦ — الاهورة : هى من أسماء السفن التى أخذها العرب عن الهند بعد الاسلام وقد وصفها ابن بطوطة^(٣) عند ذكر سفره فى نهر السند فقال « وكان للفقير علاء الملك فى جملة مراكبه مركب يعرف بالاهورة ، وهى نوع من الطريدة عندنا ، الا أنها أوسع منها وأقصر . وعلى نصفها معرش من خشب يصعد له على درج ، وفوقه مجلس مهيا لجلوس الأمير . ويجلس أصحابه بين يديه ، ويقف المماليك يمنة ويسرة ، والرجال يجذفون ، وهم نحو أربعين . ويكون مع هذه الاهورة أربعة من المراكب عن يمينها ويسارها ، اثنان منها فيهما مراتب الأمير ، والآخران فيهما أهل الطرب » .

٧ — الأمدة : هى السفينة المشحونة^(٤) ، وهى من توابع الأسطول التجارى ، تسير بالمجاديف فى المياه الضحلة وبالشرع فى المياه العميقة والمحيطات .

٨ — الابريق (Brick) ويسمى أيضا بريجة^(٥) ، مركب من مراكب الأسطول

(١) قوالين الدواوين ص ٣٤٠ .

(٢) محمد ياسين الحموى : الأسطول العربى ص ٤٥ البحرية المصرية ص ١٢٦

(٣) رحلة ابن بطوطة ج ٧ ص ٢٦٦ .

(٤) الاسطول العربى ص ٤٥ البحرية المصرية ص ١٢٦ .

(٥) البحرية المصرية ص ٢٦٣ .

المصرى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وهو من قطع الأسطول الخفيفة فهو يحمل (٢٢) مدفعا من الظهر ، وتبلغ حمولتها (٤٠٠) طن .

٩ — البارجة : أول من بنى هذا النوع من السفن هم الهولنديون ، ثم عم استعمالها في كل دول أوروبا . وتتكون البوارج من هيكل مسطح مستو ، ولذلك فقد كان الهولنديون يستعملونها في الأعمال (١) الحربية . والبارجة معربة عن الكلمة الهندية (بير) بمعنى السفينة الخربية الكبيرة ، ثم استعملها العرب كصفة ، فقالوا سفينة بارجة (٢) أى سفينة كبيرة مكشوفة ، وجاء في المخصص « البارجة سفينة من سفن البحر تتخذ للقتال ، وتقول : ما فلان إلا بارجة ، تريد أنه جمع فيه الشر . وقد ذكر البلاذري البوارج في مواضع عدة في فتوح البلدان عند كلامه عن غزو المسلمين في بلاد الهند . وذكرها الطبري (٣) في حوادث سنة ٢٥١ هـ فقال : « ولخمس بقين من صفر دخل من البصرة الى بغداد عشر سفائن بحرية تسمى البوارج في كل سفينة اشتيام ، وثلاثة قفاطين ونجار وخباز ، وتسعة وثلاثون رجلا من الجذافين والمقاتلة ، فيكون بذلك في كل سفينة خمسة وأربعين رجلا . »

١٠ — باريدس (Barides) (٤) يطلق هذا الاسم على السفن التجارية النهرية وخاصة التي تسير في نهر النيل . والكلمة مأخوذة من الكلمة المصرية (baair barl & barit) . وقد أطلق الرومان كلمة باريدس على السفينة التي كانت تركبها كليوباترة في موقعة اكتيوم سنة ٣١ ق.م .

١١ — برستيز (Priates) (٥) بدأ استعمال هذا النوع من السفن في الأسطول الأغريقي في القرن الثاني قبل الميلاد ، ومعنى الكلمة سمك

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٦٣ .

(٢) القاموس المحيط .

(٣) المخصص ج ١٠ ص ٢٤ .

(٤) تاريخ الطبري سنة ٢٥١ هـ .

(٥) Propertius, III, P 44.

القرش . وقد أطلق عليها هذا الاسم لأن تصميمها يشبه هذا النوع من السمك ، ولما زودت به من المجانيق فيما بعد ، وأصبحت تنقض على العدو كما ينقض سمك القرش على فريسته (انظر لوحة رقم ٢٤) .

١٢ — بريجنتين (Bregantini) (١) عبارة عن سفينة حربية صغيرة وخفيفة . وكان هذا النوع من السفن الحربية يستعمل في بعض الأحيان لحمل بضائع على جانب عظيم من الأهمية ، أو نقل شخصيات بارزة . وفي العصور الوسطى تحول هذا النوع من السفن الى سفن شراعية يستعملها القرصان في جولاتهم البحرية (٢) .

١٣ — البركوش أو المركوش (٣) ، من سفن الأسطول المصري ، وهي من السفن الخفيفة ، فقد جاء في قوانين الدواوين « ان الاعزاري من توابع الأسطول تحمل فيه الازواد ، والمركوش لطيف لنقل الماء لخفته يدخل على المواضع ويكون وسعه دون مائة اردب » .

١٤ — البطسة : (Nef ou Nave) (٤) وهي ضرب من مراكب البحر الكبيرة ، ومعنى بطسة باللغة الأسبانية مركب للحرب أو للتجارة وجمعها بطس وهي سفن عظيمة الحجم كثيرة القلوع ، قد يصل عدد الشرع في البطسة الواحدة الى أربعين شراعا . وقد لعب هذا النوع من السفن دورا هاما في أيام الحروب الصليبية ، فقد كانت البطس أشهر سفن الصليبيين ، فشحونها بالمجانيق والمقاتلة والأسلحة والذخيرة وسائر آلات الحرب والحصار . كما شحنها بالأقوات والميرة ويعد محمولها بمئات الرجال ولها أسطح عالية وطبقات متعددة كل طبقة منها خاصة بفئة من الجيش يفرش بالبسط وغيره (٥) . وجاء في أخبار البطس لابن شداد (٦) « أنها

(١) Polybios, XVII, P. I.

(٢) Naish : Ships & Shipbuilding, P. 471.

(٣) البحرية المصرية ص ١٢٦ .

(٤) ابن نائق ص ٣٤٠ ، الأسطول العربي ص ٤٤ .

(٥) البحرية المصرية ص ١٢٣ ، الأسطول العربي ص ٤٠ .

(٦) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ج ٣ ص

وصلت من بيروت مشحونة بالآلات والأسلحة والميرة والرجال والأبطال والمقاتلة ، وكان السلطان قد أمر بتعبئتها وتسييرها من بيروت ووضع فيها من المقاتلة خلقا عظيما حتى تدخل البلد مرغمة للعدو ، وكان عدة رجالها المقاتلة ستمائة وخمسين رجلا ، فاعترض لها الانكثار في عدة شوان ، وقيل كان في أربعين قلعا فاحتاطوا بها من جميع جوانبها واشتدوا في قتالها » ويقول النويري ^(١) أن البطسة تتسع لعدد كبير من الجند يصل الى نحو سبعمائة .

١٥ — بورجيز (Pirogues) : هي اسم للفلك التي استخدمت في مصر منذ أقدم عصورها التاريخية . كانت سفن المصريين في عصر ما قبل التاريخ بسيطة بدائية في أول أمرها ، فقد استعملوا سيقان البردي الطويلة يربطون بعضها الى بعض وصنعوا منها قوارب طويلة بقيت مستعملة في العصور التاريخية في رحلات صيد السمك والطيور . ثم استخدموا جذوع النخيل فربطوا بعضها الى بعض وشدوا وثاقها بالأعشاب المتينة مثل البردي وكونوا منها كتلا من الخشب أمسكوها بأيديهم ، كما أنهم استعملوا أرجلهم كمحركات يدفعون بها السفن . وهكذا أخذوا يطورون صناعة السفن ويدخلون عليها من التعديلات ، حتى أصبحت وسيلة طيبة لركوب الأنهار ثم البحار ، فقد جعلوا في المراكب مقاعد واستعملوا قطعاً من الخشب كبدايات للتجديف بدلا من استخدام أرجلهم ، ثم استعملوا بعد ذلك الفلك المجوفة التي عرفت باسم بورجيز ^(٢) (انظر لوحة رقم ٤٠٣) .

١٦ — بونتيز (Pontones) ^(٣) سفن تجارية كبيرة بطيئة الحركة بدأ استعمالها في العصور القديمة واستمرت حتى العصور الوسطى في سواحل فرنسا الجنوبية ثم انتشرت في كل غرب حوض البحر الأبيض المتوسط .

(١) النويري : نهاية الأرب ج ٢٩ ص ٣٢٣ .

(٢) Boreaux : Etudes de nautique égyptienne, P. 13.

(٢) Caesar de bello civil III, P. 29.

١٧ — البوصى : سفينة صغيرة تكون مع أصحاب السفن البحرية تستخف لحوائجهم فهي من توابع الأسطول ، ومعروفة في مصر منذ صدر الاسلام ، وردت في شعرهم منذ القرن الأول الهجرى ، فقد جاءت في أبيات قالها أعشى بن قيس^(١) المعروف بالأعشى الأكبر المتوفى سنة ٦٢٩ هـ . في تفضيل عامر على علقمة بن علاثة هي : —

ان الذى فيه تما رتيما بين نلسامع الناظر
ما جعل الجد الظنون الذى حجب صوب اللجب الماطر
مثل الفراتى اذا ما طما يقذف بالبوصى والماهر

وقال الجوهري ، والبوصى^(١) ضرب من سفن البحر وهو معرب . ويقول دوزى^(٢) . انه يعتقد أن أصل كلمة بوص أسباني ، وجمعها أبواص نوع من السفن الحربية الكبيرة ذات ثلاثة شرع^(٣) .

١٨ — البراكية : البركيل^(٤) مرتاد البحار من التجار والمغامرين . ويقول دوزى : البراكية نوع من السفن الخفيفة الحركة التى يستعملها الرحالة وكذا القرصان .

١٩ — البدن : نوع من السفن كان يستعمل قديما في مياه المحيط الهندي ويمتاز بمقدمة ومؤخرة مدببة ويعرف في العراق باسم البلم أو الزورق ، (انظر لوحة رقم ٣٥) .

٢٠ — البغلة : قال دوزى^(٥) : البغلة سفينة حمولتها أكثر من خمسين طنا ، وهى من سفن الطراز الحديث الذى ينتهى بمؤخرة مربعة الشكل .

٢١ — البوم : هى من سفن المحيط الهندي ، كانت تستعمل في العصور القديمة ولا نسمع عنها في كتب العصور الوسطى ، ولكنها تظهر في القرن السادس عشر ، ابان حركة الاستكشافات التى قام بها البرتغال الى تلك

(١) ويقول الانطاكي ج ٥ « إن القصب إما صلب أو مشى وهو المعروف بالبوص وينسج منه البوارى .

(٢) دوزى ج ١ ص ١٢٧ .

(٣) دوزى ج ١ ص ١٢٨ .

(٤) سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٣٩٦ ، المقدسى ص ٣١ .

(٥) دوزى ج ١ ص ٧٦ .

الجهات . وهى كذلك من سفن الطراز القديم الذى ينتهى بطرف حاد
مدبب فى المقدمة والمؤخرة (١) .

٢٢ — بركة (٢) : ضرب من السفن الخفيفة الحركة استعملها العرب فى الجاهلية
والاسلام .

٢٣ — برعانى (٣) : نوع من السفن استعمله العرب فى البحر الأحمر ، وكان
لبهارته براعة خاصة فى استعمال المجاديف فى الحالات الجوية القاسية
ومن هنا أخذ المركب اسمه .

٢٤ — برمة (٤) : هى السفينة التى تؤدى مهمتها وسياحتها وتعود سريعا .
وهى من القوارب الصغيرة التى تستعمل فى الأنهار أو على شواطئ
البحار ، أو من توابع السفن الكبار .

٢٥ — بنتكوتروس (Pentekontoros) : سفينة حربية صغيرة استعملها الاغريق
فى العصور القديمة ولكنها أصبحت خاصة بصيد الحيتان فى العصور
الوسطى . (انظر لوحة رقم ٢٣ ، ٢٤) .

٢٦ — بيرجة (٥) أو باروجة : وهى السفينة ذات الهيكل العميق ، والباروجة (٦)
كلمة فارسية بمعنى أصيص الزرع ، وسميت السفينة بهذا الاسم للتشابه
فى الشكل مع الأصيص . والبيرجة من السفن المستعملة فى الخليج
الفارسى .

٢٧ — تلماجى (Thalemegi) (٧) : عبارة عن قصور عائمة ، اذ أنها كانت ذات
مساحات كبيرة جدا كما أنها تحتوى على غرف كثيرة مفروشة بأفخر

(١) دوزى ج ١ ص ١٠١ .

(٢) المقدسى ص ٣٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٣ .

(٤) الفحص ج ١٠ ص ٢٥ ، المقدسى ص ٣٢ .

(٥) المقدسى ص ٣٢ .

(٦) دوزى ج ١ ص ١٣٣ .

(٧) Strab XVII, P. 16.

الرياش . أنشأها الرومان لرحلاتهم النيلية ، واستمر استعمالها في النيل ، لرحلات الملوك والأمراء طوال العصور الوسطى وكان بعضها يعرف باسم العشارى . وفي العصر الحديث استخدمت كمنازل نيلية ثابتة وإذا أريد نقلها من جهة الى أخرى لابد لها من مقطورة تقطرها (انظر لوحة رقم ٦) .

٢٨ — التلوى ^(١) : ضرب من السفن ، وهى المركب الصغير السريع الجرى ذو المقدم المرتفع ، يشبه الرقبة ويصعب قياده .

٢٩ — الجاكر : نوع من سفن الهند البحرية يقول عنها ابن بطوطة ^(٢) : « وركبنا فى مركب يسمى الجاكر ، وجعلنا فيه من خيل الهوىة سبعين فرسا ، وجعلنا باقيها من خيل أصحابنا فى مركب آخر » . ويضيف ابن بطوطة فيقول « وكان ركوبى أنا فى الجاكر ، وكان فيه خمسون راميا ، وخمسون من المقاتلة الحبشان وهم زعماء هذا البحر ، وإذا كان بالمركب أحد منهم تحاماه لصوص الهنود وكفارهم » . يفهم من رواية ابن بطوطة هذه أن الجاكر سفينة كبيرة تستعمل للتجارة ، كما يمكن استخدامها وقت الحروب ، فهى تتسع لعدد كبير من المقاتلة من الرماة والفرسان ، كما تتسع لحمل الزاد والمؤن .

٣٠ — جالوت (Galeotte) ^(٣) : سفينة حربية خفيفة الحركة ، وكانت تستعمل فى بعض الأحيان لحمل البضائع النفيسة أو الشخصيات الهامة وقت الحروب .

٣١ — الجراب : السفينة الفارغة ^(٤) ، وهى من السفن التجارية .

٣٢ — الجفاية : تشبه فى شكلها الجراب ، الا أنها تطلق على السفن التجارية الكبيرة الفارغة ، أى قبل شحنها بالبضائع .

(١) المخصص ج ١٠ ص ٢٥ .

(٢) ابن بطوطة ج ١٠ ص ٣٩٦ .

(٣) Naish : Ships & Shipbuilding, P. 471. (٢)

(٤) الأسطول العربى ص ٤٥ ، البحرية المصرية ص ١٢٦ .

٣٣ — الجفن : جمعها دوزى ^(١) على جفان ، أو جفون ، وجاءت في (الأسطول العربى) الجفن جمعها أجفان ^(٢) . وهى سفينة حربية بطيئة الحركة لكبر حجمها ، وكانت تستعمل في بحار الهند وأنهاره ، وقد أشار إليها ابن بطوطة في رحلته الى الهند فقال : وركبت النهر في مركب يشبه (أجفان) بلادنا الغزوية ، الا أن الجذافين يجذفون فيه قياما ، وجميعهم في وسط المركب ، والركاب في المقدم والمؤخر ، ويظللون على المركب ثيابا تصنع من نبات يبلادهم يشبه الكتان وليس به ، وهو أرق من القنب .

٣٤ — الجفل : نوع من السفن الصغيرة تستعمل في الهند وخاصة في الأنهار والترع الكبيرة .

٣٥ — جنك : نوع من مراكب الصين الكبار ، ويتراوح عدد ما بها من قلاع ما بين ثلاثة واثنى عشر قلعا . وتتكون القلاع من قضبان الخيزران منسوجة كالحصير ، ولذا فهى لا تطوى بل يديرونها بحسب دوران الرياح وإذا رسوا تركوها واقفة في مهب الرياح . ويتكلم ابن بطوطة ^(٣) عن مراكب الصين فيقول « ويخدم منها ألف رجل ، منهم البحرية ستمائة ومنهم أربعمائة من المقاتلة ، تكون فيها الرماة وأصحاب الدرق والذين يرمون بالنفط . ويتبع كل مركب كبير منها ثلاثة ، النصفى والثلى والربعى » ثم يقول : « ولا تصنع هذه المراكب الا بمدينة الزيتون من الصين ، أو بصين كلان ، وهى صين الصين وكيفية انشائها انهم يصنعون حائطين من الخشب يصلون ما بينهما بخشب ضخام جدا ، موصولة بالعرض والطول بمسامير ضخام جدا ، طول المسبار منها ثلاث أذرع ، فاذا التأم الحائطان بهذا الخشب ، صنعوا على أعلاهما فرش المركب الأسفل ودفعوهما في البحر ، وأتموا العمل . وعلى جوانب تلك الخشب تكون مجاديفهم وعددها غالبا عشرون مجدافا ، وهى كبار كالصواري يجتمع

(١) دوزى ج ١ ص ٢٠١ .

(٢) محمد ياسين الحموى ص ٤٤ .

(٣) ابن بطوطة ج ١٠ ص ٣٧٧ .

على أحدها العشرة والخمسة عشر رجلاً أو الثلاثون ، ويجذفون وقوفاً على أقدامهم وفي المجداف حبلان عظيمان ، ويقف المجدفون في صفين كل صف يقابل الآخر ، فتجذب إحدى الطائفتين الحبل ثم تتركه ، وتجذب الطائفة الأخرى ، وهم يغنون عند ذلك بأصواتهم الحسان ويجعلون للمراكب أربعة ظهور ويكون فيه البيوت والمصارى^(١) والغرف للتجار . والمصرية منها يكون فيها البيوت والسنداس^(٢) وعليها المفتاح يسدها صاحبها ، ويحمل معه الجوارى والنساء . وربما كان الرجل في مصريته فلا يعرف به غيره ممن يكون بالركب حتى يتلاقيا إذا وصلا إلى بعض البلاد » . ثم يتكلم ابن بطوطة عن عادة الصينيين في تقييد ما في المراكب فيقول « وعادة أهل الصين إذا أراد (جنك) من جنوكهم السفر ، أن يصعد إليه صاحب البحر وكتابه ويكتبون من يسافر فيه من الرماة والخدام والبحرية ، وحينئذ يباح لهم السفر . فإذا عاد الجنك إلى الصين صعدوا إليه أيضاً وقابلوا ما كتبوه بأشخاص الناس ، فإذا فقدوا أحداً ممن قيدوه طالبوا صاحب الجنك به فاما أن يأتي ببرهان على موته أو فراره أو غير ذلك مما يحدث له ، والا أخذ فيه ، فإذا فرغوا من ذلك أمروا صاحب المركب أن يملأ عليهم تفصيلاً بجميع ما فيه من السلع قليلها وكثيرها . ثم ينزل من فيه ، ويجلس حفاظ الديوان لمشاهدة ما عندهم ، فإذا عثروا على سلعة كنمت^(٣) عنهم عاد (الجنك) بجميع ما فيه مالا للمخزن^(٤) » .

٣٦ — جوال (Gawal) (٥) عبارة عن سفن تجارية كبيرة استعملها الفينيقيون

(١) المصارى مفردا مصرية وهي حجرة النوم وما يتبعها من مرحاض وغيره .

(٢) السنداس : المرحاض غير عربي .

(٣) حفاظ الديوان أشبه برجال الجمارك في وقتنا الحاضر ، وما يملأه المسافر عليهم من السلع التي يملكها أشبه بالاقرار الجمركي ، ثم معاقبة من يكتم عنهم سلعة ، يأخذ جميع ما في (الجنك) من سلع ، يشبه مصادرة جميع حاجيات المسافرين إذا كذب في الاقرار إذ يعتبر تهريباً جمركياً .

(٤) ابن بطوطة ج ١١ ص ٤١٦ .

(٥) Antiphnes, apual Atheneum, XI, 162.

في الملاحة التجارية في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي منذ القرن السادس حتى القرن الثالث قبل الميلاد ، و (Gawal) كلمة فينيقية معناها نصف البرميل ، وقد يكون للسفينة من اسمها نصيب فتكون عميقة ومستديرة على شكل نصف البرميل . ولعلها نسبت الى جزيرة (Gozo) التي تقع بالقرب من جزيرة مالطة ، وكان الأغريق يطلقون عليها اسم (Gawal) (انظر لوحة رقم ٩ ، ١٥) .

٣٧ — الجلاسة (Galleasse)^(١) هي من سفن البحر الأبيض المتوسط ويقال ان الأسطول الانجليزى الذى حارب في موقعة الارماده (Armada) سنة ١٥٨٨ م كان يتكون من فرقتين من سفن الغليون وأربعة جلاسات (Galleasses) . وكلمة جلاسة فرنسية معربة وهى عبارة عن سفينة حربية كبيرة تسير بالشرع والمجداف معا ، وهى أثقل وأقوى سفن الشينى .

٣٨ — الجلبة : نوع من السفن الصغيرة المخيطة تستعمل في البحر الأحمر ، يقول ابن بطوطة^(٢) « ثم ركبنا البحر من جدة في مركب يسمونه الجلبة، وركب الشريف منصور بن أبى ندى في جلبية أخرى ورغب منى أن أكون معه ، فلم أفعل ، لكونه كان معه في جلبته الجمال ، فخفت من ذلك ، ولم أكن ركبت البحر قبلها . وكان هناك جملة من أهل اليمن قد جعلوا ازوادهم وأمتعتهم في الجلب وهم متأهبون للسفر » .

٣٩ — الجهازى : مأخوذة من كلمة (جهاز)^(٣) فارسية بمعنى سفينة . يقول الادريسي الجهازى سفينة تجارية ضخمة . وجاء ذكر الجهازى في كتاب العرب والملاحة في المحيط^(٤) الهندي ، انها من الأسماء التى

(١) Ships and Shipbuilding, P. 472. (١)

(٢) ابن بطوطة ج ٥ ص ١٦٣

(٣) دوزى ج ١ ص ٢٢٨

(٤) العرب والملاحة ص ٢٤٢

تطلق الآن على السفن ذات المؤخرة المربعة مع تعديلات مختلفة في الشكل والزخرفة .

٤٠ — جاسوس^(١) : هي السفينة الصغيرة الخفيفة الحركة ، التي تسير في الليل بغير ضوء أو شعلة لكي تستطلع أخبار العدو .

٤١ — جبليّة : نوع من السفن التجارية التي تجوب المحيطات لها شراع كبير كالطود^(٢) .

٤٢ — الحراقة : (Brulôt) جمعها حراقات وحراريق^(٣) . والحراقات سفن فيها مرامي نيران وقيل هي المرامي أنفسها^(٤) . وجاء في الجواهر ، الحراقة بالفتح والتشديد ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر . كما كانت تستعمل في حمل الأسلحة النارية كالنار الأغريقية^(٥) (Feu grégeois) . والحراقة سفينة حربية مهمتها رمي النار على الأعداء ، قد استعملت في العصور الوسطى وانتشرت في جميع أجزاء العالم الشرقي والغربي منه على السواء . ويقول الزبيدي « والحراقات سفن بالبصرة وفيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر وقيل هي المرامي أنفسها . ويذكر ابن بطوطة الحراقة في رحلته إلى الصين فيقول عند كلامه عن أمير أمراء الصين « وبعث ولده معنا إلى الخليج فركبنا في سفينة تشبه الحراقة ، وركب ابن الأمير في أخرى ، ومعه أهل الطرب وأهل الموسيقى »^(٦) ويقول دوزي^(٧) « هي نوع من السفن الخفيفة . وكانت الحراريق في العصر الفاطمي وكذلك العصر المملوكي تستخدم

(١) المقدسي ص ٢٢

(٢) دوزي ج ١ ص ٢٢٨

(٣) في تاج العروس .

(٤) البحرية المصرية ص ١٢١ ، القاموس المحيط .

(٥) ابن بطوطة ج ١١ ص ٤٢٢ .

(٦) دوزي ج ١ ص ٢١٠ .

(٧) المقرئ الخط ج ٢ ص ١٩٤ .

في النيل لحمل الأمراء ورجال الدولة في الاستعراضات البحرية والحفلات الرسمية . (انظر لوحة رقم ٣٨ ، ٣٩ ، ٥٠ ، ٦٥) . ومن أنواعها ما كان معروفا في صدر الدولة العباسية ، يجري في نهر دجلة ، للنزهة والنقل ، وكان للخليفة محمد الأمين خمس حراقات في نهر دجلة على صورة الأسد ، والفيل والعقاب ، والحية والفرس . وجاء في وفيات (١) الأعيان في ترجمة طاهر بن الحسين الملقب بذي اليمينين « كان ابن طاهر شجاعا أدبيا ، ركب يوما ببغداد في حراقتة فاعترضه الشاعر مقدس بن صيفي الخلوقي فأنشأ يقول :

عجبت لحراقة بن الحسب ين لا غرقت كيف لا تفرق
وبحران من فوقها واحد وآخر من تحتها مطبق
وأعجب من ذاك أعوادها وقدمها كيف لا تورق

٤٣ — الحمائم : نوع من السفن النيلية الصغيرة تسير بجوار العشارى والذهبيات ، فتبدو بجانبها لصغر حجمها وكأنها حمامة . ومفرد حمائم حمامة (٢) .

٤٤ — الحمالة : (Transport) جمعها حمالات ، وهى من سفن الأسطول المصرى كانت مخصصة لنقل المؤونة والزاد لرجال الأسطول ، ويقول ابن ممتى (٣) ، انها كانت تحمل الغلال . ويقول المقرئى « ويكون فيها غلمان الخيالة ، وصناع المركب ومثلها المراكب الديوانية التى تحمل الغلات السلطانية » .

٤٥ — حدوج (٤) : جمع حدج وهو مركب من مراكب النساء المستعمل في البحر الأحمر والمحيط الهندي ، وقد عرفه العرب قبل الاسلام ، فقد جاء في معلقة طرفة بن العبد :

(١) ابن خلكان ص ١٣٢ .
(٢) المقدسى ص ٣٢ .
(٣) قوانين الدواوين ص ٣٤٠ .
(٤) التبريزى — شرح القصائد (المملكات العشر) .

كأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد

٤٦ — الخن : السفينة الفارغة (١) ، ويقول دوزى (٢) ، خن المركب قاعها الفارغ وجاء في القاموس الخن عند العامة الآن موضع في بطن السفينة يضع فيه النوتى متاعه . والخن النقطة في البوصلة وكذلك بعض أسماء هذه النقط (٣) .

٤٧ — الخلج (٤) : السفينة التى لا يسيرها ملاحها ولكنها تسير من ذات نفسها من غير جذب .

٤٨ — الخليج (٥) : من السفن الصغار التى تصاحب الأساطيل التجارية .

٤٩ — الخلية (٦) (Gabasse) : جمعها خلايا وهى السفينة الشراعية الكبيرة ويقول دوزى انها السفينة التى تسير من غير أن يسيرها الملاح . وهى كذلك السفينة التى يتبعها زورق صغير يقال له الشبكة أو الركوة ولذلك شبهت بالخلية من الابل وهى التى ترأى على ولد واحد . وجاء فى معلقة طرفة بن العبد :

كأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد

وقال الأصمغى : الخلايا السفن العظام واحداها خلية ، ولا يقال سفينة خلية . وقال أبو عبيدة : الخلية السفينة العظيمة معها قارب أى زورق صغير . قال أحمد بن عبيد لا تكون السفينة خلية الا ومعه قارب ، كالخلية من الابل المعطوفة على ولد .

(١) الأسطول العربى ص ٤٤ ، البحرية المصرية ص ١٢٦ .

(٢) دوزى ج ١ ص ٤٠٧ .

(٣) العرب والملاحة ص ١٩٩ .

(٤) البحرية المصرية ص ١٢٦ .

(٥) الأسطول العربى ص ٤٥ .

(٦) المقدسى ص ٢٢ .

٥٠ — خيطية : ضرب من السفن ذات القاع العميق المدب الذى يترك وراءه
فى الماء خطا يشبه الخيط .

٥١ — دسراء : السفينة وجمعها دسر وهى التى تدر الماء بصدرها ، وفى
القرآن الكريم « وحملناه على ذات ألواح ودسر » . والدسار جمعه دسر
أو دسر وهو خيط من الليف تشد به ألواح السفينة ، والدسر الألواح
الخشبية ، قال الشاعر :

معبدة السقائف ذات دسر مقبرة جوانبها رداح

٥٢ — الدكاسات : نوع من المراكب لكبار رجال الدولة فى العصر الفاطمى^(١) ،
نقل المقرئى عن ابن الطوير حديثا عن صاحب الطراز وحقوقه وواجباته ،
جاء فيه « وله ثلاثة مراكب من الدكاسات ، ولها رؤساء ونواتية لا يرحون ،
ونفقاتهم جارية من مال الديوان » .

٥٣ — الدونيغ : لعلها مأخوذة من كلمة دو^(٢) (Daw) ومعناها سفينة باللغة
السواحلية . ويقول بزرك^(٣) : سفن المحيط الهندى على نوعين ، القارب
والدونيغ وكان القارب هو الأكبر فيهما فقد كان يحمل خمسة عشر
رجلا مقابل أربعة فى الدونيغ .

وكان الدونيغ يستعمل للملاحة على الشاطئ أو النجاة ، وكان يمكن
عند الضرورة تزويده بصار وشرع . كذلك كان العرب يحملون دائما
مراكب صغيرة للبيع ، وكان نجار السفينة يصنعها فوق ظهرها ،
أو كانت تصنع على الشاطئ » .

وجاء فى كتاب العرب والملاحة الدونيغ ، من دونى^(٤) أى زورق

(١) زكى حسن : كنوز الفاطميين ص ١١٢ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية مادة (Daw) (النسخة الانجليزية المجلد الأول ص ٩٣٠) .

(٣) بزرك بن شهریار : مؤلف كتاب الهند بره وبجره وجزائره نقلًا عن العرب والملاحة (المترجم)
ص ٣٥١ .

(٤) العرب والملاحة فى المحيط الهندي (المترجم) ص ١٩٨ .

السفينة . وجاء في القاموس المحيط الدويج من الديدب أى زورق
السفينة (انظر لوحة رقم ٣٧) .

٥٤ — دراعة : مركب من قطع الأسطول المصرى فى القرنين الثامن عشر
والتاسع عشر . والمعنى اللغوى لهذا الاسم ، هو السفينة المحصنة بالدروع
والمدافع ولذا فهى تكون عادة مقرا لقيادة الأسطول .

٥٥ — ديماس : يقول دوزى (١) والعشارى ديماس كان معدا فى العصر الفاطمى
لأعيان الدولة ، ويذكر المقرئى (٢) عند كلامه عن صاحب الطراز « وبين
يديه من المندوبين مائة رجل لتنفيذ الاستعمالات بالقرى وله عشارى
ديماس مجرد معه » ومعنى هذا انها سفينة نيلية شراعية كبيرة حيث انها
تتسع لأكثر من مائة رجل . كما يقول المقرئى (٣) تقلا عن ابن منظور :
« انها من توابع الأسطول ، وكان يسار بها فى النيل ، منها ما كان خاصا
برسم الخليفة ، وهى الدواميس ومفردها ديماس يخرج بها أيام
الخليج وغيرها » .

٥٦ — الذهبية (Baggala) (٤) : مركب كان يستعمله العرب وحمولته تتراوح
بين مائة وأربعمائة طن ، وهو ذو صاريين وأشرعة على شكل شبه
منحرف ، ومن خصائصه أن مؤخره أعلى وأعرض من مقدمه ، وتزخرف
جوانبه بالرسوم والنقوش . وكان يسير فيما بين السويس والهند
وشواطئ القارة الافريقية ! أما الآن فالذهبية عبارة عن منازل نيلية ،
تجرها سفينة أخرى اذا أرادت الانتقال من مكان الى آخر . (انظر
لوحة رقم ١٨ (ب)) .

٥٧ — ذات الودع : يقول ابن سيده (٥) انها سفينة نوح عليه السلام . ويصف

(١) دوزى ج ٢ ص ١٣٠ .

(٢) المقرئى ج ١ ص ٤٦٤ .

(٣) المقرئى ج ٢ ص ١٩٢ .

(٤) البحرية المصرية ص ١٢٦ .

(٥) الخصاص ج ١٠ ص ٢٩ .

ابن ماجد^(١) سفينة نوح فيقول « أول من صنع السفينة نوح عليه السلام بإشارة من جبريل عليه السلام عن الباري عز وجل . وقد رتبت على صفة الخمسة الأنجم من نبات نعش الكبرى عجزها ثالث النعش وهرابها الرابع والخامس والسادس . وقد اختلف الرواة في طولها وعرضها ، وقيل انها كانت أربع مائة ذراع طولاً ومائة ذراع عرضاً ومائة ذراع عمقاً . مختومة بغير دقل ، ولها مجدافان (كذا) فلما صارت السفينة وضرب الطوفان ركبها نوح عليه السلام ومن معه ، فحملتهم وأنجبتهم من الطوفان والغرق ، وقيل انها طافت بالبيت سبعة أشواط ، وكان البيت يومئذ رملاً أحمر لم يبن (كذا) عليه ولم ينله (كذا) الطوفان . واختلفوا في الطوفان قيل : انه كان سبعين يوماً وهو الأصح . ولما انقضى الطوفان استوت على الجودي ، وهو جبل بين العراق والشام في ديار بكر بن وائل بقرب جزيرة ابن عمر لقوله تعالى^(٢) « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين » . (انظر لوحة رقم ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٧٢) .

٥٨ — رتز (Rates)^(٣) : مراكب كبيرة الحجم جدا قليلة العمق ، وتحتوي على عدد كبير من الشرع والصواري . وكانت تستعمل في نقل الأخشاب ، كما انها تستعمل كمعبر في الموانئ ذات المياه الضحلة ، أو تلك التي لا تصلح لرسو المراكب الكبيرة ، ولذا فان كلمة رتز تستعمل كذلك على الجسور العائمة .

٥٩ — الركوة (Gabare)^(٤) : هو الزورق الصغير الذي يتبع السفينة الشراعية الكبيرة التي تعرف باسم الخلية (Gabesse) . والحقيقة أن الركوة

(١) ابن ماجد : الفوائد في أصول علم البحر والقواعد . الوزقة رقم (١) (مخطوطة مصورة

بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية) رقم دار الكتاب رقم (٥٧) جغرافيا رقم (١٠٦٣) .

(٢) سورة هود آية ٤٤ .

(٣) Theophrastos, historia plantarum, V. , P. 8.

(٤) دوزي ج ١ ص ٢٧٠ .

هو الذى أعطى السفينة الكبيرة اسمها ، اذ أن معنى الخلية هى الابل
التي ترأى ولدا واحدا (انظر لوحة رقم ١٨ (ب) ، ٤٨) .

٦٠ — الرمث (١) : يقول أبو عبيد ، الرمث خشب يجمع بعضه الى بعض
يثركب عليه فى البحر وجمعه ارمات . وما زال هذا النوع من المراكب
يستخدم فى أنهار وسط أفريقيا وخاصة فى نهر الكونغو .

٦١ — أرباع الكيل : نوع من السفن التي تقوم بنقل الخشب من ساحل
السنط جاء ذكرها فى ابن ممتى (٢) فقال « هذه مراكب تعمّر من
الحراج المقدم ذكرها (أى خشب السنط) فاذا وصلت الى ساحل
السنط قومت أو نودى عليها ، مهما بلغت طول مالكا بحق الربع من
القيمة عما أخذه من خشب العمل » .

٦٢ — الزبزاب أو الزبب (٣) : سفينة كبيرة قليلة العمق سريعة الحركة ، وقد
وصفها الشاعر أحسن وصف فى البيت الآتى :

زبزاب تحكى اذا سيرت عقابا وتجرى على زئبق

٦٣ — الزخارف (٤) : السفينة كثيرة الخزف والزينة ، وتقال عادة للسفن التي
تعمل فى المحيط الهندى وعلى شواطئ شرق أفريقية ، ذلك أن حكام
وسلاطين تلك الجهات يحتمون على السفن الوافدة أن تنقش رسوما
خاصة على جوانبها ، ولذلك فقد كان على الربان أن يزخرف سفينته
بكل الزخارف التي يحبها ويرغب فيها حكام الموانئ التي سوف
يرسو عليها .

٦٤ — المزراب : السفينة الطويلة المتينة البنيان ، وتستعمل عادة فى عمليات

(١) المخصص ج ١٠ ص ٢٩ : وقيل الرمث بقية اللبن فى الضرع .

(٢) ابن ممتى ص ٣٤٨ .

(٣) المقدسى ص ٣١ .

(٤) دوزى ج ١ ص ٢٨٢ .

الاستكشاف أثناء الحروب ، وهى التى تقود الأساطيل التجارية ،
كمُرشد ، اذ أن استطالة جسمها وخفة حركتها ومثانة بنيانها تساعد
على كشف الطريق وتجنب المخاطر وهداية بقية الأسطول والنجاة به
من أخطار البحر الأحمر والمحيط الهندي .

٦٥ — الزو : نوع من سفن الصين متوسطة الحجم ، يقول ابن بطوطة (١)
(ومراكب الصين ثلاثة أصناف ، الكبار منها تسمى (الجنوك)
والمتوسطة تسمى الزو » . ولزو شرع ومجاديف كبيرة ، يصفها ابن
بطوطة فيقول « ولا تصنع هذه المراكب الا بمدينة الزيتون من الصين .
ومجاديفها كبار كالصواري يجتمع على أحدها العشرة والخمسة عشر
رجلا ويجذفون وقوفا على أقدامهم . ويجعلون للمركب أربعة ظهور
ويكون فيه البيوت والمصارى والغرف للتجار . والمصرية منها يكون
فيها البيوت والسنداس » .

٦٦ — رقية (٢) : نوع من الزوارق المصنوع من البوص وخشب النخيل ،
ويمتاز بمقدمه الممتد ولذا فهي تشبه (التلوى) .

٦٧ — الزبرية : هى السفينة الكبيرة التى تحتوى على ثلاثة صوار عمودية ،
المصارى الكبير وهو المنسوب فى وسط المركب ، وصارى المازانة
(misaine) وهو المنسوب فى منتصف الجزء الأمامى ، وصارى
المؤخر (artimon) وهو المنسوب فى منتصف الجزء الخلفى .

٦٨ — الزبرباذية (٣) : ضرب من السفن كانت تستعملها فارس منذ أقدم
العصور .

٦٩ — السفرية : نوع من المراكب المصرية الحربية لا تسير الا فى فصل الربيع ،

(١) ابن بطوطة ج ١٠ ص ٣٧٦ .

(٢) المقدسى ص ٣١ .

(٣) المقدسى ص ٣٢ .

يقول ابن ممتى (١) ، « وفي شهر برمهاث سابع شهر السنة القبطية ، وهو ابتداء فصل الربيع ، وفيه جريان المراكب السفرية في البحر المالح من الأعمال المصرية والغرية والرومية ، فيه الاهتمام بتركيز الأجناد بالثغور المحروسة ومراكب الأساطيل المنصورة » .

٧٠ — سبكيلا توري (٢) (Speculatoroe) : سفن صغيرة تستعمل للاستكشاف والتجسس وحمل الرسائل والأوامر والتعليمات وقت الحرب . وكان لها طابع مميز في القرن الأول قبل الميلاد . وفي القرن الخامس والسادس بعد الميلاد ، كان هيكل السفينة وصاريها وشرعها ومجاديفها حتى حبالها يطلو بطلاء بلون مياه البحار وذلك زيادة في التخفي . وقد استمر استعمال السبكيلا توري طوال العصور الوسطى فقد لعبت دورا لا يستهان به في الحروب الصليبية .

٧١ — السلورة (٣) : جمعها (سلاير) نوع من المراكب متوسط الحجم يستعمل في الحرب والسلام على السواء ، له ثلاثة شرع كما يحتوى عادة على أربعين مجدافا .

ويقول ياقوت (٤) (سلاير) نوع من الطير ، ويقول أبو الفرج (٥) ، وأهل مصر يسمون الجرى السلور ، ويفهم من هذا أن السلورة سفينة سريعة الحركة حتى انها شبت بالطائر الذي يحلق عاليا في السماء وبالشخص سريع الجرى على سطح الأديم .

٧٢ — السميرية (٦) : هي نوع من سفن البحر والنهر ، عرفت في أواخر القرن الثالث للهجرة وكان في كل سميرية مقاتلان ومع ملاحيا السيوف

(١) ابن ممتى ص ٢٤٧ .

(٢) Livy, XXXVI, P. 42 & Ancient Ships, P. 109.

(٣) البحرية المصرية ص ١٢٦ دوزى ج ١ ص ٦٧٣ .

(٤) ياقوت معجم البلدان ص ٨٨٥ .

(٥) الأغاني ج ٨ ، ٩ ص ٢٩٨ .

(٦) معجم دى جويه (De Goeje) هامش الطبرى ص ٢٠٣ .

والرماح والتروس ، ذكرها الطبرى فى حوادث سنة ٢٦٧ هـ فقال
« كتب سليمان الى صاحب الزنج يسأله امداده بسميريات لكل واحدة
منهن أربعون مجدافا ، فوافاه من ذلك فى مقدار عشرين يوما أربعون
سميرية ، فى كل سميرية مقاتلان ومع ملاحيا السيوف والرماح
والتراس » . ولما انقطعت الحروب البحرية فى أواخر الدولة العباسية
صاروا يستعملون هذه السفن فى التجارة والأسفار .

ويقول دوزى ^(١) ، لعلها أخذت اسمها من السمار الذى ينمو على
شواطئ البحار فقد جاء فى كتاب (رضا النفوس) عن القديس عمورون
« فدعا بالرجل ونزل معه حتى اذا بلغ الى ذلك السمار الذى بين القصر
والبحر قطعا سمارتين ، ومضيا الى البحر ، ونحن ننظر ، فما كان باوشك
من أن طلع الرجل وفى كل سمارية حوت بثقل الانسان . فكشفنا عن
خبره فقال ، ان فى هذا الرجل لعجا لما حاذ بنا السمار الذى بين القصر
والبحر أمرنى فقطعت سمارتين ومشينا حتى دخلنا الى موضع من البحر
ينتهى الى نصف الساق ، قال فأقبل اليه من الحيتان ما لا يوصف ،
فتناول منها حوتا فقال اجعل هذا فى سمارة ثم تناول آخر فقال اجعل
هذا فى الأخرى ثم قال انصرف بنا فان فى هذا كفاية » .

أو لعلها أخذت اسمها من الدراهم التى ضربت فى عهد الملك بن
مروان وعرفت بالسميرية ، نسبة الى رجل يهودى من تيماء يقال
له سمير ^(٢) .

٧٣ — السبوك أو الصمبوك (Sambouk) : سفينة صغيرة من ملحقات الأسطول
المصرى وتستعمل فى البحار والأنهار على السواء .

٧٤ — السنبوك أو السنبيق (Sambucus) ^(٣) ، يقول دوزى ، سفينة

(١) دوزى ج ١ ص ٦٨٢ .

(٢) المقرئى : النقود القديمة الاسلامية ص ٨ .

(٣) Ztschr. XII, P. 420 Dozy Dic. Part I, P. 690 .

كبيرة تبلغ حمولتها ما بين (٨٠ الى ١٨٠) طنا . وهي مكشوفة وليس لها ظهر ، مسدبة المقدم عريضة المؤخر ، ولها شراع لاتيني (Latini) (أى مربع) وجاء في تاج العروس « السنبوك كعصفور السفينة الصغيرة ، حكاه الزمخشري في الكشاف ، وهي لغة أهل الحجاز ، ونقله الخفاجي في شفاء الغليل ، قال « انه ليس من الكلام القديم وحمله على المجاز من سنبك الدابة ^(١) » . من هذا نرى أن جمهور أصحاب المعاجم اللغوية فسروا الكلمة تفسيرا لغويا ، ولكنها في الحقيقة كلمة لاتينية قديمة كما ذكرها دوزي . ولعل السبب فيما وصل اليه اللغويون من هذه التفسيرات ، أن هذا النوع من السفن ، وهي السنبوق أو الصنبوق أصبحت في العصور الوسطى ، عبارة عن قوارب صغيرة ، كما يصفه لنا الرحالة ابن بطوطة ^(٢) الذي عاش في القرن الرابع عشر ، فيقول « ثم ركبت من ساحل البصرة في (صنبوق) وهو القارب الصغير ، الى الأبله ، وبينها وبين البصرة عشرة أميال » .

٧٥ — سيباي (Cyboae) ^(٣) : سفينة تجارية كبيرة استعملت في جزيرة صقلية في القرن الأول قبل الميلاد . وكانت تستعمل الشراع المربع (Lateen) ولكنها تطورت بعد ذلك وأصبحت تستعمل عددا غير قليل من الشرع المثلثة (انظر لوحة رقم ٢٠) .

٧٦ — سيركيري (Circuri) : هذا النوع من السفن يصلح للاستعمال في الحرب والتجارة . وهي من سفن البحر الأبيض المتوسط التي استعملت منذ القرن الخامس قبل الميلاد واستمرت حتى القرن الأول الميلادي . وكانت السفن التي تستعمل في الحرب منها صغيرة الحجم ، أما التي

(١) الأسطول العربي ص ٤٤ .

(٢) ابن بطوطة ج ٤ ص ١٢٧ .

(٣) Cicero., in Verrem, II, IV, P. 8.

استعملت في التجارة فكانت أكبر لسببها . وقد استعملت في التجارة فقط في العصور الوسطى (١) .

٧٧ — سيلوسيز (Cybices) (٢) : أطلق هذا الاسم على المراكب الصغيرة السريعة التي تشبه خسان السباق في سرعتها . وكانت مهمتها نقل التقارير والرسائل ، ونقل كبار القواد من مكان لآخر أثناء المعارك ، وبعبارة أخرى فإنها تقوم الآن مقام يخت أمير البحار . وقد استعمل هذا النوع من المراكب في جميع الأساطيل القديمة حتى العصور الوسطى (انظر لوحة رقم ٣٣) .

٧٨ — سنباي (Cymbae) (٣) : لقد أطلق الفينيقيون هذا الاسم على نوع خاص من السفن وهي المراكب الصغيرة السريعة الحركة ، ولكن الرومان أطلقوه على جميع أنواع السفن دون تفرقة .

٧٩ — السابجات : جاءت في معظم المراجع التاريخية (٤) ، انها ضرب من السفن . وهي السفينة الكبيرة الحجم المتعددة الظهور وتحتوي على عدد كبير من المصارى (الغرف) . وتعرف الآن بمصر بالعائمات (وبالعامية العوامات) وهي عبارة عن بيوت نيلية تشبه الذهبيات الا أنها تستطيع أن تنتقل من مكان الى آخر دون ما حاجة الى قاطرة .

٨٠ — سابيتيل (Subtile) (٥) : هي نموذج للسفينة ذات المصارى الواحد تتراوح حمولتها بين (٢٠٠ الى ٣٠٠) طن . وللسفينة رغم صغر حجمها ساحتان للقتال في المقدمة والمؤخرة . كما يوجد بها ثمانية مدافع ، اثنان منهما مدافع ثقيلة ، أحدهما في المقدمة والآخر في الجزء المدب من المؤخرة .

(١) Herodotos : Vol. VII, P. 89.

(٢) Thucydides, IV, P. 120.

(٣) Pliny, VII, 57.

(٤) الأسطول العربي ص ٤٦ البحرية المصرية ص ١٢٧ .

(٥) Naish : Ship and Shipbuilding, P. 478.

٨١ — سوقية (١) : نوع من السفن تستعمل في شمال أفريقية لنقل البلح والعسل والزبد ويستعمل في تونس بنقل الزيت والزيتون ، والفواكه التي يؤخذ منها الخل (٢) .

٨٢ — الشبارة : جمعها شبارات ، وهي من السفن التي عرفت في أواخر القرن الثالث الهجري في العراق ولما انقطعت الحروب البحرية في أواخر الدولة العباسية صاروا يستعملونها في التجارة والأسفار . ويقول دوزي (٣) ، « الشبارة نوع من السفن كانت تسير في نهر دجلة وهي تشبه الحراقة عند المصريين » . وجاء في وفيات (٤) الأعيان . « وتوفي أرسلان شاه في شبارة بالشط ظاهر الموصل . والشبارة بالشين المعجمة مفتوحة والموحدة مشددة وبين الألف والهاء راء ، وهي عندهم الحراقة عند أهل مصر » . ويقول أبو الفرج الأصفهاني (٥) « فكانت السفن التي تخص المأمون سوى سفن العسكر ، أربعة ألف شبارة كبار وصغار » .

٨٣ — الشباك : (Chébeok) جمعها شبابك ، استخدمها البرتغال في القرن الخامس عشر كمراكب للصيد (٦) . ويقول دوزي أن كلمة شباك أسبانية الأصل وليست تركية ، وأنها مركب حريصة صغيرة الحجم تستعمل عادة في البحر الأبيض المتوسط . ويسميه الأسبان (dabeque) ويطلق عليه الايطاليون (Sciabecco) والبرتغاليون (Xabeca) .

٨٤ — الشذا : مفردا شذاة وهي ضرب من السفن الحربية في العصر العباسي الأول . وجاء في المصباح الشذوات سفن صغار كالزبازب الواحدة شذاه . وذكرها الطبري في حوادث سنة ٢٦٧ هـ « وكان أمير البحر يتشاغل

(١) المقدسي ص ٣٢ .

(٢) دوزي ج ١ ص ٧٠٦ .

(٣) دوزي ج ١ ص ٧١٩ .

(٤) ابن خلكان ج ١ ص ١٧٥ .

(٥) الأغاني ج ١٣ ص ٤٨٢ .

(٦) دوزي ج ١ ص ٧٢٣ .

أياما قبل الحرب بعرض الشذا وما يحلقها من الشذوات الجنائيات والسميريات وترتيب قواده ومواليه وغلمائه فيها ، وتخير الرماة وترتيبهم في الشذا والسميريات . وكانوا وقت الحرب اذا استأمنت شذواة من شذوات العدو كان أهلها ينكسون علما أبيض يكون معهم وهذه هي علامة الأمان عندهم » .

ولما انقطعت الحروب البحرية في أواخر الدولة العباسية صاروا يستعملون هذه السفن في التجارة والأسفار .

٨٥ — الشلندى (Chaland) : جمعها (شلنديات) وهي مركب حربى كبير مسطح كان مخصصا لنقل المقاتلة والأسلحة ، ويعرف في اللاتينية باسم (Chelandium) ويعرفه الروس باسم (Schelando) والايطاليون باسم (Scialando) . ويقول ابن ممتى (١) : ان الشلندى مركب مسقف تقاتل الغزاة على ظهره وجذافون يجذفون تحتهم . واستعملها العرب فقالوا ، صندل يستعمله الافرنج لنقل البضائع .

٨٦ — الشيطى : نوع من المراكب الحربية مهمته كشف العدو وإبلاغ خبره لقائد الأسطول وهو سريع الحركة ويحتوى على ٨٠ مجدافا .

٨٧ — الشينى (٢) (Galère) : بالفرنسية وفي الايطالية (Galera) وهي أقدم أنواع السفن وكانت أهم القطع التى يتألف منها الأسطول الرومانى . ووردت فى التاج للزبيدي الشونة المركب المعد للجهاد فى البحر ، والجمع الشوانى لغة مصرية . وجاء فى المستدرک : الشين المركب الطويل . وفى العصور الوسطى كانت أهم القطع التى يتألف منها الأسطول الاسلامى لأنها كانت أكبر السفن وأكثرها استعمالا لحمل المقاتلة للجهاد ، وكانوا يقيمون فيها أبراجا وقلاعا للدفاع والهجوم ، وكان متوسط ما يحمله الشينى الواحد ١٥٠ رجلا ويجذف بمائة مجداف .

(١) قوانين الدواوين ص ٣٤٠ .

(٢) دوزى ج ١ ص

وقد ظل اسم شينى متداولاً في الملاحة حتى أيام الدولة العثمانية .
وقد وصف الشاعر ابن حمديس الصقلي السرقوسى الشوانى عندما
مدح أبا يحيى الحسن بن على بن يحيى : (انظر لوحة رقم ٤٨) .

أنشأت شوانى طائرة وبنيت على ماء مدنا
بيروج فقال تحسبها في شمم شواهقها قننا
ترمى بيروج ان ظهرت لعدو مخرقة بطننا
وبنفط أبيض تحسبه ماء وبه تذكى السكنا
ضمن التوفيق لها ظفرا من هلك عداتك ما صننا

٨٨ — شبوق (١) : سفينة صغيرة من مراكب الأنهار أخذت اسمها من السمك
النهرى المعروف بالشبوق (٢) وذلك للشبه الشديد بينهما .

٨٩ — شموط (٣) : نوع من السفن الصغيرة التى تلتف حول السفن الكبيرة
كما يلتف الخيط حول المغزل (٤) .

٩٠ — شنكولية (٥) : سفينة كبيرة توجد عادة في الموانى لكى تربط فيها السفن
والمراكب كمرساة .

٩١ — الصلعة : تطلق على السفن الكبيرة التى تستعمل في الأساطيل التجارية ،
وهى من سفن البحر الأبيض المتوسط .

٩٢ — الطراد : (Tartane) بالفرنسية ، وبالأسبانية (Tarida) أما الايطاليون
فيسمونها (Tartana) . قال الزبيدي : الطراد سفينة صغيرة سريعة
السير والجري .

(١) المقدسى ص ٣٢ .

(٢) دوزى ج ١ ص ٧٢٢ .

(٣) المقدسى ص ٣٢ .

(٤) دوزى ج ١ ص ٧٨٧ .

(٥) المقدسى ص ٣١ .

ويقول الصاغاني (١) ، والعامّة تقول تطريدة . ويقول ابن ممتى (٢) عن الطريدة عند كلامه عن الأسطول المنصور « ومنفعة المسلمين به أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر فأما الطريدة فإنها برسم الخيل ، وأكثر ما يحمل فيها أربعون فرسا أما الحمالة فيحمل فيها الغلة ، والطراد من سفن البحر الأبيض المتوسط ، يقول النويرى المتوفى (سنة ٧٦٧ هـ / ١١٦٥ م) ، من صنوف السفن التى تجرى فى بحر الروم الطرايد ، وهى مفتوحة المواخير بأبواب تفتح وتغلق معدة لحمل الخيل بسبب الحرب (٣) . » . ويقول دوزى (٤) : الطراد نوع من المراكب الحربية لا يزيد طولها عن سبع أذرع وعرضها ذراعان ونصف ذراع . وهى أكثر شبها بالبرميل منها بالسفينة الحربية ، وليس لها سقف وتكاد تكون خالية تماما من المسامير . ولذا فإن ألواحها الخشبية رقيقة وصلبة ، وقد استعملها بكثرة صلاح الدين الأيوبي .

٩٣ — الطيار أو الطيارة أو الطيرة (٥) : ضرب من السفن النهرية القديمة أكثر ما اتخذ فى العراق لركوب العظماء . وسميت كذلك لأنها من السفن الخفيفة السريعة الجريان كأنها لسرعتها تطير على وجه الماء (٦) . قال عبد الله بن المعتز :

بالكرخ والميدان لى منزل	ولذتى القفص وقطربل
وخير مال لى طيارة	تدبر بى فى السير أو تقبل
يلاطم الماء مجاديفها	حاملة لكنها تحمل

(١) الأسطول العربى ص ٣٣ .

(٢) ابن ممتى ص ٣٣٩ .

(٣) مخطوطة رقم (٩٨١٥) ورقة ص ٢٤ (برلين) (عن كنوز الفاطميين لزكى حسن ص ١١٢) .

(٤) دوزى ج ٢ ص ٣٤ .

(٥) المقدسى ص ٣٢ .

(٦) أحمد تيمور : مجلة المجمع العلمى بدمشق ج ٢ ص ١٩٢٢ ص ٢١ ، ميخائيل عواد المقتطف (عدد

مايو سنة ١٩٤٤ ص ٤٤٣) .

غايتها قصر حميد وفي بستان بشر دهرها الأطوال
وان نجد من مآصر غفلة تظر الى كركين لا تعدل

٩٤ — العجوز : جاء في معظم المراجع ^(١) انها ضرب من السفن ، دون وصف
أو تفسير لمعنى الكلمة ، وجاء في دوزي ^(٢) عجوزة الاسطربلاب
والعجوزي الاسطربلابي . والسفينة العجوز هي التي تسير في المحيط
الهندي والبحر الأحمر على هدى آلة الاسطربلاب فنسبت اليها .

٩٥ — عرجون ^(٣) : ضرب من السفن الصغيرة التي تسير في الأنهار وخاصة
نهر النيل وقد عرفت بهذا الاسم نسبة الى شرعها المصنوعة من سعف
النخيل المعروف بالعرجون . ويقول دوزي « العرجون سعف يتوج
النخيل الذكر » . ويطلق المصريون على هذا النوع من السفن اسم
(العرجون) . (انظر لوحة رقم ٤٥) .

٩٦ — العدوانية ^(٤) : جاء وصفها في معلقة طرفة بن العبد بن سفيان :

لخولة اطلال بركة ثممد ظلت بها أبكى وأبكى الى الغد
وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد
كان حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين ابن يامن يجثور بها الملاح طورا ويهتدى
يشق حباب الماء حيزومها كما قسم الترب المقابل باليد

قال أحمد بن عبيد : العدوانية منسوبة الى جزيرة من جزائر البحر يقال
لها عدولى في أسفل من (أوال) ، وأوال أسفل من عمان . وقال غيره
العدولية منسوبة الى قوم كانوا ينزلون بهجر ليسوا من ربيعة ولا من

(١) البحرية المصرية ص ٢٧ ، الاسطول العربى ص ٤٦ ، المخصص ج ١٠ ص ٢٣ .

(٢) دوزي ج ٢ ص ٩٧ .

(٣) دوزي ج ٢ ص ١٠٩ .

(٤) أبوبكر محمد بن القاسم اللبary : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ١٣٧ .

طبعة دار المعارف .

مضر ولا من اليمن . وابن يامن ملاح من هجر أيضا . وقال ابن العربي :
عدولية نسبها الى قدم أو ضخم . ويروى عدولية بالرفع فمن خفضها
جعلها نعتا للسفن ، ومن رفع جعلها نعتا للخلايا .

وفي البيت الخامس يشق حباب الماء حيزومها ، والحيزوم هو الصدر
والحباب طرائق الماء ، وقال الطوسي حباب الماء : النفاخات التي تراها
فوق الماء وقال ابن الاعرابي وأبو عمرو : هو أمواجه .

يفهم مما تقدم أن العدولية سفينة تنسب الى عدولى قرية في البحرين ،
أو الى قبيلة عربية تسكن هجر وأحد أبنائها يدعى (يامن) . وقد
تستعمل كلمة عدولية كناية عن السفينة القديمة الضخمة الحجم التي
تمخر حباب الماء بحيزومها .

٩٧ — العشارى أو العشرى وجمعها (عشاريات) والاسم معرب وهو نوع
من المراكب يسير في النيل ويجر بعشرين مجدافا ، وينقل البضائع
والرجال من ساحل الى آخر كما يستخدم في الأسطول الحربى لنقل
المقاتلة والعتاد . ويقول المقرئى^(١) نقلا عن ابن منظور « انها من توابع
الأسطول ، وكان يسار بها في النيل ، منها ما كان خاصا برسم الخليفة
(في عهد الدولة الفاطمية) وهى الدواميس ومفردها ديماس يخرج بها
أيام الخليج وغيرها ، ومنها ما هو برسم ولاية الأعمال ، وهى بقية
العشاريات والدواميس وللمشارفين بالأعمال (أى المفتشين) عشاريات
دون ذلك » وقد أعطانا المؤرخ عبد اللطيف البغدادي الذي زار مصر
في نهاية القرن الثانى عشر وصفا مسهبا عن العشارى جاء فيه « أما
سفنهم فكثيرة الأصناف والأشكال وأغرب ما رأيت فيها مركب يسمونه
العشرى ، شكله شكل شبارة داخلة ، الا أنه أوسع منها بكثير وأطول
وأحسن هنداما وشكلا ، قد سطح بالواح من خشب تخينة محكمة
وأخرج منها أفاريز كالرواش^(٢) نحو ذراعين وبنى فوق هذا السطح

(١) المقرئى ج ٢ ص ١٩٢ .

(٢) الرواش : مفردها روش (كلمة فارسية) ومعناها ما نتأ أوبرز عن الحائط .

بيت من خشب وعقد عليه قبة ، وفتح له طاقات وروازن ^(١) بأبواب في البحر من سائر جهاته ، ثم تعمل في هذا البيت خزائنة مفردة ومرحاض . ثم يزوق بأصناف الأصباغ ويذهب ويدهن بأحسن دهان . وهذا يتخذ للملوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس جالسا على وسادته وخواصه حوله والعلماء والماليك قيام والمناطق والسيوف على تلك الرواش وأطعمتهم وحوائجهم في قعر المركب والملاحون تحت السطح أيضا . وفي باقى المركب يوجد المقذفون يقذفون لا يعلمون شيئا من أحوال الركاب ولا الركاب تشتغل خواطرهم بهم بل كل فريق بمعزل عن الآخر ومشغول بما هو بصدده . وإذا أراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن أصحابه دخل المخدع ، وإذا أراد قضاء حاجته دخل المرحاض . وقد أدلى عبد اللطيف البغدادي بمعلومات على جانب كبير من الأهمية بالنسبة الى طريقة تسير السفن المصرية عامة والعشارى خاصة بالمجاديف فهو يقول : « والملاحون بمصر يقذفون الى ورائهم فهم في قذفهم يشبهون الحبالين في مشيهم القهقري ، ويشبهون في تحريكهم السفن من يجذف ثقلا بين يديه ويمشى به الى خلفه ، فسفن مصر تتحرك الى ضد الجهة التى اليها الملاح متوجه » ثم يضيف « وأما أى الحالتين أسهل ، والبرهان عليها فموضعه العلم الطبيعي ، وعلم تحريك الأثقال ».

٩٨ — العكبرى : نوع من المراكب أصله من الهند وكان يشبه الغراب ^(٢) والشينى ، ولكنه أوسع منهما ، فهو يحتوى على (٦٠) مجدافا ، ويكون عادة بدون ظهر ، ولكنه يسقف وقت القتال حتى لا ينال الجذافين أى أذى : ويصفه ابن بطوطة ^(٣) عند زيارته للسند ، فيقول عن سلطان مدينة قندهار « وبعث معنا ولده في مركب يسمى العكبرى ، وهو يشبه

(١) الروازن : مفردا (روزنة) وهى الكوة (معربة) (نقلا عن الأسطول العربى ص ٣٨) .

(٢) انظر ص ٣٢ (الغراب) .

(٣) ابن بطوطة ج ١٠ ص ٣٦٩ .

الغراب الا أنه أوسع منه ، وفيه ستون مجدافا . ويسقف وقت القتال
حتى لا ينال الجدافين شيء من السهام ولا الحجارة » .

٩٩ — العلايات ^(١) : ضرب من سفن الأسطول المصرى مفردتها (العلابى) .

١٠٠ — العلايا : نوع من سفن البحر الأبيض المتوسط ، نسبة الى مدينة العلايا
التي تقع على ساحل آسيا الصغرى العربى ، وذلك لشهرتها بالخشب
الجيد الذى تصنع منه السفن والذى تستورده معظم دول البحر الأبيض
وخاصة مصر ويقول ابن بطوطة « ومدينة العلايا التي ذكرناها كبيرة
على ساحل البحر ، يسكنها التركمان وينزلها تجار مصر واسكندرية
والشام . وهى كثيرة الخشب ، ومنها يحمل الى سائر بلاد مصر ، ولها
قلعة عجيبة منيعة ، بناها السلطان المعظم علاء الدين الرومى ^(٢) » .

١٠١ — العمائم : مفردتها عمامة والعمامة ، يقول ابن سيده ^(٣) ، هى عيدان
مشدودة تركب فى البحر . ثم يضيف « تتخذ من أغصان الشجر ويعبر
النهر عليها وجمعها عامات وعموم وعام » . ويستعمل هذا النوع من
المراكب فى مناطق السدود فى السودان فى منطقة بحر الجبل . وفى أنهار
بلاد الهند . (انظر لوحة رقم ٥٦) .

١٠٢ — عرداس ^(٤) : ضرب من السفن الصغيرة ، أخذت اسمها من عردس ^(٥) ،
ومعناه حجرة لعبة الأطفال .

١٠٣ — الغارب : جاءت فى معظم المراجع ، هى ضرب من السفن الصغيرة ، وقد
عرفت بهذا الاسم نسبة الى أنها كانت تستعمل للنزهة فى النيل فى فصل
الصيف بعد غروب الشمس فعرفت بالغارب .

(١) البحرية المصرية ص ١٢٦ الاسطول العربى ص ٤٤ .

(٢) ابن بطوطة ج ٥ ص ١٨٨ .

(٣) المحقق ج ١٠ ص ٢٩ .

(٤) المقدسى ص ٣١ .

(٥) دوزى ج ٢ ص ١٠٩ .

١٠٤ — الغراب : جمعها أغربة (١) وغربان ، وهو نوع من المراكب أخذه العرب عن القرطاجنيين والرومان وغيرهم من أمم البحر الأبيض المتوسط ، وبقيت الى عهد الدولة العثمانية . وقد سمي بهذا الاسم لأن مقدمه يشبه رأس الغراب أو الطائر ويمثل في الماء الطير في الهواء (٢) ، قال ابن الساعاتي المتوفى سنة ٦٠٤ هـ (انظر لوحة ١٠ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٦) .

وركبت بحر الروم وهو كحيلة والموج تحسبه جيادا تركض
وكم من غراب للقطيفة أسود فيه يطير به جناح أبيض

وجاء في وصف الغراب لابن أبي حجلة التلمساني المتوفى سنة ٧٧٦ هـ :

غربانها سود ويبيض قلعوها يصفر منهن العندو الأزرق

وقال ابن الأبار البلسي المتوفى سنة ٦٥٨ هـ في وصف الغراب :

يا حبذا من بنات الماء سابعة تطفو لما شب أهل النار تطفئه
تطيرها الريح غربانا بأجنحة الـ حمائم البيض للاشراك تزرؤه
من كل أدهم لا يلغى به جرب فما لراكبه بالقار يهنؤه
يدعى غربا وللفختاء سرعته وهو ابن ماء وللشاهين جؤجؤه

وجاء في شفاء الغليل (للخفاجي (٣) المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ) أن اسم الغراب لنوع من السفن مشهور في أشعار المحدثين لا سيما المغاربة ، ولا أدري هل هو على التشبيه أو غلط في الترجمة .

وكان الغراب يحمل الغزاة ويسير بالقلم ، كما كان يسير بعدد من المجاديف لا يتجاوز (١٨٠) مجدافا (٤) ، ويقول ابن شداد (٥) « ومن

(١) دوزي ص ٢٠٤ ج ٢ .

(٢) البحرية المصرية ص ١٢٣ .

(٣) الاسطول العربي ص ٣٩ .

(٤) البحرية المصرية ص ١٢٣ .

(٥) ابن شداد : النوادر السلطانية والحاسن اليوسفية ج ٣ ص ٢٢٠ .

خصائصه أنه كان مزودا بجسر من الخشب يهبط على مركب العدو ويمر على ظهره الجند فيقاتلون بالأساليب البرية » .

١٠٥ — الغليون (Galleon) : هو أرقى ما وصل اليه السفن الحربية في القرن السادس عشر ، اخترعه البرتغالي واستعملوا الغليون المسمى (Sao Joao) في الهجوم على تونس سنة ١٥٣٥ م . والغليون سفينة ذات أربعة صوار وليس لها مجاديف وتحتوى على ساحتين للقتال في المقدمة والمؤخرة . ويمتاز الغليون بنتوء المؤخرة البارز ومع ذلك فهو لا يستخدم في شق سفن العدو لأن استدارة جسم السفينة عند المؤخرة يتساوى مع بروز المؤخرة (انظر لوحة رقم ٦١) ويبلغ طول الغليون ثلاثة أمثال العرض بعد أن كان مثلاًن أو مثلاًن ونصف في السفن السابقة . ويعتبر الغليون من السفن الشراعية الممتازة ذات الأسلحة الثقيلة ، ولذلك فقد عملت فتحات خاصة لها على جانبي ساحة القتال . وقد ساعد طول الغليون وقلة عمقه على سرعة حركته . ولذا فقد أطلق عليه اسم (سفينة السباق) بينما تسمى السفن الحربية القديمة (سفن الاشراف العام) . وعلى الرغم من التطورات الكثيرة التي أدخلت على الغليون حتى أصبح أرقى أنواع السفن الحربية ، فإن المقاتلة كانت لا تحبذه ، ذلك أن المعارك الحربية كانت في ذلك الوقت تحدث مواجهة بالسلح الأبيض ، كما كان يشترك فيها الجنود البرية على الساحل ، ولذلك فإن ساحة القتال المرتفعة في سفن الاشراف كانت تحمي المقاتلة من الاعتداء من الجنود البرية على الساحل ، بينما تعرضهم ساحة الغليون المنخفضة لخطر الاعتداء الساحلى (١) .

وفي موقعة الارمادة الأسبانية (Armada) سنة ١٥٨٨ ، استعمل الأسطولان الأسباني والانجليزى الغليون ، فعندما أبحرت الارمادة من لشبونة كانت تتكون من (١٠١) قطعة حمولة كل منها (١٥٠) طناً

أو يزيد (١) . ويقال ان غلايين الأسطول المصرى التى اشتركت فى حرب
القرم سنة ١٨٥٣ م يحتوى كل منها على مائة مدفع و (١٠٤٠) جنديا
يرأسهم قائد برتبة (عقيد) (٢) . وقد عرف الغليون فى القرن
التاسع عشر باسم (قباق) (٣) وكان يوجد فى الأسطول المصرى غليون
اسمه (مصر) (٤) ، له ثلاثة سطوح ، السطح الأول يحمل (٣٢) مدفعا
طويلا من عيار (٣٠) ، والسطحان الآخران يحملان (٦٨) مدفعا
قصيرا من عيار (٣٠) . وقد حلت المدرعة الآن محل الغليون فى
الأساطيل البحرية .

١٠٦ — الغولت : (Goélette) (٥) جمعها غواليت ، من مراكب الأسطول
المصرى فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر (٦) ، وقد عرف كذلك باسم
(غيلاطة) (٧) . ومن مميزاته أنه سريع نظرا لضيق عرضه وكبر طوله .
ويحتوى الغولت عادة على (٧) مدافع من عيار (٤) بوصة .

١٠٧ — فكتورى (٨) (Victorie) أطلق هذا الاسم على السفن المخصصة لنقل
الركاب ، وليست لنقل البضائع ، وذلك فى القرن الثانى الميلادى .
وكان طريق ملاحتها يبدأ من برنديزى الى دوراز ثم يتجه شرقا وتنتهى
عند سالويكا .

١٠٨ — فاسلى (Phasel) : سفينة خاصة بنقل الركاب من مكان لآخر ،
وقد استعمل هذا النوع من السفن فى حوض البحر الأبيض قبل الميلاد

(١) Cecil Torr : Ancient Ships, P 62

(٢) البحرية المصرية ص ٣٥١ .

(٣) كلوت بك : لمحة عامة الى تاريخ مصر ج ٢ ص ٢٤٣ .

(٤) البحرية المصرية ص ٣٦٠ .

(٥) كلوت بك ج ٢ ص ٢٣٧ ، على مبارك : الخطة التوفيقية ج ٧ ص ٥٢ .

(٦) سرهنك : ج ٢ ص ٢٤٢ .

(٧) ابن بطوطة : « صفحات من تاريخ البحرية المصرية فى عهد محمد على » ص ٧٥ الى ٩٤ .

(٨) Ancient Ships, P 110

وبعده (١) . وقد استعملت في العصور الوسطى وخاصة في الحروب الصليبية كوسيلة سريعة في نقل قواد الأساطيل والنجدات من المقاتلين من جميع دول أوروبا (٢) .

١٠٩ — فرقاطة (Frégate) : سفينة من قطع الأسطول المصرى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وتحتوى الفرقاطة عادة على ستين مدفعا من عيار (٢٤) وعدد بحارتها (٧٠٠) بحار . وكانت تعرف أيضا باسم فرقطون ، وقد حل محل الفرقاطة الآن الطراد (٣) .

١١٠ — فريجات (٤) (Fregate) نوع من السفن الحربية الخفيفة الحركة من أساطيل البحر الأبيض في العصور الوسطى .

١١١ — فوست (Fuste) (٥) : مركب حربية صغيرة ، تستعمل في بعض الأحيان لنقل البضائع الثمينة . وقد انتشر استعمال هذا النوع من السفن في القرن السادس عشر في حوض البحر الأبيض المتوسط .

١١٢ — القادس (٦) : يقول ابن سيده القادس : لوح من ألواح السفينة ، وقيل هى السفينة . وجاء في معظم المراجع (٧) العربية ، هى السفينة الكبيرة أو العظيمة . ويقول دوزى ، القادس : سفينة بحرية كبيرة تشبه البارجة .

١١٣ — القراق أو القرقور (٨) : (Caraque أو Carrack أو Kroeck) جمعها قراقر ، هى من سفن العصور الوسطى المتعددة الصواري والشرع فقد استخدمها أهل اسكندنافيا في البحر الأبيض المتوسط منذ القرن

(١) Catulus, Vol. IV, P. (1-5) .

(٢) Ancient Ships, P. 110 .

(٣) البحرية المصرية ص ٢٦٢ .

(٤) Ships & Shipbuilding, III, P. 471 .

(٥) Ships & Shipbuilding, III, P. 471 .

(٦) ابن سيده ج ١٠ ص ٢٥ .

(٧) البحرية المصرية ص ١٢٧ الاسطول العربى ص ٤٥ .

(٨) Lethbridge, T C, P. 563 .

الحادى عشر (سنة ١٠٤٣) (١) . ويقال أن كلمة قراق مأخوذة من الاسم الايطالى (٢) (Caricare) بمعنى حمل . ولعل الاسم الايطالى نفسه مأخوذ من كلمة (Curach) ومعناها السفينة . (انظر لوحة رقم ٣١) . والقرقور ، هى من السفن الكبيرة التى كانت تستعمل فى تموين الأسطول بالزاد والمتاع والذخيرة ، ومنها ما كان يحتوى على ثلاثة ظهور ، كما انها متعددة الشرع والصواري ولا يخشى معها الرياح العاصفة . وفى القرن الخامس عشر كان القراق من السفن التجارية الهامة القوية البنيان ، فقد كانت مستديرة الشكل ولها تنوءات كثيرة على جانبيها تحميها من الاحتكاك بأرصفة الموانى . كما كانت تحتوى على ساحة قتال على ظهرها ووسط السفينة منخفض نسبيا ، أما ساحات القتال فى المقدمة والمؤخرة ، فمبنية على مستويين أو ثلاث أعلى من الوسط . وقد استطاعت هذه السفينة أن تعوض كل مواضع الضعف فى بناء السفن السابقة ، فأصبحت قادرة على السير فى جميع الظروف الجوية تقريبا ، كما استطاعت الرسو على شواطئ ليست ممهدة لرسو السفن (٣) (انظر لوحة رقم ٦٠) . ومن أشهر قواقر القرن السادس عشر ، سفينة الملك هنرى الثامن التى بنيت سنة ١٥١٢ م والمعروفة باسم (رجينت) أى السفينة الملكية ، فقد كانت حمولتها (١٠٠٠) طن ومسلحة بـ (١٥١) مدفعا من الحديد ، (٢٩) مدفعا من النحاس وعليها (٤٠٠) جندي ، (٣٠٠) بحار . ولما احترق هذا القرقور بنى هنرى الثامن آخر عرف باسم (القرقور العظيم) أو (القرقور الامبراطورى) كما عرف باسم (هنرى الامبراطورى) ، وهنرى حمدالله (Henry Grace à Dieu) وكانت تختصر (هارى Harry) . وكانت حمولته (١٥٠٠) طن وعليها (١٩٢) مدفعا وتتكون حاميته

(١) البحرية المصرية ص ١٢٠ .

(٢) ورد فى كتاب الاسطول العربى لمحمد ياسين الحموى ص ١٣١ أن القرقور اسبانية الأصل .

(٣) Abell, Sir Westcott : The Shipwright's Trade, P. 584.

من (٩٠٠) رجل . وكانت تحتوى على أربعة صوار وعدد كبير من الشرع وقد احترقت هذه السفينة أيضا سنة (١) ١٥٥٣ م .

١١٤ — القرويت (٢) : من سفن الأسطول المصرى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وقد اشتركت سفن القرويت فى الأسطول المصرى فى حرب القرم (سنة ١٨٥٣) ، وكان يحتوى على (٢٤) مدفعا ، (٢١٣) جنديا .

١١٥ — قوارب الخدمة : القوارب سفن صغيرة تكون مع أصحاب السفن البحرية تستخف لحوائجهم فى من توابع الأسطول . وهى معروفة فى مصر منذ أقدم العصور وقد وردت فى كتاب عمرو بن العاص الذى وصف (٣) فيه مصر . وجاء فى دواوين ابن ممتى (٤) أن عمال الديوان كانت لهم مراكب خاصة تعرف باسم قوارب الخدمة ينتقلون بها من اقليم الى آخر لجمع الخراج للديوان .

١١٦ — القنجة (٥) : نوع من السفن التى تستعمل فى المحيط الهندى والبحر الأحمر وتمتاز بمؤخرتها المربعة . ويقول دوزى (٦) ، ان القنجة سفينة طويلة مغطاة تشبه (الجندول) . وكان للسلطان العثمانى قنجة تعرف باسم (قنجة باش) خاصة لركوبه عندما يريد النزهة فى البسفور فقط .

١١٧ — الكار : يقول ابن سيده (٧) ، الكار سفن منحدرية فيها طعام فى موضع واحد . ويقول دوزى (٨) ان كلمة كار مأخوذة من كلمة (Carriere)

(١) Naish, P. 478.

(٢) البحرية المصرية ص ٣٥٠ . ٣٥١ .

(٣) البحرية المصرية ص ١٢٠ ، الأسطول العربى ص ٣١ .

(٤) ابن ممتى ص ٢٩٧ .

(٥) العرب والملاح فى المحيط الهندى ص ٢٤٢ .

(٦) دوزى ج ٢ ص ٤٠٩ .

(٧) التخصص ج ١ ص ٢٩ .

(٨) دوزى ج ٢ ص ٤٣٤ .

بمعنى حمل ، وهو نوع من السفن تشبه البارجة . والكار نوع من السفن استعمل في أساطيل العصور الوسطى لحمل المؤن والزاد .

١١٨ — كديكارى ^(١) (Coxdicarloe) ، أطلق هذا الاسم قديما على المراكب النهرية ، وخاصة تلك التى تسير فى نهر التيبر الذى تقع عليه مدينة روما وكانت الكلمة تعنى فى اللاتينية السفينة أو المركب ، كذلك أطلق هذا الاسم على بحارة نهر التيبر ، وكانت توجد نقابة للبحارة اسمها (Cordicariorum) فى مدينة اوستيا (Ostia) بالقرب من مصب نهر التيبر .

١١٩ — كامارى ^(٢) (Camarioe) استعمل هذا النوع من السفن فى البحر الأسود فى القرن الأول الميلادى . وهى عبارة عن سفن خفيفة الهيكل يتراوح عدد بحارتها بين (٢٥ ، ٣٠) رجلا . ويمتاز بتشابه المقدمة والمؤخرة والمجاديف المصفوفة على الجانبين . وقاع السفينة مسطح والجوانب واطئة جدا ولذا فهى تستعمل المتاريس فى الحالات الجوية غير الملائمة .

١٢٠ — الككم : قال ابن بطوطة ^(٣) عند ذكره « مراكب الصين » ومراكب الصين ثلاثة أصناف : الكبار منها تسمى الجنوك والمتوسطة تسمى الزو والصغار تسمى الككم ، وتحتوى الككم ، كما هو الحال كذلك فى الجنك على المصارى (الغرف) ويضيف ابن بطوطة « ثم ان فتى لى يسمى هلالا أتانى غدوة الجمعة فقال : ان المصرية التى أخذناها بالجنك ضيقة لا تصلح . فذكرت ذلك للناخذاء (للربان) فقال ، ليس لى فى ذلك حيلة ، فان أحبيت أن تكون فى الككم ففيه المصارى

(١) السفن القديمة ص ١٠٥ . Corp Iscr Latmin, vol. XIV, No 41444

(٢) Strabo, XI, P 12.

(٣) ابن بطوطة ج ١٠ ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

على اختيار ، فقلت نعم وأمرت أصحابي فنقلوا الجوارى والمتاع الى الككم » .

١٢١ — كوربتاي^(١) (Corbitoe) استعمل هذا النوع من السفن منذ أقدم العصور ، فقد استخدمه الرومان في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد . وأطلق هذا الاسم على السفن التجارية ذات الأحجام الكبيرة في العصور الوسطى .

١٢٢ — كارونيه^(٢) : ضرب من السفن الحربية الصغيرة الحجم^(٣) .

١٢٣ — كيكرو^(٤) (Kykroi) يطلق هذا الاسم على السفن التجارية التي كان الاغريق يستعملونها في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد .

١٢٤ — الكوتير^(٥) (Cotre) من سفن الأسطول ، ويستخدم في وقت السلم للنزهة^(٦) ويحتوى الكوتير وقت الحرب على أربعة مدافع من عيار (٤) بوصة . وقد استخدم هذا النوع من السفن في الأسطول المصرى في القرن التاسع عشر .

١٢٥ — الكندرة : ضرب من سفن الصين ، يستخدم لنقل الركاب وهى متوسطة الحجم جاء ذكرها في رحلة ابن بطوطة^(٧) للصين قال « ولما وصلنا كنلوس (احدى الجزر التى تقع شرقى الصين) أقام بها عشرا (يعنى ربان سفينة) ثم اكرى (كندرة) يسافر فيها الى المهل بهدية للسلطانة وزوجها ، فأردت السفر معه فقال : « لا تسعك الكندرة أنت وأصحابك ، فان شئت السفر منفردا عنهم فدونك » . فأبيت ذلك ، وسافر فلعبت به الريح ، وعاد إلينا بعد أربعة أيام وقد لقي

(١) السفن القديمة ص ١٠٥ نقلا عن . (Lucilius, apud Nonium, P 533)

(٢) المقدس ص ٣١ .

(٣) دوزى ج ٢ ص ٤٣٤ .

(٤) Ancient Ships, P. 110. نفا (Aristophanes, pax, P 143)

(٥) سرهنك ج ٢ ص ٢٤٢ ، كلوت بك ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٦) البحرية المصرية ص ٢٦١ .

(٧) ابن بطوطة ج ١٠ ص ٣٨٧ .

شدائد فاعتذر لى وعزم على فى السفر معه بأصحابى ، فكنا نرحل غدوة فننزل فى وسط النهار بعض الجزائر ، ونرحل فنبيت بأخرى .

١٢٦ — الكيك : من السفن الشراعية التى استعملت فى الأسطول المصرى فى العصر العثمانى ويحتوى الكيك عادة على ثلاثة صواري وعدد كبير من الشرع يتراوح بين ستة وثمانية أشعة (انظر لوحة رقم ٦٧) .

١٢٧ — لمبى ^(١) (Lembi) من السفن التى استعملها الأغريق فى القرن الثالث قبل الميلاد ، وقد استعملها القراصنة فى العصور الوسطى فى حوض البحر الأبيض المتوسط .

١٢٨ — لنترز ^(٢) (Lintres) قوارب صغيرة تستعمل فى الأنهار فقط .

١٢٩ — لوسراى ^(٣) (Lusoriae) سفن استعملت فى العصور القديمة للحروب النهرية ، فقد استخدمت فى نهر النيل والفرات ودجلة والدانوب والرين . وفى العصور الوسطى ادخلت عليها بعض التغيرات وأصبحت تستخدم فى البحار .

١٣٠ — الماجشون ^(٤) : ضرب من السفن الكبيرة تستعمل فى المحيط الهندى .

١٣١ — الماعونة ^(٥) (Mahonne) نوع من السفن الكبيرة الحربية كان يستعمله الفرنجة فى نقل البضائع . ويبلغ طولها ١٩٥ قدما وعرضها ٣٣ قدما وتحتوى على ثلاث صوار . وكانت تجهز الماعونة بأربعة وعشرين مدفعا وحمولتها (٦٠٠) شخص .

١٣٢ — مايبرونيز ^(٦) (Myoparones) نوع من السفن الحربية المتوسطة الحجم ، استعملت فى حوض البحر الأبيض فى القرن الأول قبل الميلاد ،

(١) Plybois V P ١٠٩

(٢) Ancient Ships P. ١٠٩

(٣) Cecil Torr., P. ١١٠.

(٤) البحرية المصرية ص ١٢٧ ، الأسطول العربى ص ٤٦ .

(٥) البحرية المصرية ص ١٢١ .

(٦) Ancient Ships, P. ١٠٨.

كما استعملت في العصور الوسطى في أعمال القرصنة . وتمتاز بسعة عرضها بالنسبة الى طولها ولذا فهي أكثر مقاومة لتقلبات البحار .

١٣٣ — المثلثة (١) : مركب صغير مقدمه عريض ومؤخره مدبب ولذا فهو يبدو كأنه مثلث .

١٣٤ — المرمة (٢) : جمعها مرمات ، نوع من السفن التجارية الكبار التي تجوب المحيطات .

١٣٥ — مسبحية (٣) : ضرب من سفن المحيط الهندي والبحر الأحمر .

١٣٦ — المسطح : (Mistic أو Mustique) جمعها مسطحات وهو نوع من المراكب الكبيرة الحجم يشبه البطسة كانوا يجرونها في البحار وقت الحرب خلف المراكب الأخرى من مراكب الأسطول خشية أن تفرق هذه في واديهها (٤) ، ويسميتها الأسبانيون (Mistico) والبرتغاليون (Mestech) ، ويقول دوزي ربما سميت كذلك لأن لها سطحا ، وهي من أكبر سفن الأسطول الاسلامي (٥) .

١٣٧ — مسكتت : اعتقد المصري القديم أن (رع) اله الشمس حين يصل الى الأفق الغربى كان ينتقل من قارب النهار الى قارب المساء وأطلق عليه المصري (مسكتت) فهو اذن قارب الليل . (انظر لوحة رقم ٦ (أ)) .

١٣٨ — المسمرة (٦) أو المسمارية : جمعها مسماريات وهي السفينة التي تستعمل فيها المسامير الحديدية لربط ألواحها بعضها ببعض ، بخلاف السفن المستعملة في بحر الهند التي تربط الألياف ألواحها أو أن تكون مؤلفة من جذع شجرة كبيرة ، ويعرف هذا النوع الأخير باسم (جنسك)

(١) المقدسى ص ٣١ .

(٢) البحرية ص ١٢٤ ، الاسطول العربى ص ٤١ ، المقرئى : السلوك ج ٢ ص ١٨٩ .

(٣) المقدسى ص ٣٢ .

(٤) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ج ٣ ص ٢٢٠ .

(٥) الاسطول العربى ص ٤١ ، سعيد عاشور الممالك ص ٤٤٩ .

(٦) البحرية المصرية ص ١٢٥ .

وقد استعمل (فاسكودى جاما) ثلاث مساريات فى رحلته التى قام بها من مدينة بلنـدة الى مدينة قليقوت (على شاطئ الهند الغربى) فقطعها فى ثلاثة وعشرين يوما بعد انقطاع موسم الهند (أى الرياح الموسمية) وهى المعروفة باسم (Mousson) .

١٣٩ — المصاب (١) : السفينة الكبيرة وتمتاز باحتوائها أربعة صوار عمودية وهى الصارى الكبير وهو المنصوب فى وسط المركب ، وصارى المازانة (misaine) ، وهو المنصوب فى منتصف الجزء الأمامى وصارى المؤخر وهو المنصوب فى منتصف الجزء الخلفى . وللمركب صار رابع ، أفقى فى صدر المركب وبارز عن المقدم ويسمى صارى المقدم (Beaupré) . وقد وصفها الشاعر فقال :

والجن لم تنهض بما حملتنى أبدا ولا المصاب فى الشرم

١٤٠ — معندجت : أطلق المصريون القدماء هذا الاسم على القارب الذى يعتقدون أن الاله (رع) يعبر به السماء من الشرق الى الغرب ، وهو اذن قارب النهار .

١٤١ — المعادى (٢) : المراكب التى استخدمت لتعديـة الناس عبر النيل ، وكان لها مواضع معينة لضبط رسوم التعديـة . وقد كثر استعمال هذا النوع من المواصلات عبر النيل فى العصر المملوكى فكانت هناك معدية أنبابة ومعدية المقياس (جزيرة الروضة الآن) ومعدية الجسر بالجزيرة (مكان كبرى عباس الآن) ومعدية جزيرة الذهب (وهى التى أخذت صاحبة المعادى منها اسمها) .

١٤٢ — المعبر (٣) : نوع من السفن الصغيرة يعبر على ظهرها العساكر (٤) من شاطئ الى شاطئ أو من مكان الى آخر وقت الحرب ، وهى اذن من

(١) الفحص : ج ١٠ ص ٢٧ .

(٢) الممالك - سعيد عاشور ص ٥٠ ، المقرئى ج ١ ص ١٠٤ ، زيادة السلوك ج ٢ ص ٥١٨ .

(٣) المقدسى ص ٣٢ .

(٤) البحرية المصرية ص ١٢٦ .

قطع الأسطول المصرى ، كما أنها تستعمل وقت الحاجة فى نقل الذخيرة والأسلحة عبر نهر النيل فقط .

١٤٣ — المعبدة (١) : السفينة التى طليت بالقار وهو الزيت . ويقال هى السفينة المدممة من قولهم دمت السفينة طليت بالقار (٢) .

١٤٤ — المقيرة (٣) : السفينة المطلية بالقار ، وأول من أجرى فى البحر السفن المقيرة المسمرة غير المحزوزة المدهونة والمسطحة غير ذوات الجأجى ، الحجاج بن يوسف الثقفى وقد جاء وصف هذا النوع من السفن فى شعر الحسن بن هانئ :

بُنيَت على قدر ولأم بنيتها طبقان من قير ومن ألواح
فكأنها والماء ينطح صدرها والخيرزانة فى يد الملاح
جون من العقبان يتدر الدجى يهوى بصوت واصطفاق جناح

١٤٥ — المقلعة (٤) : السفينة الكبيرة ، ذات الشرع المتعددة الكبيرة الحجم ، قيل هى السفينة التى هى دائما على أهبة السفر والاقلاع ، من قولهم أقلعت المركب فهى مقلعة وقيل كذلك هى السفينة المحصنة من قولهم ، فما قصد موضعا الا ألفاء متقلعا ممتنعا (٥) .

١٤٦ — مكية (٦) : هى السفينة الصغيرة ذات الشراع الأبيض التى تحدث زفيفا موسيقيا جميلا عندما يلامس الريح شراعها ، كما تمتاز بسرعة جريانها وقد أخذت اسمها من الطائر المعروف باسم مكاء ، وهو طائر صغير

(١) البحرية المصرية ص ١٢٧ .

(٢) المخصص ج ١٠ ص ٢٥ .

(٣) الاسطول العربى ص ٤٤ .

(٤) البحرية المصرية ص ١٢٧ .

(٥) دوزى ج ٢ ص ٣٩٧ .

(٦) المقدمى ص ٣٢ .

في حجم البلب وريشه أبيض مشوب بلون بنى بسيط ، وله صوت جميل يندر أن تجده في غيره من الطيور (١) .

١٤٧ — مراكب الملوحة : نوع من السفن المصرية التي كان يفرض عليها ضريبة خاصة في العصر الفاطمي والأيوبي والمملوكي ، فقد ورد في قوانين (٢) ابن ممتى « هذه المراكب جارية في ذلك الديوان ، يضمها الرؤساء لمدة معلومة بأجرة معينة ، وإذا احتاجت الى عمارة اعتد لهم بأجرة مدتها بالنسبة من تقسيطة ذلك (٣) الفصل ، وستتها ثلاثة عشر شهرا ، منها خمسة نيلية ، يجب عنها نصف الضمان ، وفيها سبعة أشهر يجب عليها النصف الثاني ، أقساط متساوية والشهر الثالث عشر ، عطلة لا قسط فيه » .

١٤٨ — ملقوطة : سفينة حربية كبيرة ، تخرج عادة بعد الأسطول لكي تلتقط الجنود وكذا المؤن والسلاح الذي فات على الأسطول أخذه ، وتستعمل وقت السلم كسفينة للركاب فهي تلتقطهم من الموانى (٤) .

١٤٩ — مونكسلا (٥) (Monoxyla) نوع من المراكب يصنع من قطعة واحدة من الخشب . فهو عبارة عن جذع شجرة ثنى بحيث أخذ شكل هيكل المركب . وهذا النوع من المراكب استعمل في كل زمان ومكان . فقد عثر عليه في البحر الأسود كما عثر عليه في دلتا نهر النيل ، وفي الهند وفي حوض البحر الأبيض المتوسط ، وفي نهر الدانوب والرون والشواطئ الشمالية لأسبانيا . كذلك استعمل الجيش الروماني هذا النوع من المراكب كجسور عائمة .

(١) دوزى ص ٦٠٧ .

(٢) ابن ممتى ص ٣٤٨ .

(٣) جاء في هامش ابن ممتى ص ٣٤٨ توضيح غموض المتن « انه تحسب الضريبة مدة العطلة بأجرة [نظيرها من مدة العمل] .

(٤) المقدسى ص ٣١ ، دوزى ج ٢ ص ٥٤٤ .

(٥) Ancient Ships, 112. نقلا عن (Vegetius, III, 7)

١٥٠ — نقالة (١) : من سفن الأسطول المصرى فى القرن التاسع عشر ، وهى من السفن المتوسطة الحجم مجهزة بأربعة مدافع .

١٥١ — النهبوغ (٢) : جاء فى معظم المراجع أنها نوع من السفن الطويلة السريعة الجرى وهى بذلك تشبه الى حد كبير السفن المعتزوفة بالدونيغ المستعملة فى المحيط الهندى .

١٥٢ — الهرهور (٣) : جاء فى معظم المراجع أنه ضرب من السفن ، وهى مركب صغيرة الحجم سريعة الجرى .

١٥٣ — هيبى (٤) : (Hippi) نوع من السفن المزخرف برسوم على شكل برءوس الخيل . وكان الفينيقيون يستعملون هذا النوع من السفن فى العصور القديمة ثم اقتصر استعمالها فى العصور الوسطى على الصيد على الشواطىء الأفريقية ، فقد عثر على حطام سفينة من هذا النوع المزخرف برءوس الخيل على الشاطئ الشرقى لأفريقية وأحضرت الى مصر وقد نسبت الى مدينة قادش (انظر لوحة رقم ١٢ ، ٣٩ ، ٥٤) .

١٥٤ — الوابور (٥) : من سفن الأسطول المصرى فى القرن التاسع عشر التى تسير بالبخار ويجهز هذا النوع من السفن عادة بـ (١٢) مدفعا و (١٧٩) جنديا .

١٥٥ — الواسطية (٦) : ضرب من السفن النهرية الصغيرة ، أخذ اسمه من مدينة واسط .

١٥٦ — ولجية (٧) : من السفن النهرية المستعملة فى شمال أفريقية ، وقد أخذ

(١) سرنك ج ٢ ص ٢٨٧ .

(٢) الاسطول العربى ص ٤٥ ، البحرية المصرية ص ١٢٧ .

(٣) المقدسى ص ٣٢ ، البحرية المصرية ص ١٢٧ ، الاسطول العربى ص ٤٦ .

(٤) Ancient Ships, 113. نقلا عن (Strabo II, 3, 4)

(٥) عمر طوسون : الجيش المصرى فى الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم ص ٧٧ .

(٦) دوزى ج ٢ ص ٨٠٢ ، المقدسى ص ٣١ .

(٧) المقدسى ص ٣١ .

اسمها من مدينة الولجة وهى كما يقول دوزى (١) « والولجة ناحية بالمغرب من أعمال تاهرت » ثم يضيف « جلسنا بعض العشايا بالولجة خارج مرسية والنسيم يهب على النهر » .

١٥٧ — نيكات (٢) : مفردا نيك (Jun) صينية (٣) معربة وهى السفينة . ويقول (حزين) (٤) ان مثل هذا النوع من السفن كانت تقوم من مدينة كاتون على الشاطئ الشرقى للصين وتنتهى عند مدينة كويلون (Quilon) فى الجنوب الغربى من الهند ، وكانت هذه المدينة هى أبعد نقطة بلغت السفن الصينية غربا حتى عهد أسرة منج (Ming) فى القرن الثانى عشر الميلادى .

(١) دوزى ج ٢ ص ٨٣٩ « النهر هنا هو نهر سهجورا الذى يقسم هوات » .

(٢) الملاحه عند العرب ص ١١٥ .

(٣) قاموس النهضة لاسماعيل مظهر .

(٤) Huzayyin (S.A.) Arabia and Far East, P. 143 (Cairo 194h).

البابُ الثامنُ



مخطوط رقم (١)

كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد

تأليف : شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن عمرو بن فضل بن دؤيك بن يوسف بن حسن بن الحسين بن أبي معلق السعدي بن أبي الركائب النجدي ، المتوفى في مستهل العاشر الهجري ونهاية القرن الخامس عشر الميلادي . وهو من علماء فن الملاحة وتاريخه ، ورث ذلك عن أبيه وجده فقد ألفا كذلك في هذا الفن ، ولكن شهاب الدين هذا قد تفوق ، وهو الى ذلك شاعر استغل موهبته في نظم القصائد والأراجيز التي ضمنها كل اختباره ، وشعره رقيق ، ولكنه يضعف حين يحمل الاصطلاحات الفنية ويختل وزنه أحيانا أو يضطر الى الوقوع في أخطاء صرفية ، ولكنه مع ذلك لون جديد في الأدب العربي .

ولابن ماجد مؤلفات كثيرة في علم البحار محفوظة معظمها في مجموعتين بالمكتبة

الأهلية بباريس تحت رقمى (٢٢٩٢) ، (٢٥٥٩) ، أخذت عنهما صورة فوتوغرافية وحفظتا بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٨) جغرافيا ، والثانية تحت رقم (٣٩٥) جغرافيا .

وتشتمل المجموعة الأولى على الكتب الآتية :

- ١ — الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد .
- ٢ — أرجوزة خمسة فى علم البحار .
- ٣ — أرجوزة بر العرب ، فى خليج فارس .
- ٤ — الجمة ، فى علم البحر .
- ٥ — حاوية الاختصار فى أصول علم البحار .
- ٦ — الذهبية فى علم البحار .
- ٧ — ضريبة الضرائب .
- ٨ — الفائقة فى قياس الضفدع المسمى بفم الحوت اليماني ، وساكب الماء ، والظليم الفرد ، والنهر .
- ٩ — القصيدة المكية فى علم البحار .
- ١٠ — كنز المعاملة وذخيرتهم فى علم المجهولات فى البحر والنجوم والبروج وأسمائها وأقطابها .
- ١١ — الأرجوزة المعربة .
- ١٢ — النتحات لبر الهند وبر العرب .
- ١٣ — أرجوزة منسوبة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب فى معرفة المنازل وحقيقتها فى السماء وأشكالها وعددها .

وتشتمل المجموعة الثانية على الكتب الآتية :

- ١ — قصيدة فى علم البحر .
- ٢ — السبعية فى علم البحار .
- ٣ — الهدية ، أرجوزة فى علم البحر .

وهذه الثلاثة طبعت ضمن مجموعة فران سنة ١٩٢١ بباريس .

وقد ذكر بروكلمان كتابين آخرين لم يردا فيما سبق هما :

١ — الميل : ويوجد في الموصل (تحت رقم ٦٧ ، ٢٨٠) .

٢ — فكرة الهموم والغموم والعطر المشموم في علم المبارك المقسوم في

العلامات والمسافات والنجوم (وين ١٨٩٧) .

وتعتبر مخطوطة الفوائد في أصول علم البحر والقواعد أهم ما ألفه ابن ماجد بل من أهم ما صنف في علم البحار على الإطلاق . رتبها على اثنتي عشرة فائدة كالآبواب ، تكلم فيها عن أول من ركب البحر وأسباب ركوبه وصانعي السفن . ثم أفاض في بيان المنازل والدارات والمسافات والقياسات والباشمات والرياح ومطالع المغارب والاستواءات والبرور والسواحل .. الخ » . والمخطوطة بخط المؤلف كتبت في يوم الأحد المبارك السابع عشر من ربيع الثاني سنة أربع وثمانين وتسعمائة .

» انظر ورقة (١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ، (٨) ، (٩) ؛ (١٠) ، (١١) .

المخطوط رقم (٢)

كتاب انيق في المناجيق

» وضع العبد الفقير المعترف بذنبه الراجي عفو ربه ابن اربغا الزردكاش سنة ٨٦٧ هـ .

أولهما : الحمد لله مدبر الوجود ومؤيد الجنود .. وبعد فلما كان من سمت همته العلية (هامتي السماكين) ، وأزهرت نجوم سعوده في درر الأفلاك .. اتابك العساكر الاسلامية ، مؤيد الملة المحمدية ، هو المقر الأشرف السيفي شمس العلا منكلى بغا الشمس .. ممن أخذ من كل فن بأوفر نصيب .. وجمع بين فضيلتي الحكم والحكم والسيف والقلم ، ورأيت أعظم مساعيه وأكثر دواعيه الى امعان النظر فيما يحفظ نظام الممالك وتنجلي به الخطوب الحوالك ، من أنواع جيد الحروب ، ورمى أعداء الدين

بمصميات الخطوب .. جمعت في ذلك ما هو مع عظم قدره كالنقطة في بحر القطرة من دره ، من أنواع المجانيق والزيارات والسهال والحصارات ، والزحافات والجسورات ، ورمى المكاحل والقوارير .. وجعلته كتابا ورتبته فصولا وأبوابا ... الخ (١) » .

والمخطوطة بغير تاريخ ومن المرجح أن تكون من مخطوطات القرن التاسع أو من عصر المؤلف وهي موضحة بكثير من الصور والأشكال الخاصة بآلات المجانيق وكيفية استعمالها والهجوم بها على الحصون والقلاع والمراكب والسفن في البحار، مع رسوم لها ورسوم أخرى لأنواع أخرى من آلات القتال والحرب .. وبآخر المخطوط فوائد للمواد الكيميائية التي تكون منها البارود والقنابل المستعملة في الرمي بالمناجيق .

وقد بدأ الناسخ من صفحة (١٠ الى ٧) بخط جيد واتبع ذلك ببعض الصور والأشكال حتى ص ٢٨ ومن ص ٢٩ أعاد الناسخ كتابة الكتاب من أوله وينتهي مع الصور والرسوم الأخرى والفوائد الى ص ١٠٩ ومسطرتها ١٥ سطرا ، ومقاسها ٢٦×١٨ سم (والمخطوطة موجودة بمكتبة أحمد الثالث بإستانبول تحت رقم (٣٤٦٩) وصورتها بمعهد المخطوطات التابع للجامعة العربية تحت رقم (٤)) .

» انظر الأوراق (١٢) ، (١٣) ، (١٤) ، (١٥) ، (١٦) ، (١٧) ، (١٨) » .

المخطوط رقم (٣) ،

كتاب تحفة المجاهدين في العمل في الميادين

تأليف لاجين بن عبد الله الذهبي الحسامي المعروف بالطرابلسي المتوفى سنة ٧٣٨ هـ .

كتب برسم الخزانة العالية المولوية الأميرية الكبيرة المجاهدية العضدية السيفية بهادر الشهابي مقدم الممالك السلطانية الملكية الظاهرية . والمخطوطة مكتوبة بخط نسخ جميل والعناوين بالخط الثلث ومن المرجح أن تكون قد نسخت

(١) . فؤاد السيد : فهرس المخطوطات المصورة ج ٤ ص ٥ .

في القرن التاسع الهجري . وتقع المخطوطة في (١٧) ورقة ومسطرتها (١٠) أسطر وبها صور وأشكال لميادين الحرب ومقاس الورقة ٣١×٢٣ سم .

أولهما : الحمد لله الذي أعلى قدر من اتصف بالشجاعة واشتهر ، وأعلى رتبة من جعل الفضل له بضاعة وجعل عقبى الصبر الظفر . وبعد فإن للحروب لوازم لا بد للمتصف بالشجاعة منها ، وجوازم لا يستغنى عنها ، وقد ضمن هذا الكتاب ما يجب لمتعاطي الحرب من الوقوف عليه ومعرفته ورسومه .. وشرحنا فيه ما يجب الوقوف عليه والوقوف عند حده ، وأن يجعله الشجاع عمدة حال هزله وجده .

» وهذه النسخة موجودة بمكتبة الفاتح باستنبول تحت رقم ٣٥١٢ وصورتها بمعهد المخطوطات رقم (١١) « .

ويوجد ست نسخ أخرى لهذه المخطوطة موجودة في مكتبة رضا رامبور بالهند رقم (٣٥٢٤) ونسخة بمكتبة الفاتح باستنبول رقم (٣٥٠٩) ونسخة ثالثة بمكتبة أحمد الثالث باستنبول تحت رقم (٢١٢٩) ونسخة رابعة بمكتبة بغداد كشك باستنبول رقم (٣٧٠) ونسخة خامسة بالمكتبة الأحمدية بحلب رقم (١٣٧٢) . أما النسخة السادسة فمؤرخة سنة ٨٠٠ هـ وكتبها محمد بن تراز .

(انظر ورقة رقم ١٨ ، ١٩) .

المخطوط رقم (٤)

ميارات النفط (المحتاج اليها في الحروب)

لم يعلم مؤلفه :

أولها : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والتسليم على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد فهذه عبارات تذكر في النفط مستخرجة من أصول الحكماء المتقدمين رحمة الله عليهم أجمعين .

وآخرها : تم وكمل جميع الكتاب المعروف بعبارات النفط بحمد الله وعونه (١) .
والمخطوطة مكتوبة بخط نسخ جميل وتقع في (٤١) ورقة ومسطرتها (١٢)
ومقاسها ٢٦×١٨ سم .

وقد تم نسخها في ٢٨ رمضان سنة ٧٧٤ هـ .
« والمخطوطة موجودة بمكتبة أحمد الثالث باستنبول تحت رقم (٣٤٦٩)
وصورتها بمعهد المخطوطات تحت رقم (٢٨) » .
(انظر ورقة رقم ٢٠) .

المخطوط رقم (٥) :

غنية الطلاب في معرفة الرمي بالنشاب

تأليف الامام العلامة علاء الدين طيغنا الأشرقي اليوناني قدس الله روحه المتوفى
سنة ٧٩٧ هـ (٢) .

أولها : الحمد لله العادل حكمه الشامل علمه القاهر سلطانه .. أما بعد فإن الله
تعالى حيث فرض علينا رمي النشاب الجزيل الثواب ، وارتباط الخيل
التي عقد في نواصيها الخير .. ولم أجد لأحد مما تقدم مصنفًا شافيا
في الرمي على ظهور الخيل أحببت جمع فضيلتي الرمي والركوب ..
وأردفتها بشرح وفصول يتم فوائدها .. (٣) الخ .

وآخرها : من دان تحصن .. ومن عدل تمكن ، فاجعل الدين كهفك ، والعدل
سيفك ، تنج من كل سو ، وتظفر بكل مرجو .

وناسخ المخطوطة هو محمد بن علي الأنصاري وفرغ منها في ٢٣ جمادى الأولى
سنة ٨٦٠ هـ وتقع في (١٩٥) ورقة ومسطرتها (١٣) سطرا ومقاسها (٢٨×١٩ سم) .

(١) المخطوطات المصورة ج ٤ ص ٢٢ .

(٢) بروكلمان ج ٢ ص ١٣٥ .

(٣) المخطوطات المصورة ج ٤ ص ٢٤ .

« والمخطوطة موجودة بمكتبة أحمد الثالث باستنبول رقم (٢٦٠٨) وصورتها
بمعهد المخطوطات تحت رقم (٣٠) » .
(انظر ورقة رقم ٢١) .

المخطوط رقم (٦) :

الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب

تأليف محمد بن منكلى الناصرى تقيب الجيوش فى سلطنة الأشرف شعبان
(٧٦٤ هـ — سنة ٧٧٨ هـ (١)) .

أولها : الحمد لله الواسع ذى النعم والآلاء والأفضال والكرم .. وهذا كتاب
الحيل فى الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ، من حكم ذى القرنين
الاسكندر بن فيلبس اليونانى ، وجد فى ديماس بالاسكندرية بين
حجرين مطبقين ، أحدهما على الآخر مكتوبا باليونانية فترجم بالعربية ،
وهذا الكتاب فى جميع أبوابه يحتاج اليه فى أنواع الحرب من الحيل
والمكر والخديعة ومخادعة العدو والاحتراس من مكره وعمل الآلات
والسلاح ، وهو مبوب أبوابا نوعتها على تسعة أنواع (٣٩ بابا (٢)) .
وآخرها : تم كتاب الحيل فى الحروب بعون الله تعالى وحسن توفيقه والحمد لله
رب العالمين وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه .

والمخطوطة مكتوبة بخط جميل ووافق الفراغ منها فى شهر جمادى الآخرة
سنة ٧٥٧ هـ وتقع فى (١٣٥) ورقة ومسطرتها (١٩) سطرا ، وهى موضحة الرسوم
والأشكال والصور ، مقاسها ٣٠×٢٠ سم . وكتب على الغلاف « ملك العبد
الفقير .. الجنب العالى المولوى الكبير العلائى علاء الدين طيغا العمرى الساقى
الملكى الناصرى » .

والمخطوطة موجودة بمكتبة أحمد الثالث باستنبول رقم (٣٤٦٩) وصورتها
بمعهد المخطوطات رقم (١٩) .
(انظر ورقة رقم ٢٢) .

(١) بروكلمان ج ٢ ص ١٣٦ .

(٢) المخطوطات المصورة ج ٤ ص ١٤ .

المخطوط رقم (٧) :

تبصرة أبواب الألباب في كيفية النجاة في الحروب
من الأسواء ونشر اعلام الاعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء

تأليف مرضى بن على بن مرضى الطرسوسى (١) .

أولها : الحمد لله الذى خلق الانسان وهداه الى ايضاح مناهج المعارف فيما
يعين على الجهاد وبعد ، فلما فطر الله تعالى مولانا وسيدنا الملك الناصر
جامع كلمة الايمان قامع عبدة الصلبان صلاح الدنيا والدين .. أبا المظفر
يوسف بن أيوب .. فقد وجب بما اصطفاه الله به منها أن يتحف بنتائج
الأفكار ، ويقصد فيما يغنيه بما يغنيه على ما استعمله الله فيه من جهاد
الكفار ويبالغ المخلص في محبة أيامه في اتحافه بالتحفة الجامعة لنصائح
الأبرار ، ولذلك اعتمدت لتأليف هذا الكتاب .. ليكون اماما مرشدا
لتقوية الجيوش على حرب المشركين .. وجعلته باين : الأول منهما في
ذكر السلاح وأصنافه واختلاف نعوته وأوصافه .. والثانى في ضرب
المصافات في الحروب وتعبئة مكائدها التى يبلغ بها الغرض
المطلوب .. الخ .

وآخرها : فانما الدنيا هبات ومساع تروى وان ليس للانسان الا ما سعى وان
سعيه سوف يرى :

والما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .
المخطوطة مكتوبة بخطوط مختلفة آخرها بخط محمد بن سلمان سنة ٧٠٩ هـ
وتقع المخطوطة في (١٧١) ورقة ومسطرتها مختلفة وموضحة بالرسوم والصور
والأشكال ومقاسها ٢٧×١٨ سم .

والمخطوطة موجودة بمكتبة ايا صوفيا باستنبول رقم (٢٨٤٨) .

وصورتها بمعهد المخطوطات رقم (١٠) .

انظر ورقة رقم (٢٣) ، (٢٤) ، (٢٥) .

(١) المخطوطات المصورة ج ٤ ص ٩ .

المخطوط رقم (٨) :

كتاب الحرافات

تأليف : أبو سعد العلاء بن سهل .

أولها : من حق الملك صمصام الدولة وشمس الملة على من عرف قدر النعمة في عنايته باظهار العلوم حتى يشيع في الناس ذكرها ويعظم عندهم خطرها وحتى يأخذ طلابها بالخط الوافر من فائدتها وينتهي بعائدتها ، أن يجعل خدمته في ذلك بكل ما يجد السبيل اليه بعض شكر هذه النعمة وكيف لا يعنى باظهارها وقد لاقت به من يعرف فضلها .. وقد غبرت دهرأ أبحث عن حقيقة ما يتحيل أصحاب التعاليم من القدرة على احراق جسم بضوء على مسافة بعيدة ويضاف الى ارشميدس من احراقه سفن الأعداء بهذا الضرب من الحيل ، حتى عرفت جملة الحال فيه وتعقبته بالتفصيل ، فاستعنت عليه بما وجدته من كتب القدماء . وانتزعت منها ما تضمنت منه وهو وصف الاحراق بضوء الشمس المنعكس عن مرآة على مسافة قريبة . ونوع من الاحراق بضوء جسم قريب ينعكس عن مرآة وواصلت النظر فيما لم تتضمن منه حتى استخرجته وهو وصف الاحراق بضوء الشمس .

وتقع المخطوطة في (٢٦) ورقة ومسطرتها ١٧ سطر ومقاسها ٢٦×١٨ سم .
(انظر ورقة رقم ٢٦) .

المخطوط رقم (٩) :

الغز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله

بآلات الحرب والمزافع

ألفه بالأعجمية الرئيس ابراهيم بن أحمد بن غانم بن محمود بن زكريا الأندلسي المشهور بالرباش .. وترجمه الى العربية أحمد بن قاسم بن أحمد بن قاسم بن الفقيه بن الحجري الأندلسي ، ترجمان سلاطين مراکش (١) .

(١) بركلمان ج ٢ ص ٤٦٦ .

أولها : الحمد لله رب العالمين ناصر المؤمنين على القوم الكافرين .. وبعد يقول
العبد الفقير : ابراهيم بن أحمد .. من اقليم غرناطة .. وسكنا مدينة
اشبيلية وتولعت بالسفر في المحيط فسافرت فيه مرارا ، ثم سافرت في
السفن الكبار المسماة بالغليونية (بالأعجمية) ، التي تأتي بالفضة من
الهند المغربية البعيدة فكانت تمشي عمارتهم كما هي عادتهم ، وفيها
رجال عارفون بالآلات الحرب البارودية . وكانوا يجتمعون مع أكابر
القوم للكلام في تلك الصناعة ، وتارة يأتون بالكتب المؤلفة في ذلك
الفن وهي كثيرة .. وكنت أجالسهم وأحفظ بعض ما يتفقون عليه ،
ونشتغل بيدنا في المدافع وجميعهم لا يظنون في اتنى أندلسي .. الخ^(١) »
وقد رتبته على خمسين بابا .

والمخطوطة مكتوبة بخط مغربي وتم نسخها سنة ١١٩٨ هـ ، وهي موضحة
بصور وأشكال كثيرة للمدافع وبعض المواقع الحربية . وتقع في (١٣٠) ورقة
ومسطرتها مختلفة .

والمخطوطة موجودة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم (٨٦)
فروسية .

وصورتها بمعهد المخطوطات تحت رقم (٢٤) .

(انظر ورقة رقم ٢٧ ، ٢٨) .

المخطوط رقم (١٠) :

رسالة في أسماء الرسوم المرسومة على الآلة المسماة بالاسطرلاب الشمالي

المؤلف : غير معروف (لم يذكره بروكلمان ولا كراوزه) .

أولها : الحمد لله حمدا يليق بجلاله والصلاة والسلام على خير خلقه محمد
 وآله وصحبه أجمعين ، وبعد فهذه رسالة مختصرة أذكر فيها أسماء
الرسوم المرسومة على الآلة المسماة بالاسطرلاب الشمالي ذات صفائح
وبعض أعمالها . وهي مشتملة على مقدمة وخمسة عشر فصلا وخاتمة .
وجاء في حاشية الورقة الأولى ما يأتي (الاسطرلاب معناه ميزان

(١) فهرس المخطوطات المصورة ج ٤ ص ١٩ .

الشمس وقال (كشيّار) يعنى مرآة الشمس . والأصح أسطر تصنيف
ولاب ولد هرمس مصنفة يوناني) .

آخرها : فينبغى أن يعمل على الربع الأشعة والمدارات حتى منه ، ما ذكرناه
ويكون مثل هذه الصورة . تمت .

وتقع المخطوطة في (١٠) ورقات ومسطرتها (٢١) سطرا ومقاسها ٢٠×١٠ سم
والخط نسخ غير متقن ولكنه مقروء .
(انظر ورقة ٢٩) .

المخطوط رقم (١١) :

المقالة الخامسة - في رسم الآلات الحادثة على تسطيح الكرة
كالاسطرلاب الشمالى والجنوبى والزرقالة والشكازية والأرباع

المؤلف : مجهول المؤلف (لم يذكره بروكلمان ولا كراوزه) .

أولها : بعد الديباجة . وهى مشتملة على عدة أبواب ، الباب الأول فى رسم
الاسطرلاب وهو آلة شريفة منسوبة الى اليونانيين ، أورد كوشيار فى
بعض تصانيفه أن معناه ميزان الشمس ، ولهذا ظن أن أسطر ميزان
ولاب شمس . وفى بعض تصانيف أبى الريحان اسمها أسطرلافون ،
أى مرآة النجوم ، ولهذا (غير واضح) حمزة الأصفهاني من الفارسية
ستارة باب . وزعم بعضهم أن أسطر تصنيف ولاب اسم حكيم اخترع
الاسطرلاب وهو ابن هرمس الحكيم ، كما حكى صاحب المقامات
الحريرية عن أبى نصر الثمين ، انه قال ، ان لاب لما رسم من الدوائر
الفلكية فى سطح مستو سئل عنه هرمس بان يقول من سطر هذا ويقول
هو فى جوابه سطره لاب ولهذا سمي بالاسطرلاب .. الخ .

آخرها : ومنتها الى الآخر يحصل المقنطرة المطلوبة .

وتقع المخطوطة فى (١٥) ورقة مسطرتها (٢٣) سطرا .. وبها (١١) جدولا
للهلال للشهور العربية من صفر الى ذى الحجة .. ومقاسها ٣٠×٢٠ سم .

« المخطوطة موجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٧٠) مسيقات . وفى

مصور معهد المخطوطات رقم (١٩٤) » .

(انظر ورقة رقم ٣٠) .

الخاتمة

لعل خير ما أختتم به موضوع البحرية المصرية ، هو أن أذكر ما سجله الخبراء الغربيون عن الأسطول المصرى فى العصر الحديث ، الذى هو فى الواقع نهاية المطاف لخبرة عميقة امتدت جذورها الى عصر ما قبل التاريخ ، فالعصر الفرعونى ، واستمرت فى سلسلة متصلة غير مقطوعة الحلقات الى العصر المسيحى فالاسلامى فالحديث ، عقد للبحرية المصرية خلالها لواء الغار والافتخار فى الحرب والسلام على السواء .

يقول كلوت بك « وما هى الا فترة قصيرة من الزمن حتى أدهشت البحرية المصرية أساطين علماء البحر وثقاته ، سواء بدقة حركات السفن وضبطها ، أم بدربة البحارة وحسن قيامهم بالأعمال المنوطة بهم ، وقد أصبح المصريون وهم شعب مفطور على الامتثال ومحامد الخصال ، كأنهم خلقوا لممارسة البحر ، وبالنظر الى سكناهم شواطئ النيل ، وهو النهر الذى بلغ من السعة فى نظرهم ما دعاهم الى تسميته بالبحر ، كانوا من أقدر الناس على السباحة وأميلهم الى معاناة فنون الملاحة . ومن المناقب التى توافرت فيهم تأثيرهم الشديد بعوامل المناظرة والمنافسة ، وحبهم ألا يحرز قصب السبق سواهم .

« ومعلوم أن ثغر الاسكندرية تتردد عليه زائرة سفن كثيرة ، تخفق عليها أعلام دول مختلفة ، فكان منظر هذه السفن يبعث فى نفوس الشبان المنتظمين منهم فى سلك البحرية روح الغيرة والحماسة ، ويستفزهم الى الرغبة فى اطلاع الخبيرين الفنيين على ما حذقوه من الحركات والمناورات ، ونما بذلك فى نفوسهم احساس الشمم ، وتنبه الشعور بالكرامة ، فكانت هذه المناظر من أقوى العوامل على تنافسهم فى احراز أوفر قسط من العلوم والفنون . »

أما عن عمال البحرية فقال « وان العمال المصريين هم الذين كانوا ينجزون أعمال انشاء السفن ، وقد أظهروا فيها من الأهلية والدراية ما يوجب الدهشة ،

وكان عدد من يشتغل منهم بالترساة يتراوح بين ستة آلاف عامل وثمانية آلاف .
وكان العمال المصريون يدركون بسهولة سر المهنة مما كان ينجز أمامهم من الأعمال
ويتفهمون دقائقها بما عهد فيهم من الذكاء ودمائة الأخلاق والامتثال للرؤساء .

وأبدى الكونيل روشفور سكوت^(١) (Rochfort Scott) رأيه في بحارة
الأسطول المصرى فقال « ان البحارة المصريين فتيان أشداء يتدربون على اطلاق
البنادق واستعمال الخنجر والخطاف . طعامهم جيد وكساؤهم حسن ، وتبدو
عليهم دلائل الصحة التامة وينجلى فيهم الرضا ، والارتياح الى حظهم » .

وكتب المسيو دى كرجرست^(٢) (De Kergrist) عن ضباط البحرية
المصرية ، فقال « ان ضباط الأسطول المصرى يتقاضون راتبا يعادل راتبنا وطعامهم
جيد وملابسهم متجاسة وسفنهم مجهزة بأحسن المعدات ونظمها يشابه النظام
الفرنسى وقباطنتهم الشبان الذين يتولون قيادة المراكب يجيدون المناورة » .

واذا كان هذا هو حال قوتنا البحرية فى القرن التاسع عشر ، فما بالك بها
فى القرن العشرين بعد أن كسرت ثورتنا المباركة سنة ١٩٥٢ قيودها ، ودفعتها
الى الأمام ، بعد أن زودتها بأحدث الآلات وأدقها حتى أصبحت أكبر قوة بحرية
ضاربة فى شرق البحر الأبيض المتوسط .

(١) Scott (R) : Rambles in Egypt & Candia, P. 152.

(٢) البحرية المصرية ص ٢٨١ .

وصف الاشكال

شكل (١)

سفينة من العصر الفرعوني نحتت مقدمتها على شكل رأس حيوانى وترجع الى سنة ١٠٠٠ ق.م وهى من سفن البحر الأبيض المتوسط الحربية (محفورة حفرا بارزا على جدران معبد هابو بالضفة الغربية بالأقصر) .

شكل (٢) ، (٣)

منظر سفن آسيوية وهى تفرق ، محفور حفرا بارزا على جدران معبد مدينة هابو ويرجع الى سنة ١٠٠٠ ق.م .

شكل (٤)

سفينة فى نهر دجلة ترجع الى سنة ٧٠٠ ق.م . محفورة حفرا بارزا على جدران قصر خسروباد الذى بناه الملك سرجون (بمتحف اللوفر) .

شكل (٥) ، (٦)

نقوش آشورية تمثل سفن فينيقية تجارية وحربية ترجع الى سنة ٧٠٠ ق.م . ، ويلاحظ أن السفن تحتوى على صفين من المجاديف . والنقش محفور حفرا بارزا على جدران قصر (Kouyunjik) الذى بناه الملك سنحريب .

شكل (٧) ، (٨)

سفيتان حريتان مرسومتان على زهرية من صناعة أثينا سنة ٦٠٠ ق.م . (بمتحف Capitoline بروما) .

شكل (٩)

مؤخر سفينة حربية على عملة من ليكا (Lycia) مؤرخة سنة ٤٠٠ ق.م .

شكل (١٠)

سفينة حربية ترجع الى سنة ٤٠٠ ق.م محفورة حفرا بارزا على الاكربول (بمتحف الاكربول) .

شكل (١١)

مؤخر سفينة حربية اغريقية ترجع الى سنة ٣٠٠ ق.م (بمتحف اللوفر) .

شكل (١٢)

مؤخر سفينة منقوش على عملة من (Blthynia) مؤرخة سنة ٣٥٠ ق.م .

شكل (١٣)

مؤخر سفينة حربية عليه رسوم محفورة حفرا بارزا عثر عليه في روما .

شكل (١٤)

سفينة رومانية من النوع المعروف باسم (Liburna) وترجع الى سنة ٥٠ ق.م .
ونرى أن الجلد تلف حول المجاديف (بمتحف الفاتيكان) .

شكل (١٥)

سفينة رومانية تحتوى مقدمتها على شكل تمثال آدمى ومؤخرها على رقبة
بجعة أو أوزة . محفورة حفرا بارزا على مقبرة بمدينة بومبيه سنة ٥٠ م (متحف
Pompei) .

شكل (١٦)

سفينة رومانية ترجع الى سنة ٢٠٠ م عليها نقوش وتمائيل آدمية
وملائكة مجنحة .

شكل (١٧)

سفينة تجارية منقوشة على عملة من مدينة الاسكندرية ترجع الى سنة ٦٧ م .

شكل (١٨)

سفينة تجارية منقوشة على عملة رومانية من عهد الامبراطور (Commodus) .

شكل (١٩) ، (٢٠)

حفر بارز لسفن عثر عليها بالقرب من مصب نهر التيبر .

شكل (٢١)

سفينة تجارية محفورة حفرا بارزا على ضريح بالفاتيكان يرجع الى
سنة ٢٠٠ م — (بمتحف Letern) .

شكل (٢٢)

سفينة تجارية منقوشة نقشا بارزا في اتিকা (Atica) وترجع الى سنة ٢٠٠ م
بالمتحف البريطاني .

شكل (٢٣)

سفينة تجارية منقوشة على عملة من عهد الامبراطور ماكسيميان سنة ٣٠٥ م .

شكل (٢٤) ، (٢٥)

. سفينتان حريتان مرسومتان بالفرسكو في مدينة بومبيه ترجعان الى سنة ١٥٠ م (بمتحف نابولي) .

شكل (٢٦)

سفينة تجارية مرسومة بالفرسكو بقرية بالقرب من روما وترجع الى سنة ٢٥٠ م .

شكل (٢٧)

سفينة حربية من مخطوطة للالياذة ترجع الى سنة ٥٠٠ م (بمكتبة الامبروزيانا بميلان) .

شكل (٢٨)

سفن في الميناء مرسومة بالفرسكو بكنيسة (Apollinare) برافنا .

شكل (٢٩)

سفينة يحتوى مؤخرها على نقش يشبه العين . وقد أصبح رسم العين فيما بعد الفتحة التى تتدلى منها المرساة .

والسفينة مرسومة بالفرسكو فى احد كهوف (Ajunta) بالهند .

شكل (٣٠)

رأس آدمى من البرونز منحوت على مقدمة سفينة رومانية اشتركت فى موقعة اكيوم سنة ٣١ ق.م (بالمتحف البريطانى) .

شكل (٣١)

مؤخر سفينة حربية يرجع الى سنة ١٥٠ م مرسوم على عملة رومانية .

شكل (٣٢)

كبش من البرونز منحوت على مؤخر سفينة ويرجع الى سنة ٥٠ م .

شكل (٣٣)

مرساة مرسومة على عملة رومانية .

شكل (٣٤) ، (٣٥) ، (٣٦)

أجزاء من مراسى من القصدير ترجع الى سنة ٥٠ م (بالمتحف البريطاني) .

شكل (٣٧)

يبين ختم رسم عليه سفينة ذات شراع واحد ، ودفة في المؤخرة وهو ختم البنج (Elbing) ببولندا سنة ١٢٤٢ م .

شكل (٣٨)

يبين سفنا تحتوى على الشراع المعروف باسم لاتين (Lateen) مرسومة في مخطوط بيزنطى يرجع الى سنة ٨٨٦ م .

شكل (٣٩)

يبين سفينة من العصور الوسطى تحتوى على ساحتين للقتال في المقدمة والمؤخرة .

شكل (٤٠)

يمثل سفينة تجارية من سفن الشمال ذات المؤخرة المرتفعة والتي ظل الايطاليون يستعملونها حتى القرن الخامس عشر . وهذه الصورة محفورة على الخشب وترجع الى سنة ١٤٨٦ م .

شكل (٤١)

سفينة من سفن البحر الأبيض المتوسط المعروفة بالغاليون (Galley) ونرى أن كل خمسة رجال يجدفون بمجداف واحد .

شكل (٤٢)

قطاع رأسى يبين الجزء الخاص بالمدافع أو ساحة القتال في المقدمة وترجع السفينة الى سنة ١٦٩٢ م .

شكل (٤٣)

يبين خروج المقدمين من وسط حفتيه وكل ينظر الى غريمه ، يفعلون ذلك مرتين .

شكل (٤٤)

واذا وصل المقدمان الى رأس الميدان يرد المقدمان الى برا وأصحابهما يتتابعون ، يفعلون ذلك مرتين .

شكل (٤٥)

إذا وصل المقدمان الى رأس الميدان من جوا وأصحابهما متتابعون بعضهم بعضا ، يفعلون ذلك مرتين .

شكل (٤٦)

وإذا وصل المقدمان الى رأس الميدان أحدهما من برا والآخر من جوا وكل ينظر الى غريمه .

شكل (٤٧)

يتقابل المقدمان بالطعن والتبديل حتى يعدوا حلقة في حلقة وذلك بترجل أحد المقدمين عن فرسه .

شكل (٤٨)

فإذا جاء دور المباراة ، يتفرق الصفان من وسط الميدان ويطلب كل صف رأس الميدان .

شكل (٤٩)

ثم يركزون رماحهم حتى يصل المقدمان الى رأس الميدان .

شكل (٥٠)

ثم ينصب لهم البرجاس في الوسط ويبرز اليه الفرسان بالنوبة على الترتيب .

شكل (٥١)

ترتيب القرقورة ويعرف بميدان التسيير .

شكل (٥٢)

صفة البقجة .

شكل (٥٣)

ميدان الطير .

شكل (٥٤)

اللعب بالبنود والتساريح .

شكل (٥٥)

صفة البتية والدخول لها .

شكل (٥٦)

ميدان الضراب .

شكل (٥٧)

الحلقة المشقوقة .

شكل (٥٨)

ترتيب الصفوف وسط الميدان .

شكل (٥٩)

الدر المنثور .

شكل (٦٠)

الدر المنظوم .

شكل (٦١)

الكلاب المربع المزدوج .

شكل (٦٢)

الصف المستوي .

شكل (٦٣)

الصف الهلالي .

شكل (٦٤)

الصف المعطوف .

وصف اللوحات

لوحة رقم ١ :

- (أ) عمال من العصر الفرعوني يصنعون سفينة من جذوع النخل .
(ب) سفينة فرعونية مصنوعة من البردى وهى من السفن النهرية .
(عن البحرية المصرية)

لوحة رقم ٢ :

- (أ) سفينة من العهد الفرعوني تستعمل المجاديف وكذا الشرع المصنوعة من
الحصير ، وهى من السفن النيلية .
(ب) سفينة من العصر الفرعوني تسير بالشرع والمجاديف فى البحار .

لوحة رقم ٣ :

- نموذج لمركب مصرية ترجع الى عهد الأسرة الرابعة سنة ٢٩٠٠ ق.م .
(عن المتحف التجارى بفلادلفيا)

لوحة رقم ٤ :

- نموذج لمركب نيلية من مصر ترجع الى سنة ٢٥٠٠ ق.م .
(عن المتحف التجارى بفلادلفيا)

لوحة رقم ٥ :

تمثل سفينة الملكة حتشبسوت المنقوشة بالحفر البارز على جدران معبد الدير
البحرى بالضفة الغربية للأقصر ، وترجع الى سنة ١٥٠٠ ق.م . وهى السفينة التى
أرسلت الى بلاد (بونت) لشراء الحاصلات النادرة مثل العاج والأبنوس
وما إليها .

عن (L'Histoire de Bateaux)

لوحة رقم ٦ :

- (أ) تمثل سفينة الاله رع الصباحية والمسائية .
(ب) ، (ج) المراكب التى كان يستعملها فرعون مصر فى المناسبات الدينية
التقليدية .

لوحة رقم ٧ :

تمثل الأسطول الذى استعمله الملك رمسيس الثالث سنة ١٢٠٠ ق.م فى حروبه البحرية مع شعوب البحار (قبرص وكريت) . وقد وجدت منقوشة على جدران مدينة جابو على الضفة الغربية للأقصر .

عن (L' Histoire de Bateaux)

لوحة رقم ٨ :

تمثل السفينة التى حملت مسلة الملكة حتشبسوت الى أوروبا . وقد عثر على صورتها منقوشة على جدران الدير البحرى .

عن (L' Histoire de Bateaux)

لوحة رقم ٩ :

نموذج سفينة فينيقية ترجع الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد .
عن (المتحف التجارى ببينسلفانيا)

لوحة رقم ١٠ :

نموذج سفينة فلسطينية ترجع الى القرن الثانى عشر قبل الميلاد .
عن (المتحف التجارى بفلادلفيا)

لوحة رقم ١١ :

نموذج سفينة من عهد هوميروس ، وترجع الى القرن الحادى عشر قبل الميلاد .
عن (المتحف التجارى بفلادلفيا)

لوحة رقم ١٢ :

نموذج سفينة بابلية تنتهى مقدمتها برأس فرس .
عن (المتحف التجارى بفلادلفيا)

لوحة رقم ١٣ :

نموذج سفينة فينيقية من نوع (Galley) ، الذى ينتهى بمقدمة على شكل رأس السمك . وترجع الى القرن السابع قبل الميلاد .

لوحة رقم ١٤ :

نموذج سفينة من قرطاجنة من النوع المعروف باسم (Galley) وتنتهى المقدمة بشكل طائر يشبه البجعة . وترجع الى القرن الخامس قبل الميلاد .

لوحة رقم ١٥ :

نموذج سفينة تجارية اغريقية ترجع الى القرن الخامس قبل الميلاد .

لوحة رقم ١٦ :

احدى السفن المصرية الكبيرة التى بناها بطليموس الرابع .
عن (البحرية المصرية)

لوحة رقم ١٧ :

نماذج من الطمي المحروى (Terra-cotta) عثر عليها في تناجرا وفي جزر بحر ايجه ، وهى تمثل السفن التجارية في العالم الهليني في القرن الرابع والثالث قبل الميلاد .

لوحة رقم ١٨ :

(أ) سفينة تجارية رومانية في الميناء ، محفورة على الخشب عثر عليها في Astia . وترجع الى القرنين الأول والثانى للميلاد . ونلاحظ وجود دفتين في منتصف كل جانب دفة ، كما قويت الجوانب بثلاث أو أربع عقد لحمايتها من الاحتكاك .

(ب) ذهبية مصرية من سفن نهر النيل وترجع الى العصر الرومانى .
عن (البحرية المصرية)

لوحة رقم ١٩ :

نموذج سفينة تجارية رومانية ، نحتت نهايتها على هيئة تماثيل آدمية وحيوانية وترجع الى القرن الثانى قبل الميلاد .

عن (Cecil Torr)

لوحة رقم ٢٠ :

نموذج سفينة تجارية رومانية ذات هيكل مستدير وترجع الى القرن الأول الميلادى .

عن (Cecil Torr)

لوحة رقم ٢١ :

دقل (مرسى أو هلب) من الحجر عثر عليه في ميناء يريه .
عن (المتحف اليونانى)

لوحة رقم ٢٢ :

نماذج من المراسى القديمة .

(أ) مرساة من العصر البرونزى مرسومة على خزف عثر عليه في مالطة ويرجع الى سنة ١٨٠٠ ق.م .

(ب) مرساة عثر عليها في سردينيا ترجع الى ٦٥٠ ق.م .

(ج) مرساة مرسومة على عملة من منطقة البحر الأسود وترجع الى سنة ٤٥٠ ق.م .

(د) مرساة مرسومة على عملة من منطقة البحر الأسود وترجع الى
سنة ٤٠٠ ق.م — ٣٧٥ ق.م .

(هـ) مرساة منقوشة على عملة سورية ترجع الى سنة ٣٠٠ ق.م الى
سنة ١٦٠ ق.م .

(و) مرساة محفورة على قوس نصر (Tibezius) ترجع الى سنة ٢٠ م .

(ز) مرساة من النرويج ترجع الى ٧٠٠ م .

(ح) مرساة رومانية ترجع الى سنة ٤٠ م .

(ط) مرساة من العصور الوسطى ترجع الى ١٠٦٦ م من حوض البحر الأبيض
المتوسط .

(ي) مرساة رومانية عثر عليها في بحيرة (Nemi) (بمتحف فرانكلين Franklin) .

لوحة رقم ٢٣ :

سفن اغريقية حربية من النوع المعروف باسم (Pantekontoros) . ونلاحظ أن
مقدمها منحوت على شكل رأس طائر والمؤخرة على شكل ذيل الطائر . وقد أصبح
هذا النوع من السفن في العصور الوسطى مخصصا لصيد الحيتان .

عن (Cecil Torr)

لوحة رقم ٢٤ :

نموذج آخر من السفن المعروفة باسم (Pentekontoros) وهي تشبه شكل السمك
الى حد كبير .

لوحة رقم ٢٥ :

نموذج سفينة اغريقية من النوع المعروف باسم (Triteme) ، أي ذات الثلاثة
الصفوف من المجاديف . والقطاع الجانبي يبين الصفوف الثلاثة من المجاديف .
عن (المتحف التجارى بفلادلفيا)

لوحة رقم ٢٦ :

نموذج سفينة أغريقية ذات ثلاثة صفوف من المجاديف .

عن (المتحف اليونانى)

لوحة رقم ٢٧ :

نموذج سفينة ذات ثلاثة صفوف من المجاديف كما تخيلها الفنان في بحر هائج.

لوحة رقم ٢٨ :

نموذج سفينة تجارية من فارس وترجع الى سنة ٧٠٠ م .

لوحة رقم ٢٩ :

(أ) سفينة تجارية ذات شراعين مربعين ، ترجع الى القرن الثالث عشر الميلادى وقد استعمل الغرب مثل هذا النوع من السفن فى الحروب الصليبية فى الشرق .

(ب) ختم عليه سفينة ذات دفة عثر عليها فى بولندة وترجع الى سنة ١٢٤٢ م .
(ج) صورة من مخطوط بيزنطى ترجع الى سنة ٨٨٦ م ، وبه رسم مركب يحتوى على شراع مربع مما أطلق عليه شراع (الاتينى) . وقد ثبت طرفان من أطرافه الأربعة فى العمود المثبت فى وسط الصارى فبدا الشراع وكأنه مثلث .

لوحة رقم ٣٠ :

سفينة من البحر الأبيض المتوسط يستعمل المجذاف الواحد فيها خمسة بحارة وترجع الى سنة ١٦٢٩ .

عن (History of Technology)

لوحة رقم ٣١ :

طراز من القرقور نرى فيه ساحتين للقتال فى المقدمة والمؤخرة ، والمدافع فى الوسط . كما يحتوى على ثلاثة أو أربعة أشرع .

لوحة رقم ٣٢ :

طراز من الحراقات ، يحتوى على ثلاثة أشرع . والسفينة محفورة على النحاس من هولندا فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى .

لوحة رقم ٣٣ :

طراز من السفن المعدة لنقل الملوك والأمراء . وقد استعارته انجلترا من هولنده فى القرن السابع عشر الميلادى . وعلى هذه السفينة عاد شارل الثانى الى عرشه سنة ١٦٦٠ م .

لوحة رقم ٣٤ :

سفينة ذات شراع مثلثة ترجع الى سنة ١٧١١ م .

لوحة رقم ٣٥ :

تمثل المراكب المعروفة باسم الزروق أو (البلم أو البدن) ، وهى من السفن المستعملة فى نهر دجلة والفرات ، كذلك استعملها أهل عدن قديما .
عن (Bjorn: Les Bateaux)

لوحة رقم ٣٦ :

سفينة من سفن المحيط الهندى والبحر الأحمر .

عن (Les Bateaux)

لوحة رقم ٣٧ :

تمثل السفن المعروفة باسم (دونانى) أو (ماشو) المستعملة على الساحل الشرقى للهند وفى شمال سيلان .

عن (Les Bateaux)

لوحة رقم ٣٨ :

تمثل شكل سفينة مما كان يستعمل فى العالم الاسلامى فى القرن الرابع عشر .
والصورة من جامع التواريخ لرشيد الدين وترجع الى نهاية القرن الرابع عشر وتمثل قصة سفينة نوح .

لوحة رقم ٣٩ :

تمثل سفينة مما كان يستعمله المسلمون فى القرن الخامس عشر . والصورة من مخطوط الفردوسى وتمثل احدى قصص الشهنامة وترجع الى سنة ١٤٨٦ م .
عن (المتحف البريطانى)

لوحة رقم ٤٠ :

سفينة مرسومة بالفرسكو على جدران كنيسة (الخروج) بالباحات بالواحات الخارجية . وتمثل السفينة سفينة نوح عليه السلام . وترجع الى القرن السابع الميلادى . ويسمى المسلمون سفينة نوح باسم (ذات الودع) .

لوحة رقم ٤١ :

طبق من الخزف ذى البريق المعدنى من صناعة مصر فى القرن التاسع الميلادى .
وقد رسم عليه شكل سفينة تسير بالمجاديف والشرع .

عن (متحف الفن الاسلامى بالقاهرة)

لوحة رقم ٤٢ :

طبق من الخزف ذى البريق المعدنى ، يرجع الى العصر الفاطمى فى القرن الحادى عشر الميلادى . وقوام الزخرفة سفينة نيلية مقدما على شكل سمكة .

لوحة رقم ٤٣ :

صورة سفينة مرسومة بشكل بدائي على ورق بردى ، ولعل الفنان أراد برسم الطائر عند نهايتها أن يرمز الى سفينة نوح عليه السلام . وترجع الصورة الى القرن الثالث عشر في العصر المملوكى .

عن (متحف الفن الاسلامى بالقاهرة)

لوحة رقم ٤٤ :

صورة من مقامات الحريرى ، المقامة (٣٩) ، تنسب الى بغداد سنة ١٢٢٥ م أو سنة ١٢٣٥ م .

عن (متحف ليننجراد)

لوحة رقم ٤٥ :

سفينة تعرف باسم العرجون مرسومة على ورق . وقد عرفت بهذا الاسم لأن شرعها تصنع من سعف النخيل اللين الذى يوجد بأعلى النخيل الذكر ، ويعرف باسم (العرجون) . وتكثر سفن العرجون فى صعيد مصر .

عن (متحف الفن الاسلامى بالقاهرة)

لوحة رقم ٤٦ :

تمثل هذه الصورة سفينة مصنوعة من الجلد مما كان يستعمل فى خيال الظل فى مصر فى العصر المملوكى .

عن (التصوير عند العرب)

لوحة رقم ٤٧ :

صورة من مخطوطة مقامات الحريرى مؤرخة سنة ١٢٣٧ م (سنة ٦٣٤ هـ) تنسب الى بغداد . من عمل يحيى بن محمود الواسطى . وتمثل القصة ، اشتداد الريح فلجأت السفينة التى كان بها أبو زيد السروجى ، والحارث بن همام الى أحد الجزر الى أن تسكن الريح . ونرى هنا مؤخر السفينة فقط وقد تدلى منه المرساة .

لوحة رقم ٤٨ :

تمثل سفينة من طراز الشوالى مما استعمل فى مصر والشرق الأوسط فى القرون الوسطى .

عن (البحرية المصرية)

لوحة رقم ٤٩ :

تمثل حراقة مما كان يستعمل في البحر الأحمر والمحيط الهندي .

لوحة رقم ٥٠ :

تمثل الحراقات التي استعملت في العصور الوسطى وخاصة في الحروب الصليبية .

لوحة رقم ٥١ : ملونة

صورة سفينة مزخرفة على شكل رؤوس حيوانية من مخطوط عجائب المخلوقات للقزويني .

(دار الكتب المصرية ، تاريخ فارسي رقم (٢١) ورقة رقم ١٩٧ وجه ٢)

لوحة رقم ٥٢ : ملونة

صورة سفينة من المدرسة التركية ، من مخطوط عجائب المخلوقات للقزويني .

(دار الكتب المصرية ، تاريخ تركي (م) رقم (١٢٣) ورقة ٣٦ ظهر)

لوحة رقم ٥٣ : ملونة

تمثل نوعا من الحراقات النهرية ، صورة من المخطوط السابق (رقم ٥٠ ظهرا) .

لوحة رقم ٥٤ :

تمثل سفينة من النوع المعروف باسم هيبي ، Hippo من مخطوط الشهنامة نسخها غياث الدين بن بايزيد سنة ٨٩١ هـ . وتمثل القصة مطاردة لخسرو في البحر لافريسياب . والصورة من المدرسة التيمورية في القرن الخامس عشر الميلادي ، من شيراز اوهرارة .

(من (المتحف البريطاني)

لوحة رقم ٥٥ : ملونة

تمثل سفن البحر الأبيض المتوسط في العصر العثماني ، من مخطوط عجائب المخلوقات للقزويني .

لوحة رقم ٥٦ :

صورة من مخطوط أكبرنامة تمثل الامبراطور في حرب استخدم فيها الفيلة . ونلاحظ هنا استخدام القوارب كقنطرة لعبور الجنود والفيلة ، وتعرف باسم العمائم . والصورة من مدرسة التصوير المغولي الهندي في القرن السادس عشر .
(من (متحف فكتوريا والبرت)

لوحة رقم ٥٧ : ملونة

تمثل السفن المتعددة الشرع في المقدمة وفي الوسط والمؤخرة . وهى من مخطوط ديوان نجاتى ، لعيسى نجاتى المتوفى سنة ٩٢٤ هـ .

(دار الكتب المصرية ، أدب تركى م (١٨) ورقة (١٨))

لوحة رقم ٥٨ : ملونة

صورة لسفينة من نوع الشوانى من المخطوط السابق (ورقة ٣٤ ب) .

لوحة رقم ٥٩ : ملونة

صورة لسفينة من نوع الحراقات ، من كتاب الشهنامه . والصورة من مجلد مخطوط بقلم تعليق بخط السمرقندى الشهير بالمعنى سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤١ م) . وهى من مدرسة التصوير التيمورية .

(دار الكتب المصرية ، تاريخ فارسى (٥٩) ورقة رقم (٢٦٤))

لوحة رقم ٦٠ :

طبق من الخزف التركى عليه رسم سفينة حربية من النوع المعروف باسم (الكراك) . ونلاحظ في رسم السفينة تعدد ساحات القتال . والطبق من صناعة مدينة أزنك بآسيا الصغرى في القرن السابع عشر . ويطلق على هذا النوع من الخزف التركى خطأ اسم خزف (رودس) .

عن (متحف الفن الاسلامى بالقاهرة)

لوحة رقم ٦١ :

طبق من الخزف التركى عليه رسم سفينة من النوع المعروف باسم الغليون ، وهو من صناعة أزنك في القرن السابع عشر .

عن (متحف الفن الاسلامى بالقاهرة)

لوحة رقم ٦٢ :

طبق من الخزف ذى البريق المعدنى من صناعة الأندلس في القرن الخامس عشر رسم عليه شكل سفينة من النوع المعروف باسم الحراقة .

لوحة رقم ٦٣ :

ابريق من الخزف التركى المرسوم فوق الدهان ، عليه رسم مركب شراعية من النوع المعروف باسم لاتين Lateen من سفن البحر الأبيض المتوسط . من صناعة تركيا في القرن السابع عشر الميلادى .

عن (متحف الحضارة بالقاهرة)

لوحة رقم ٦٤ : ملونة

صورة من مخطوط عجائب المخلوقات للقزوينى ، من مدرسة التصوير التيمورية فى القرن الخامس عشر . وهى تمثل شكل سفينة مقدمتها على شكل طائر .
(دار الكتب المصرية ، تاريخ فارسى م رقم (٢١) ورقة (١٩٧) د)

لوحة رقم ٦٥ : ملونة

صورة من مخطوط (كليات سعدى) تأليف سعد الدين الشيرازى المتوفى سنة ٦٩١ هـ فى مجلد بقلم تعليق بخط مرشد الدين محمد سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٥ م) .
(دار الكتب المصرية ، أدب فارسى م رقم (٧٩) ورقة رقم (٤٥))

لوحة رقم ٦٦ : ملونة

صورة تمثل سفينة من سفن البحر الأحمر والمحيط الهندى من مخطوط (كليات سعدى) . صورة من المخطوط السابق (ورقة رقم ٣٧٨) .

لوحة رقم ٦٧ :

سفينة شراعية تعرف باسم (كيك) مما كان يستعمل فى مصر فى العصر العثمانى .
عن (البحرية المصرية)

لوحة رقم ٦٨ :

سفينة شراعية من أسطول مراد بك النهري .

عن (البحرية المصرية)

لوحة رقم ٦٩ :

سفينة من الأسطول المصرى فى القرن التاسع عشر .

عن (البحرية المصرية)

لوحة رقم ٧٠ :

احدى سفن الأسطول المصرى فى القرن التاسع عشر الذى ذهب الى أعالي النيل .
عن (البحرية المصرية)

لوحة رقم ٧١ : ملونة

سفينة شراعية من مخطوطة (ديوان نجاتى) تأليف عيسى نجساتى المتوفى سنة ٩٢٤ هـ . والصورة من مدرسة التصوير التركى فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى .

عن (دار الكتب المصرية ، أدب تركى م ورقة (٣٤) ١)

لوحة رقم ٧٢ : ملونة

تمثل هذه الصورة سفينة سيدنا نوح عليه السلام ، التى يطلق عليها مؤرخو

العرب اسم (ذات الودع) ، كما تخيلها مصور العصر العثماني . وتبين الصورة السفينة وهي تسبح تحت مياه الطوفان ، في طريقها الى الكعبة .
(كتاب التصوير التركي بمتحف الفن الاسلامي باسطنبول)

لوحة رقم ٧٣ :

السفينة المصرية المعروفة باسم الابراهيمية التي سافرت من الاسكندرية الى السويس عن طريق رأس الرجاء الصالح .

عن (البحرية المصرية)

لوحة رقم ٧٤ :

قطع الأسطول المصري وهي راسية في مضيق البسفور في طريقها الى حرب القرم .

عن (البحرية المصرية)

لوحة رقم ٧٥ :

دار صناعة السفن في ميناء الاسكندرية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

لوحة رقم ٧٦ :

اسطراب يرجع الى ما قبل سنة ٣٠٠ هـ مكتوب عليه اسم صانعه (صنعه حفيد علام بن عيسى) كما وجد عليه اسم مقتنيه ، (أحمد المنجم السنجاري) .
في مجموعة [Mr J. M. Billmeir]

لوحة رقم ٧٧ :

اسطراب صنعه أحمد بن محمد النقاش بمدينة سرقسطة سنة ٤٧٢ هـ .

عن (المتحف الوطني بمدينة (Nürnberg) بالمانيا)

لوحة رقم ٧٨ :

اسطرابان : الأيمن ، صنعه محمد بن أبي القسم بن بكران النجار الأصفهاني الصالحاني سنة ٤٩٦ هـ . والأيسر عمل عثمان بن عبد الله الصفار بمدينة فاس سنة ٦٩٩ هـ .

عن (متحف العلوم بفلورنسا)

لوحة رقم ٧٩ :

نقوش على ثلاثة اسطرابات .

الأول : عمل ابراهيم الدمشقي (٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م) .

الثاني : صنعه محمد بن أحمد المزي سنة ٧٢٧ هـ .

الثالث : صنعه محمد بن أحمد المزي سنة ٧٣٤ هـ .

عن (متحف فيزوليام بكمبردج)

لوحة رقم ٨٠ :

اسطرلاب صناعة الحسين بن علي للشيخ أبو العباس بن الشيخ أبو عبد الله
(سنة ٧٠٩ هـ / سنة ١٣٠٩ م) .

عن (متحف فيزوليام بكمبردج)

لوحة رقم ٨١ :

نقوش على اسطرلابين : —

الأول : صنعه محمد بن جعفر بن عمر الاسطرلابي الملقب بجلال (٨٣٤ هـ /
١٤٣٠ م) . وهو ابن جعفر بن عمر بن دولتشاه الكرمانى . عن (المتحف البريطانى) .
الثاني : صنعه عبد الكريم المصرى الاسطرلابي ، بمصر ، الملكى الأشرفى
الملكى المعزى الشهابى ، عفا الله عنه (٦٣٣ هـ / ١٣٣٥ م) . اشتغل عبد الكريم
بصناعة الاسطرلابات فى آخر العصر الأيوبى فى عهد الملك الأشرف موسى وفى عهد
أول سلاطين دولة المماليك المعز أيبك ، والأمير شهاب الدين .

عن (كتاب Mayer)

لوحة رقم ٨٢ :

(أ) تبين ثلاث صفائح لاسطرلاب مع العنكبوت ، والى اليمن العضادة ،
والمحور والفرس التى تثبت فيها صفائح العنكبوت .
(ب) أم الاسطرلاب وبجانباها الحجرة وثلاث صفائح منه .

عن (المتحف العراقى ببغداد)

فهرس الأعلام

(١)

أبو الزهر البرخى الناخزاه ص ٥ ، ٦٨
 أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر
 السيرافى ص ٥ ، ٦٨
 أبو الحسن على بن محمد بن أبى بكر
 الهروى ص ٦
 أبو عبد الله بن اسماعيل بن عبيد الله
 البغدادى ص ٧
 أبو معشر النجم ص ٦ ، ٦٩
 أبو عبد الله محمد بن محمد الرشيدى
 ص ٧
 أبو سعد العلاء بن سهل ص ٣٦٠
 أبو الفوارس يحيى بن أبى منصور
 ص ٨
 أبو العباس الفضل بن حاتم التبريزى
 ص ٩
 أبو الحسن عبد الرحمن عمر الصوفى
 الرازى ص ٩
 أبو الريحان البيروتى ص ٩
 أبو أيوب خالد الأنصارى ص ٦٧
 أبو ذر الغفارى ص ٦٧
 أبو الدرداء ص ٦٧
 أبو شامة ص ١٠٧
 أبو عبيدة بن الجراح ص ١٩٣
 أبو عباس ص ٢٢٨
 أبو سهل بن نونجت ص ٢٢٩
 أبو سهل الكوهى ص ٢٣٤
 أبو اسحاق ابراهيم بن حبيب ص ٢٤٠
 أبو بكر بن أربيل ص ٢٤٩
 أبو حامد الصافانى ص ٢٥٠

أبو الوفاء البوزجاني ص ٢٥٠
 أبو سفيان ص ٢٨٣
 أبو يحيى الحسين بن على بن يحيى ص ٢٨٧
 أبو كامل شعجاع بن أسلم الحاجب
 ص ٢٩٠
 أبو نصر منصور بن على بن عراق ص ٩
 ابن النديم ص ٨
 ابن خلدون ص ٦٣ ، ٧٣
 ابن يامن ص ٣٣٢
 ابن حصون ص ١١٤
 ابن هرقل ص ٧١ ، ٨٤
 ابن عبد القوى ص ١٠٢
 ابن واصل ص ١٠٧
 ابن موسى الراعى ص ١١٧
 ابن سليمان الفزارى ص ٢٤٠
 ابن يونس المصرى ص ٢٥٠
 ابن أرنبيفا الزردكاش ص ٣٥٥
 ابن الطوير ص ٢٧٧
 ابن الأخوة القرشى ص ٢٩٧
 ابن بسام ص ٢٩٧
 ابن منظور ص ٣١٩
 ابن الأفغانى ص ٢٥١
 ابن أرنبيفا الزردكاش ص ٣٥٥
 ابراهيم بك ص ١٤٢
 ابراهيم بن محمد الفزارى ص ٢٢٩
 ابراهيم بن سعيد ص ٢٤٦
 ابراهيم بن أحمد بن غانم الأندلسى
 ص ٣٦١
 أجريبا ص ٣٩
 أجزركسيس ص ٤٣

أحمد بن ماجد ص ٦ ، ص ٦٨ ، ١٢٧ ،
٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣٥٣

أحمد بن بترويه ص ٦ ، ص ٦٩ ، ٢٥٩
أحمد غانم الأندلسي ص ٧

أحمد بن طولون ص ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ،
٢٩٠

أحمد كوبرللي ص ١٤٣

أحمد بن يس الصقلي ص ٢١٧

أحمد باشا ص ٢٤٧

أحمد بن عمر ص ٢٤٧

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ص ٢٥٩

أحمد بن عبيد ص ٣٣١

أحمد بن حنبل ص ٢٢٨

أحمد بن قاسم بن الفقيه الحموي

الأندلسي ص ٣٦١

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ص ٢٥٩

أحمد الأول ص ٢٦

أحمد بن أبانا ص ٢١

أخيلاس ص ٣٧

أدريان ص ٤٩

أرنبيفا الزردكاش ص ٨

أريستون ص ٤١ ، ٥٨

أردشير الأول ص ٤٩ ، ٦٠

أرناط ص ١٠٥ ، ١٧٤

أرسطوطاليس ص ٢٣١

أرسلان شاه ص ٣٢٤

اسماعيل بن ابراهيم بن حرداس الناختاه

ص ٥ ، ٦٨

اسكندر المقدوني ص ٤٩ ، ٥٧ ، ١٩٣

استرابون ص ٥٩

أسرة منج ص ٣٥٠

أعشى بن قيس ص ٣٠٩

أفسطس ص ٤٥ ، ٥٩

اكتافيوس ص ٣٩ ، ٤٠

أم حرام ص ٦٧

أموري الأول ص ٩٩ ، ١٠٠

أنيني ص ٢٠

أنيجون جوناثاس ص ٣٣ ، ٣٦

أنطيوخوس الأول ص ٣٦

أنطونيوس ص ٤٠

أوني ص ١٩ ، ٢٧

إليوس جالوس ص ٤٨

إيمانويل ص ١٢٨

(ب)

بريوس ص ٤٨

بهادر الشهابي ص ٣٥٦

بيبي الأول ص ١٩ ، ٢٧

بيبي الثاني ص ٢٩

بيبي نخت ص ٢٩

برديكاس ص ٣٢

بطليموس الأول ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣

بطليموس الثاني ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ ،

٤٣ ، ٤٤ ، ٥٨ ، ٧٣

بطليموس الثامن ص ٤٥

بطليموس بن بطليموس ص ٥٩

بطليموس ص ٢٢٦ ، ص ٢٣١

بطليموس القلوذي ص ٢٣٣

بسيطة ابنة حمزه ص ٨٣

بلدوين ص ١٠٣ ، ١٠٤

بطرس الأول لوزجنان ص ١٢٠

برتلوميو دياز ص ١٢٧

برك بن شهريار الناختاه ص ١٧٤

بهوجا الهندي ص ١٧٩

باري الفرنسي ص ١٨٨ ، ٢١٩

بلوتارك ص ١٩٣

البديع الاسطرلابي ص ٢٥٠

البلاذري ص ٦٨ ، ٧٧

البيتاني ص ٢٥٠

برهملت ص ٢٣١

بني عبد المؤمن ص ٢١٧

بني عبد الواد ص ٢١٧

(ت)

توفيق أحمد البكري ص ١٠
تحتمس الثالث ص ٢٣ ، ٢٧
تراچان ص ٤٨ ، ٥٧ ، ٧٦
تقى الدين الراصد ص ٢٣٥

(ج)

جمال الدين آقوش القارى العلاني
ص ١١٩
جابر بن حيان الصوفي ص ٨
جستنيان ص ٥١
جبير بن نفير الحضرمي ص ٦٧
الجاحظ بن السني ص ٦٥
جون الخامس ص ١٦٣

(ح)

الحسين بن علي ص ٦٤
حتشبسوت ص ٢٠ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٣
الحسن بن عبد الله ص ٢٦٥
الحسن بن عمر ص ٥ ، ٦٨
الحاجب بن لؤلؤ ص ١٠٦
الحسن بن هانيء ص ٣٤٦
الحجاج بن يوسف الثقفي ص ٩٤٦
حومل ص ٧٩

(خ)

خالد بن الوليد ص ٢٠٧
الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ص ٩٤ ،
٩٥ ، ٩٧

الخليفة الفائز بنصر الله ص ٩٩
الخليفة العاضد الفاطمي ص ١٠٠
الخليفة المكتفي بالله العباس ص ٩٣
الخليفة المسترشد ص ٢٥٠
خارجة بن خذافة ص ٧٨
خالد بن كيسان ص ٨٨
الخليفة المتوكل على الله العباسي
ص ٢٨٩

خواشير بن يوسف بن صلاح الأركي
ص ٥٦ ، ٦٩ ، ٢٥٩
خيتي الثالث ص ١٩
خريستوف كولب ص ١٢٧
خمارويه بن أحمد بن طولون ص ٩٣
الخليفة المنصور ص ٢٢٩ ، ٢٣١
الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي ص ٩٨
الخليفة العزيز بالله الفاطمي ص ٩٨ ،
٢٩٢
الخليفة المستنصر الفاطمي ص ٩٩ ، ٢٨٥
الخليفة عضد الدولة العباسي ص ٢٧٧

(د)

ديجونى ص ٢٣
ديمتريوس ص ٣٣
دزار الاول ص ٤٣ ، ٥٧
دى كرجرست ص ٣٦٦
دانتى اليجيرى ص ١٧١

(ذ)

ذو نواس الحميري ص ٦١

(ر)

رمسيس الاول ص ٤٣
رمسيس الثانى ص ٢٣ ، ٢٨
رمسيس الثالث ص ٢٤ ، ٢٦
روسفوت سكوت ص ٣٦٦

(س)

سارطون ص ٢٥٠
سعد بن أبى سرح ص ٦٧
سليمان المهدي ص ٦ ، ٦٨ ، ٦٩
سهل بن ابان ص ٦ ، ٦٩ ، ٢٥٨
سيتى الاول ص ٢٨ ، ٤٣
سيكوكيس ص ٣٣
سيروستريس ص ٤٣

سوسترانس ص ٤٤

سنخريب الاشوري ص ٥٦

سيف الدولة بن منقذ ص ١٠٦

سيف الدين كهرداش الزراق ص ١١٨

سليمان الرومي ص ١٣٣ ، ١٣٥

سليمان الخادم ص ١٣٦

سليمان الفارسي ص ٢٢٨

سيبويه البصري ص ٢٣١

سعد الدولة المعروف بسلام عليك

ص ٢٨٥

السيدة عائشة ص ٢٨٣

السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس

البندقداري ص ١١٢ ، ١١٣ ، ٢٨٦

السلطان الظاهر بيبرس ص ١١٤

السلطان قلاوون ص ١١٤ ، ١١٦

السلطان الاشرف خليل بن قلاوون

ص ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨

السلطان الناصر محمد بن قلاوون

ص ١١٨

السلطان الاشرف زين الدين ابو المعالي

ص ١٢٠

السلطان الملك الاشرف برسباي ص ١٢٢

السلطان جقمق ص ١٢٤ ، ١٢٥

السلطان مراد الثاني ص ١٢٤

السلطان قنصوه الغوري ص ١٢٦ ،

١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٧٠

السلطان مظفر شاه ص ١٢٩

السلطان هاجر ص ١٢٩ ، ١٣٠

السلطان سليم الاول ص ١٣٠ ، ١٣٣ ،

١٣٥

السلطان بايزيد خان ص ١٣٠ ، ١٣٢

السلطان خليل مظفر شاه ص ١٣٢

السلطان سليمان القانوني ص ١٣٦ ،

١٣٧

السلطان عبد الحميد خان الاول ص ١٤٢

السلطان سليم خان الثالث ص ١٤٢

السلطان ابو سيف المراكشي ص ٢١٧

السلطان اشرف شعبان ص ٢٦٢ ، ٣٥٩

السلطان المعز ايبك ص ٢٥٢

السلطان قايتباي ص ٢٨٥

(ش)

شاهبور الثاني ص ٦٠

شمس العلاء منكلي ص ٨ ، ٣٥٥

شداد بن اوس بن ثابت ص ٦٧

شيبان ص ٩٤

شاور بن مجير السعدي ص ٩٩ ، ١٠٠

شجر الدر ص ١١٢

شكر الله على ص ٢٤٦

شرف الدين الطوسي ص ٢٥١

شرف الدولة ص ٢٤٩

الشيخ احمد العروسي ص ١٤٢

الشيخ محمد الحريري ص ١٤٢

الشيخ محمد السماوي ص ٢٤٩

الشيخ عبد الحليم الحافاتي ص ٢٤٩

(ص)

الصاحب شمس الدين محمد

ابن السلوسي ص ١١٧

الصالح نجم الدين ايوب ص ١١١ ،

١١٢

الصالح طلائع بن زريك ص ٩٩

صلاح الدين الايوبي ص ١٠٠ ، ١٠١ ،

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ٢٩٣

(ض)

ضرغام بن عامر ص ٩٩ ، ١٠٠

(ط)

طرفة بن العبد البكري ص ٦٩

الطواشي جمال الدين محسن ص ١١٢

الطبري ص ٢٢٩

(ظ)

الظاهر جقمق ص ٧

(ع)

عبهرة الربان الكرمانى ص ٥ ، ٦٨

عمران الأعرج الربان ص ٦

عماد الدين موسى بن محمد اليوسفى

المصرى ص ٧

عماد الدين اسماعيل بن عمر ص ٧

عثمان الثقفى ص ٦٢

عمر بن الخطاب ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ،

٢٧٥ ، ٦٧

عمرو بن العاص ص ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٩ ،

٢٠٧ ، ٨٠

عبد الله بن بشر المازنى ص ٦٧

عمران الأعرج ص ٦٨ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢ ،

٢٧٦ ، ٨٣

عبد الله بن سعد بن أبى سرح ص ٧٧ ،

٧٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٢٧٦

علقمة بن يزيد القطيفى ص ٨٢ - ٨٣

على بن أبى طالب ص ٨٥ ، ٢٧٥ ، ٣٥٤

عنب بن اسحق ص ٨٩ ، ٩٠

عدى ص ٩٤

عبد الله المأمون ص ٨٩

عمارة اليمنى ص ١٠٢

عبد الصمد الكاتب ص ١٠٢

العادل أبو بكر محمد بن أيوب ص ١٠١

عروة بن مسعود ص ٢٠٦

على بن يوسف بن تاشفين ص ٢١٧

عكرمة ص ٢٢٨

العباس بن عبد المطلب ص ٢٢٨

عبد الباقي ص ٢٤٥

عبد الغفار ص ٢٤٥

عبد الكبير ص ٢٤٨

عبد الكريم المصرى الاسطرلابى ص ٢٥١

عبد العزيز بن أحمد المغربى ص ٢٥٩

عز الملك المسيحى ص ٢٩٢

عبد المعز ص ٣٣٠

علاء الدين طيغنا الأشرقى اليونانى ص ٣٥٨

عضد الدولة ص ٢٥٠

(غ)

غايوم الثانى ص ١٠٢

غيلان بن سلمة ص ١٩٣

غيث الدين جمشيد ص ٢٣٥

غاليو ص ٢٥٠

(ف)

الفاضل محمد بن منكلى ص ٢٦٢

فاسكودى جاما ص ٦ ، ١٢٧

فيلون ص ٤١

فوكاس ص ٥٣

فضالة بن عبيد الاتصارى ص ٦٧

الفونسو الميدا ص ١٢٩

الفونسو البوكرك ص ١٣١ ، ١٣٣

فرانسشكو دالميدا ص ١٣٢

فخر الدين الرازى ص ٢٢٨

فياكهرمكة

(ق)

قلينكوس المصرى ص ٢١٥

القطفى ص ٨

قنسطانت ص ٨٣ ، ٨٤

القبودان بيرى ص ١٣٨

القبودان مراد رئيس ص ١٣٨

القبودان حسن باشا الجزائرى ص ١٤٢

القبودان ادريس بك ص ١٤٣

قاضى القضاة بدر الدين ص ٢٦٤

قسطنتر ص ٧٦

القاضى العوريس ص ١٠٢

(ل)

كاليكراتس ص ٣٦
كليوباترة ص ٣٧ ، ٤٠
كاتيروس ص ٣٩
كراكلا ص ٥٠
كومود ص ٥٠
كعب الحبر بن مانع ص ٦٧
كريب بن ابرهة ص ٨٣
كوندى الاسبانى ص ٢١٧
كشيار ص ٢٢٧
الكلبي ص ٢٢٨
كلبير ص ٢٩٧
كلوت بك ص ٣٦٥

(ل)

لويس الرابع عشر ص ٢٩٩
لورتزو دالميدا ص ١٣٢
ليث بن كهلان ص ٦٩ ، ٦٨ ، ٢٥٨
لويس التاسع ص ١١٠ ، ١١٢ ، ٢١٨
لاچين بن عبد الله الذهبى الطرابلسى
ص ٣٥٦

(م)

مانويل الحضى ص ٧٧
مرق رع ص ٧٧
ما شاء الله اليهودى ص ٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤٠
محمد بن بايشاد ص ٦ ، ٦٨
محمد بن منكلى العلمى ص ٧ ، ٣٥٩
محمد بن منكلى الشمسى ص ٨
محمد بن سعيد السرقسطى ص ٨
محمد بن شاذان ص ٦٩ ، ٢٥٨
محمد بن سليمان الكاتب ص ٩٣
معاوية بن أبى سفيان ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٧
٢٨٩ ، ٢٧٦ ، ٨٤ ، ٦٧
المقداد بن الاسود ص ٦٧

المقريزى ص ٧٧

الملك الكامل ص ١١٠

المسعودى ص ٦

الملك سنفرو ص ١٨

الملك مينا ص ١٨

محمد بن طفج الاخشيدى ص ٩٤ ، ٢٩١

مظفر الدين كوكبرى ص ١٠٥

الملك اياس ص ١٣٢

مراد بك ص ١٣٢

الملك اليكسيوس كومنينوس ص ٢١٨

المظهر بن طاهر القدسى ص ٢٢٧

محمد الجزولى ص ٢٤٥

محمد بن محمد بن هذيل ص ٢٤٧

محمد بن أحمد المزى ص ٢٥١

الملك الاشرف موسى ص ٢٥٢

موسى القنذرانى ص ٢٥٩

ميمون بن خليل ص ٢٥٩

مسلمة بن مخلد ص ٢٨٩

مامون البطائحى ص ٢٩٠

محمد بن تمرار ص ٣٥٧

محمد بن على الانصارى ص ٣٥٨

محمد بن سلمان ص ٣٦٠

مرضى بن على بن مرضى الطرسوسى

(ن)

نارس ص ٤٩
نصر الدين الطوسى ص ٩ ، ٢٣٤
نجوتى ص ٢٧
نحسى ص ٢٧
نيخاو ص ٤١ ، ٤٣ ، ٧٥ ، ٧٦
نور الدين محمود زنكى ص ١٠٠
نوبخت الفارسى ص ٢٢٨
نوح عليه السلام ص ٣١٩

(هـ)

هارون بن خمارويه ص ٩٣

الأمير انتف ها ص ١٩
 الأمير انبال الأجروود ص ١٢٥
 الأميرال كابرل ص ١٢٨
 الأمير حسين الكردي ص ١٢٩ ، ١٣١ ،
 ١٣٢ ، ١٣٣
 الأمير كركود ص ١٣٠
 الأمير خيرى بك ص ١٣٦
 الأميرة اناكو منيفا ص ٢١٨
 الأمير خالد بن يزيد ص ٢٢٥
 الأمير شهاب الدين ص ٢٥٢

(ى)

يوليوس قيصر ص ٣٧
 ياقوت الحموى ص ٧٧

هدريان ص ٤٨
 هيبالوس ص ٤٥
 هرقل ص ٥٣
 هنرى الملاح ص ١٢٧
 هرمس ص ٢٢٦
 هيباخوس ص ٢٤٠
 هنرى الثامن ص ٣٣٩
 هشام عبد الملك ص ٨٨

(و)

الوليد بن عبد الملك ص ٨٨
 وهب ص ٢٢٨
 وائل بن الأصقع الكنائى ص ٦٧

(لا)

الأشرف أبو الفتح عمر بن عبد الملك
 المظفر ص ٩

فهرس الأماكن والبقاع

(١)

اسطنبول ص ٦
أهرام الجيزة ص ١٤٨
أمالفى ص ٩٧
أرسينوى ص ٤٣
أندونيسيا ص ١٧٦
ارواد ص ٢٥ ، ١١٨ ، ١٢٤
أكسفورد ص ٧
أسكوريال ص ٦
آسيا الصغرى ص ٣١ ، ٣٥ ، ٣٨ ،
٩٢ ، ١٢٥ ، ٣٣٤
أسوان ص ٤٢
أرض الذهب ص ٤١
ايا صوفيا ص ٦ ، ٨
ايلة ص ٤١ ، ٤٨ ، ١٠٦
أدوليس ص ٤٢ ، ٦١
إيطاليا ص ٥٢ ، ١٩٤
أكسوم ص ٥٢
أفريقية ص ٦٤
أشموم ص ١٠٠
انطاكية ص ٥٢ ، ١٠٤
أرمينية ص ١٢٣
آشور ص ١٤٧
أكتيوم ص ٢٠١
أون ص ١٥٤
أصفهان ص ٢٣٤ ، ٢٤٧
أم دنين ص ١٩٢
أورائس ص ٢٢
إيليثيا ص ٢١
أقليم كارييا ص ٣٦

أفريطش ص ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥
انصنا ص ١٦٩
إيران ص ٢٤٨
اسكنديناغة ص ٣٣٤

(ب)

بلوز ص ٤٩
البتراء ص ٤٨
باريس ص ٦
البحرين ص ٥ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٢
برلين ص ٦ ، ٧
بطرسبرج ص ٩
بلاد بونت ص ١٨ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٢٨ ،
٢٩ ، ٤٢ ، ٥٦
البحر الأبيض المتوسط ص ٢١ ، ٢٣ ، ٢٧ ،
٢٨ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٧ ، ٤٩ ،
٥٠ ، ٥٨
البحر الأبيض المتوسط ص ٢١ ، ٢٣ ، ٢٧ ،
٢٨ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ،
٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩
بحر أيجه ص ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ ،
٣٣ ، ٣٥ ، ٤٠
بلاد الشام ص ٢٣
بلاد الخفيتو ص ٢٣
بلاد الحبشة ص ٢٤
بلست ص ٢٤
بلاد النوبة ص ٢٦ ، ٤٠
البسفور ص ٣١
البحر الأسود ص ٣١
برقة ص ٣٢ ، ٩٥

بحر مرمرة ص ٣١
بيت المقدس ص ٣٣ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٠٥
بابل ص ٣٣
بلاد ما بين النهرين ص ٣٥ ، ٤٩ ، ٥٧
بلاد الصومال ص ٤٠
البرتغال ص ٤١
بوغاز باب المندب ص ٤٢
البحيرات المرة ص ٤٢ ، ٤٣
برنيكي ص ٤٣
بلاد العرب ص ٣٧ ، ٤٧
بصرى ص ٤٨
بريطانيا ص ٥١
باب المندب ص ٥٩
بمباي ص ٦٢
البرلس ص ٦٨
بيزنطة ص ٧٥
بوينسطة ص ٤٩ ، ٧٦
بحيرة التمساح ص ٧٦
بنطابلس ص ٦٨
بيروت ص ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٢١
البرامون ص ١١٠
بولاق ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٧
بوطو ص ١٥٤
البهنسا ص ١٦٩
بورما ص ١٧٦
بغداد ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٥٠ ، ٣٠٦
بستان ابن كيسان ص ٢٩١
بستان الطوشي ص ٢٩١
برشلونة ص ٢٩٦
البصرة ص ١٤٠ ، ص ٣٠٦ ، ٣١٥ ، ٣٢٥
بحر الجبل ص ٣٣٤
البرتغال ص ٤١ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٤٠
برنيكي ص ٤٣

بلاد ديمون ص ٥٦
بافرات ص ١٤٣
برج السلسلة ص ١٠٩
البندقية ص ١٢٦
(ت)
التيمورية ص ٩
تل الفواخير ص ٤٣
تيرمر ص ٥٧
تيريدون ص ٦١
تنيس ص ٦٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ٢٩٠
تونس ص ٦٨
التركستان ص ٢٣٤
تاهرت ص ٣٤٩
(ث)
ثيكل ص ٢٤
(ج)
الجار ص ٦٦
جبل طارق ص ٤١
جزيرة قبرص ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٣
جزيرة رودس ص ٢٦ ، ٣٦ ، ٤٤ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٤٣ ، ٢٩٦
جزيرة اندروس ص ٣٧
جزيرة فاروس ص ٣٧ ، ٤٤
جزيرة كريت ص ٣٧ ، ٨٩ ، ١٤٣
جزيرة سقطرى ص ٤٥ ، ١٢٨
جزيرة ديلوس ص ٥٩
جزيرة اقريطش ص ٨٩
جنوبى شبه الجزيرة ص ١٨
جزيرة الروضة ص ٩٤ ، ٩٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٣٤٢
جدة ص ٦٦ ، ١٠٦

دار الكتب المصرية ص ٧ ، ٨
 دنان ص ٢٤
 دمياط ص ٦٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٦ ،
 ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،
 ١١٤ ، ١٢٥ ، ١٧٠ ، ٢٩٤
 دلفى ص ١٤٨
 دهشور ص ١٥٤
 دمشق ص ٤٨ ، ٢٣٣
 دول أوروبا ص ٣٣٨
 دبو ص ١٣٧
 اللردنيل ص ٣١
 (د)
 رأس الزوابع ص ١٢٧
 روما ص ٥٠ ، ١٩٤
 الرقة ص ١٠٥
 رشيد ص ١٢٥
 رأس الرجاء الصالح ص ١٢٧ ، ١٢٨ ،
 ١٣٠
 رومانيا ص ١٣٤
 روسيا ص ١٤٣
 روان ص ٢٩٧
 رودى ص ١٢٥
 (ز)
 زوبانا ص ٤٣
 زيلع ص ١٣٠
 الرقازيق ص ٤٣
 (س)
 سيرا ف ص ٥ ، ١٧٥
 سوريا ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٨ ،
 ٤٤ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٢٠٧
 سردينية ص ٢٦
 سيكلاد ص ٣٣
 سهلاميس ص ٣٦
 السودان ص ٤٠ ، ٣٣٤
 ساحل العطور ص ٤٢

جزيرة دمياط ص ١٠٩
 جزيرة هرمز ص ١٢٨ ، ١٤٠
 جزيرة قمران ص ١٣٠ ، ١٣١
 الجزيرة الوسطى ص ١٣٦
 جزر البحر الأبيض المتوسط ص ١٤٣
 الجزيرة ص ١٥٥ ، ٣٣٤
 جرشن ص ٢٠١
 جبل المقطم ص ٢٣٤ ، ٢٤٨
 جزيرة أولبرون ص ٢٩٤
 جزيرة عدولى ص ٣٣١
 جزيرة كتلوس ص ٣٤٢
 جزيرة الذهب ص ٣٤٥
 جزيرة صقلية ص ٤٤
 جنوة ص ١٢٦
 (ح)
 الحبشة ص ٦٢
 الحجاز ص ٤١
 حصن بابلون ص ٤٩
 حضرموت ص ٥٥
 حلب ص ١٠٥
 حصن الكرك ص ١٠٥
 (خ)
 خليج أرطة ص ٣٨ ، ٣٩
 الخليج العربى ص ٢٤
 الخزانة التيمورية ص ٧
 خليج هيروبوليس ص ٤٢
 خليج السويس ص ٤٧ ، ٥٦
 خليج العقبة ص ٤٨ ، ٥٨ ، ١٠٦
 الخليج الفارسي ص ٥٥ ، ٦٠ ، ١٢٦
 خور الديبل ص ٦٢
 خليج الأجوا ص ١٢٧
 (د)
 دار صناعة الروضة ص ٢٨٩
 دجلة ص ٥٥

السويس ص ٤٢ ، ٤٣ ، ٧٤ ، ١٣٠ ،
 ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،
 سفاجة ص ٤٢ ، ٤٣ ،
 سكات ص ٤٣ ،
 سالونيك ص ٩٣ ، ١٤٣ ،
 سنجار ص ١٠٥ ،
 ساحل الدكن ص ١٢٨ ،
 سايس ص ١٥٤ ،
 سيام ص ١٧٦ ،
 سيلان ص ١٧٩ ، ٣٠٤ ،
 سلجماسة ص ٢١٧ ،
 سرقسطة ص ٢١٧ ،
 سمرقند ص ٢٣٣ ،
 السند ص ٣٣٣ ،

(ش)

الشلال الاول ص ١٥ ، ٤٠ ،
 شكلش ص ٢٤ ،
 شوامس ص ٢٤ ،
 شبه جزيرة سيناء ص ٢٧ ، ٤١ ، ٦٦ ،
 شاطئ دلماس ص ٣٩ ،
 شبه الجزيرة العربية ص ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٥ ،
 الشام ص ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
 ٩٨ ، ١٠٠ ، ١١٤ ، ٢٣٤ ، ٢٤٧ ،
 ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٩٢ ،
 شمال افريقية ص ٣٢٧ ، ٢٤٧ ،
 الشط ص ٣٢٧ ،

(ص)

الصومال ص ٤٩ ،
 صيدا ص ٥٦ ، ٦٨ ، ٩٦ ،
 صور ص ٥٦ ، ٦٨ ،
 صقلية ص ٩٩ ،
 الصين ص ١٧٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٩ ،
 صيمور ص ١٧٥ ،

(ط)

طرطوس ص ٩٢ ، ١٠٤ ،

طرابلس ص ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١١٨ ،
 ١٢١ ،
 الطائف ص ٢٠٧ ،
 طيبة ص ٤٥ ،

(ع)

هامور ص ٢٦ ،
 عمان ص ٥ ، ٥٥ ،
 عكا ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ،
 ١١٠ ،
 عسقلان ص ٩٦ ، ١٠٤ ،
 عدن ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٢٨ ، ١٣١ ،
 ١٣٨ ، ١٣٩ ،
 عيذاب ص ١٠٦ ، ١٠٧ ،
 العلایا ص ١٧٠ ، ٣٣٤ ،

(غ)

غزة ص ٣٣ ، ٣٥ ، ١٠٤ ،

(ف)

فاقوزا ص ٤٩ ،
 فينقية ص ١٥ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٥ ،
 ٥٨ ،
 فلسطين ص ١٩ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ٥٨ ،
 الفرع الكاتوبي ص ٣٨ ،
 فليوترا ص ٤٣ ،
 فونيكه ص ٨٤ ،
 الفرما ص ٩١ ،
 القسطنطينية ص ٧٨ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٠ ،
 ٢٠٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،
 الفرات ص ١٠٤ ،
 فاما جوستا ص ١٢١ ،
 فرچينا ص ٢٠١ ،
 فلورنس ص ٢١٩ ،
 فرنسا ص ٢١٩ ، ٣٠٨ ،
 الفرات ص ٥٥ ، ٥٦ ،
 فاقوس ص ٧٦ ،

٤١ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ،
٥٧ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ٧٨ ،
٨٩ ، ٩١ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٠ ،
١١٠ ، ١١٤

معهد المخطوطات بالجامعة العربية ص ٦ ،
٧ ، ٨

المتحف الحربى بالقاهرة ص ٧

المجلس النيابى بطهران ص ٩

مصر العليا ص ١٨

مصر الوسطى ص ١٨

مصر السفلى ص ١٨

معبد الدير البحرى ص ٢٠ ، ٢٧

معبد الكرنك ص ٢٣

ميناء سلاميس ص ٣٤

ميناء ستيوم ص ٣٥

مدينة ميليتوس ص ٣٦

مقدونيا ص ٣٦

مدينة افيسوس ص ٣٦

موقعة اكسيوم ص ٣٨

المحيط الهندى ص ٤١ ، ١٠٧

مدينة ارسينوى ص ٤٢

ميناء فيلوتير ص ٤٢

ميناء برنيس ص ٤٢

ميناء ليوكس ليمن ص ٤٢

مدينة هيروبوليس ص ٤٢ ، ٤٣

محاجر الحمامات ص ٤٣

ميناء دواو ص ٤٣

مدينة بوبسطس ص ٤٣

ميوس هورموس ص ٤٣

مناجم الزمرد ص ٤٣

ميناء مصوع ص ٤٢

مناجم الذهب ص ٤٣

مقارة الاسكندرية ص ٤٤

منف ص ٤٩ ، ٧٤ ، ١٥٥

موريتانيا ص ٥٠

ماجن ص ٥٦

ميناء ميوس هورموس ص ٦٠

(ق)

القاهرة ص ٦ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١٢٣

قرقيش ص ٢٥

قلعة استرابون ص ٢٥

القيصرية ص ٢٥

القلزم ص ٤٠ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١٠٦

قارة افريقية ص ٤١

القصر ص ٤٢ ، ٤٣

قسط ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٩

قرطاجنة ص ٥١ ، ٢٠١

القسطنطينية ص ٥٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٢٧ ،

١٣٥ ، ١٣٩

قليقية ص ١٢٣

قليقوت ص ١٢٧ ، ١٢٩

القلعة ص ١٣٧

قندهار ص ٣٣٣

(ك)

الكعبة ص ١٠٧

كورنيا ص ٣٣

كليكياء ص ٣٧

كانتون ص ٣٤٩

كويلون ص ٣٤٩

كانتوبوليس ص ٤٣

كجرات ص ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٦

(ل)

لندن ص ٦

ليندن ص ٧ ، ٨

لبنان ص ١٨

لوبياء ص ٣٣

ليوكوس ص ٤٣

لوكى كوى ص ٤٧ ، ٤٨

ليننجراد ص ٦

(م)

مصر ص ٩ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ،

٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ،

نهر أولاي ص ٥٦
 نقيوس ص ٧٨
 نصيبين ص ١٠٥
 النمسا ص ١٤٣
 نهر دجلة ص ٣١٦
 نهر التيبر ص ٣٤١
 نهر سيجورا ص ٣٤٩

(هـ)

هيبوستيد ص ٣٨
 الهند ص ٤٠ ، ٦٠ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
 ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٧٦ ، ٣٠٦ ،
 ٣٤٩

(و)

وادي النيل ص ١٥ ، ٤٢
 ولاية فرجينيا ص ٣٣
 وادي الطميلات ص ٤٣
 الولجة ص ٣٤٩

(لا)

الاقصر ص ٢٣
 الاسكندرية ص ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ،
 ٤٣ ، ٥١ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨٤ ،
 ٩١ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ،
 ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣٦ ،
 ١٧٠ ، ٢١٩ ، ٢٣٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ،
 ٣٣٤

الاسكندرونة ص ١٢٦
 الاندلس ص ٦٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٧

(ي)

اليمن ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ،
 ١٣٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ،
 اليونان ص ٣٣ ، ٣٥ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ،
 ٢٣٣

ميناء موزا ص ٦٠
 مرج حيون ص ١٠٣
 ميت غمر ص ١٠٠
 المقسى ص ٩٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤
 الموصل ص ١٠٥ ، ٣٢٧
 مكة ص ١٠٥
 المدينة المنورة ص ٦٦ ، ١٠٧ ، ٢٧٥
 منزلة العادلية ص ١٠٩
 ميناء ليماسول ص ١١٠ ، ١١٤ ، ١٢١
 ملندة ص ١٢٧
 ملبار ص ١٢٨
 مخا ص ١٣٠ ، ١٣٨
 مدينة جو ص ١٣٢
 ميناء ديو ص ١٣٢
 مساقط ص ١٤٠
 مرسلبا ص ١٥٧
 مراکش ص ٢١٧
 مراغة ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٨
 مصر القديمة ص ٢٩١
 مالطة ص ٣١٤
 مرسية ص ٣٤٩
 المغرب ص ٣٤٩
 مملكة عامور ص ٢٥
 مدينة بيرييه ص ١٤٨
 ميناء برنديزي ص ٣٩

(ن)

نهر النيل ص ١٨ ، ٢٨ ، ٤٣ ، ٤٨ ،
 ٥٥ ، ٣٠٦ ، ٣٤٥
 نهر البجانج ص ٢٤
 نهر الفرات ص ٢٥
 نهر العاص ص ٢٥
 نهر دباي ص ٤١
 نهر السند ص ٥٧

المراجع العربية

(١)

- ١ - ابراهيم نصحي : المجلد في التاريخ المصرى - مصر فى عصر البطالسة والرومان ..
- ٢ - ابراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عهد البطالمة (مجلدان) .
- ٣ - ابن الاثير : الكامل فى التاريخ (طبعة مصر سنة ١٣٠٣ هـ) .
- ٤ - ابن القفطى : تاريخ الحكماء (طبعة مصر) .
- ٥ - ابن النديم : الفهرست (ليبرز سنة ١٨٧١ م) .
- ٧ - ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور .
- ٨ - ابن بطوطة : تحفة الايتار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار .
- ٩ - ابن جبير : رحلة ابن جبير .
- ١٠ - ابن خلدون : المقدمة .
- ١١ - ابن خلكان : وفيات الاميان (مصر) .
- ١٢ - ابن سيده الرسى : كتاب المخصص .
- ١٣ - ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية .
- ١٤ - ابن ممتى : كتاب قواوين الدواوين .
- ١٥ - ابن عبد الحكم القرشى : فتوح مصر .
- ١٦ - ابو الفداء : المختصر فى اخبار البشر .
- ١٧ - ابو الفرج البصرى : تاريخ مختصر الدول (طبعة بيروت سنة ١٨٩٠) .
- ١٨ - ابو المحاسن يوسف تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى .
- ١٩ - ابو المحاسن يوسف تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .
- ٢٠ - ابو شامة : كتاب الروضتين .
- ٢١ - احسان هندى : الحياة العسكرية عند العرب (طبعة دمشق) .
- ٢٢ - احمد زكى باشا : صفحة من تاريخ التجارة المصرية (بحث منشور بمجلة المقتطف ابتداء من اكتوبر سنة ١٩١٧) .
- ٢٣ - احمد بن زينى دحلان : الفتوحات الاسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية (طبعة الحسنية) .
- ٢٤ - اسماعيل سرهنك باشا : حقائق الاخبار عن دول البحار .
- ٢٥ - اسماعيل مظهر : السفن والملاحة بمصر : (بحث منشور بمجلة المقتطف عدد يناير سنة ١٩٣٤ ص ٦٠) .
- ٢٦ - البكرى : وصف افريقيا .
- ٢٧ - البلاذرى : فتوح البلدان .

- ٢٨ - التميمي : النظم والطرق التجارية بين الشرق والغرب قبل الحرب الصليبية
(المقتطف عدد مارس وأبريل سنة ١٩٤١) .
- ٢٩ - الجاحظ : البيان والتبيين (طبعة مصر سنة ١٣١٣ هـ) .
- ٣٠ - الحسن بن عبد الله : آثار الأول في ترتيب الدول (مطبوع على هامش تاريخ
الخلفاء للسيوطي طبعة مصر سنة ١٣٠٥ هـ)
- ٣١ - الخوارزمي : مفاتيح العلوم (القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ) .
- ٣٢ - السخاوي : التبر المسبوك في ذيل السلوك .
- ٣٣ - السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة .
- ٣٤ - الطبري : تاريخ الأمم والملوك .
- ٣٥ - الطبري : تاريخ الطبري .
- ٣٦ - الفرد يتلر : فتح العرب لمصر (تعريب محمد فريد أبو حديد بك) .
- ٣٧ - القلقشندي : صبح الأمشي (القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) .
- ٣٨ - الكتبي : فوات الوفيات (القاهرة سنة ١٩٥١ م) .
- ٣٩ - الكندي : القضاة والولاة .
- ٤٠ - الماوردي : الأحكام السلطانية .
- ٤١ - المسعودي : مروج الذهب (طبعة باريس) .
- ٤٢ - الياس الأيوبي : تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي الى الفتح العثماني .
- ٤٣ - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي .
- ٤٤ - اليعقوبي : البلدان (لندن سنة ١٨٩٣ م) .
- ٤٥ - المقرئزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار .
- ٤٦ - المقرئزي : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .

(ب)

- ٤٧ - برنارد لويس : جزر البحر الأبيض المتوسط ومكانتها في تاريخ العرب .
بحث منشور بمجلة المستمع العربي السنة الثالثة العدد الرابع والعشرين
وما بعده .

(ت)

- ٤٨ - توفيق حبيب : (الصحافي العجوز) قبرص قديما وحديثا .
(جريدة الأهرام عدد ١٧ أغسطس سنة ١٩٣٨) .

(ج)

- ٤٩ - جاسون فييت : المواصلات في مصر في العصور الوسطى منشور في (مصر
الإسلامية) .
- ٥٠ - جاستون ماسيرو : دليل دار التحف المصرية الفاخرة بلدية القاهرة (تعريب
أحمد باشا كمال) .

- ٥١ - جروهمان : أوراق البردى العربية .
 ٥٢ - جميل خانكي : البحرية المصرية (مطبعة دار الكتب سنة ١٩٤٨) .
 ٥٣ - جورجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى .
 ٥٤ - جيمس هنرى بوسند : تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسى
 (تعريب الدكتور حسن كمال) .

(ح)

- ٥٥ - حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون (القسطنطينية
 سنة ١٣١١ هـ) .
 ٥٦ - حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن : النظم الاسلامية .
 ٥٧ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ثلاثة أجزاء ، القاهرة
 ٥٨ - حسن عبد الوهاب : الأشرف برسباى و جلالة الفاروق (جريدة الأهرام
 عدد ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٦) .
 ٥٩ - حسن عثمان : المجلد فى تاريخ مصر وفيه (تاريخ مصر فى العهد العثمانى) .
 ٦٠ - حسن الباشا : الألقاب الاسلامية .
 التصوير الاسلامى فى العصور الوسطى (مكتبة النهضة سنة ٥٩) .
 الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ثلاثة أجزاء (دار النهضة
 ٦٥ - ١٩٦٦) .

(خ)

- ٦١ - خير الدين الزركلى : الأعلام (القاهرة سنة ١٩٥٤ / سنة ١٩٥٩) .

(ز)

- ٦٢ - زكى محمد على : مصر والحضارة الاسلامية .
 ٦٣ - زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين .
 ٦٤ - زترستين K.F. Zetressteen : تاريخ سلاطين المالك (لندن سنة ١٩١٩) .
 ٦٥ - زين الدين : تحفة المجاهدين فى بعض احوال البرتكاليين (طبعة لشبونة) .
 ٦٦ - زينى دحلان : الجداول المرضية .

(س)

- ٦٧ - سارطون : الثقافة الغربية فى رعاية الشرق الاوسط (ترجمة) (بيروت
 سنة ١٩٥٢) .
 ٦٨ - سلامة موسى : عبد اللطيف البغدادى فى مصر .

- ٦٩ - سليمان أحمد حزين : المجلد في التاريخ المصرى (علاقة الجغرافيا بتاريخ مصر العام) .
- ٧٠ - سليمان حزين : توسع العرب وانتشار الاسلام بالبحر (مجلة « المستمع العربى » السنة الثالثة العدد الرابع والعشرين وما بعده) .
- ٧١ - سليم حسن بك : مصر القديمة (ثلاثة أجزاء) .
- ٧٢ - سعيد عاشور : الصليبيون .
- ٧٣ - سعيد عاشور : المماليك .
- ٧٤ - سيدة اسماعيل كاشف : علاقة مصر بالخلافة من الفتح العربى الى العصر الطولونى .
- ٧٥ - سعيد على الحريرى : كتاب الاخبار السنينة فى الحروب الصليبية .

(ش)

- ٧٦ - شكيب أرسلان (الأمير) : تاريخ غزوات العرب .
- ٧٧ - شهاب أحمد بن ماجد السعدى : كتاب الفوائد فى أصول البحر والقواعد .

(ط)

- ٧٨ - طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة (طبعة حيدر آباد) .

(ع)

- ٧٩ - عبد الرؤوف عون : الفن الحربى فى صدر الاسلام (طبعة دار المعارف مصر سنة ١٩٦١) .
- ٨٠ - عبد الرحمن زكى : معركة المنصورة وأثرها فى الحروب الصليبية (القاهرة سنة ١٩٦٠) .
- ٨١ - عبد الرحمن زكى : السلاح فى الاسلام .
- ٨٢ - عبد الفتاح عبادة : كتاب سفن الأسطول الاسلامى (طبعة سنة ١٩١٤) .
- ٨٣ - عبد القادر حمزة باشا : على هامش التاريخ المصرى القديم (مجلدان) .
- ٨٤ - عبد المنعم أبو بكر : المجلد فى التاريخ المصرى (مصر فى عهد الأسرات) .
- ٨٥ - على إبراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية وفى عصر الناصر محمد بوجه خاص .
- ٨٦ - على إبراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى الى الفتح العثمانى .
- ٨٧ - على بن برهان الدين الخطيب الشافعى : السيرة الحلبيه (طبعة بولاق سنة ١٢٩٢ هـ) .
- ٨٨ - على مبارك باشا : الخطط الوفىقية .
- ٨٩ - عمر الاسكندرى وسليم حسن : تاريخ مصر .
- ٩٠ - عمر الاسكندرى وسليم حسن : تاريخ مصر فى الفتح العثمانى .

- ٩١ - عيسى اسكندر المعلوف : التجارة عند العرب ومجاورهم (المقتطف
وديسمبر سنة ١٩٣٠) .

(ق)

- ٩٢ - قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى (القاهرة سنة ١٣٨٢ هـ -
سنة ١٩٦٣ م) .
- ٩٣ - قسطنطين رزق : التجارة الاسلامية وأثرها فى الحضارة (المقتطف عدد
ديسمبر سنة ١٩٣٥) .

(ك)

- ٩٤ - كرلونليو : علم الفلك ، تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى (روما
سنة ١٩١١ م) .

(م)

- ٩٥ - مجلة وعميسيس : العمارات البحرية وتاريخها (بحث منشور بالعدد
الصادرين فى ديسمبر سنة ١٩١٣ ويناير سنة ١٩١٤ الجزئين الثالث والرابع
من السنة الثالثة صفحتى ٢٢١ ، ٣٣٤) .
- ٩٦ - محمد بن هشام : السيرة النبوية (طبعة مصر سنة ١٣٤٨ هـ) .
- ٩٧ - محمد عبد الله عنان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية (طبعة
سنة ١٩٣١) .
- ٩٨ - محمد كرد على بك : خطط الشام .
- ٩٩ - محمد مصطفى زيادة : المحاولات الحربية للاستيلاء على جزيرة رودس مجلة
الجيش المصرى عدد يناير سنة ١٩٤٦ ، تعريف الأستاذين محمد سعيد
السيد منصور وجمال الدين محمد الشيال .
- ١٠٠ - محمد مصطفى زيادة : المصريون فى قبرص (الرسالة العاشرة من رسائل
الثقافة العسكرية الصادرة عن وزارة الدفاع الوطنى تعريف البكباشى
عبد الرحمن زكى والأستاذ سعيد السيد منصور) .
- ١٠١ - محمد ياسين الحموى : تاريخ الأسطول العربى (طبع بدمشق سنة ١٩٤٥ م /
سنة ١٣٦٤ هـ) .
- ١٠٢ - محمد رزق سليم : عصر سلاطين المماليك .
- ١٠٣ - محمود عبد الهادى : المعارف البحرية .
- ١٠٤ - محمود عكوش : مصر فى عهد الاسلام (طبعة سنة ١٩٤١) .
- ١٠٥ - ميخائيل مواد : المآثر البحرية فى بلاد الروم والاسلام (المقتطف أعداد مارس
وأبريل ومايو ويونية ويولية وأغسطس سنة ١٩٤٤) .

(ن)

١٠٦ - نعمان ثابت : الجندية في الدولة العباسية (طبعة بغداد سنة ١٣٥٨ هـ / سنة ١٩٣٩ م) .

(هـ)

١٠٧ - هريوت خاسكى : البحر في تاريخ المسلمين وثقافتهم .

(و)

١٠٨ - وليم موير : تاريخ دولسة المالك في مصر (تعريب الأستاذين محمود عابدين وسليم بك حسن) .

١٠٩ - وهيب كامل : هيرو دوت في مصر .

(ى)

١١٠ - ياقوت الحموى : معجم البلدان .

١١١ - يوسف اشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين .

المخطوطات

- ١ - كتاب الفوائد في اصول علم البحر والقواعد - تأليف شهاب الدين أحمد بن ماجد
- ٢ - كتاب انيق في المناجيق - تأليف ارنىفا الزردكاش
- ٣ - كتاب تحفة المجاهدين في العمل في الميادين - تأليف لاجين بن عبد الله المعروف بالطرابلسى
- ٤ - عبارات النفط (المحتاج اليها في الحروب) - مجهول المؤلف
- ٥ - غنية الطلاب في معرفة الرمى بالنشاب - تأليف علاء الدين طينغا الاشرقى اليونانى
- ٦ - التحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب - تأليف محمد بن منكلى الناصرى
- ٧ - تبصرة ارباب الاسباب في كيفية النجاة في الحروب من الاسسواء ونشر اعلام الاعلام في العدد والالات المعينة على لقاء الاعداء - تأليف مرضى بن على بن مرضى الطرسوسى
- ٨ - كتاب العرافات - تأليف ابو سعد العلام بن سهل
- ٩ - الضر والمنافع للمجاهدين في سبيل الله - تأليف ابراهيم بن أحمد بن غانم بن محمود ابن زكريا الاتدلسى
- ١٠ - رسالة في أسماء الرسوم المرسومة على الآلة المسماة بالاسطرلاب الشمالى - مجهول المؤلف
- ١١ - المقالة الخامسة في رسم الآلات الحادثة على سطح الكرة كالاسطرلاب الشمالى والجنوبى والزرهالة والشكلية والأرباع - مجهول المؤلف

المراجع الأجنبية

(A)

- 1.—Abell, Sir Westcott: The shipwrights trade (Cambridge 1948).
- 2.—Anderson, Romolax Anderson, R.C: The Sailing-ship. Six thousand years of History (Landon 1947).
- 3.—Appien: Prooem. 16.

(B)

- 4.—Bevan (Edwyn): Histoire des lagides.
- 5.—Bevan Edwyn: History of Egypt under the Ptolemiac Dynasty.
- 6.—Brestead (J.H.): Ancient Records of Egypt.
- 7.—Brestead (J.H.): A History of Egypt.
- 8.—Brestead: (James Henry): A History of Egypt.
- 9.—Boreux (Charles): Etudes de nautique égyptienne.
- 10.—Bouché-Lecher (A): Histoire des lagides.
- 11.—Bury J.B: Gibbons Decline & Fall (London 1896-7).
- 12.—Bury, J.B: History of the later Roman Empire (London 1889).
- 13.—Butter (Alfred): The Arab Conquest of Egypt.
- 14.—Butter: Ancient Coptic Churches of Egypt. (Oxford 1884).
- 15.—Bojorn Landstöm: Boteaux. (qreenw; ch 1961)

(C)

- 16.—Callixène: Athen
- 17.—Chabas (F.): Recherches pour servir à l'Histoire de la XIX eme dynastie et spécialement à celle des temps de l'Exode.
- 18.—Champollion Le Jeune (F.J.): L'Egypte sous les Pharaons.
- 19.—Champollion Figeae: Egypte ancienne.
- 20.—Champollion Figeae: Egypte Ancienne.
- 21.—Chapot (Victor): Histoire de la Nation Egyptienne T-III: L'Egypte romaine.
- 22.—Charles Singer, E.J. Holmyard: History of Technology Vol. II, III (Oxford 1956).
- 23.—Charles Worth (M.P.): Trade routes and commerce of the Roman Empire.
- 24.—Chatterton, E.K: Sailing Ships & their Story (London 1923).
- 25.—Combe (E'Tienn?): Précis de L'Histoire d'Egypte Ottomane.
- 26.—Couissin (Paul): Institutions militaires et navales.

(D)

- 26.—**Deherain (Henri)**: Histoire de la Nation Egyptienne, t.v. L'Egypte Turque.
- 27.—**Diehl (Charles)**: Histoire de la Nation Egyptienne t. III: L'Egypte chretienne et byzantine.
- 28.—**Drioton (E) et Xandier. I**: Les peuples de l'Orient mediterreen. L'Egypte.
- 29.—**Dozy**: Supplement au dictionnaires arabes.
- 30.—**Dumichen (Joh)**: Die Flotte einer Aegyptisches Koenigin.
- 31.—**Dumichen (Joh)**: Historische Inschriften altagyptischer Denkmaler in den Jahren 1863-1865 an Ort und Stelle gesammelt und mit erlauterndem teat.
- 32.—**Duruy (Victor)**: Histoire des Grecs depuis les temps les plus reculés jusqu'à la reduction de la Grece en province romaine.
- 33.—**Duruy (Victor)**: Histoire des Romains depuis les Temps les plus reculés jusqu'a l'invasion des Barbares.

(E)

- 34.—**East India Company**: The Court Records of the East Indian Company, 1599-1603. (London 1886).
- 35.—**Elgood (P.G.E.)**: Egypt.
- 36.—**Erman (Adolf)**: The Historian's History of the Klorld.
- 37.—**Eschyle**: Les Perses (traduction Pierron.).

(F)

- 38.—**Falconer, W.**: An Universal Dictionary of Marine (London 1769).
- 39.—**Farrere (Claude)**: Navires.
- 40.—**Flinders Petric (W.M.)**: A History of Egypt.
- 41.—**Flinders Petrie (W.M.)**: On the Feinders Petrie Papyri.
- 42.—**Frontin**: III (Bataille d'Ephése).

(G)

- 43.—**Gauthier (Henri)**: Precis de L'Histoire d'Egypte, t.II: L'Egypte pharaonique.
- 44.—**Gauthier (Henri)**: Les transports dans ancienne Egypte (L'Egypte contemporaine No 139 Janvier 1933.).
- 45.—**Glanville (S.R.K.)**: Daily life in Ancient Egypt.
- 46.—**Glottz (Gustave)**: Histoire ancienne (t.II).
- 47.—**Grdinder**: La guerre.
- 48.—**Grenne J.B.**: Fovilles executeés a Thebes dans l'année 1855.
- 49.—**Groningen. (B.A.Xan)**: L'Egypte et L'Empire, Aegyptus VII, 1926.

(H)

- 50.—Hdle: Les grands combats sur mer.
51.—Henry (D.M.J): L'Egypte pharaonique ou Histoire des institutions des Egyptiens sous leurs rois nationaux.
52.—Herodote: Histoires.
53.—Heyd (W): Histoire du commerce du Levant.
54.—Heyd (W): Histoire du commerce du Levant au Moyen Age.
55.—Hohlwin (N.): La police des villages egyptiens a l'époque romaine. Musée Belge x.
56.—Holleaux (M.): Ceux qui sont dans les bagages (Revue des Etudes Grecques XXXI X) 1928).
57.—Holmes, Sir George: Ancient & Modern ships (London 1906).
58.—Hornell, J: Water transport. (Cambridge 1946).

(J)

- 59.—Johnson (A.C.): Roman Egypt. t.ii of the Serlen An Economic Survey of Ancient Rome.
60.—Jouguet (Pierre): Histoire de la Nation Egyptienne, t. III: L'Egypte Ptolemaïque.
61.—Jouguet (Pierre): Precis de l'Histoire d'Egypte, t. i: L'Egypte gréco-romaine de la conquete d'Alexandre a Diocletien.

(K)

- 62.—Kees (H.): Kulturgeschichte des Alten Orient t. I Aegypten.
63.—Koster: Sie fahrten der atten Aegypten.
64.—Koster: Schiffahrt und Handelsverkehr des Oestlichen mittel meeres in 3 und 2 Jahrtausent vor Chr.

(L)

- 65.—La Graviere (Jurien De): Doria et Barberousse.
66.—La Graviere (Jurien De): La Marine de Ptolemées.
67.—La Graviere (Jurien De): La Marine des Anciens.
68.—Lammens: Etude sur le règne du Calife Ommayade Moawia Ier.
69.—Lave, F.C.: Venetian Ships & Shipbuilders of the Renaissance. (Baltimore 1934).
70.—Lave Poole (S): A History of Egypt in the Midde Ages.
71.—La Ronciere (Charles De): Histoire de la Nation Egyptienne, t.I: Les routes maritimes.
72.—Laughton, L.C: Old Ship Figureheads & Sterus (London 1925).
73.—Le Bas (Philippe): Histoire Ancienne depuis l'origine des empires jusqu'à l'établissement de la domination romaine.

- 74.—Lesquier (*Jean*): Les Institutions militaires de l'Egypte sous les Lagides.
- 75.—Lesquier: J.: L'armée romaine d'Egypte, d'Auguste à Diocletien.
- 76.—Lolling: Le détroit de Salamine.
- 77.—Ludwing. (*Emil*): La Méditerranée.
- 78.—Ludwing. (*Emil*): Le Nil.

(M)

- 79.—Macquart (*Jochin*): Organisation militaire chez les Romains.
- 80.—Mahaffy (J.P.): A History of Egypt, Ptolemaic Dynasty.
- 81.—Mariette (A): Histoire d'Egypte.
- 82.—Marriette (A): Deir-El Baharie.
- 83.—Maspero (*Gaston*): Guide du visiteur du musée du Caire.
- 84.—Maspero (*Gaston*): De quelque navigation des Egyptiens sur les cotes de la mer Erythree (*Revue historique* t. IX.)
- 85.—Maspero (*Gaston*): Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient.
- 86.—Maspero (*Jean*): Organisation militaire de l'Egypte byzantine.
- 87.—Mayer. L.H: Islamic Astrolabists and their works (Genève 1956).
- 88.—Mercer. (S.A.B.): Growth of religious and moral ideas in Egypt.
- 89.—Milne (*J. Grafton*): A History of Egypt under Roman Rule.
- 90.—Milne (*J. Grafton*): Egyptian Nationalism under Greek and Roman Rule.
- 91.—Miur (*William*): The Mameluke or Slave Dynasty of Egypt.
- 92.—Montet (*Pierre*): Les scènes de la vie privée dans les tombeaux égyptiens de l'Ancien Empire.
- 93.—Morgan. (*J. De*): Les fouilles de dahchour.
- 94.—Morgan. (*J. De*): L'âge de la pierre en Egypte.
- 95.—Morgan. (*J. De*): Ethnographie préhistorique.
- 96.—Mummsen (T.): Provinces of the Roman Empire t. II.
- 97.—Munier (*Henri*): Précis de l'Histoire d'Egypte t. II. L'Egypte Byzantine, de Diocletien à la Conquête arabe.

(O)

- 98.—Ockley: History of Saracens.
- 99.—Oman: A History of the Art of Wars in the Middle Ages.

(P)

- 100.—Pline: VI (Les Ports de la Mer Rouge).
- 101.—Plutarque: Les Vies des Hommes illustres.
- 102.—Polyen V: (La Bataille d'Andros).
- 103.—Pouyade (*Yean*): La Route des Indes et ses Navires.

(Q)

104. —Quatremère E: Mémoires géographiques et Historiques sur L'Egypte
(Paris 1811).

(R)

105. —Rados: C.N.: La bataille de Salamine.
106. —Rostowzew (M.): Kornhebung und Transport in Gnechischrom
Schen Aegypten.
107. —Rouge. (E. De): Etude de monuments du massif de Karnak (Publiée
dans "Les Mélanges d'Archéologie" t. I. P. 49.

(S)

108. —Sedillot (L.A): Histoire des Arabes.
109. —Smith: History of Mathematics. (1925).
110. —Smyth, H.W.: Mast & sail in Europe & Asia (Edinburgh 1929).
111. —Sourial (*Asis*): The Crusade in the later Middle-Ages.
112. —Stevenson: The Grusaders in the East.
113. —Strabon: Géographie.
114. —Sutherland, W: The Ship-builder's Assistant. (London 1711).

(T)

115. —Tarn (W.W): Hellenic Military and Naval Developments.
116. —Texler (*Charles*): Asie Mineure.
117. —The earliest Boasts on the Nile (Journal of Egyptian Archaeology 1917).
118. —Thucydide: Histoire de la Guerre du Peloponese.
119. —Tones A.H.M.: The cities of the Eastern Roman Provinces.
120. —Torr (*Cecil*): Ancient Ships.

(V)

121. —Von Kromer: The Orient under the Caliphes (Calcutta 1920).

(W)

122. —Wallis Budge (E.A.): History of Egypt.
123. —Weigall (A): History of the Pharaoh.
124. —Wiet (*Gaston*): Histoire de la Nation Egyptienne t. IV: L'Egypte
Arabe.
125. —Wiet (*Gaston*): Précis de l'Histoire d'Egypte t. II: L'Egypte Musu-
lmane, de la conquete Arabe à la conquête Ottomane.
126. —Wiet (*Gaston*): Les Communications en Egypte au Moyen-Age
(L'Egypte contemporaine, 1933).
127. —Wiet (G.): Précis de L'Histoire d'Egypte Musulmane.
128. —Wilkinson (J.G.): Manners and Customs of the Ancient Egyptians



٥	مقدمة
١٣	الباب الأول : البحرية في مصر قبل الاسلام
١٥	١ - البحرية في العصر الفرعوني
٣١	٢ - البحرية المصرية في عهد البطالمة
٤٧	٣ - البحرية في العصر الروماني
٥٥	٤ - الملاحة عند العرب قبل الاسلام
٧١	الباب الثاني : البحرية في مصر الاسلامية
٨٧	١ - البحرية في العصر الأموي
٨٩	٢ - البحرية في العصر العباسي
٩٥	٣ - البحرية في العصر الفاطمي
١٠١	٤ - البحرية في العصر الأيوبي
١١٣	٥ - البحرية في العصر المملوكي
١٣٥	٦ - البحرية في العصر العثماني
١٤٥	الباب الثالث : السفن والمراكب
١٤٥	١ - السفن والمراكب في العصور القديمة
١٦١	٢ - السفن والمراكب في العصور الوسطى
١٦٥	٣ - بناء السفن وأجزائها
١٨٩	٤ - بناء سفن البحر الأحمر
٢٠١	الباب الرابع : أجزاء السفن ومعدات في العصور الوسطى
٢٠٧	١ - المجاديف
٢١٣	٢ - الشرع
٢١٧	٣ - الزخارف
٢٢١	٤ - المجانيق
٢٣١	٥ - المكاحل
٢٣٩	الباب الخامس : علم الفلك وفنون البحر
٢٤٩	١ - المراسد
٢٥٥	٢ - الاسطرلاب
٢٦١	٣ - الاسطرلابيون

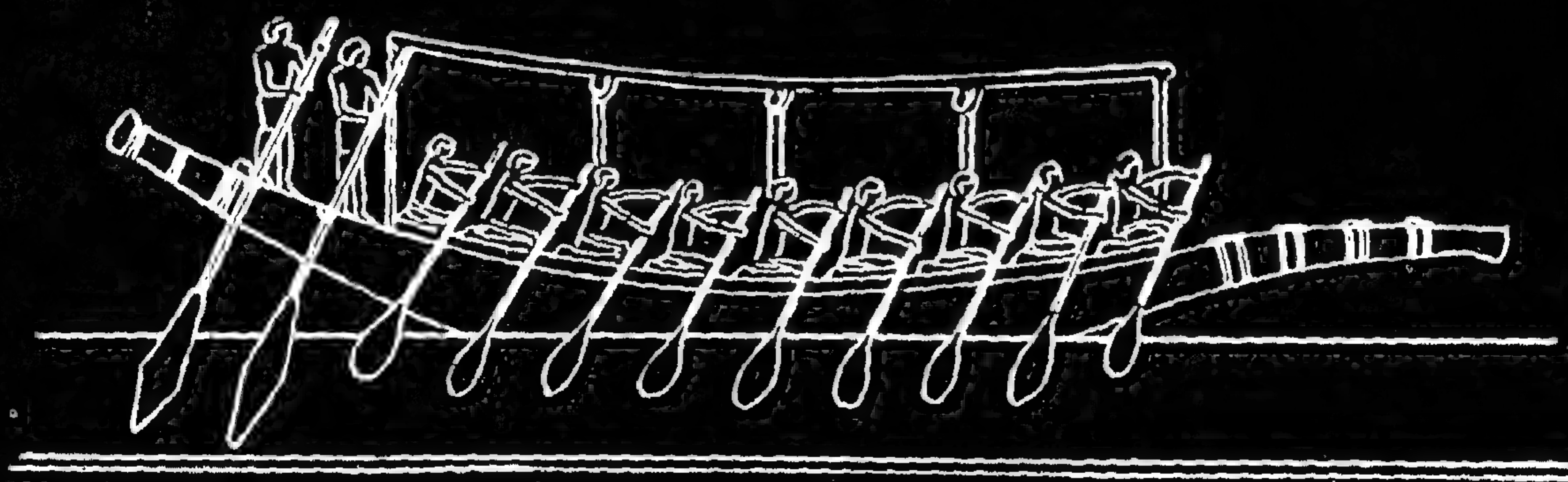
صفحة

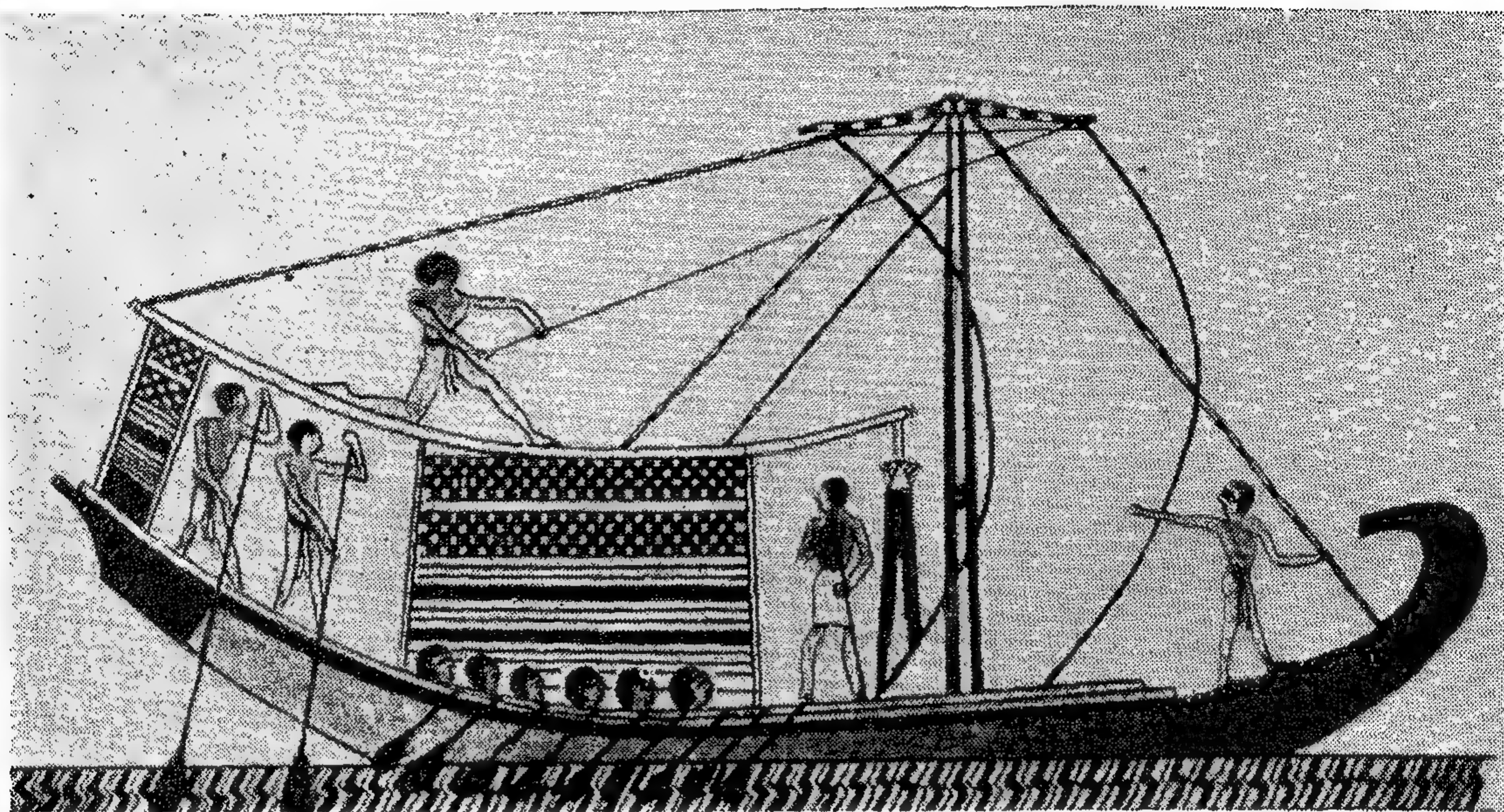
٢٦٩	• • • • •	الباب السادس : الأسطول في العصر الاسلامى
٢٧٧	• • • • •	١ - ربابنة السفن
٢٩٩	• • • • •	٢ - ديوان الأسطول
٣٠٧	• • • • •	٣ - البنود والأعلام
٣١١	• • • • •	٤ - دور الصناعة
٣١٩	• • • • •	٥ - القانون البحرى
٣٢٥	• • • • •	الباب السابع : أنواع السفن وأسمائها
٣٧٥	• • • • •	الباب الثامن : المخطوطات المصورة
٣٧٧	• • • • •	١ - كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد
٣٧٩	• • • • •	٢ - كتاب أنيق في المناجيق
٣٨٠	• • • • •	٣ - كتاب تحفة المجاهدين في العمل في الميادين
٣٨١	• • • • •	٤ - عبارات النفط (المحتاج اليها في الحروب)
٣٨٢	• • • • •	٥ - غنية الطلاب في معرفة الرمى بالنشاب
٣٨٣	• • • • •	٦ - الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب
٣٨٣	• • • • •	٧ - تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب
٣٨٤	• • • • •	٨ - كتاب الحراقات
٣٨٥	• • • • •	٩ - الضر والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بآلات الحرب والمرافع
		١٠ - رسالة في أسماء الرسوم على الآلة المسماة بالاسطرلاب
٣٨٦	• • • • •	الشمالى
		١١ - المقالة الخامسة - في رسم الآلات الحادثة على تسطيح الكرة
٣٨٧	• • • • •	كالاسطرلاب الشمالى والجنوبى والرقالة والشكازية والأرباع
٣٨٩	• • • • •	الخاتمة :
٣٩١	• • • • •	خريطة : علم البحار لابن ماجد
٣٩٣	• • • • •	وصف الأشكال
٣٩٩	• • • • •	وصف اللوحات
٤١١	• • • • •	فهرس الأعلام
٤١٨	• • • • •	فهرس البقاع
٤٢٥	• • • • •	فهرس المراجع العربية
٤٣١	• • • • •	فهرس المراجع الافرنجية
٤٣٧	• • • • •	فهرس الموضوعات
٤٣٩	• • • • •	اللبوحات

اللوحة



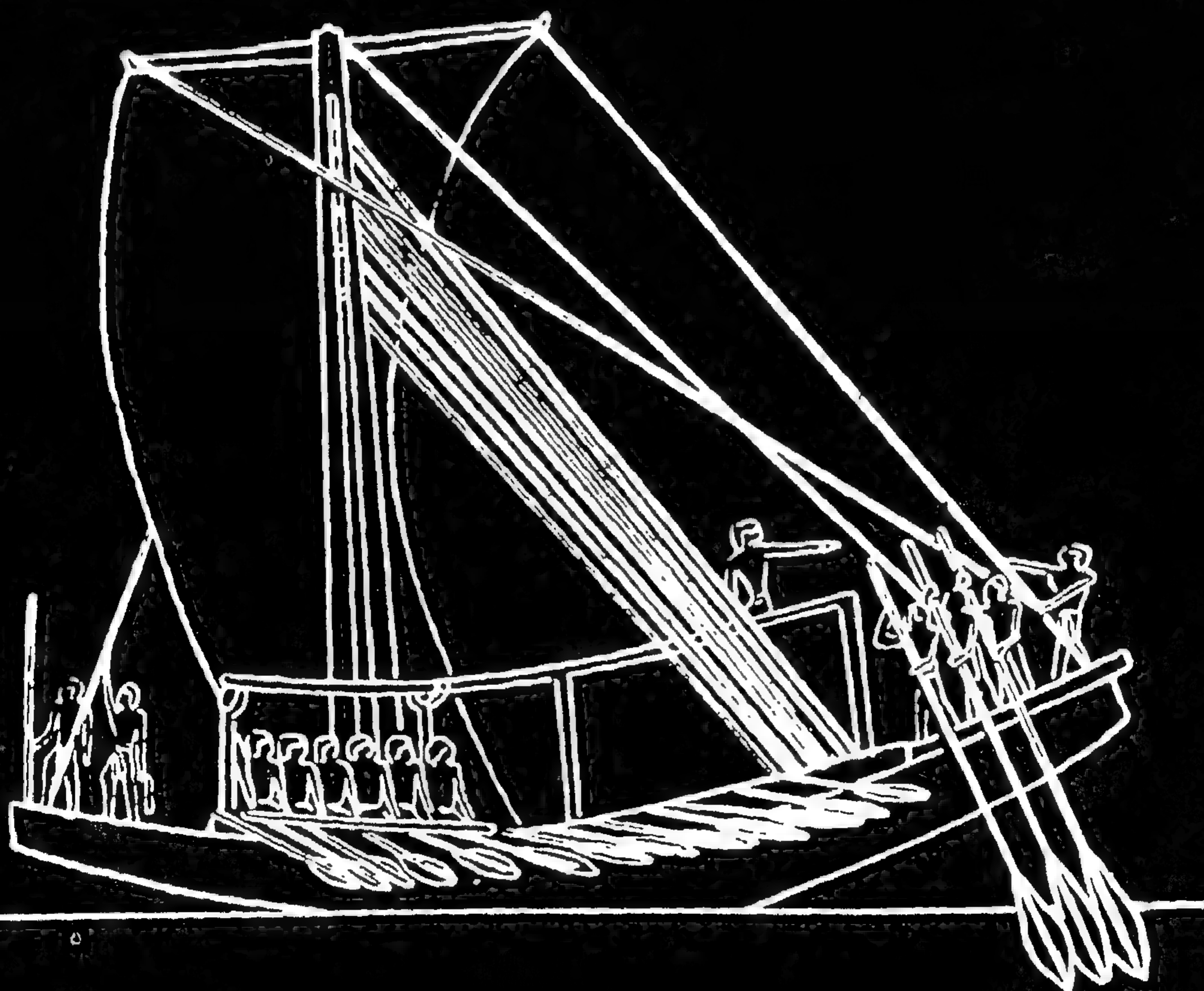
لوحة رقم ۱ - ۱
لوحة رقم ۱ - ب





لوحة رقم ٢ - ١

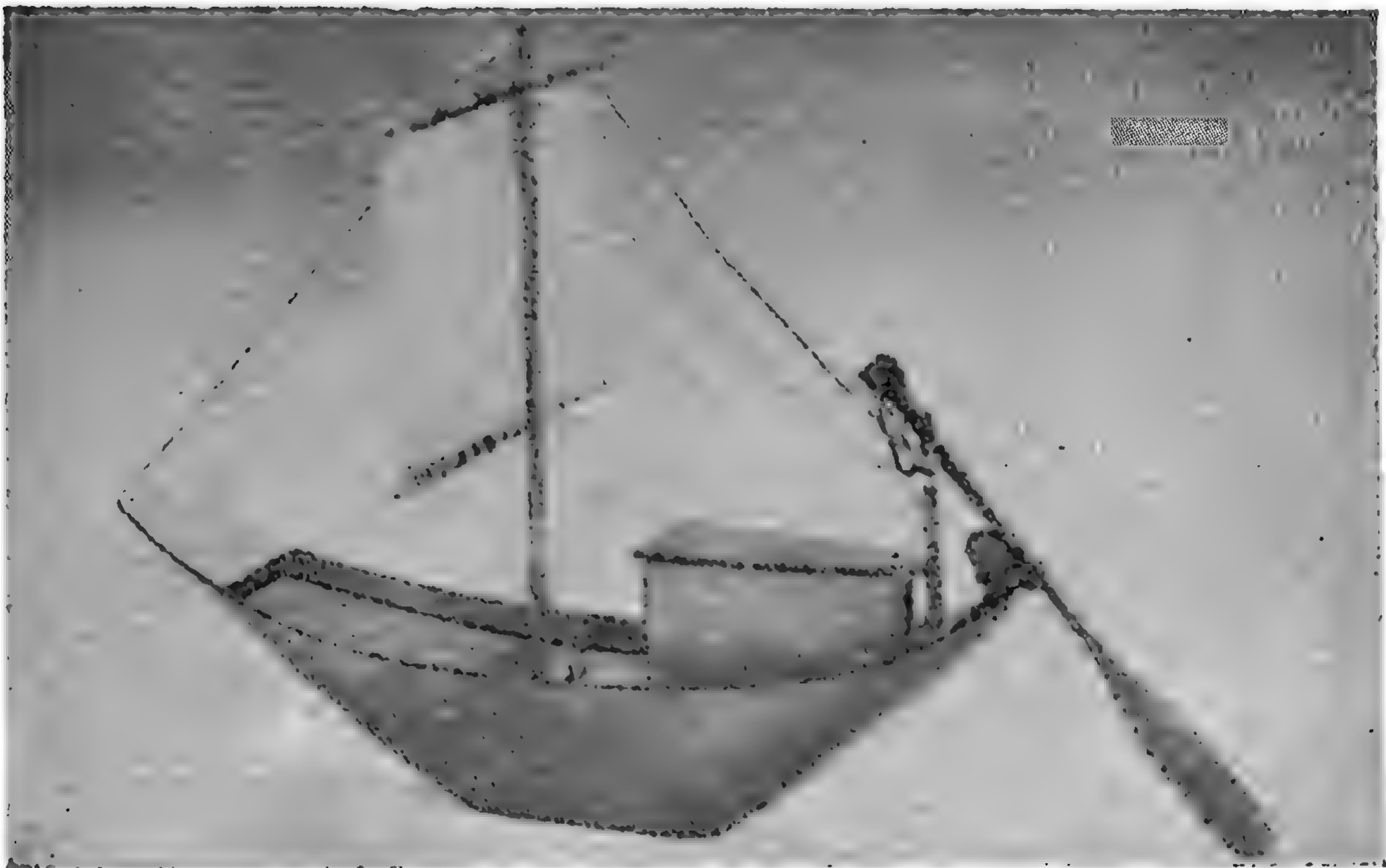
لوحة رقم ٢ - ب

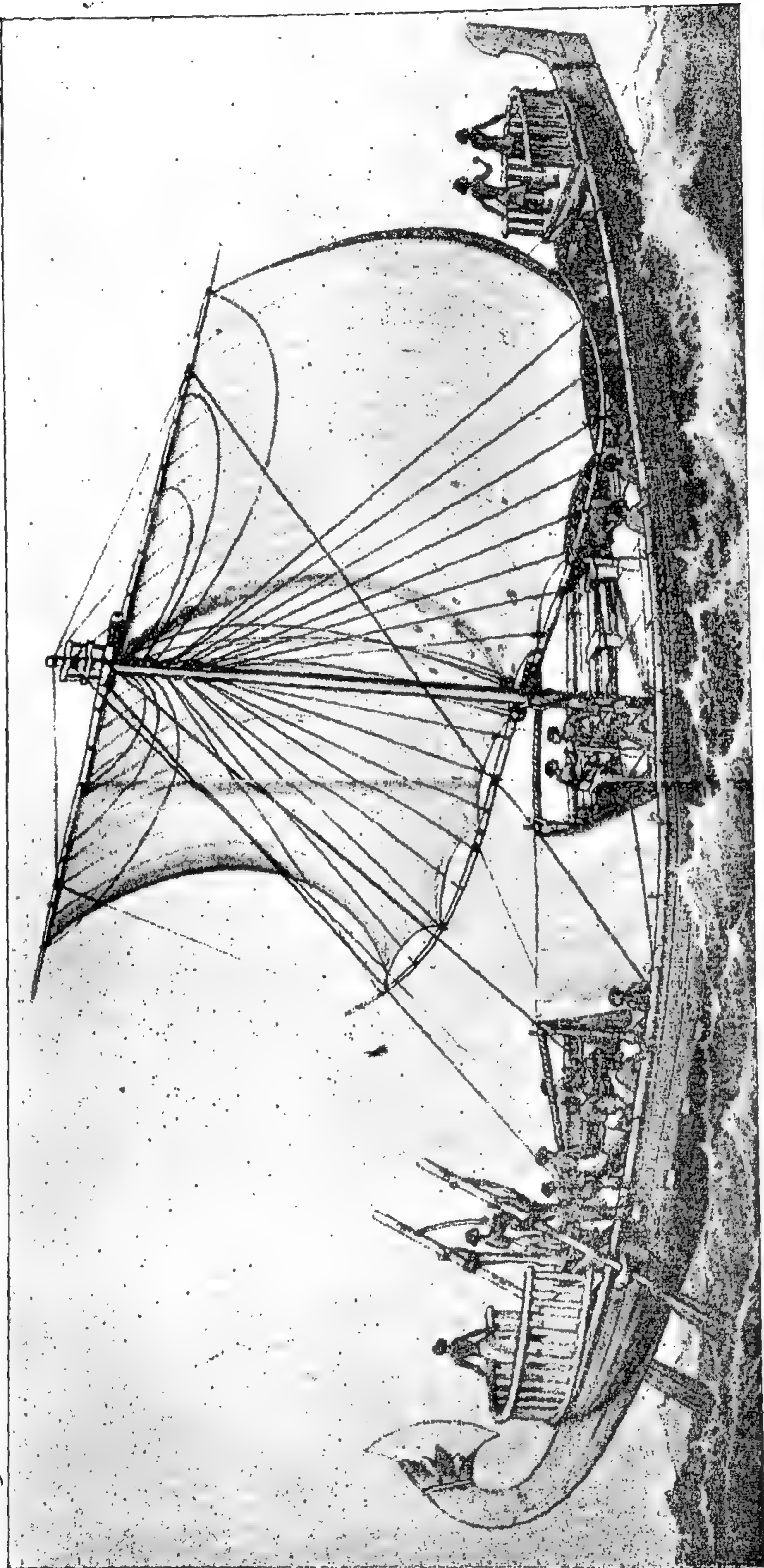


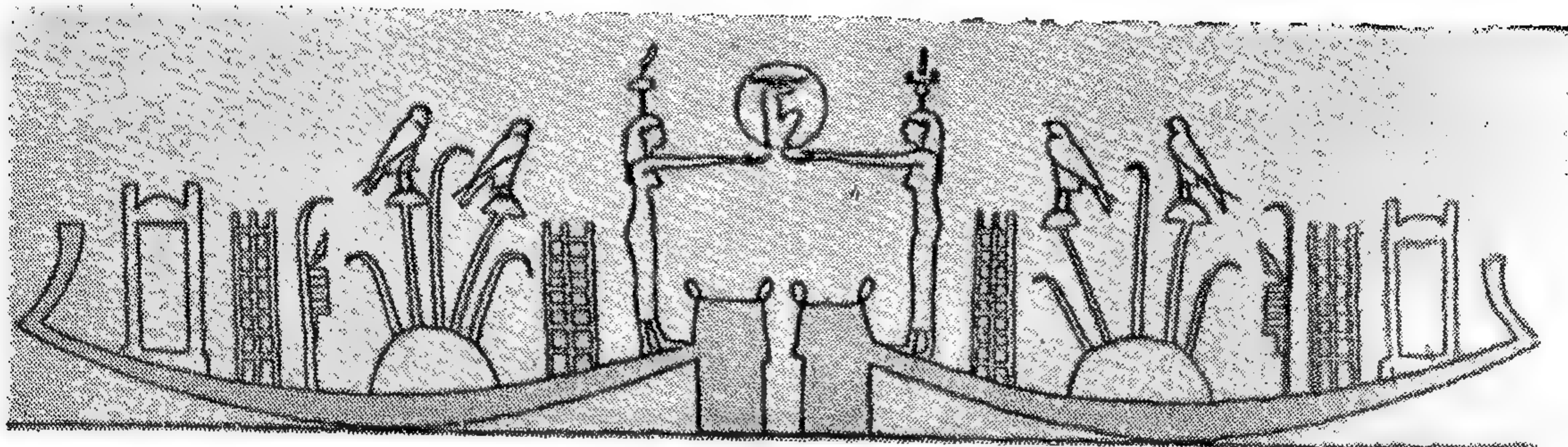


لوحة رقم ۳

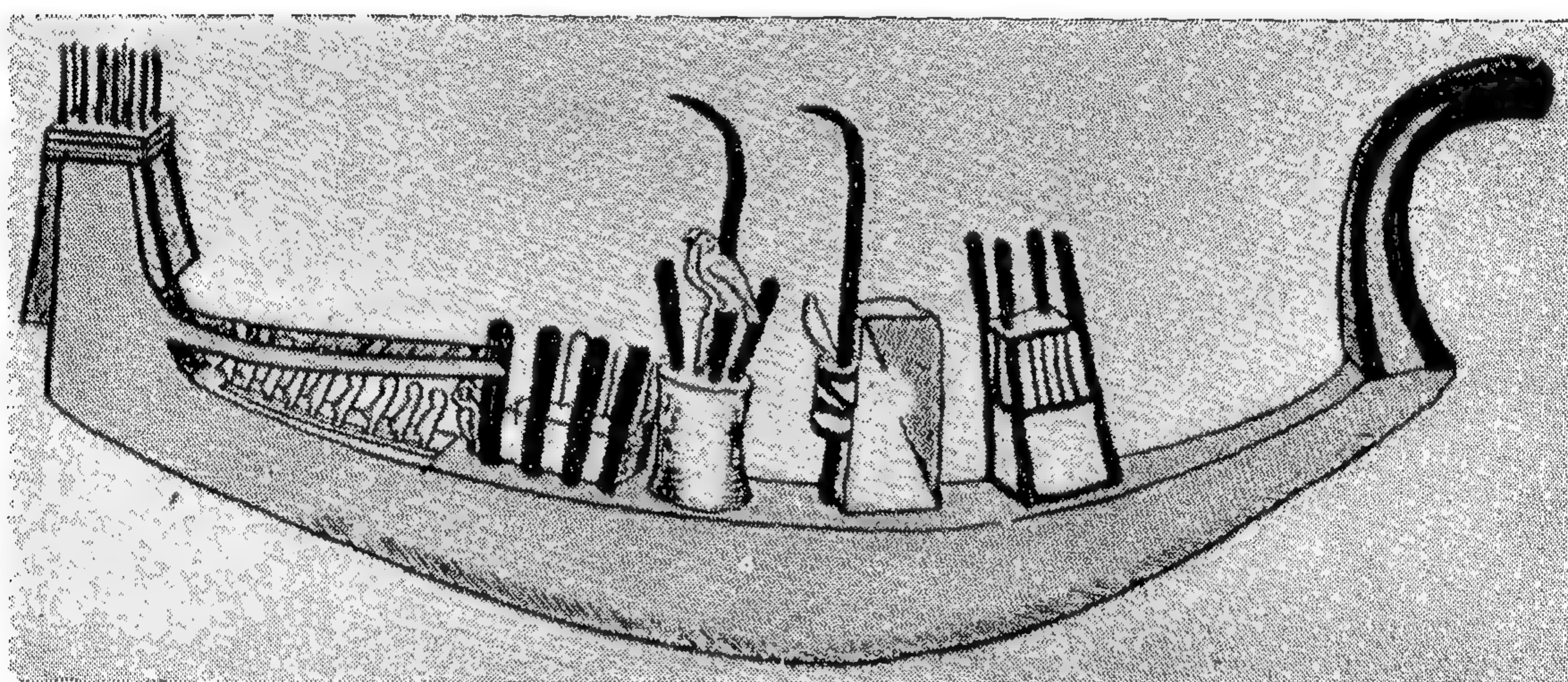
لوحة رقم ۴





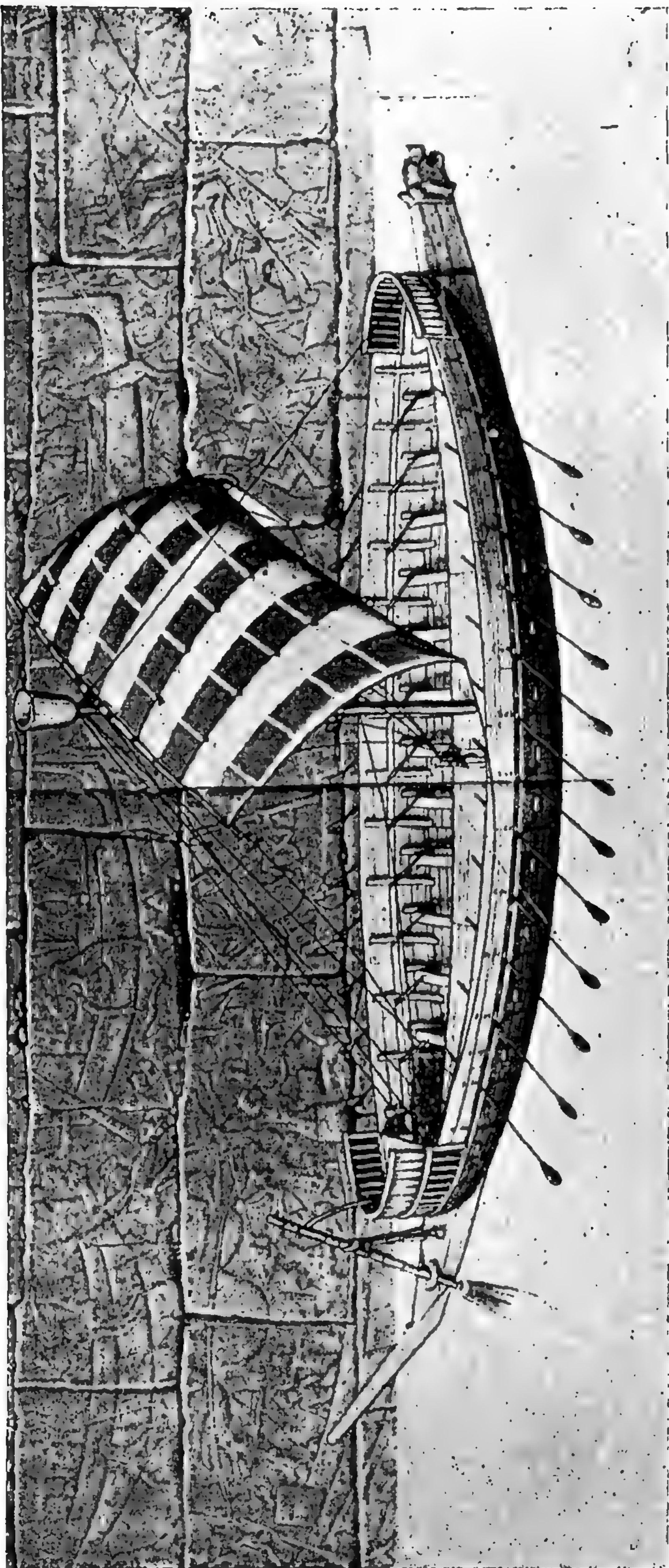


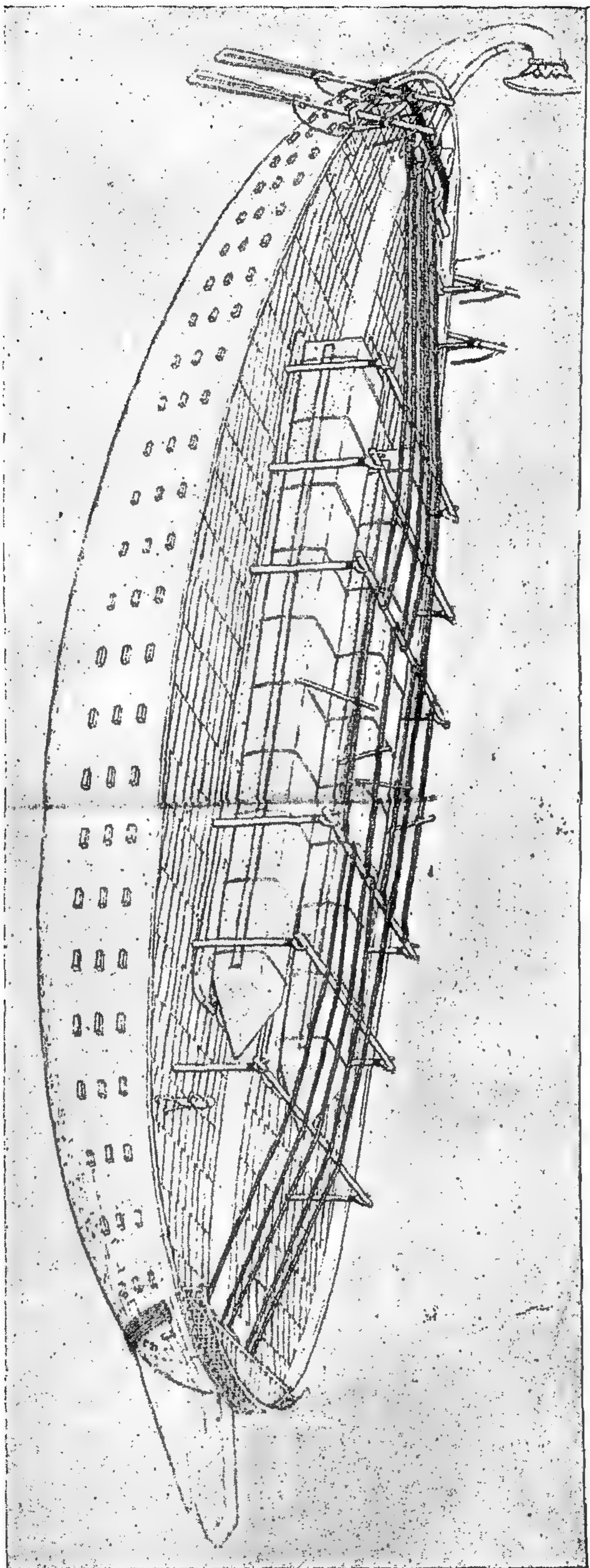
لوحة رقم ٦ - ١
لوحة رقم ٦ - ب



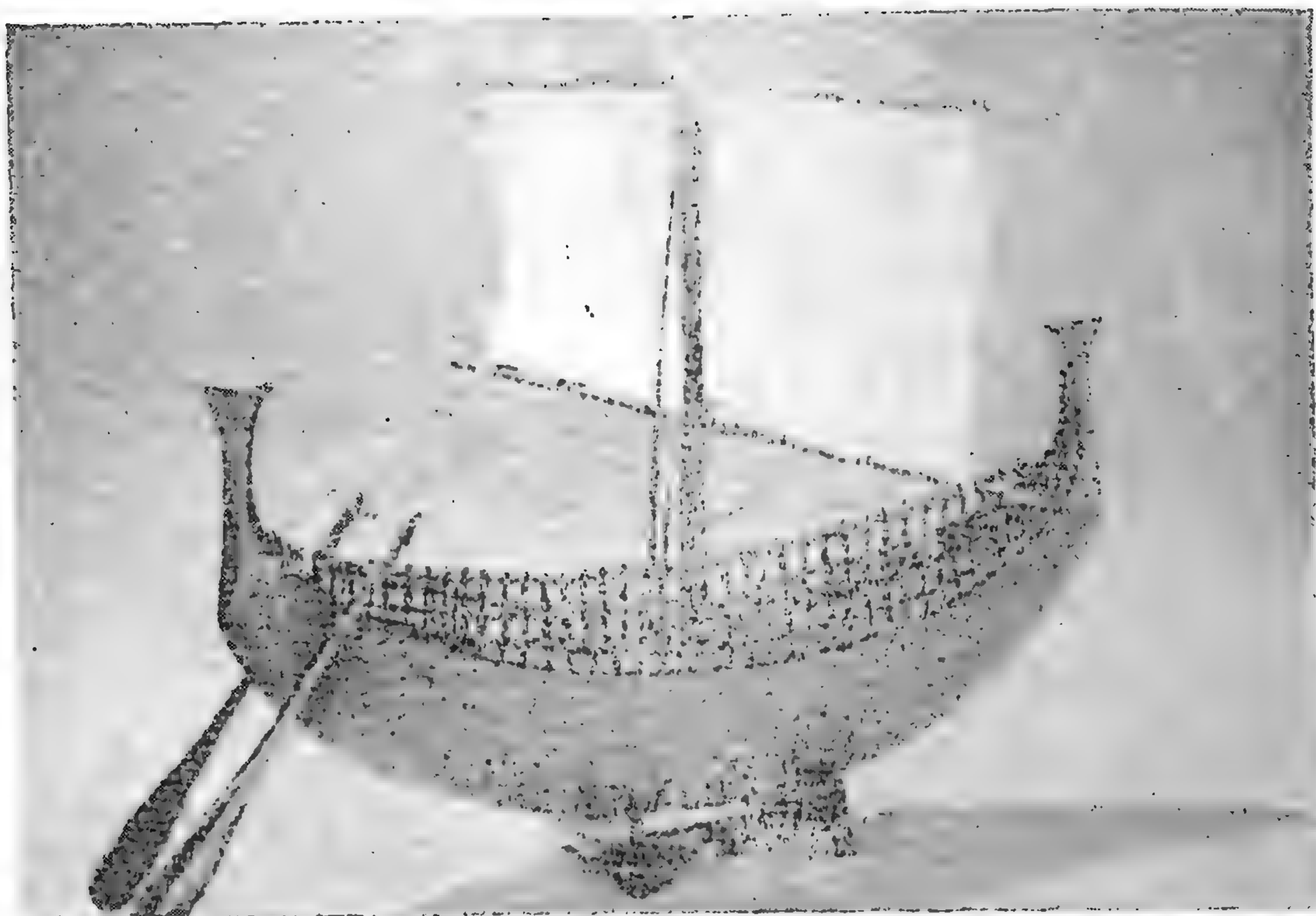
لوحة رقم ٦ - ج





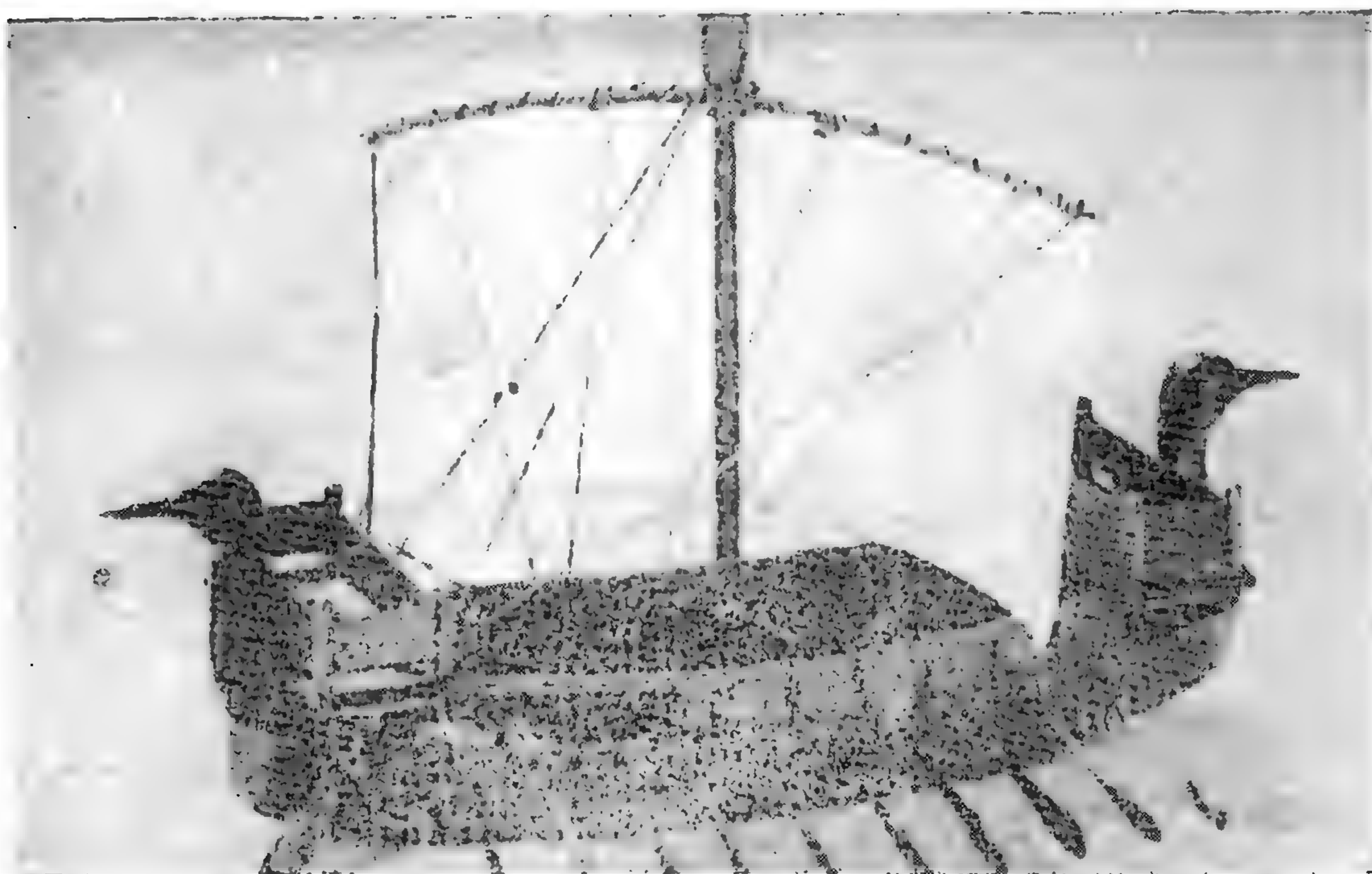


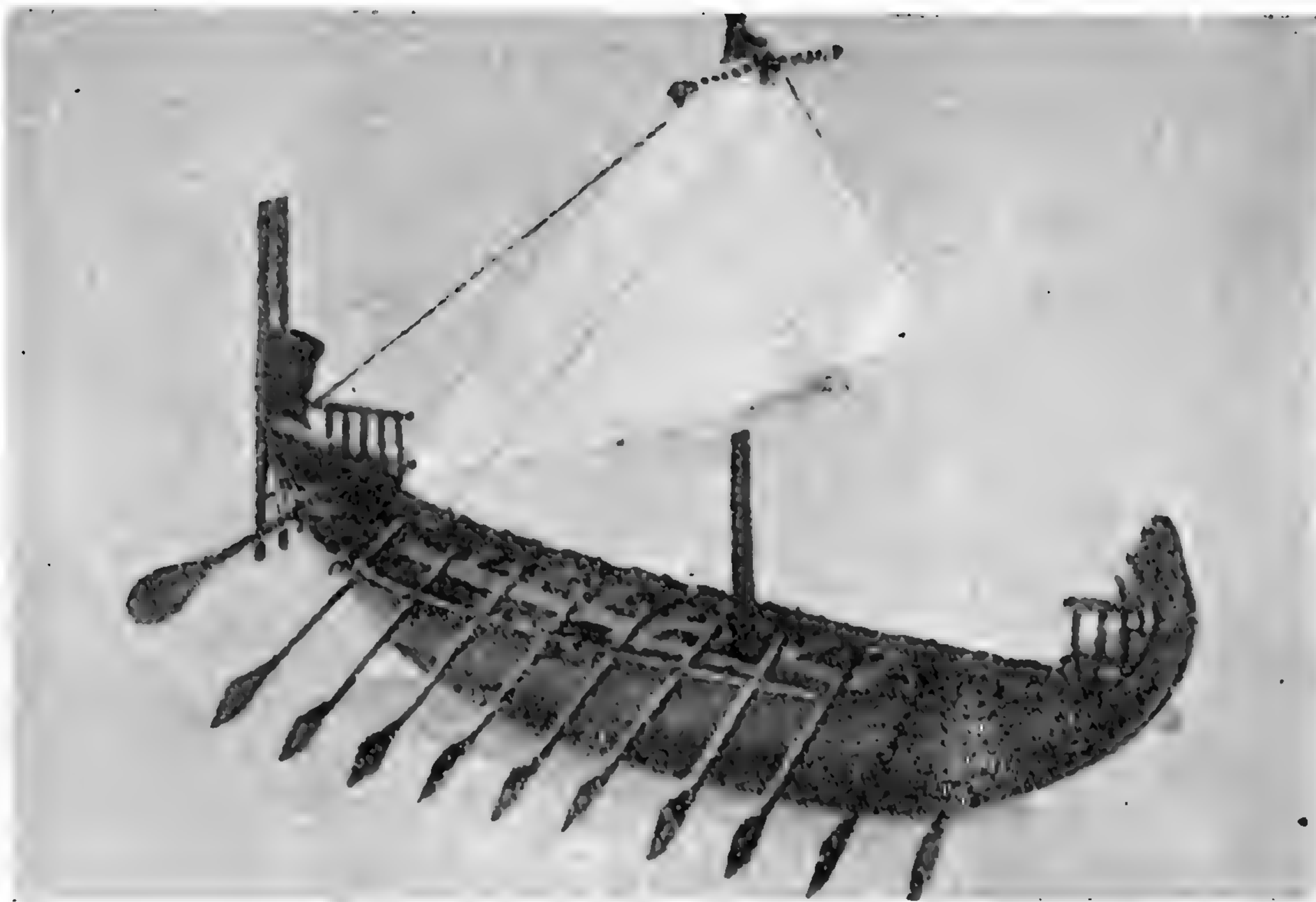
لوحة رقم ۸



لوحة رقم ٩

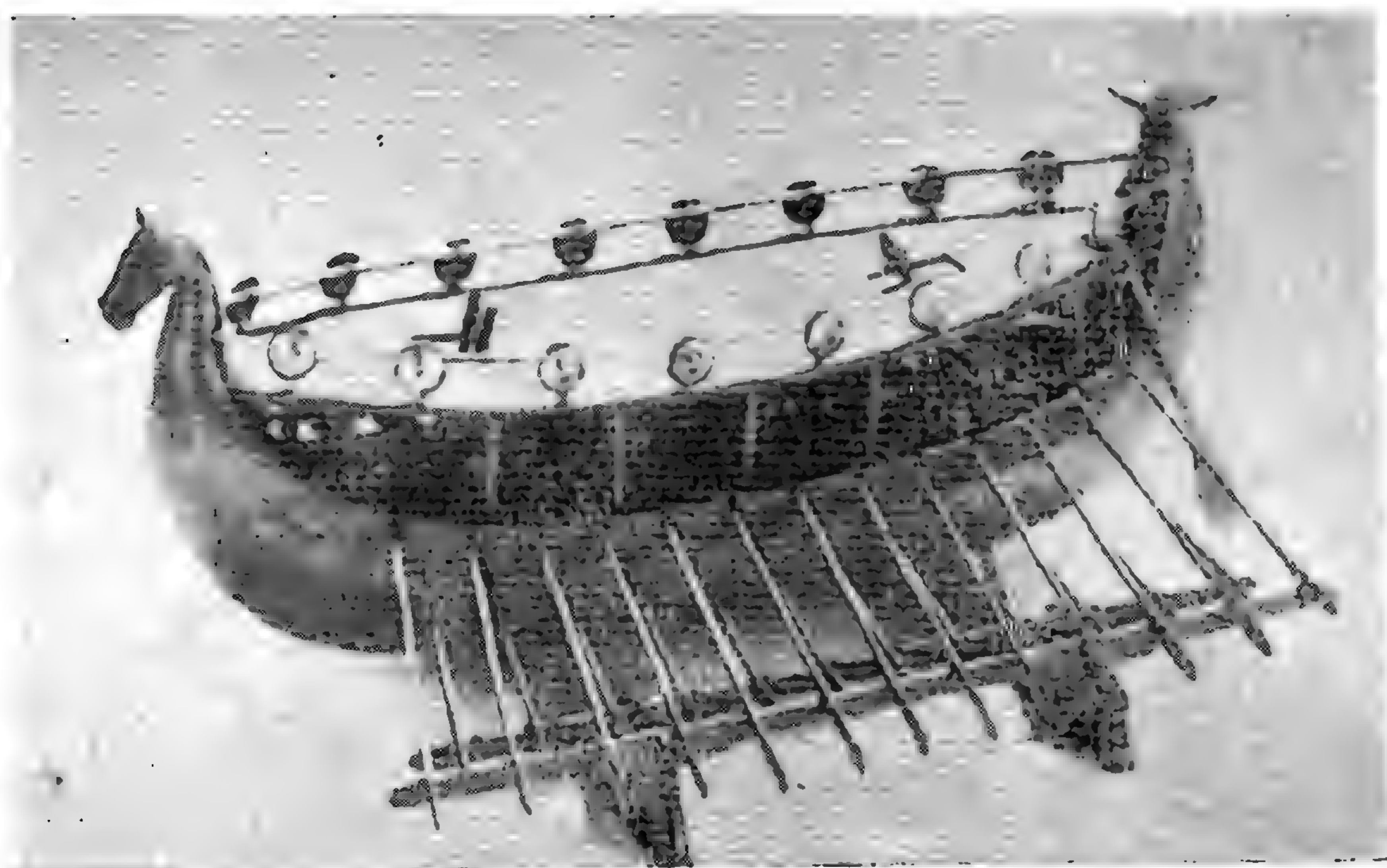
لوحة رقم ١٠

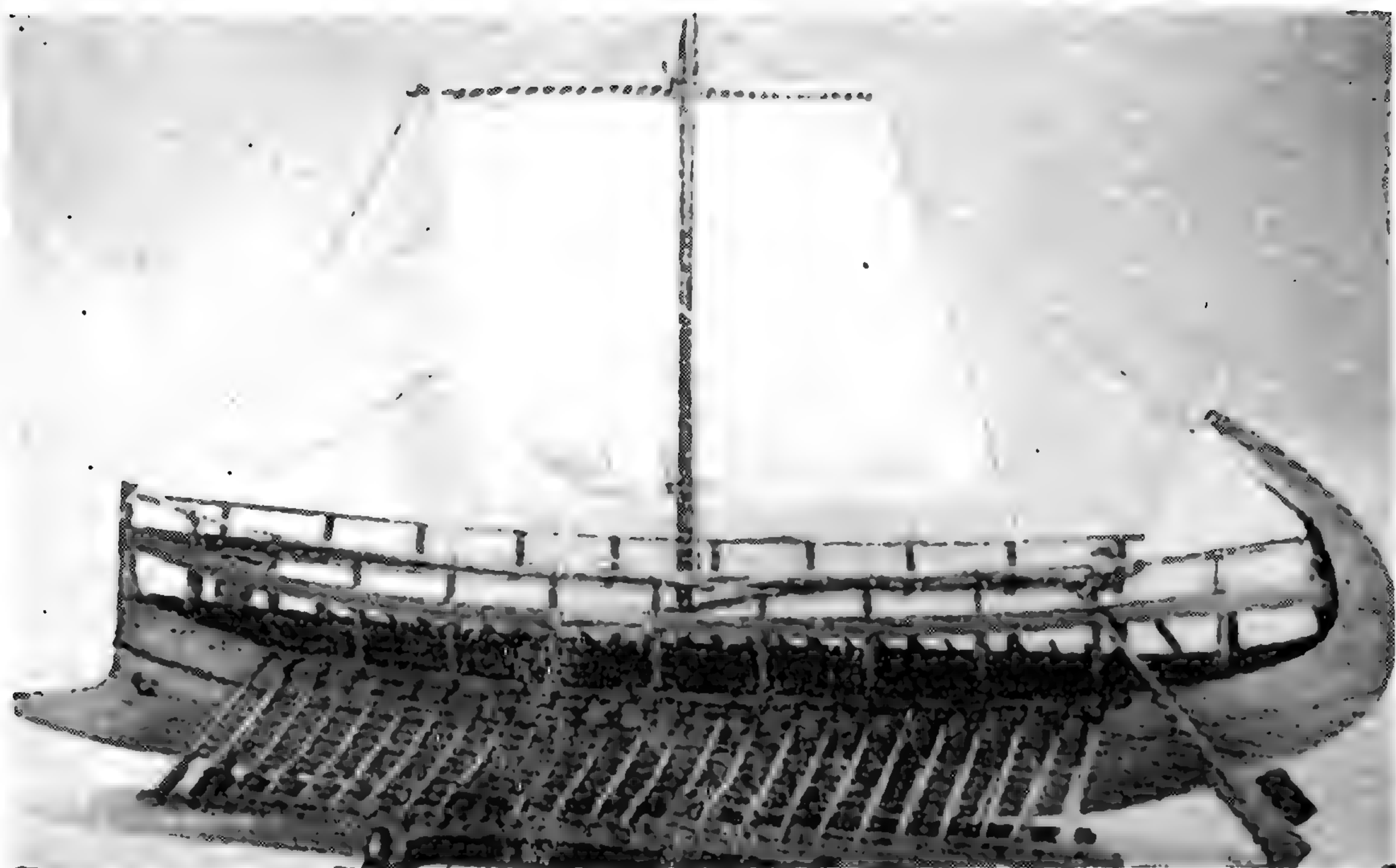




لوحة رقم ۱۱

لوحة رقم ۱۲

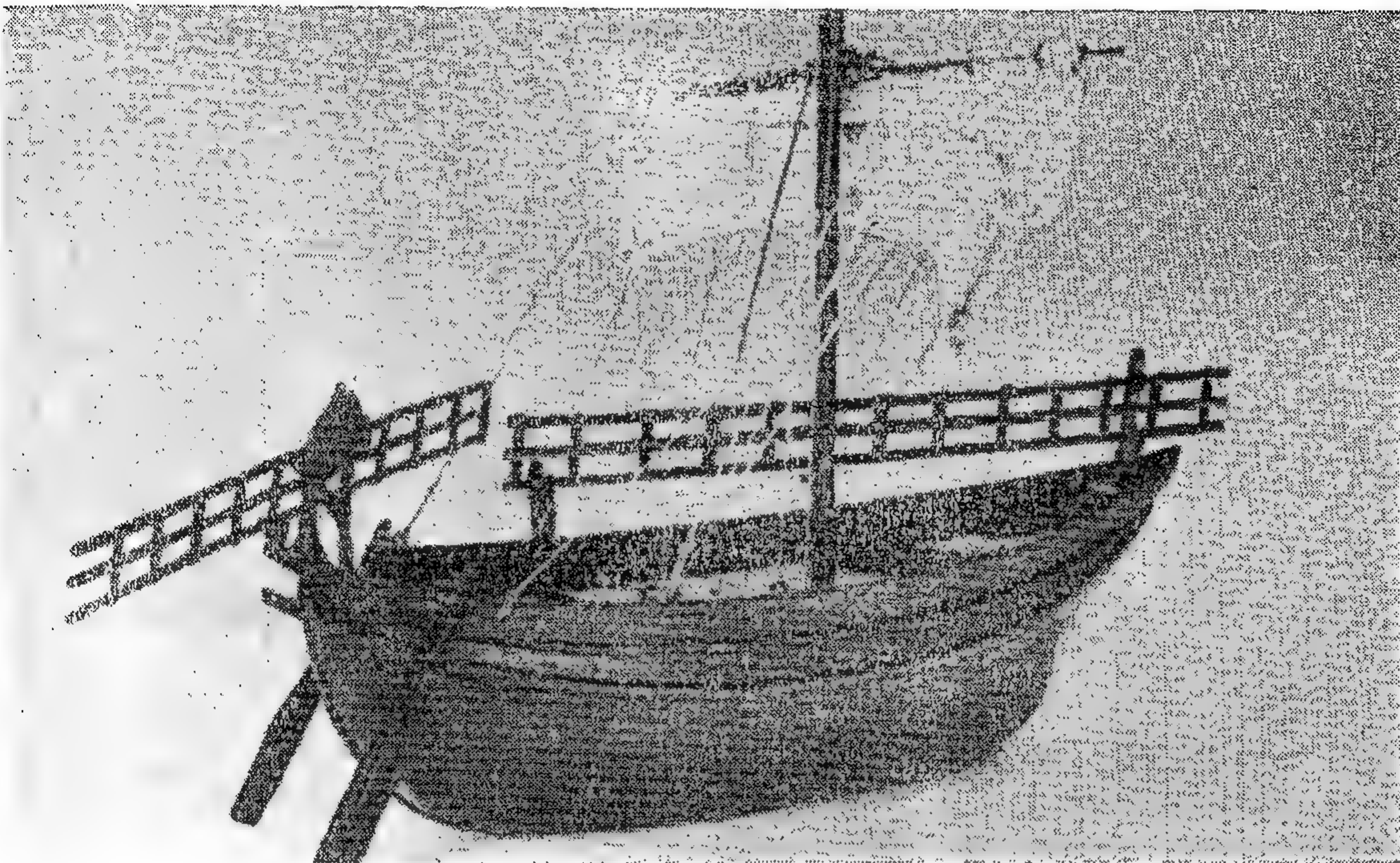




لوحة رقم ۱۳

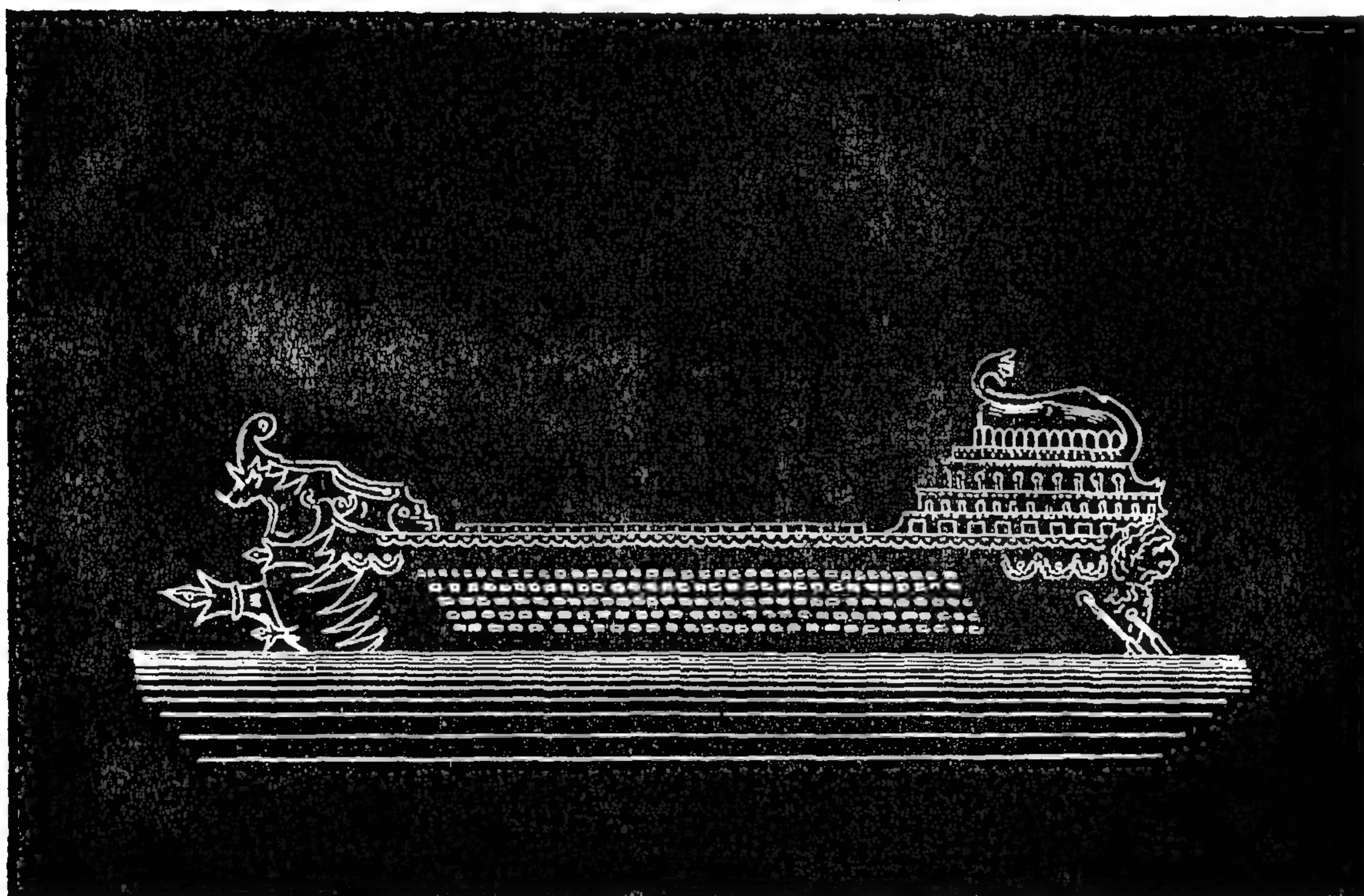
لوحة رقم ۱۴





لوحة رقم ١٥

لوحة رقم ١٦

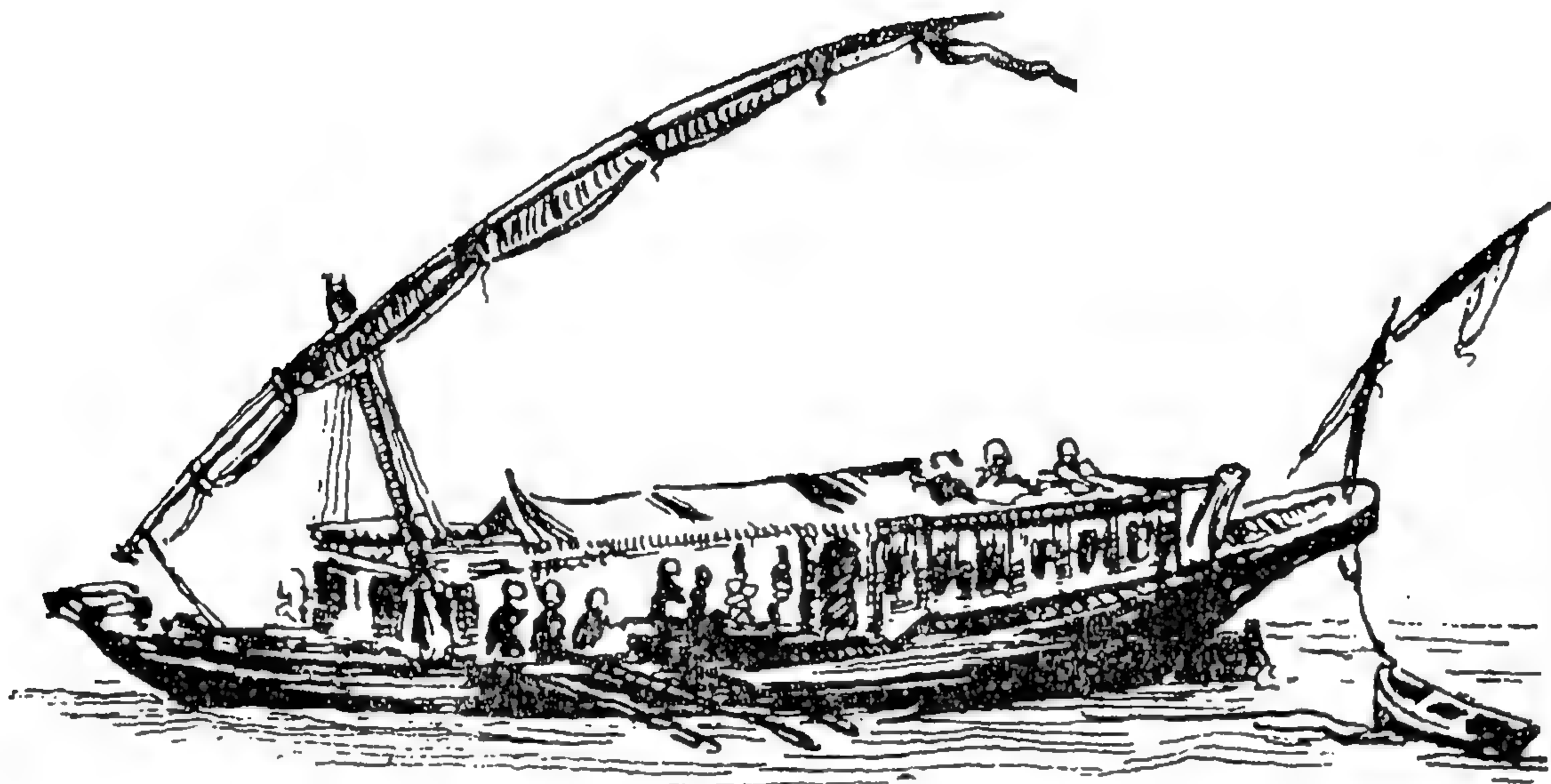




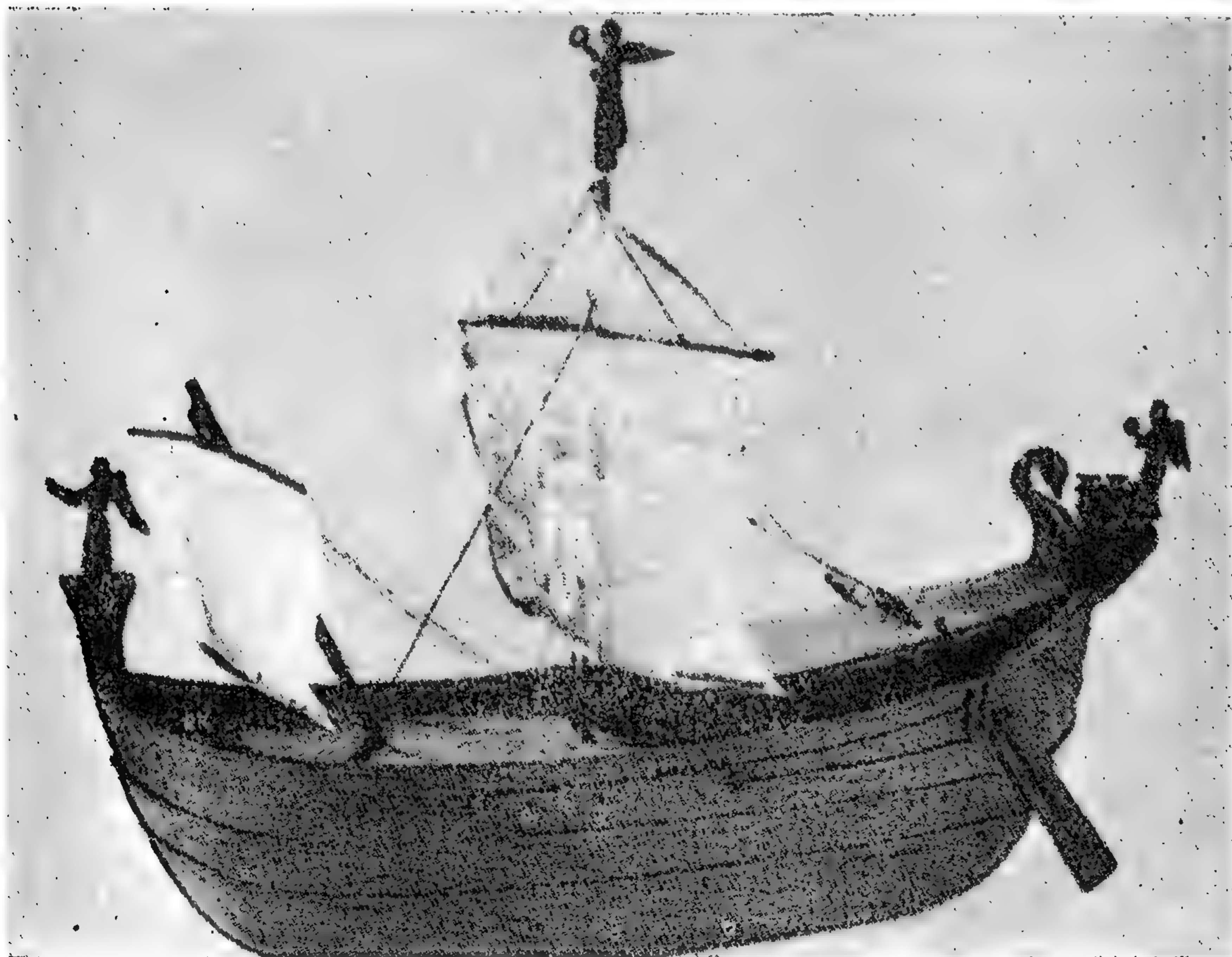
لوحة رقم ۱۷

لوحة رقم ۱۸ - ۱

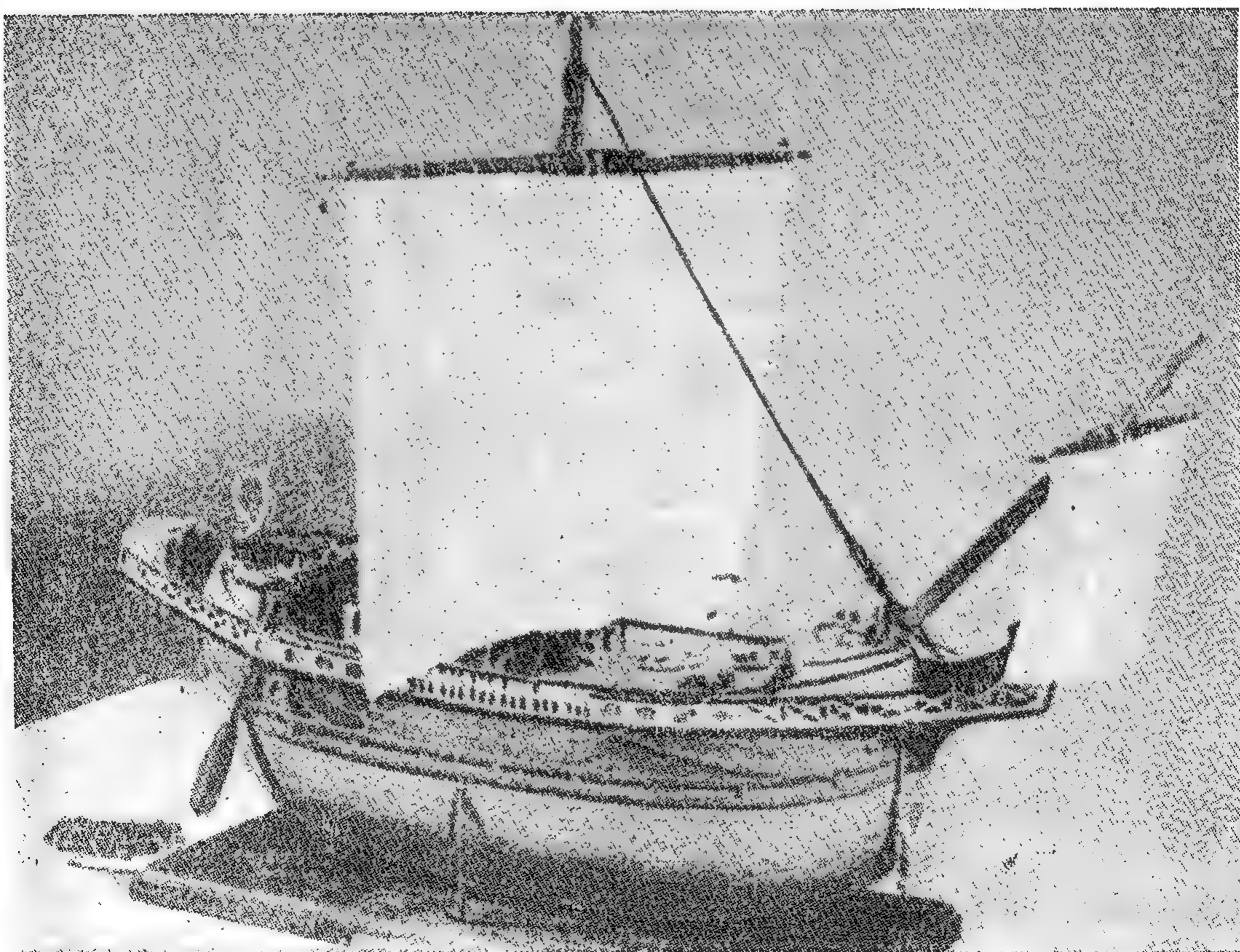




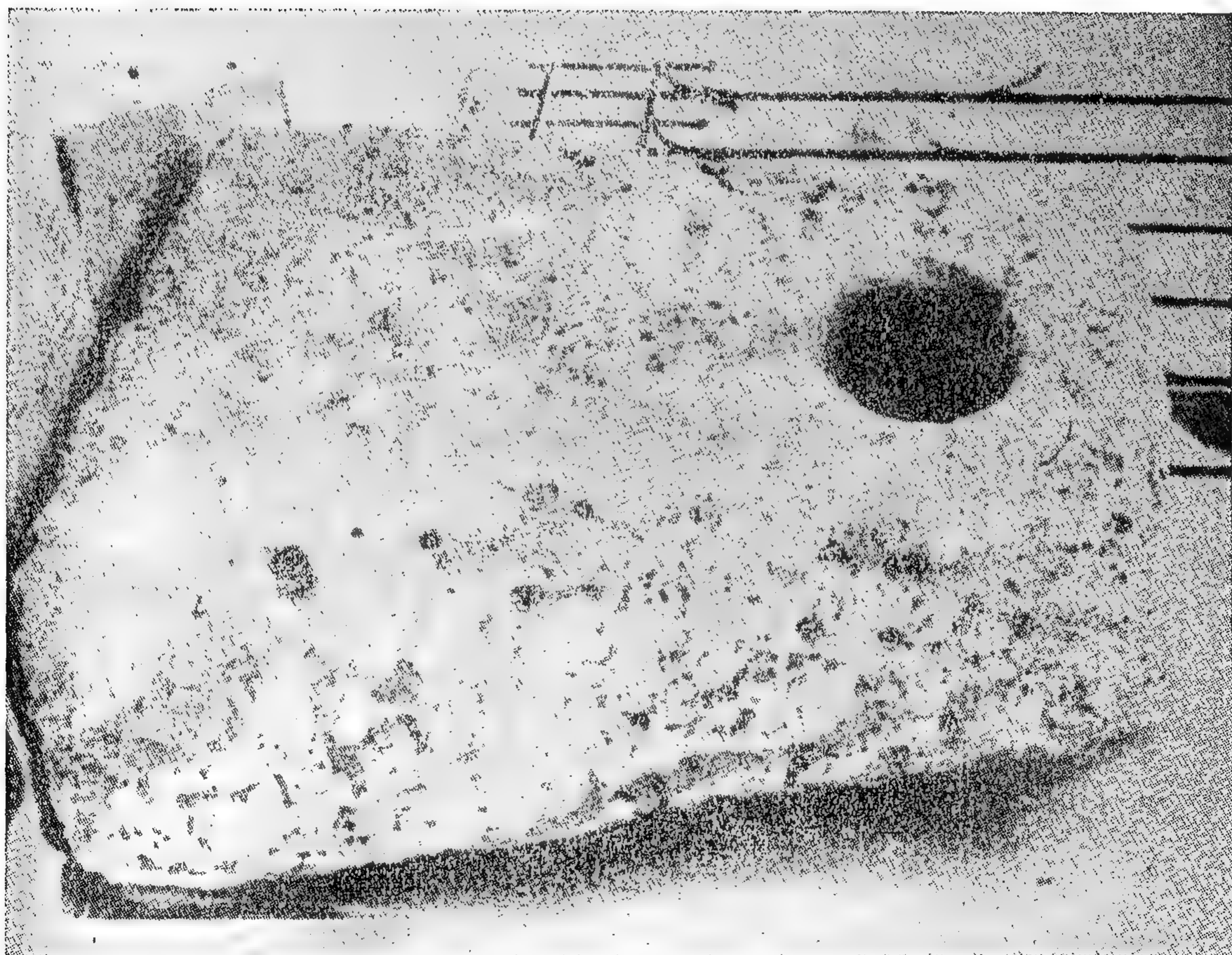
لوحة رقم ۱۸ - ب
لوحة رقم ۱۹



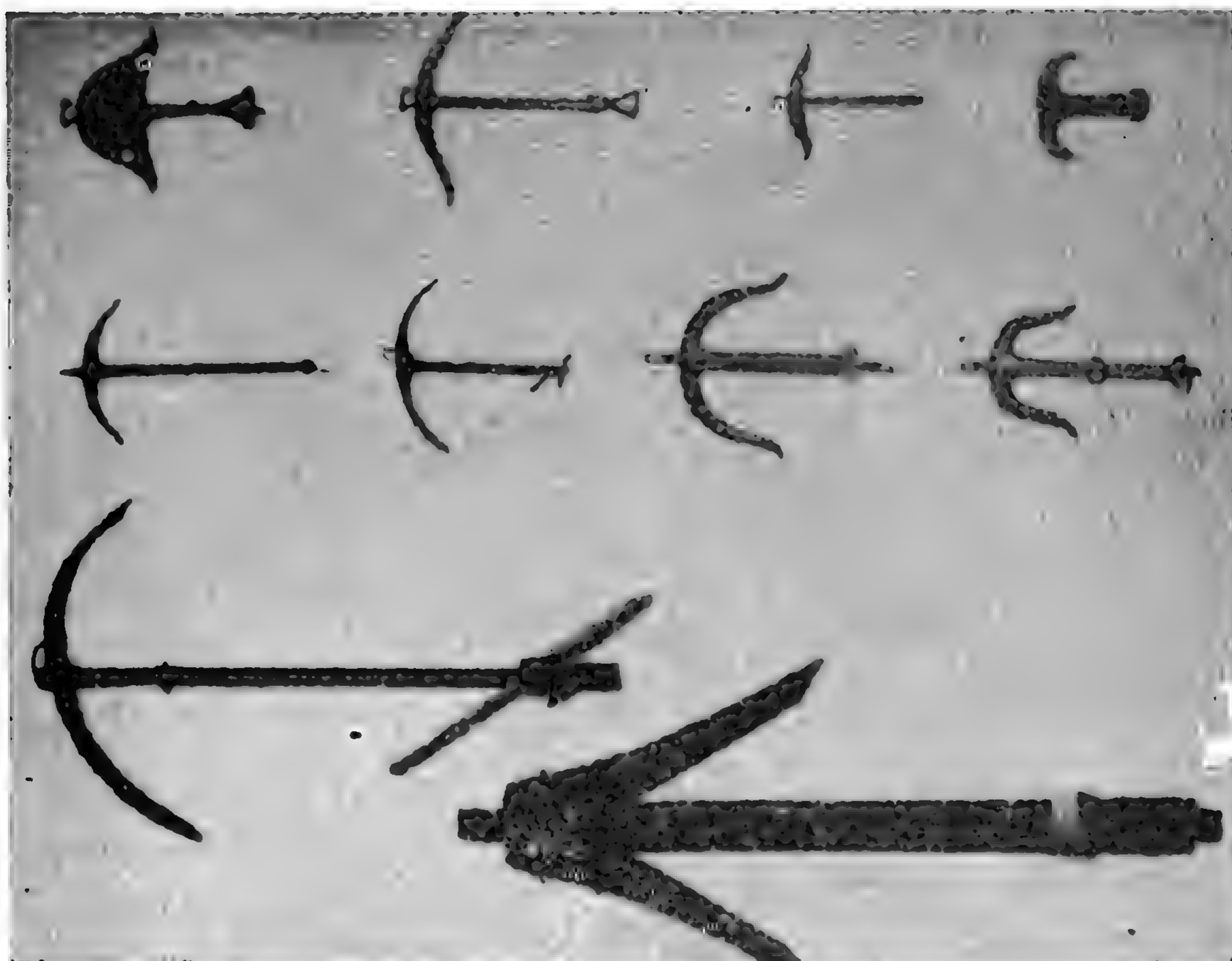
لوحة رقم ٢٠



لوحة رقم ٢١

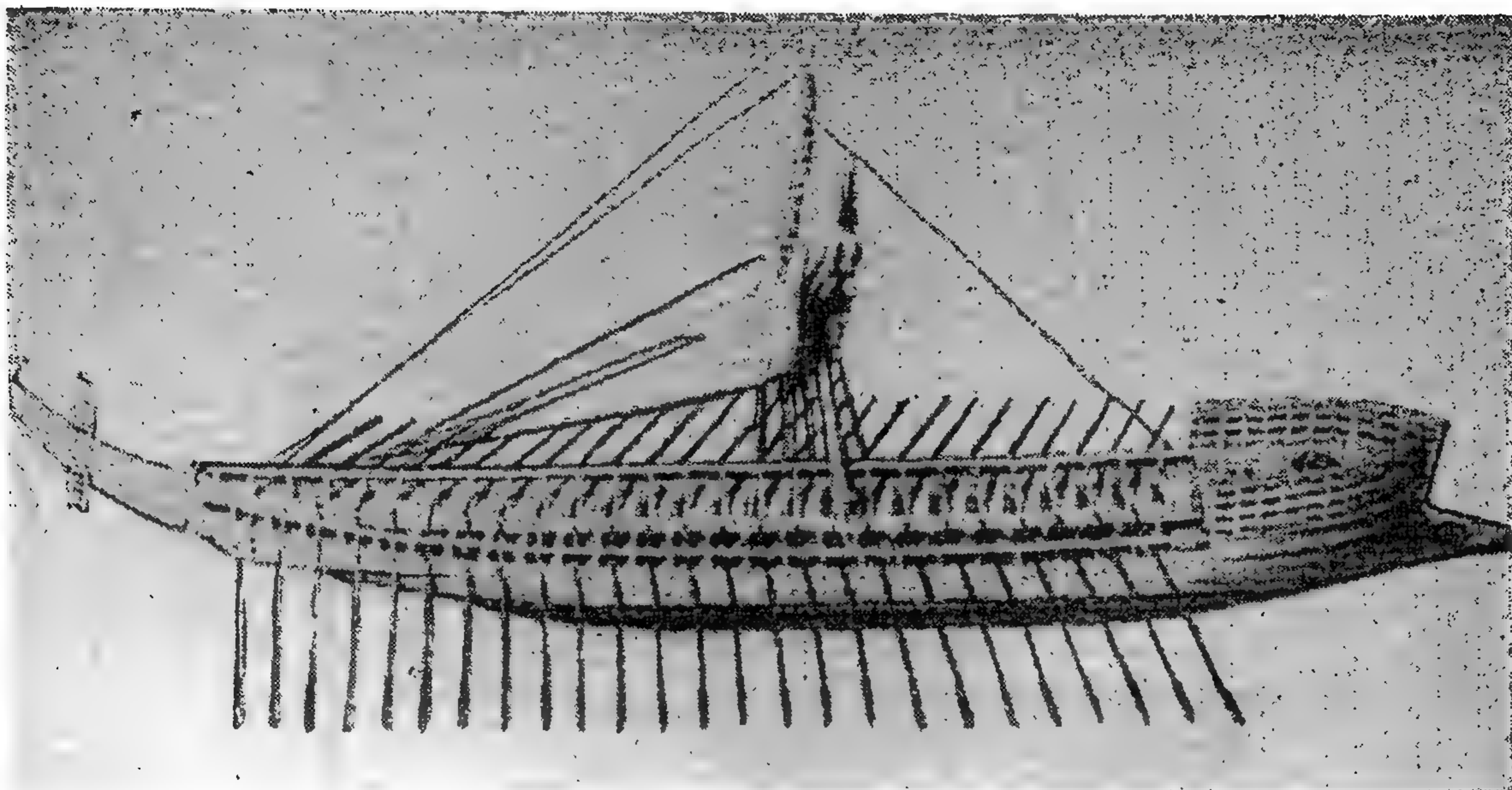


لوحة رقم ۲۲

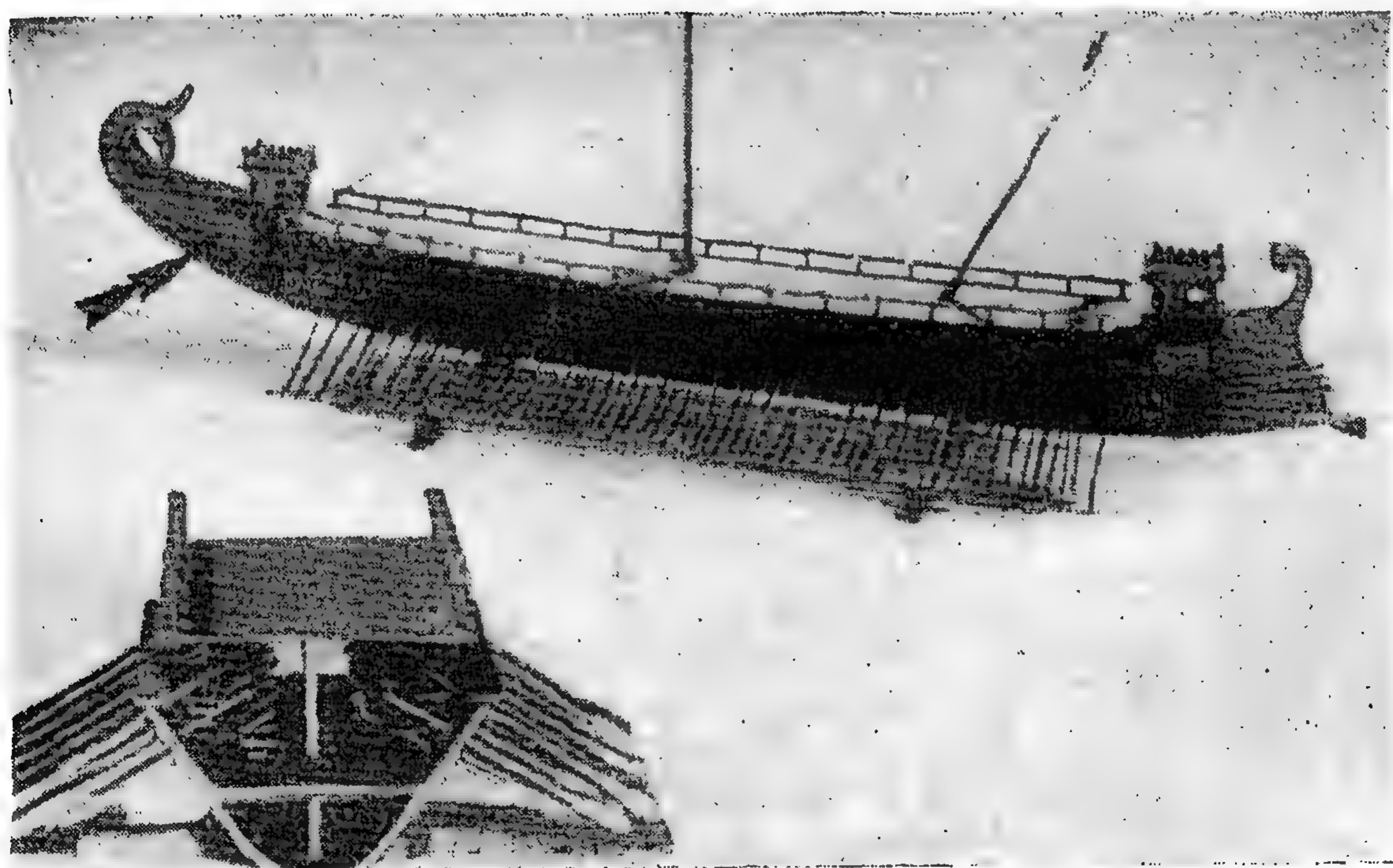


لوحة رقم ۲۳

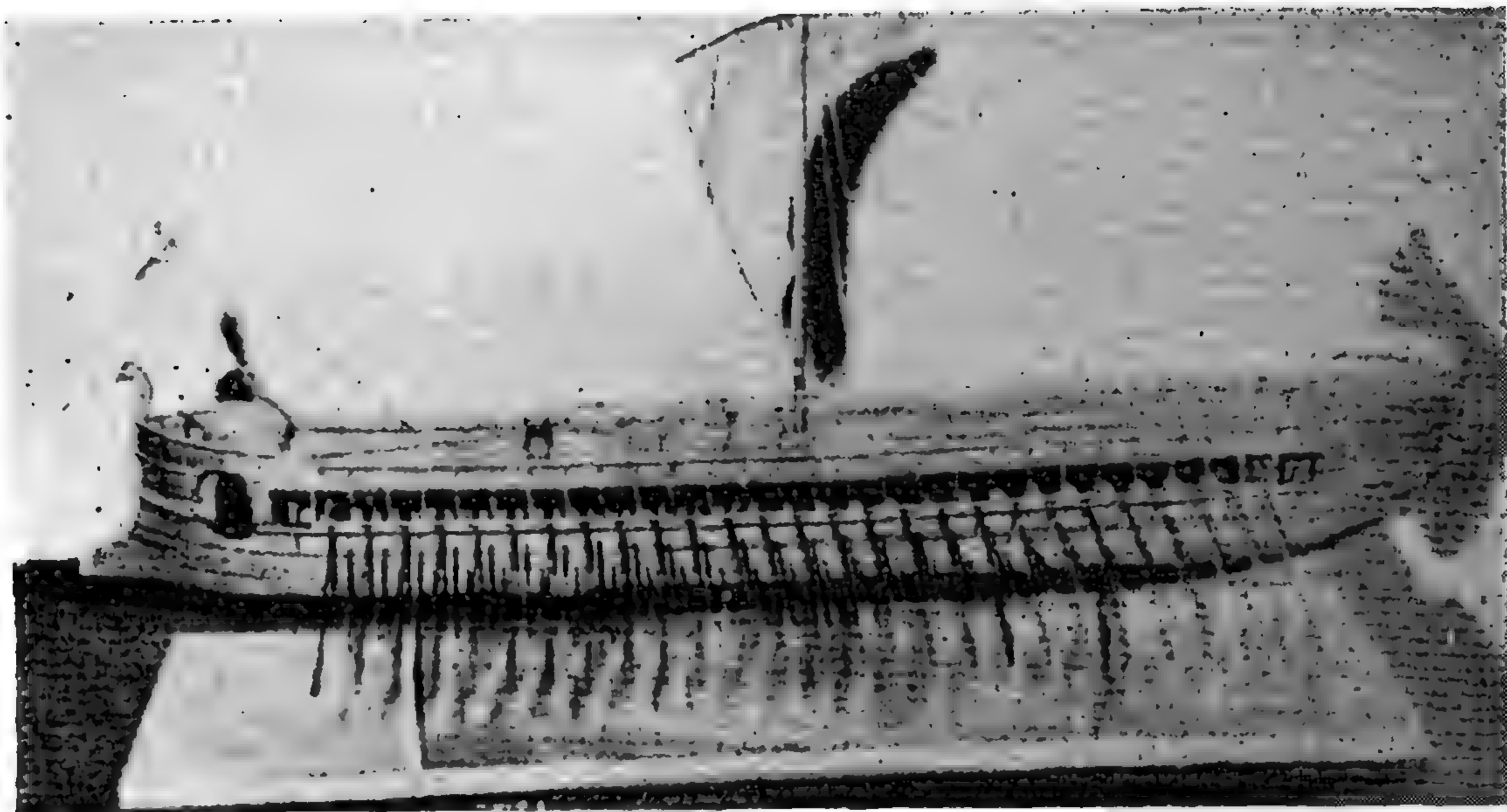




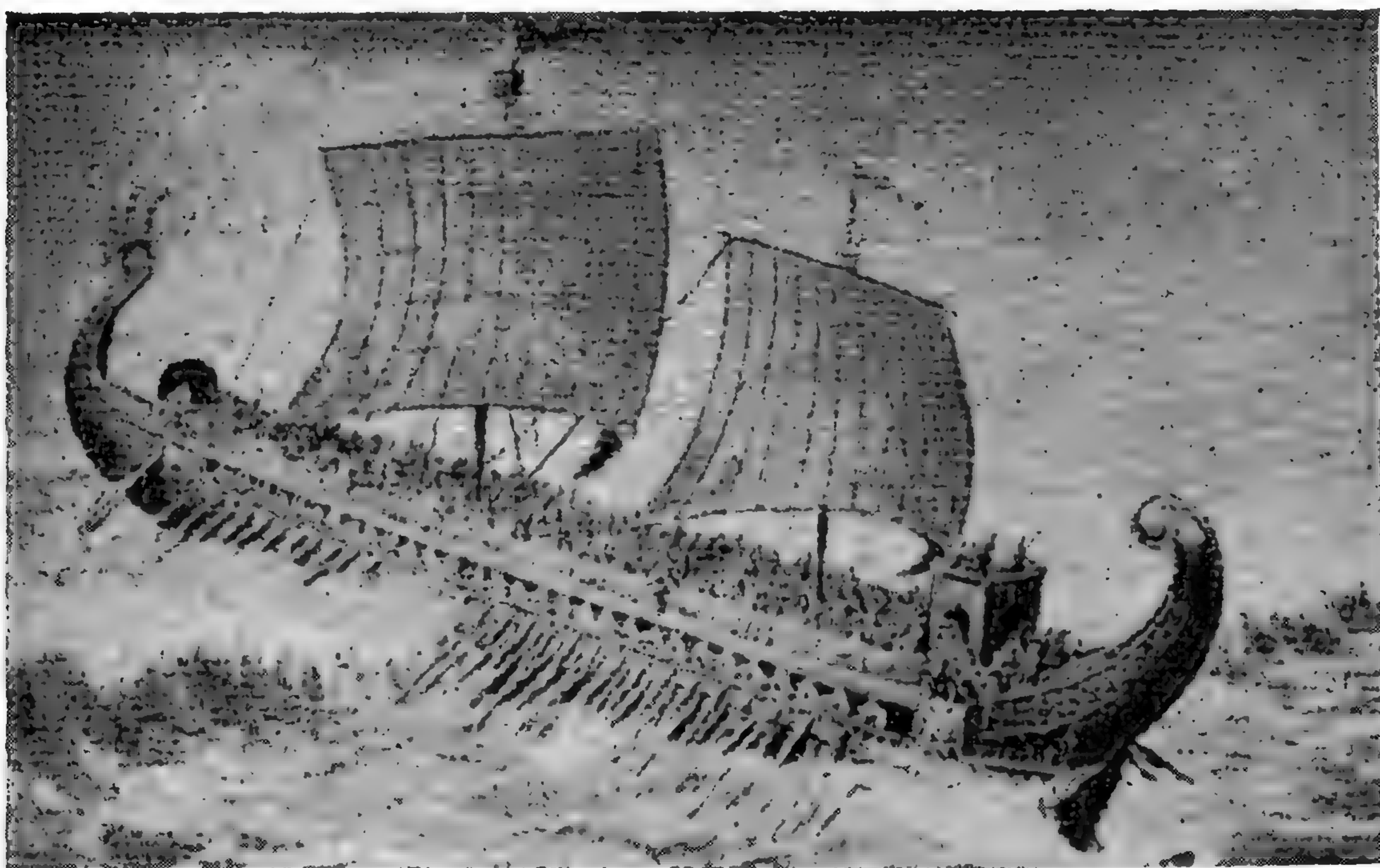
لوحة رقم ٢٤



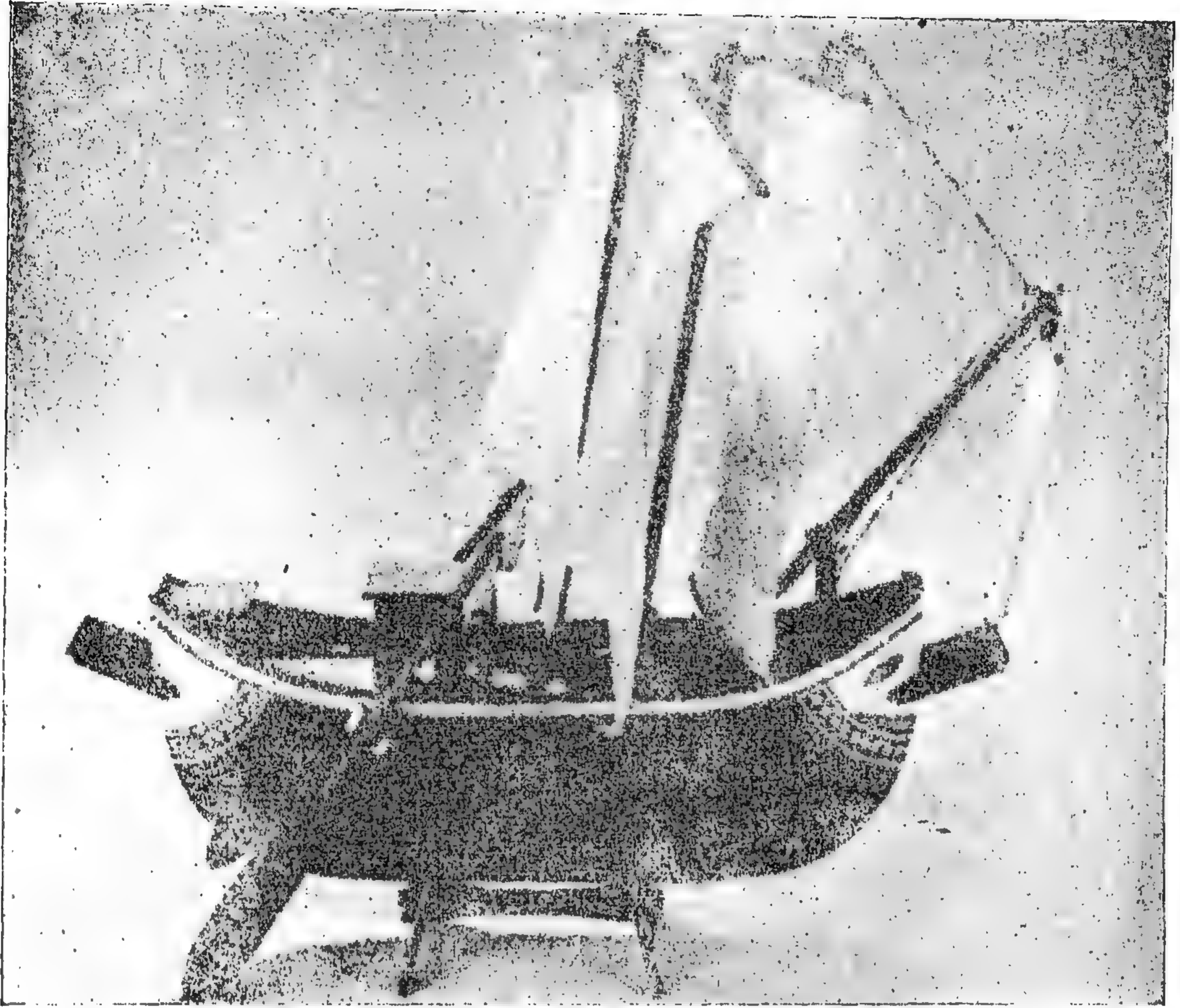
لوحة رقم ٢٥



لوحة رقم ٢٦

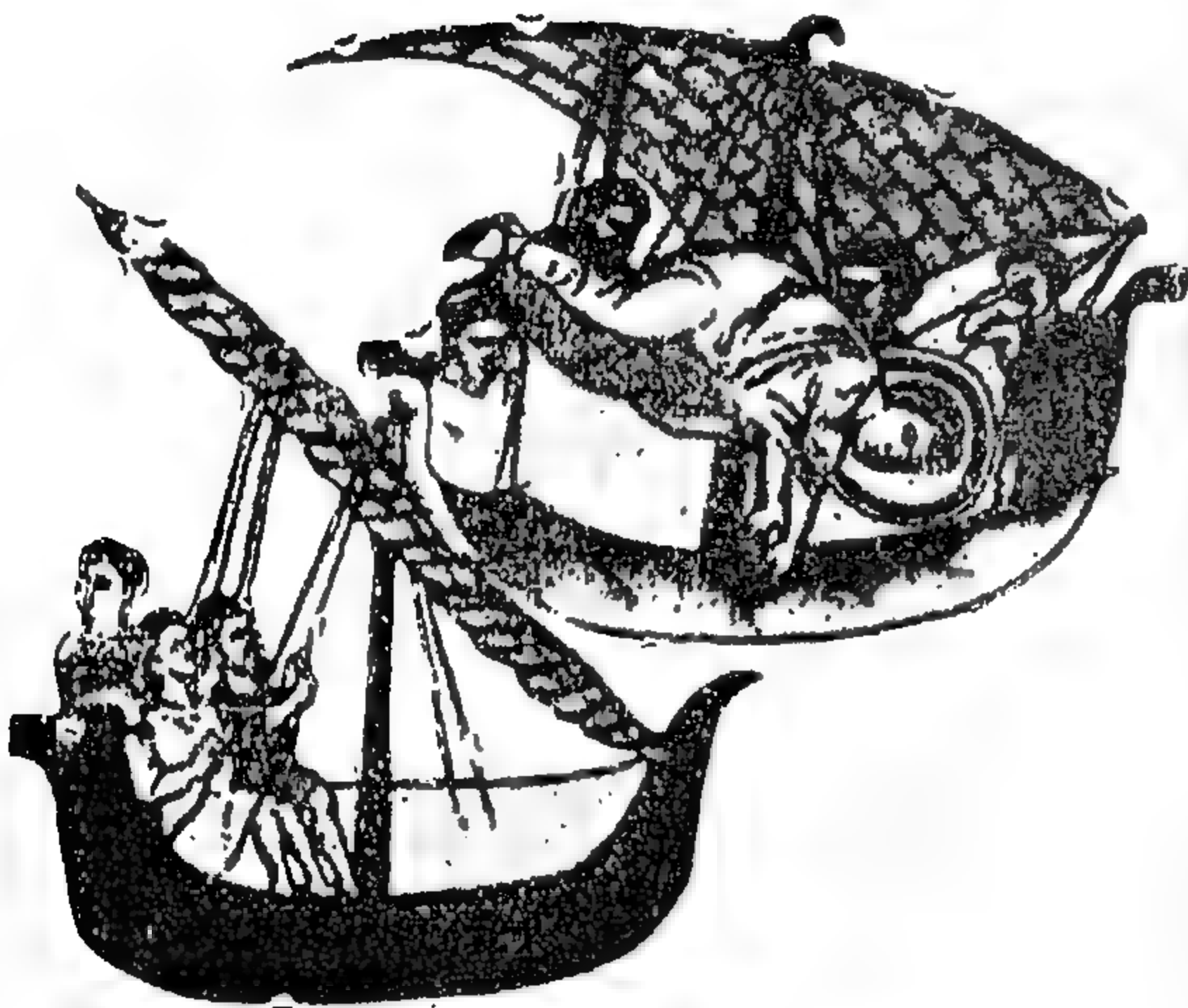


لوحة رقم ٢٧

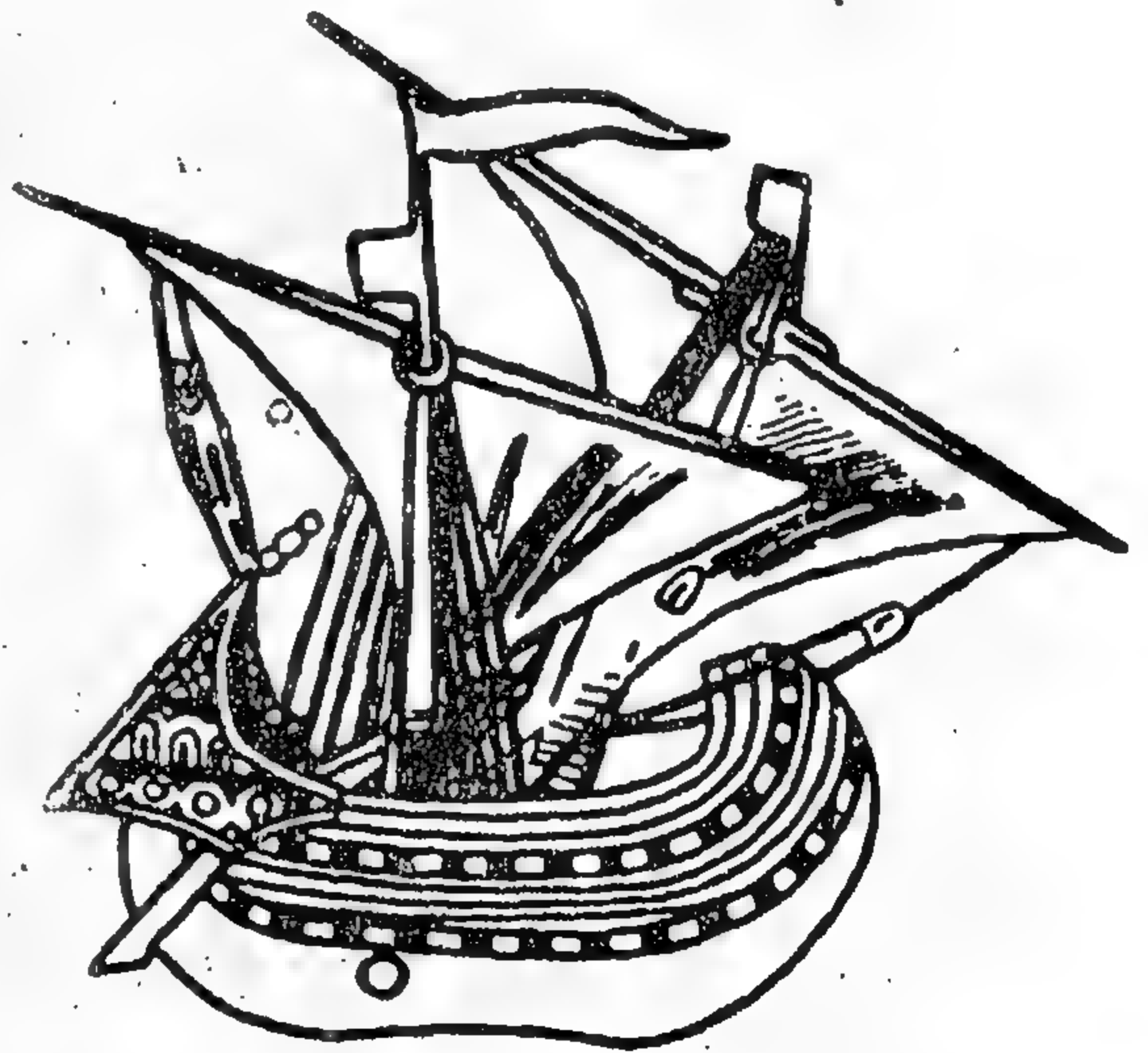


لوحة رقم ٢٨

لوحة رقم ٢٩ - ب



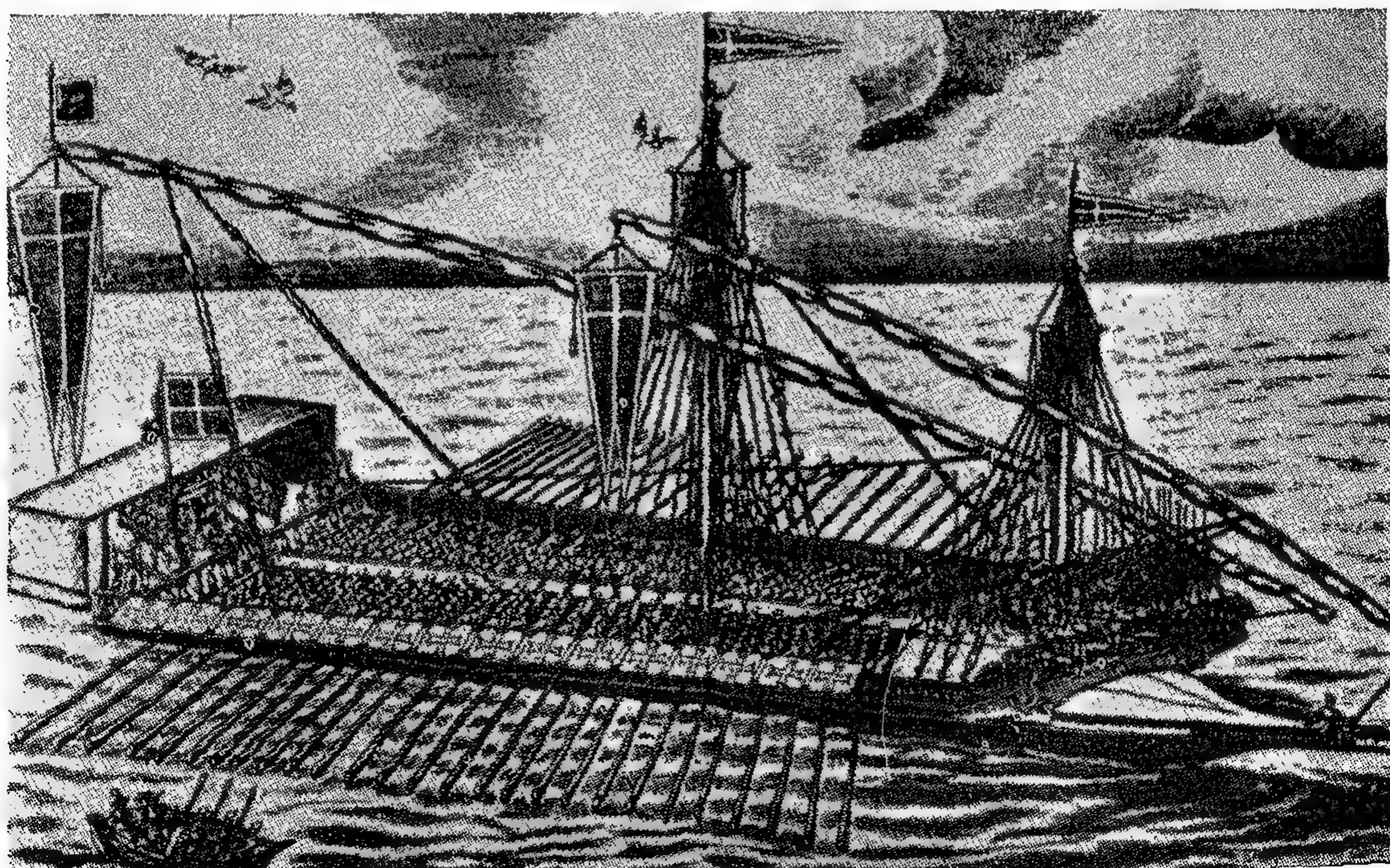
لوحة رقم ٢٩ - ا





لوحة رقم ٢٩ - ب

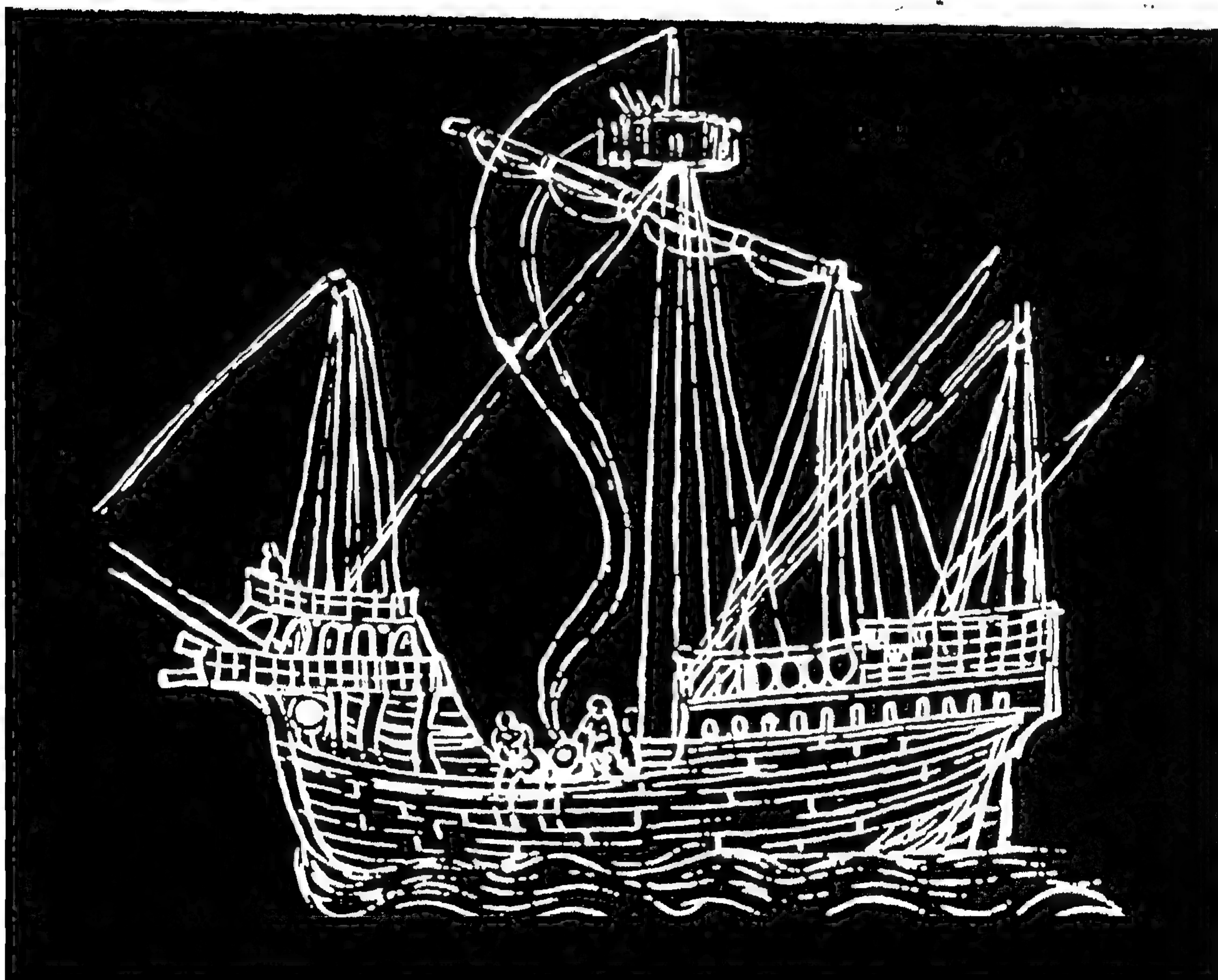
لوحة رقم ٣٠

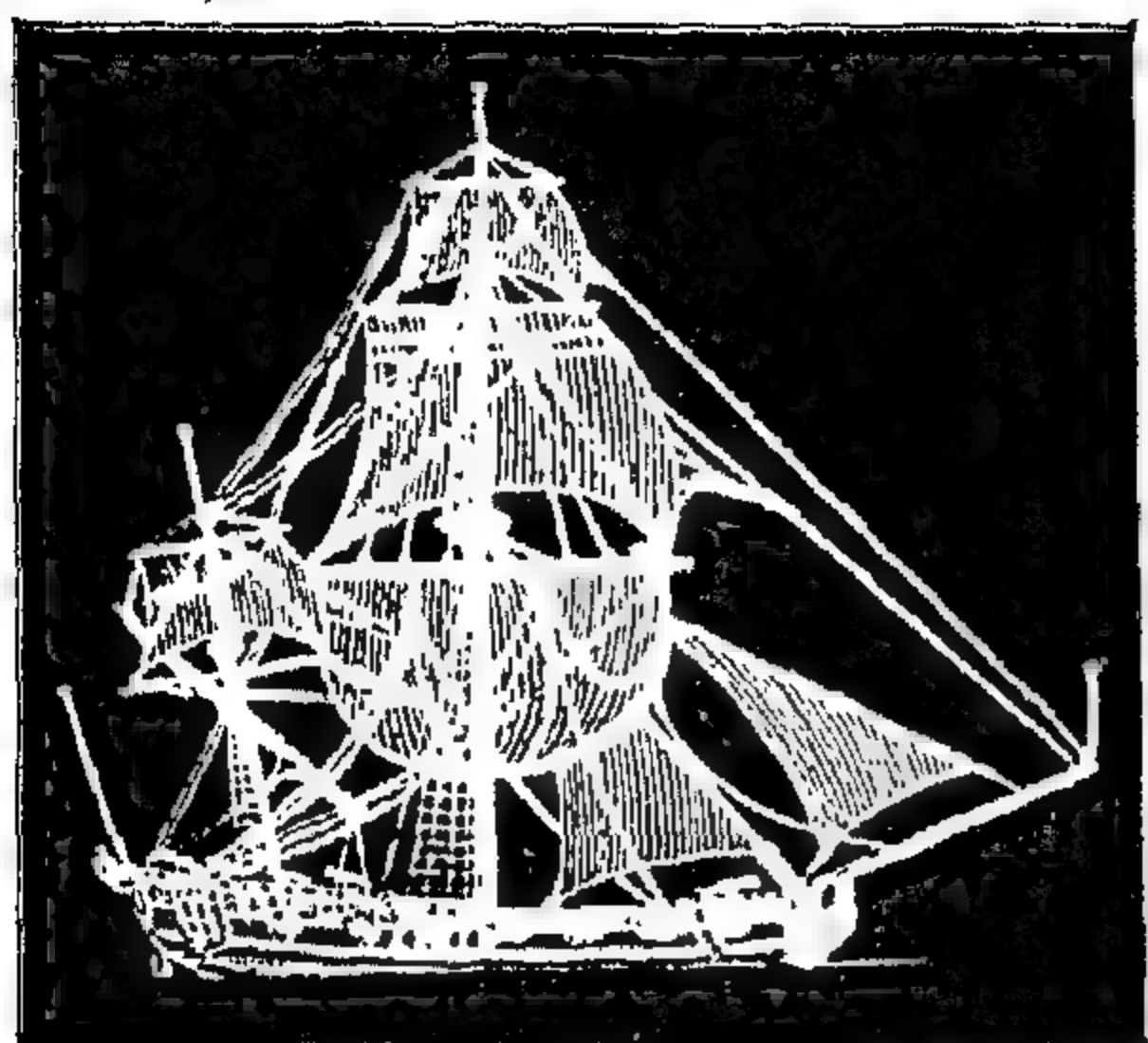




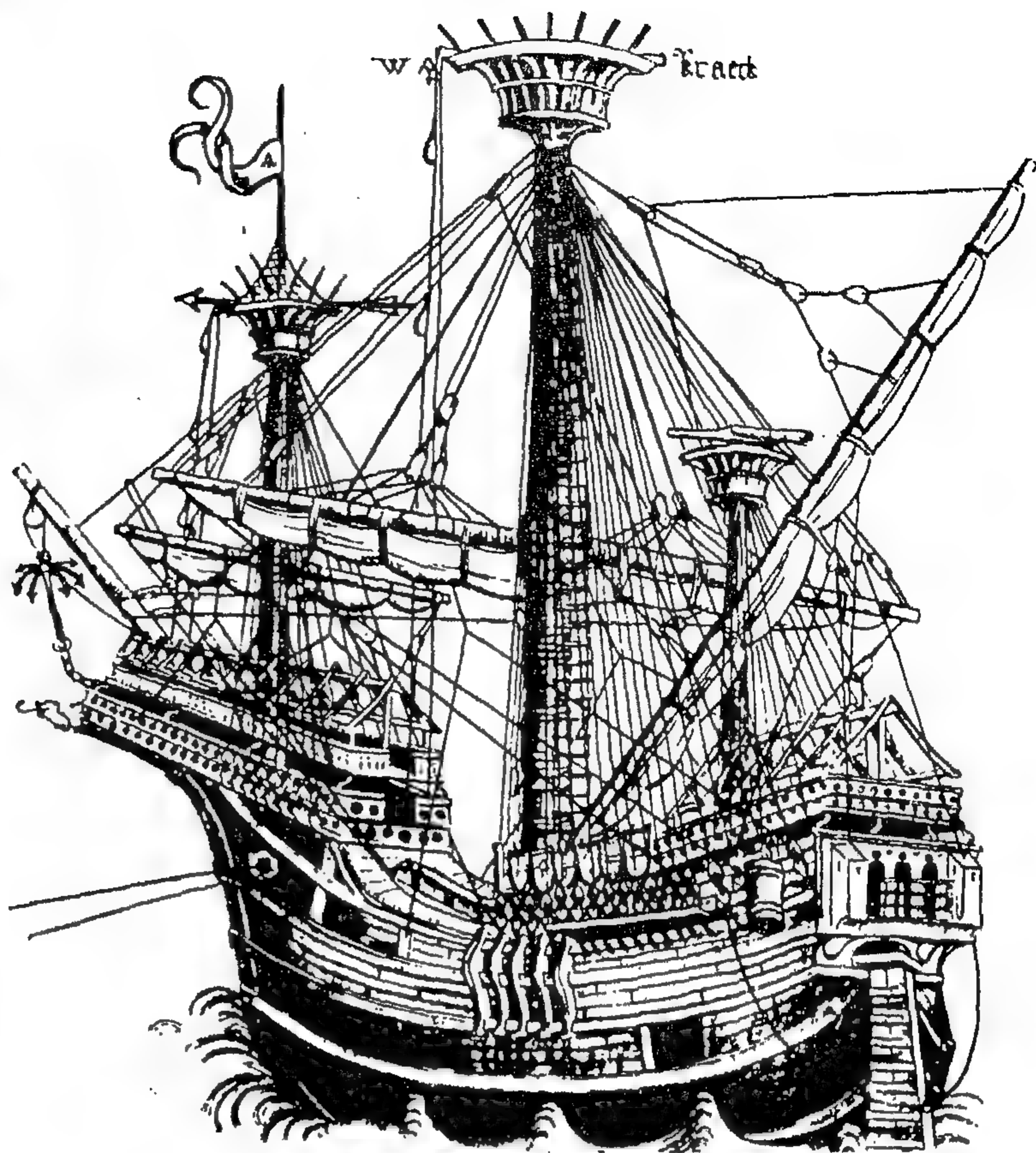
لوحة رقم ٣٠ - ب

لوحة رقم ٣١

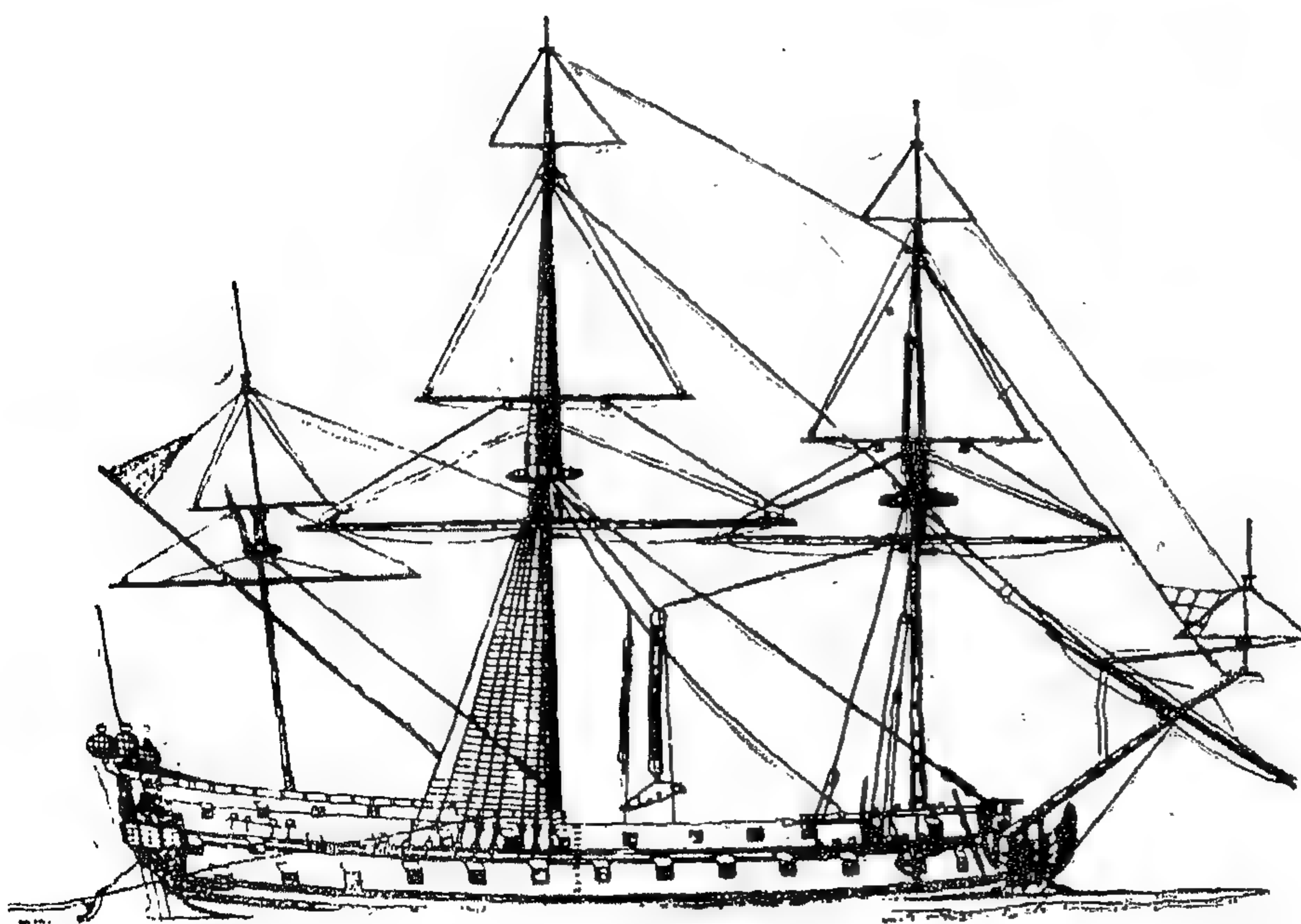




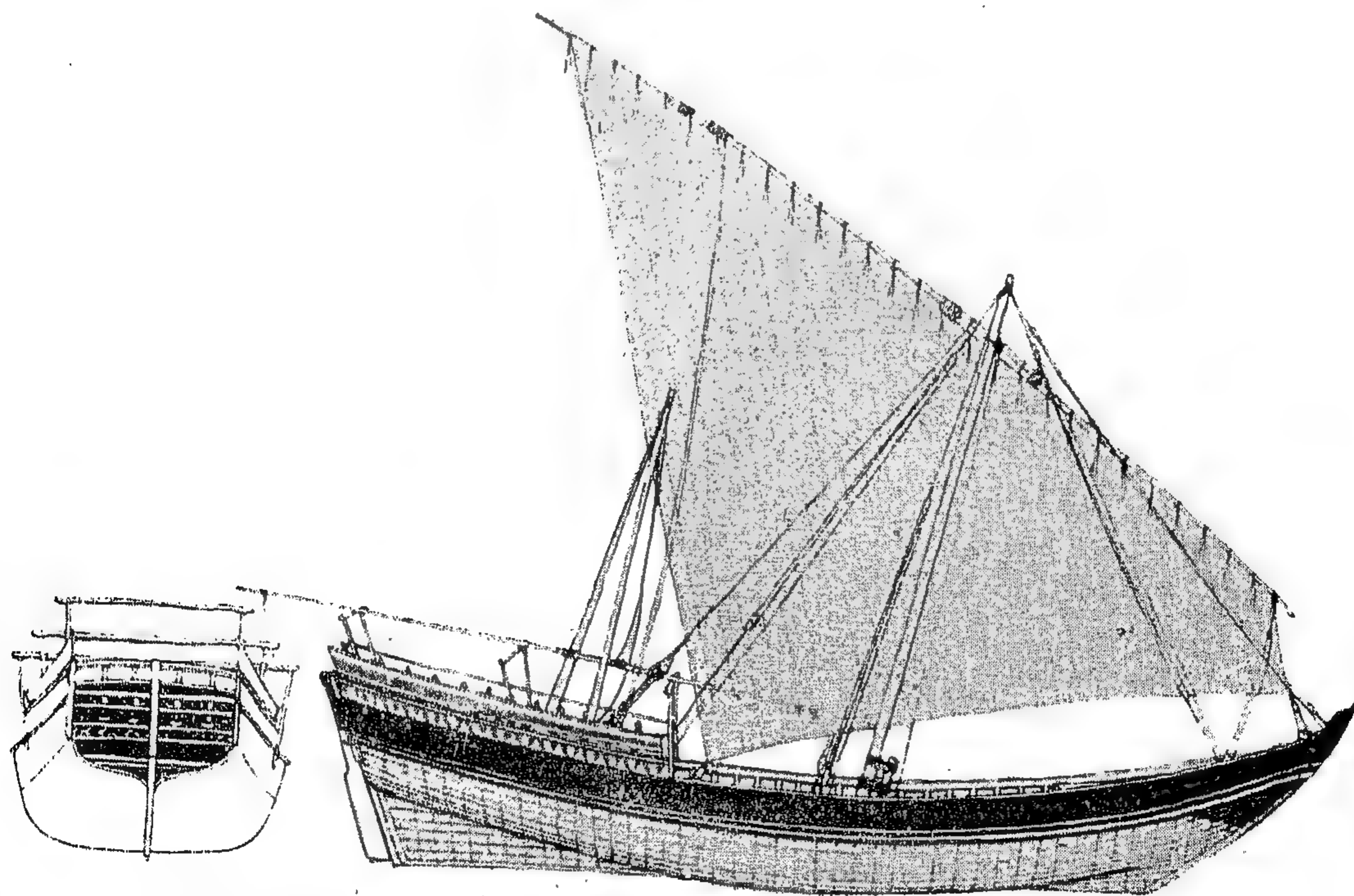
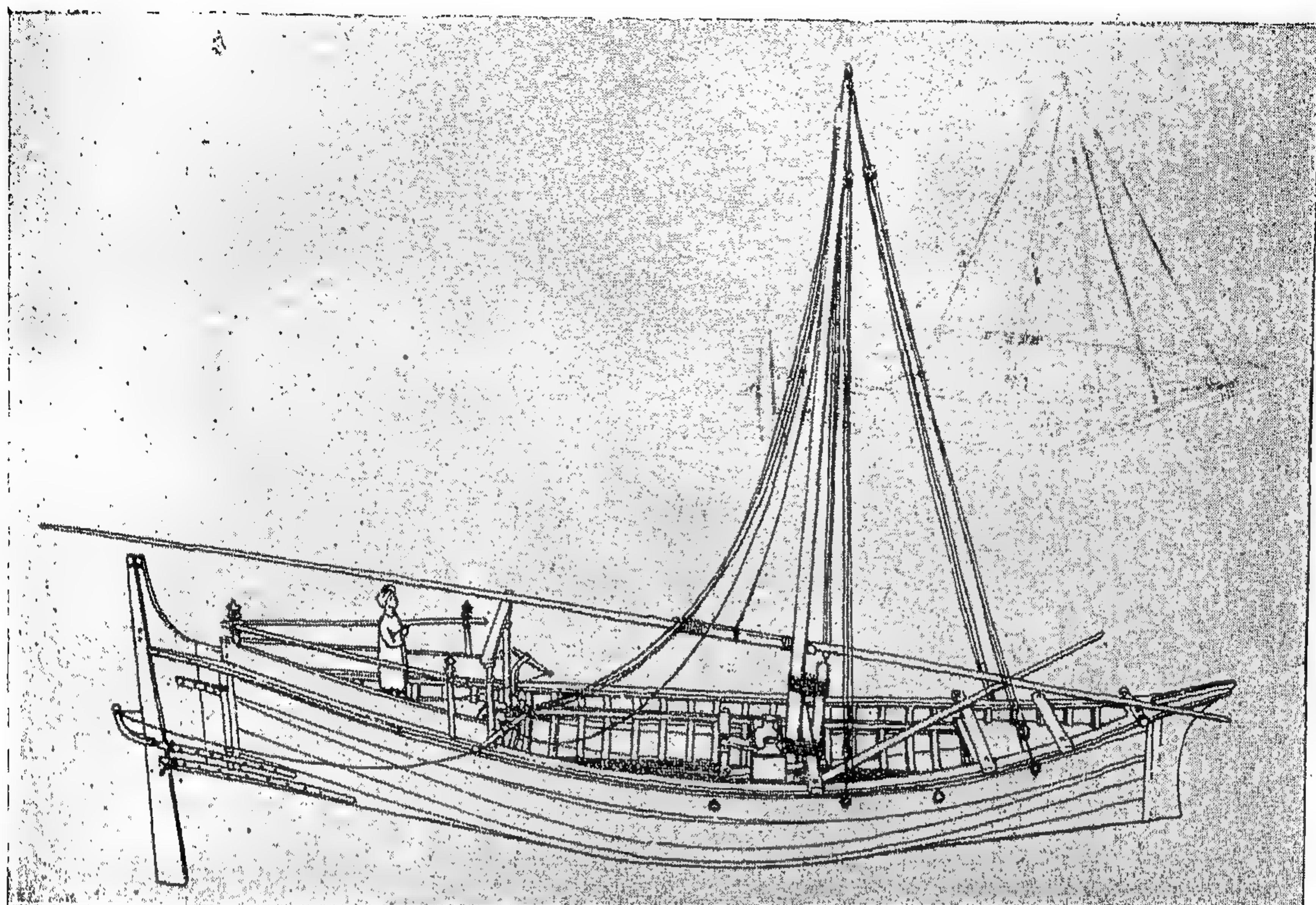
لوحة رقم ۳۳

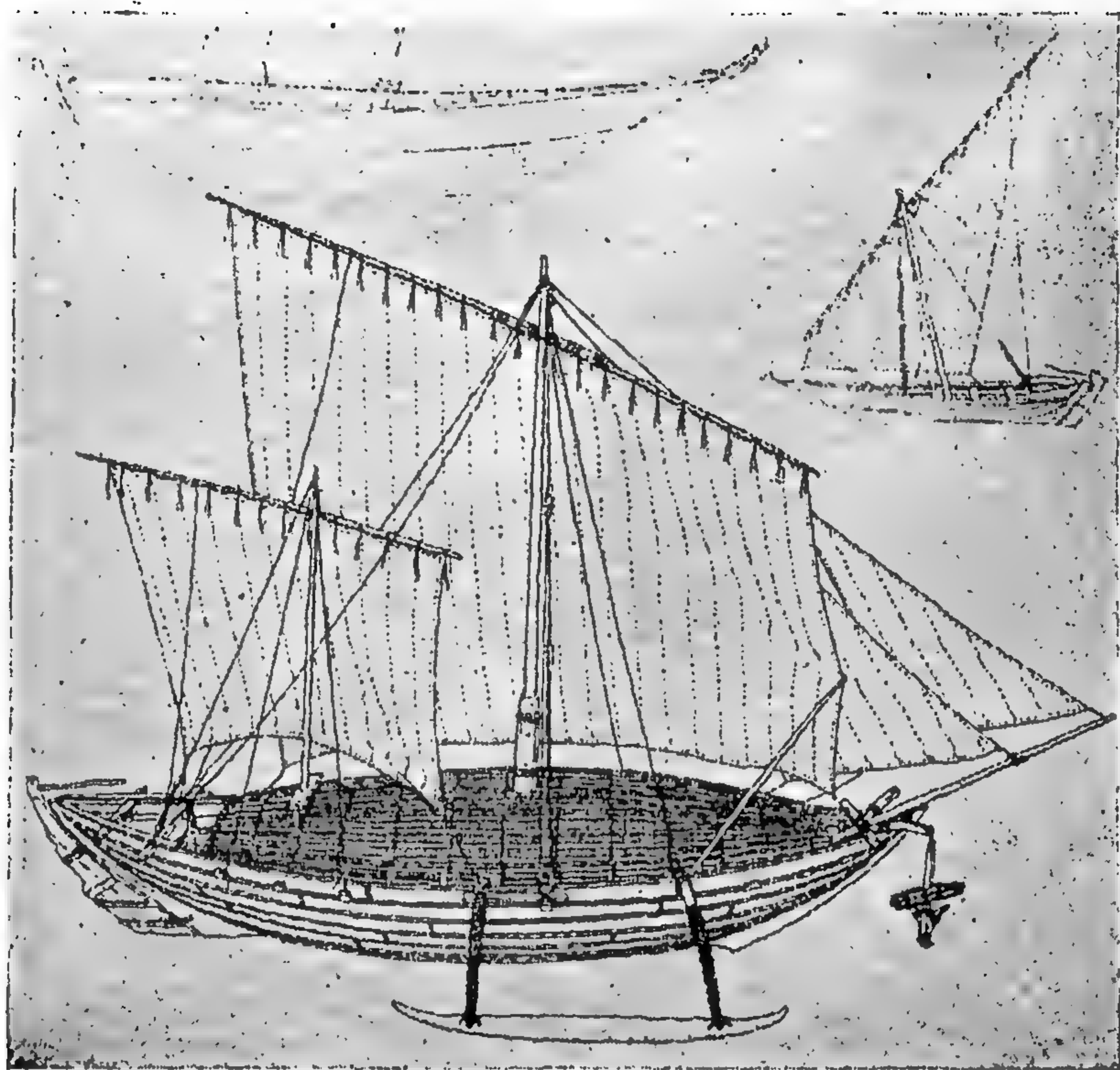


لوحة رقم ۳۲



لوحة رقم ۳۴





لوحة رقم ۳۷

لوحة رقم ۳۸





لوحة رقم ٣٩



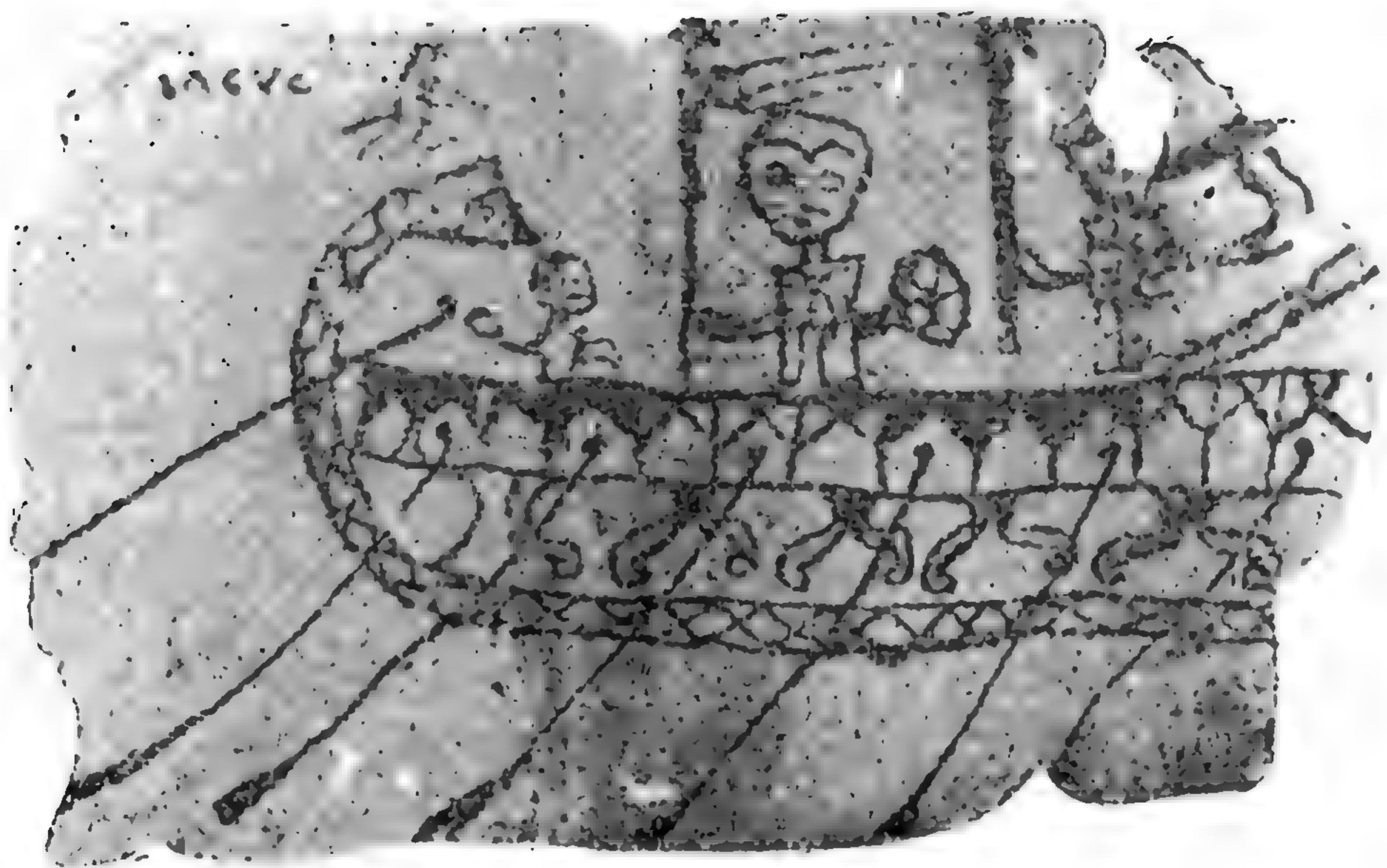
لوحة رقم ٤٠



لوحة رقم ٤١

لوحة رقم ٤٢





لوحة رقم ٤٣

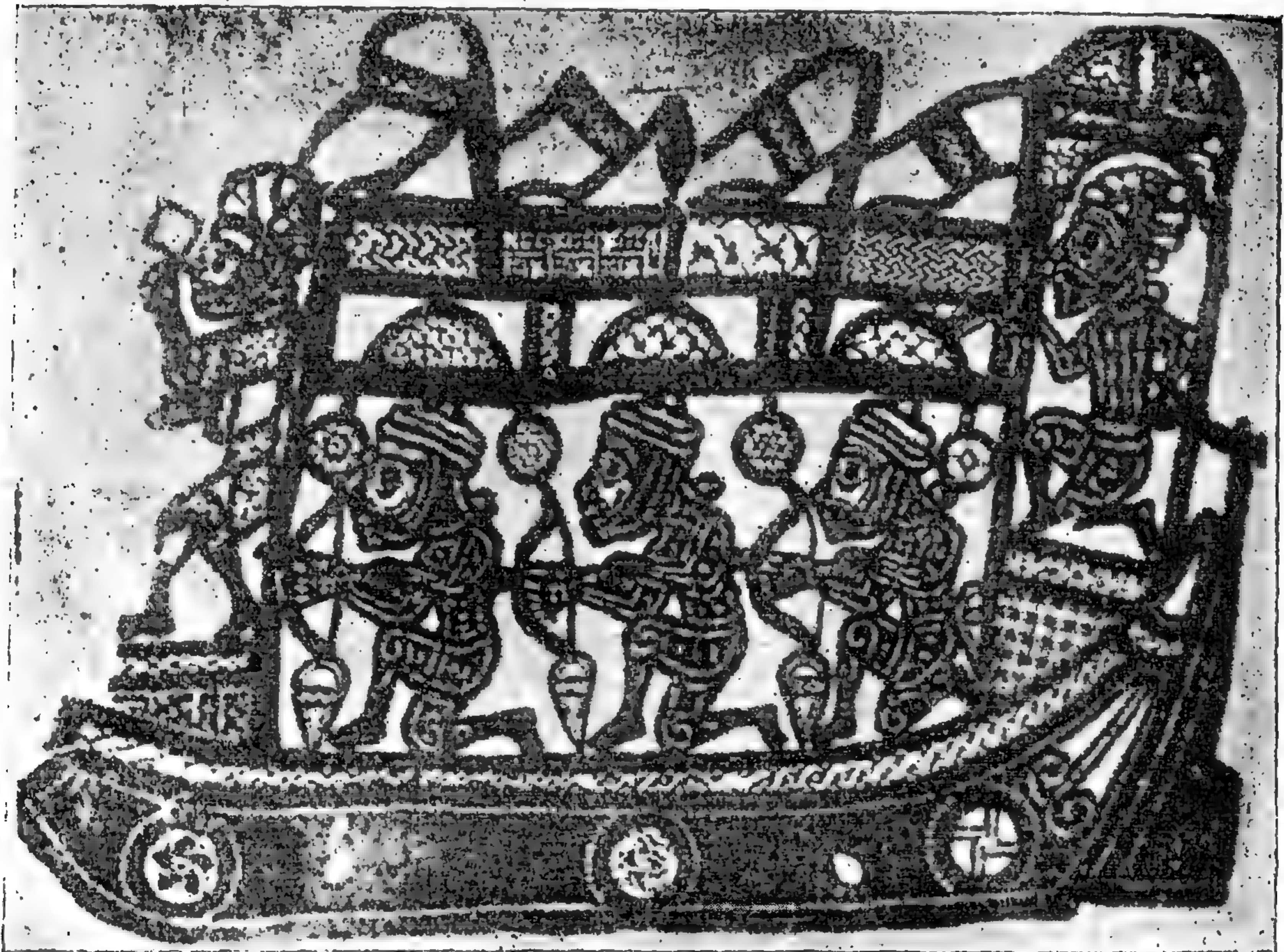
لوحة رقم ٤٤



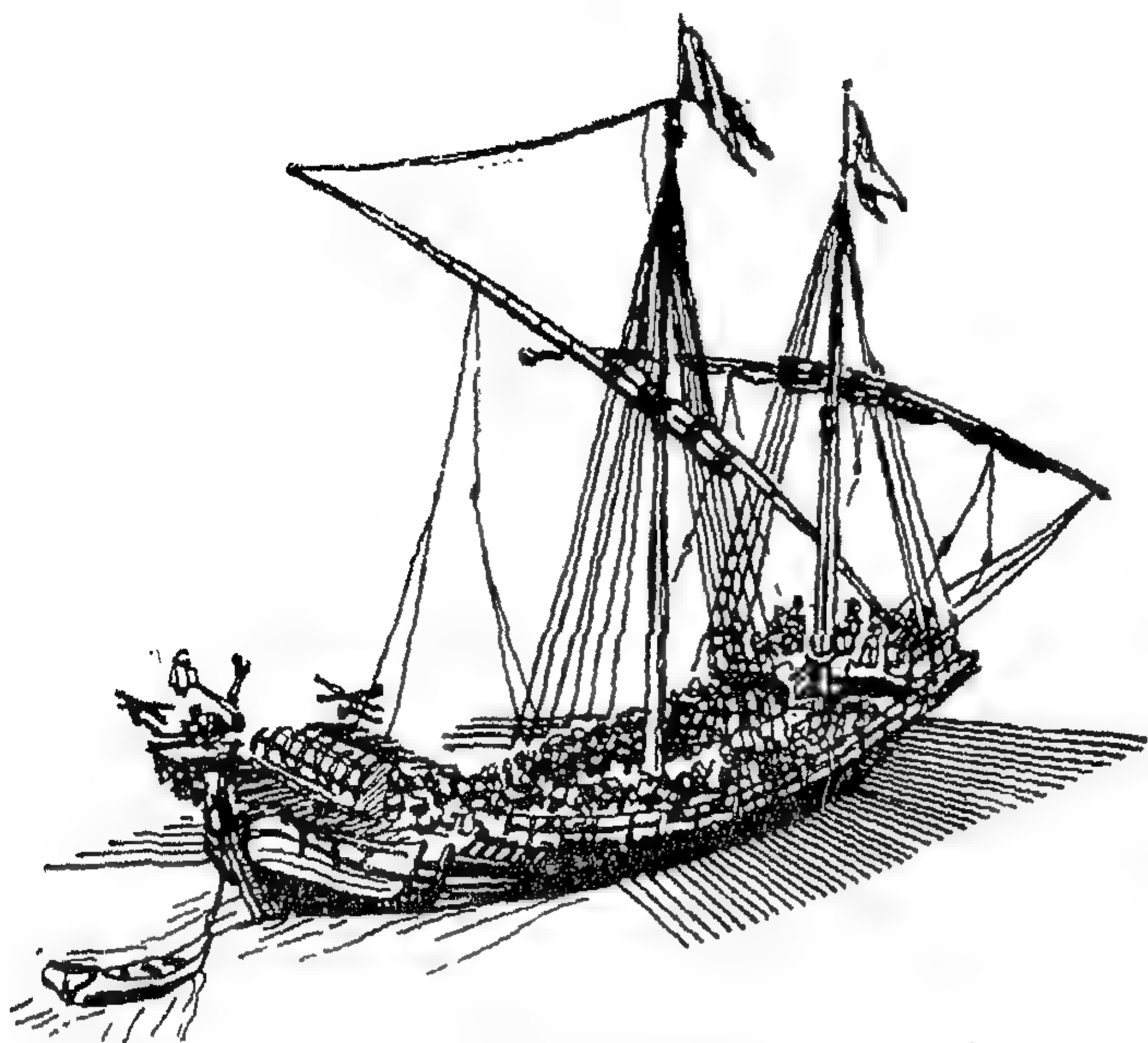


لوحة رقم ٤٥

لوحة رقم ٤٦

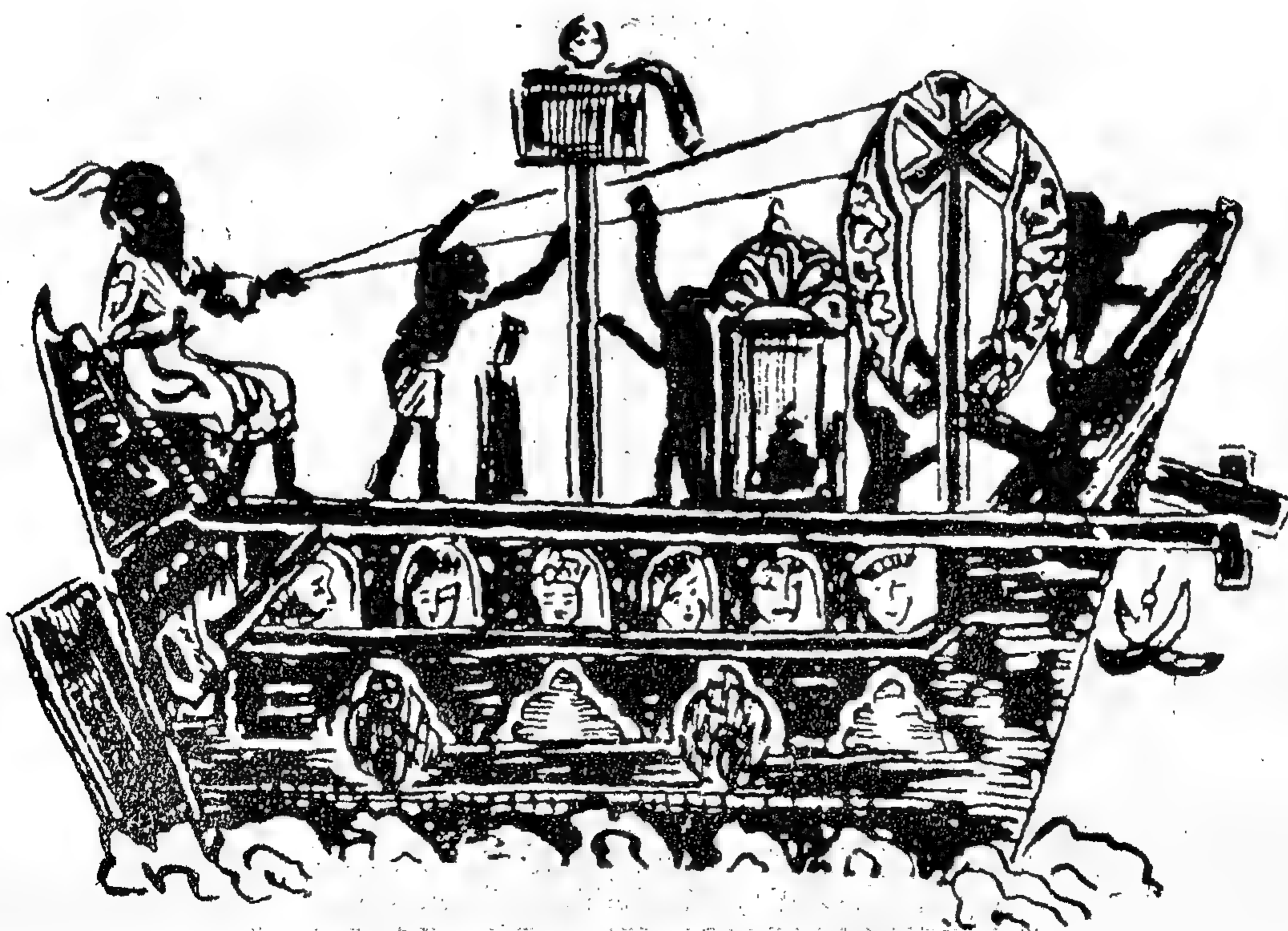


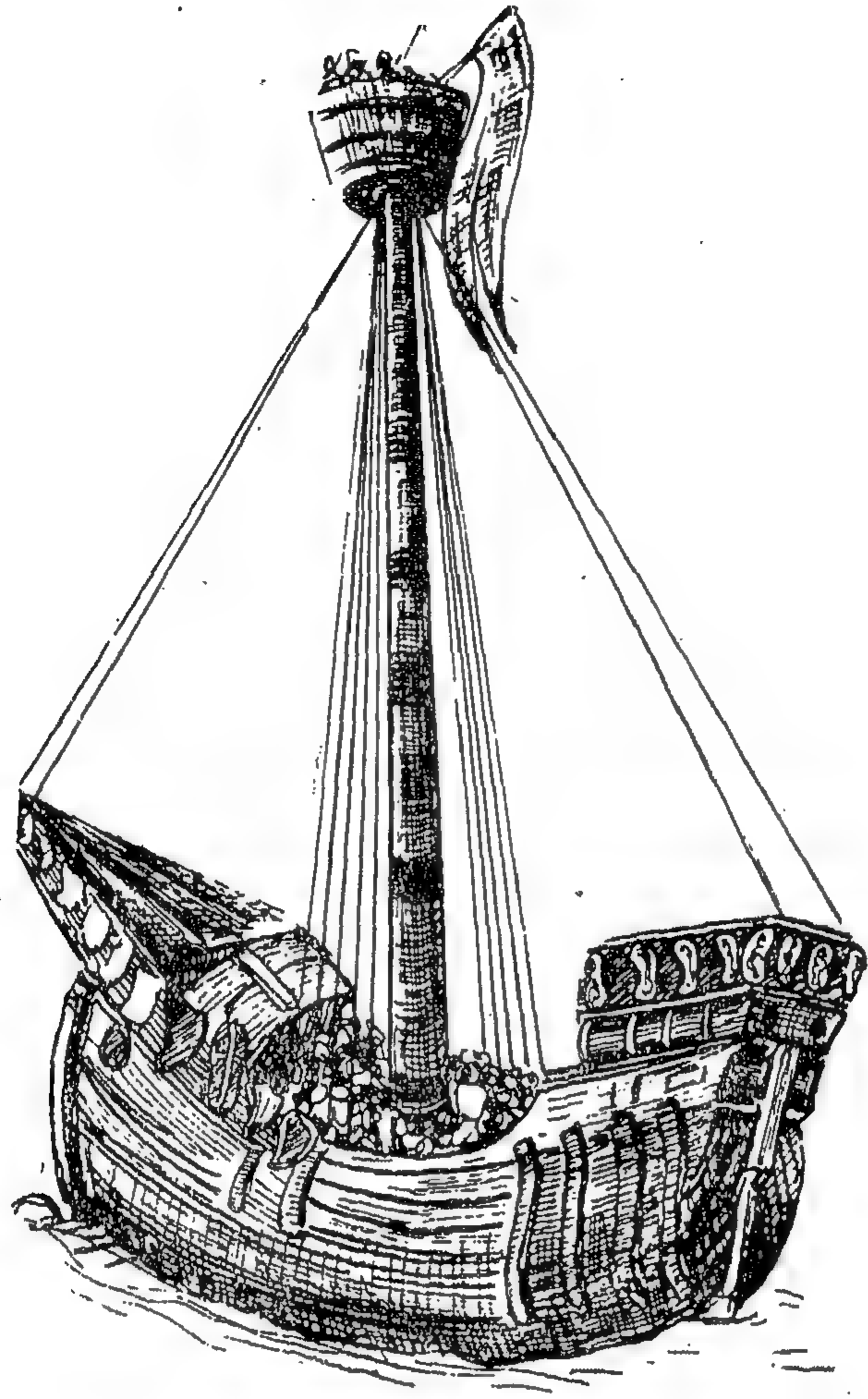




لوحة رقم ٤٨

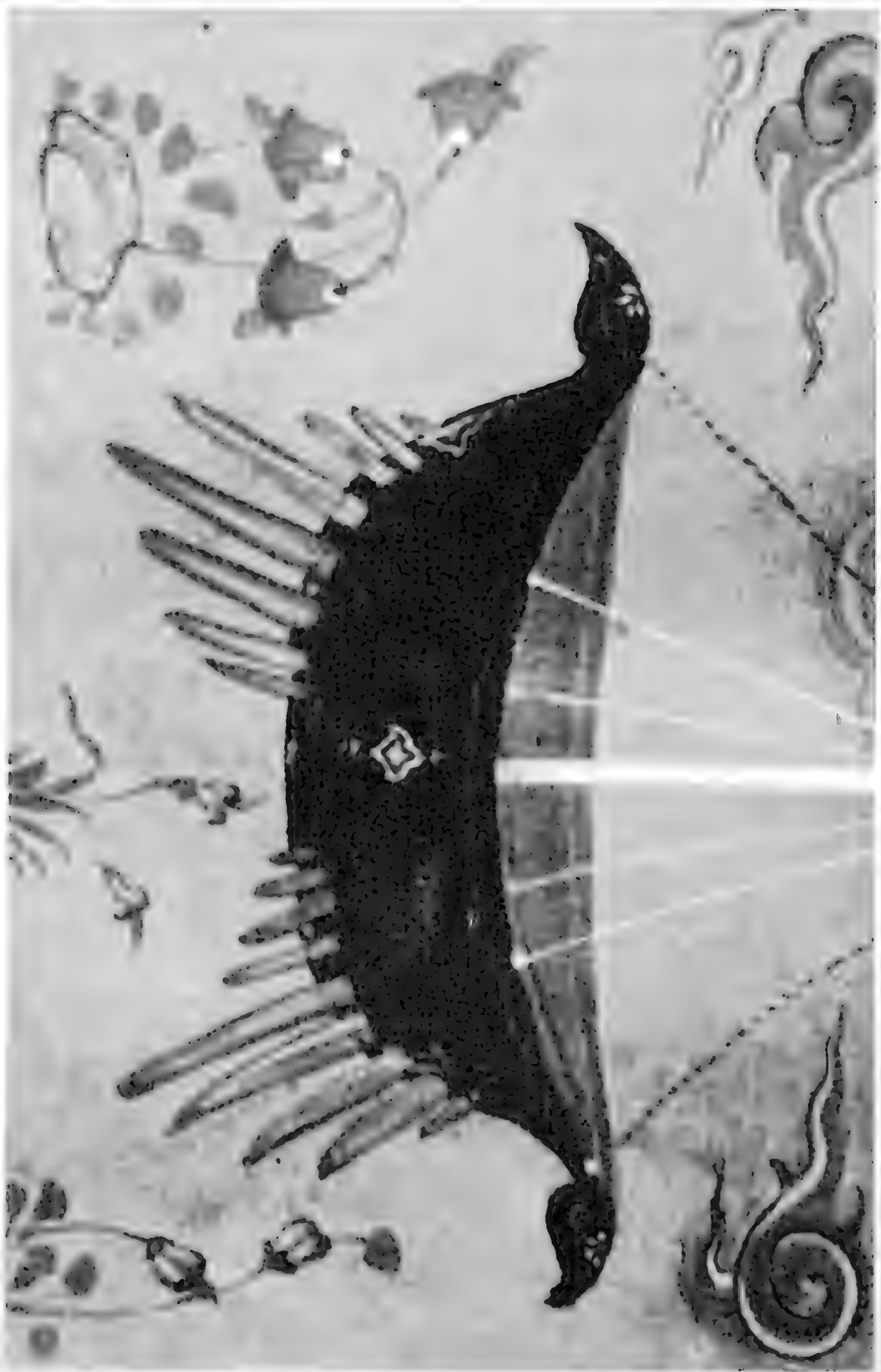
لوحة رقم ٤٩





لوحة رقم ٥٠







لوحة رقم ٥٢







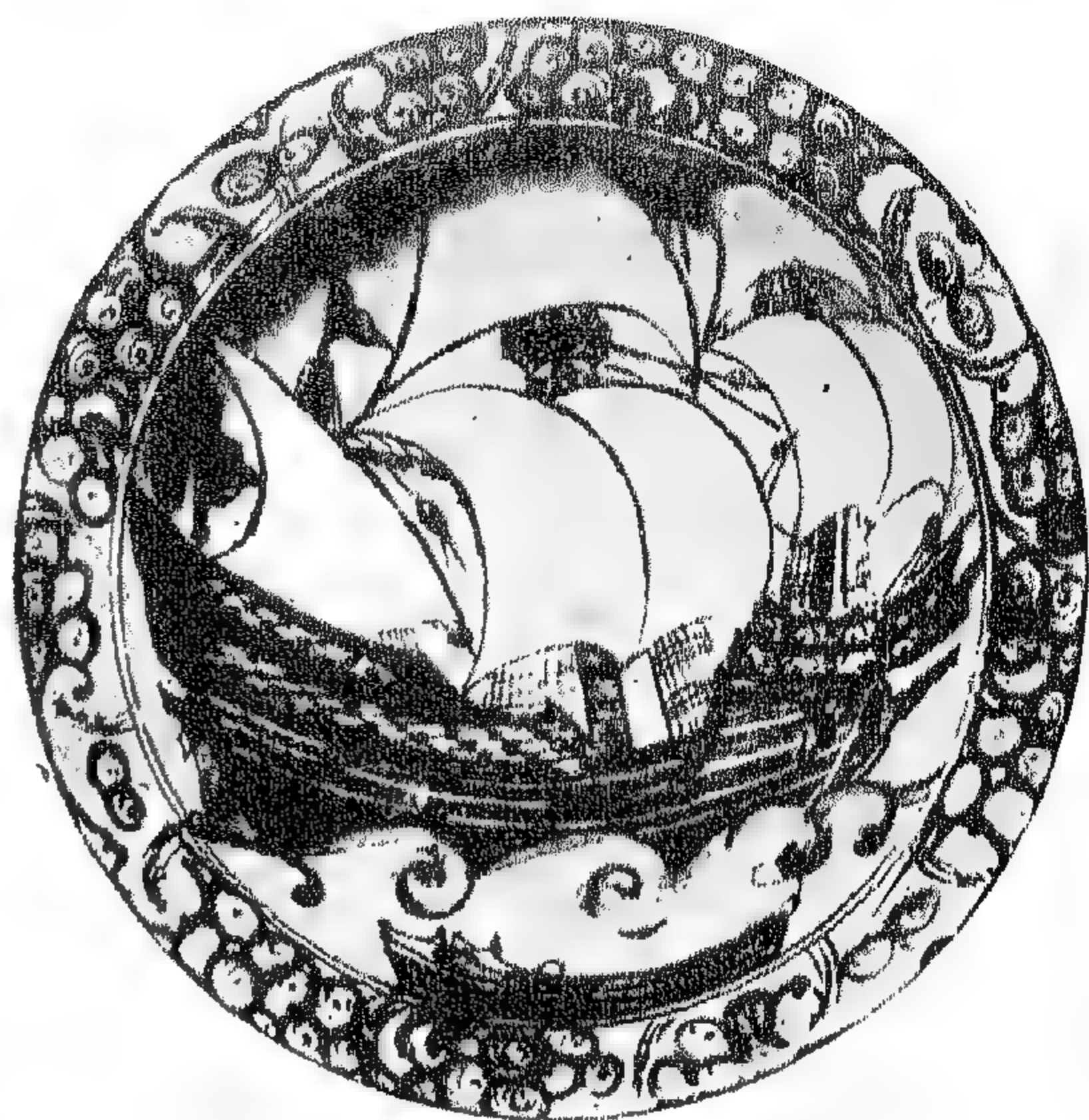
لوحة رقم ۵۴



لوحة رقم ۵۶



لوحة رقم ٦٠



لوحة رقم ٦١

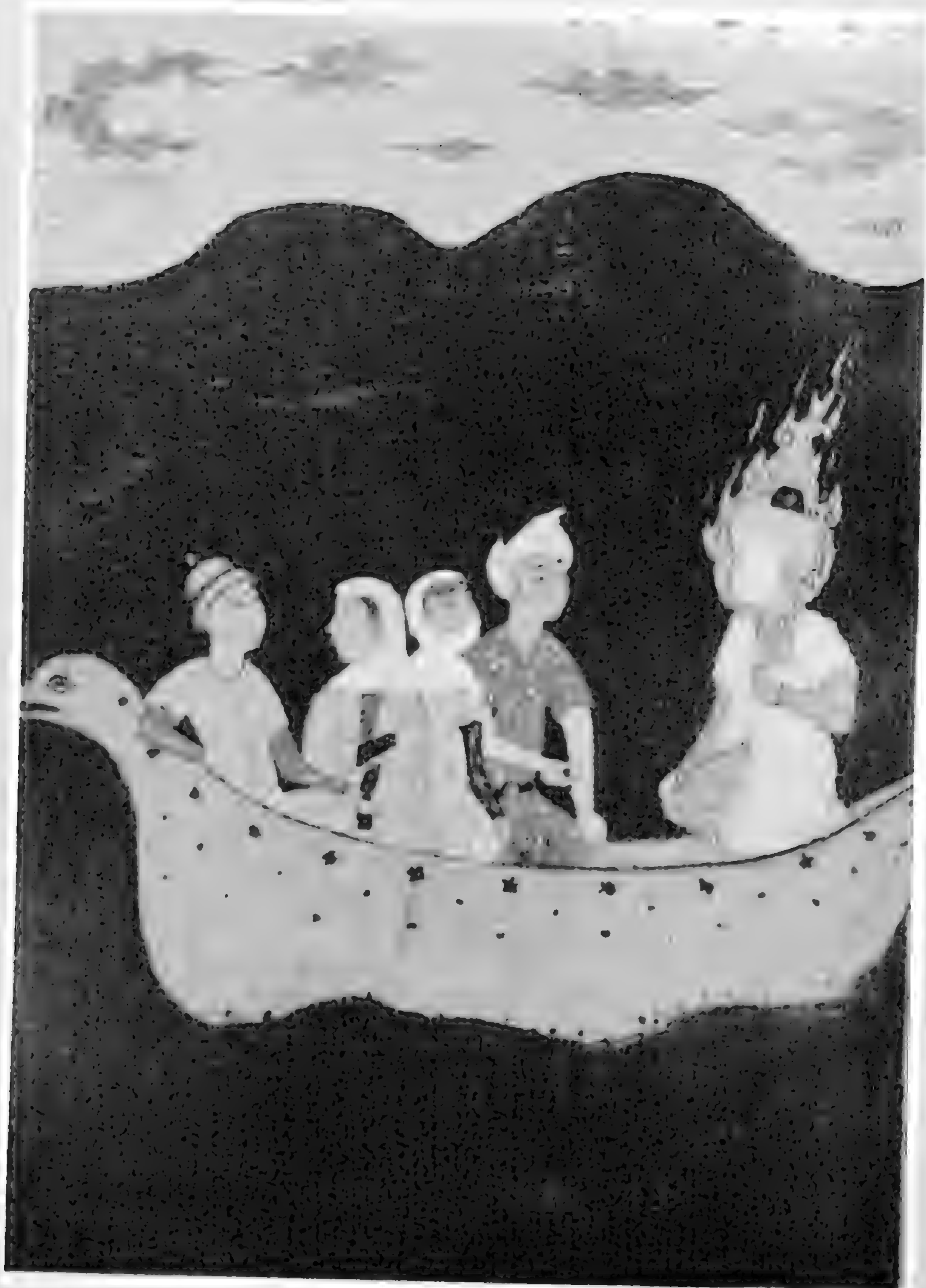


لوحة رقم ٦٣



لوحة رقم ٦٢

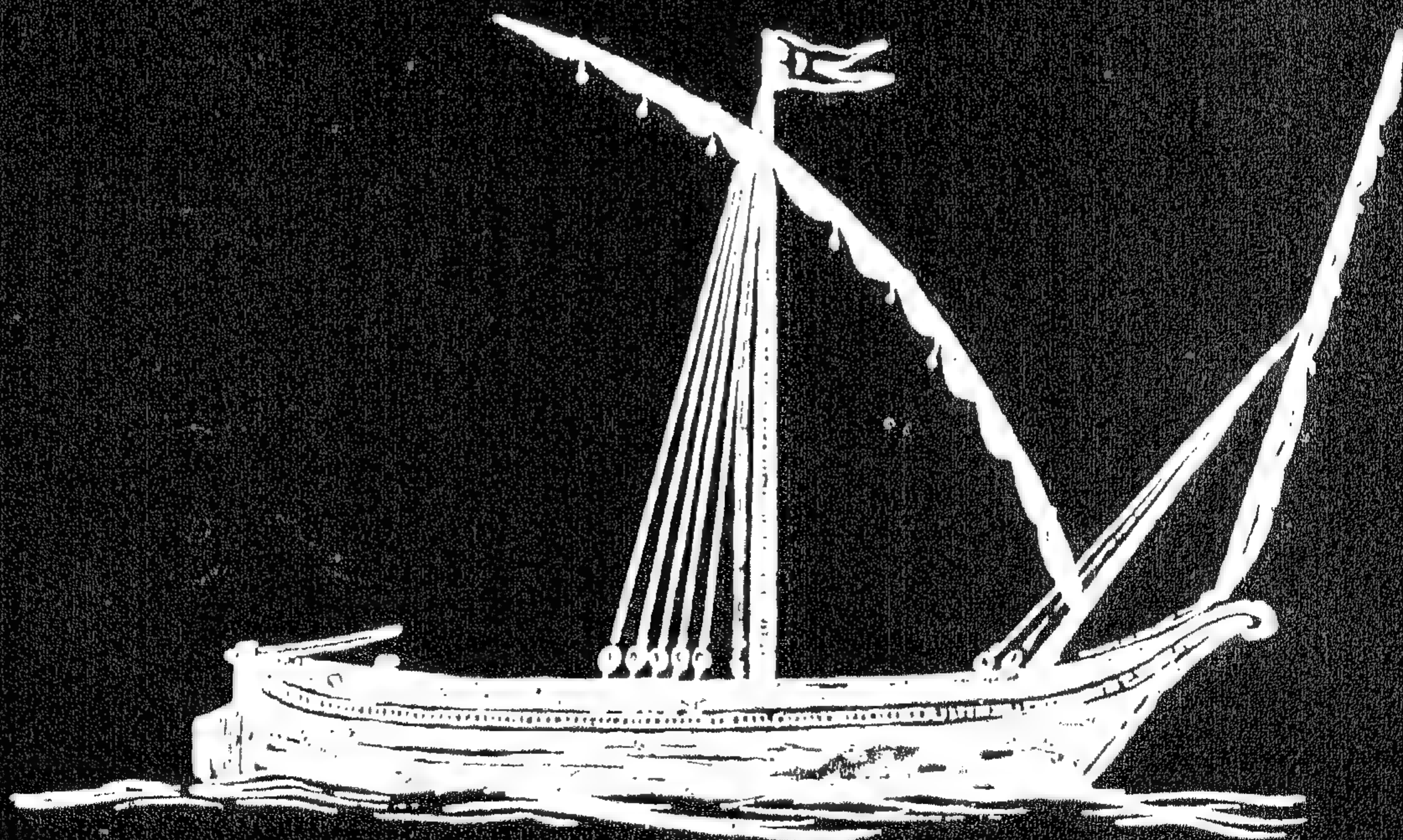
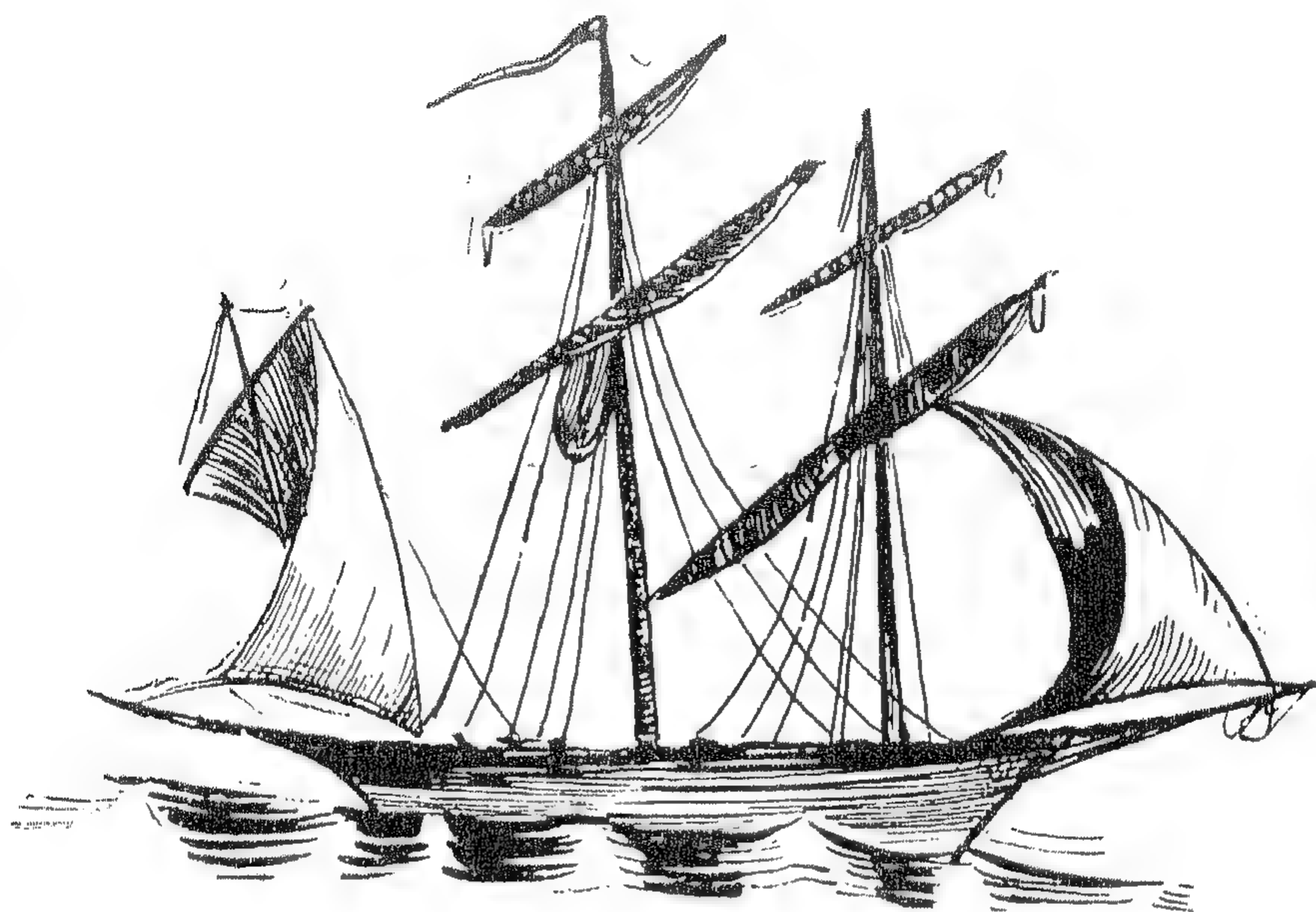




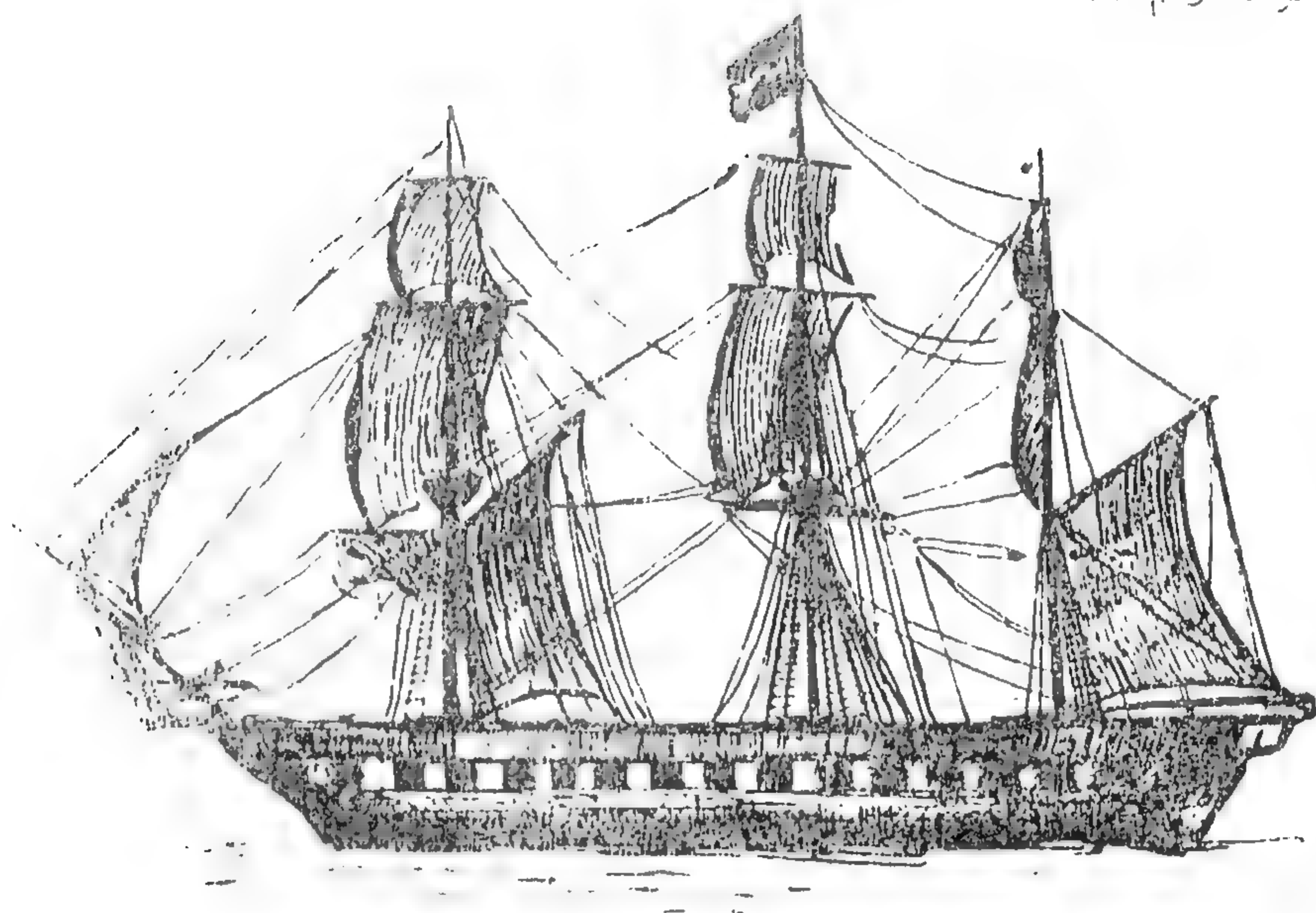




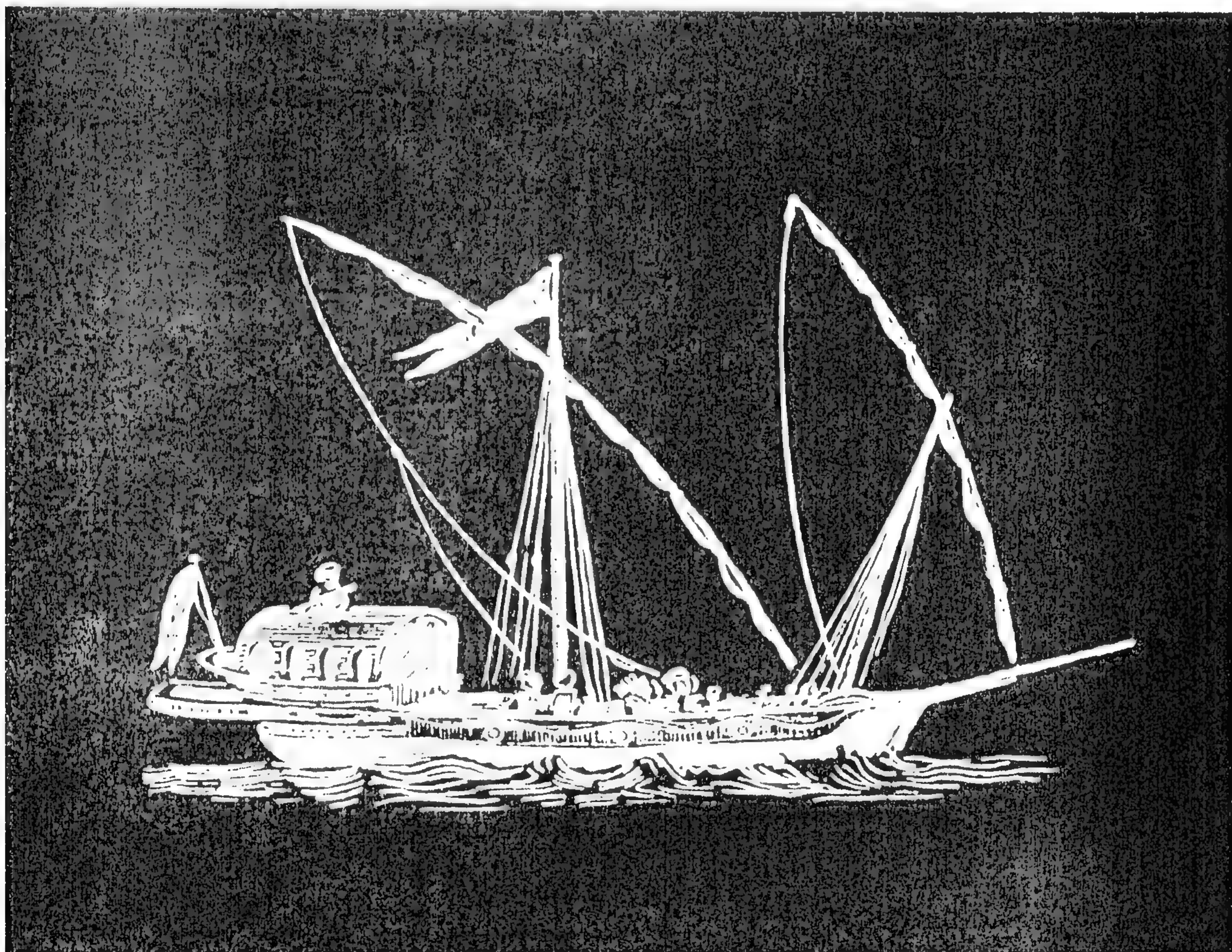
77-631

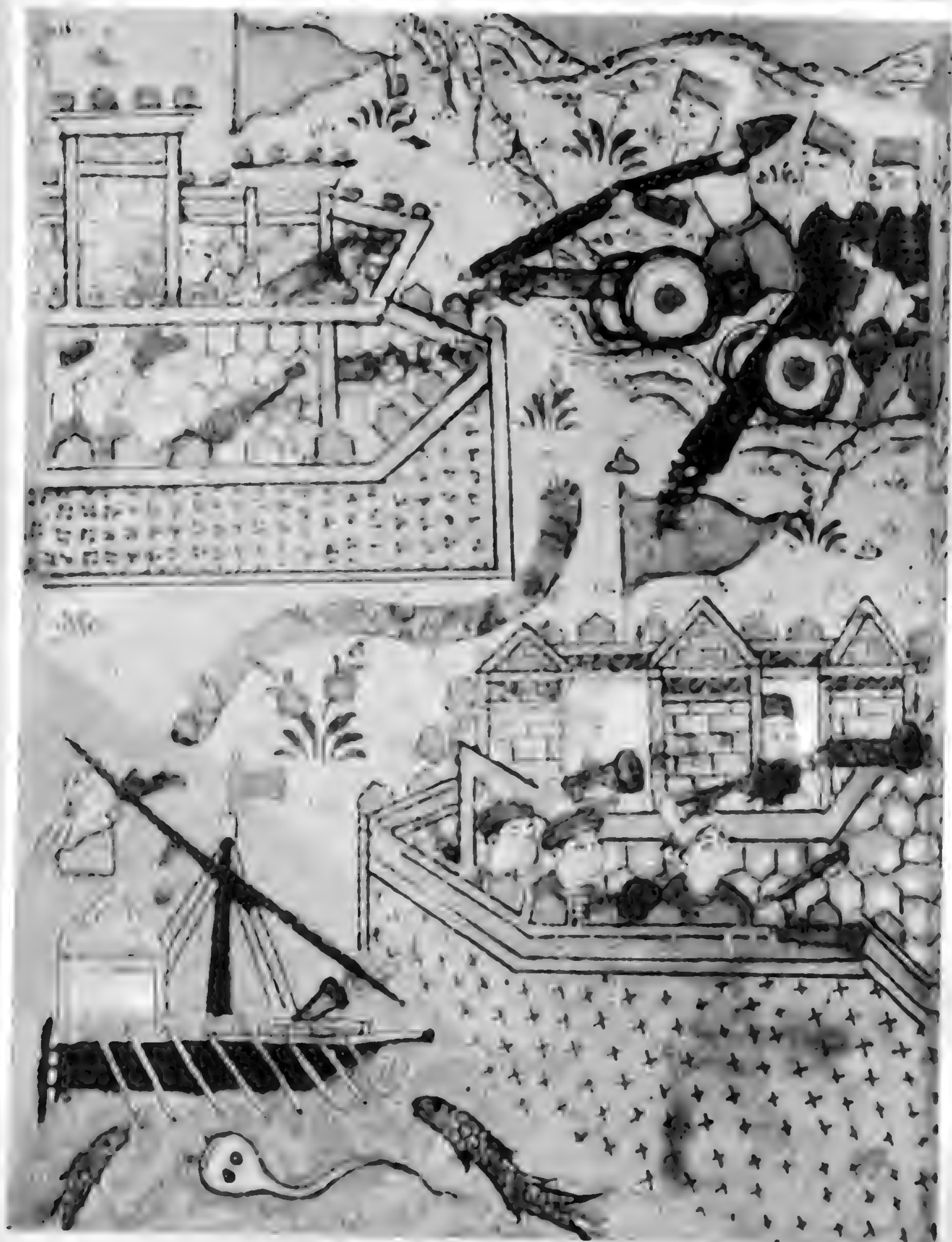


لوحة رقم ٦٩



لوحة رقم ٧٠



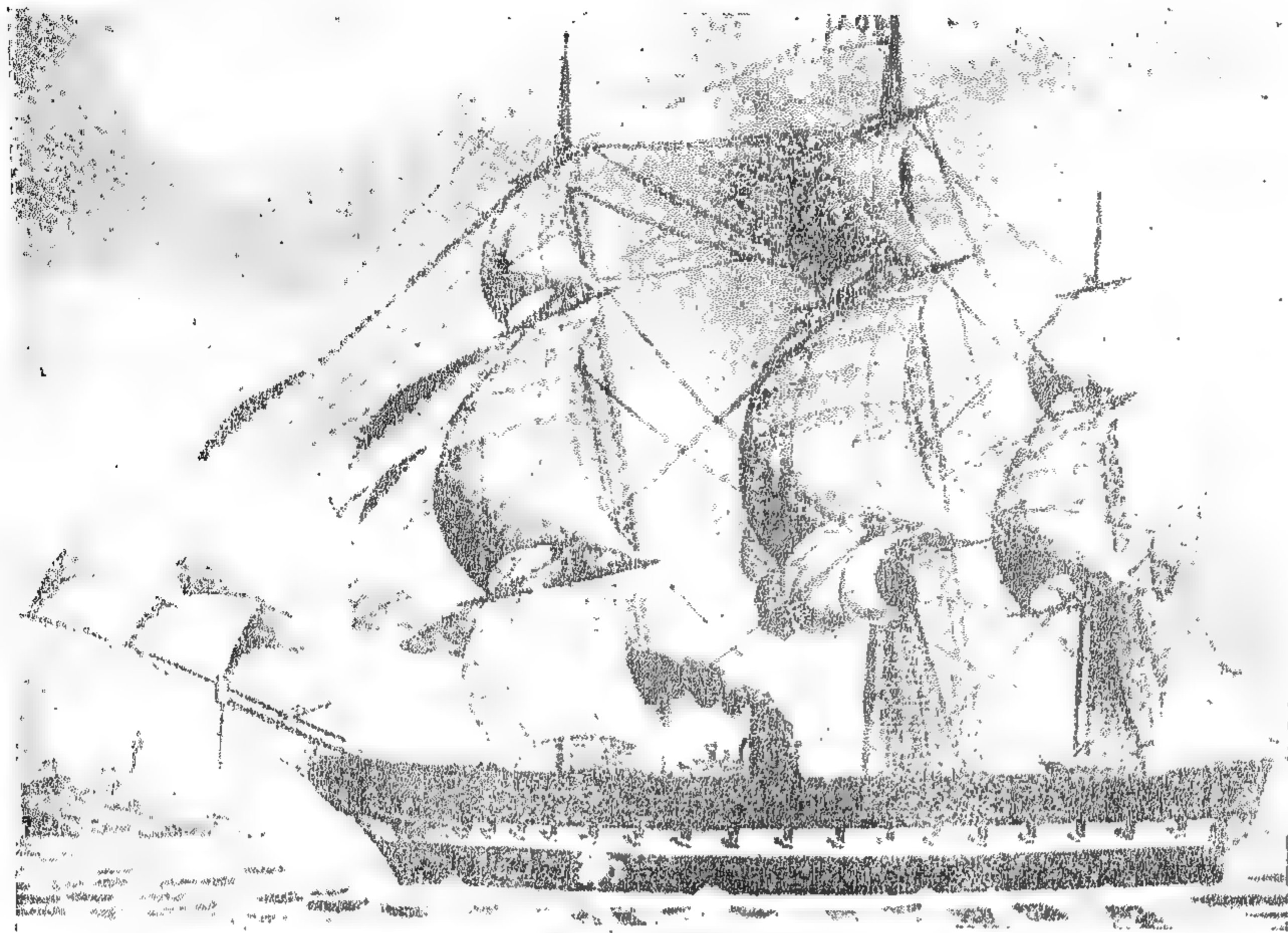


لوحة رقم ٧١

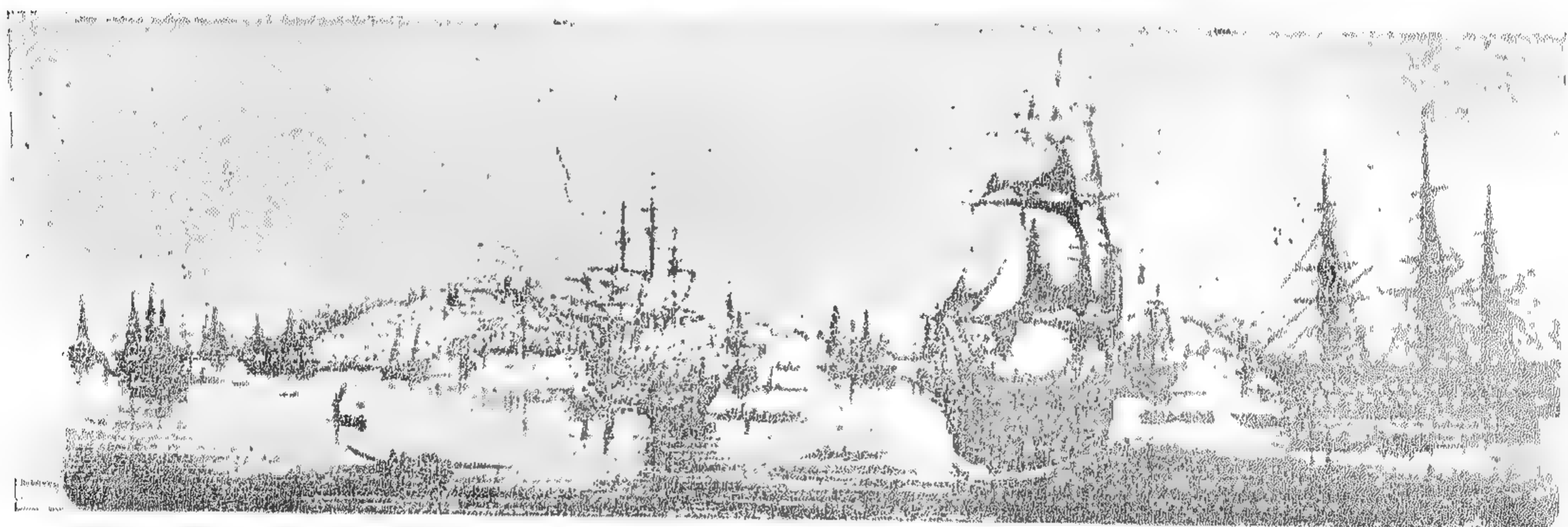


لوحة رقم ١٢

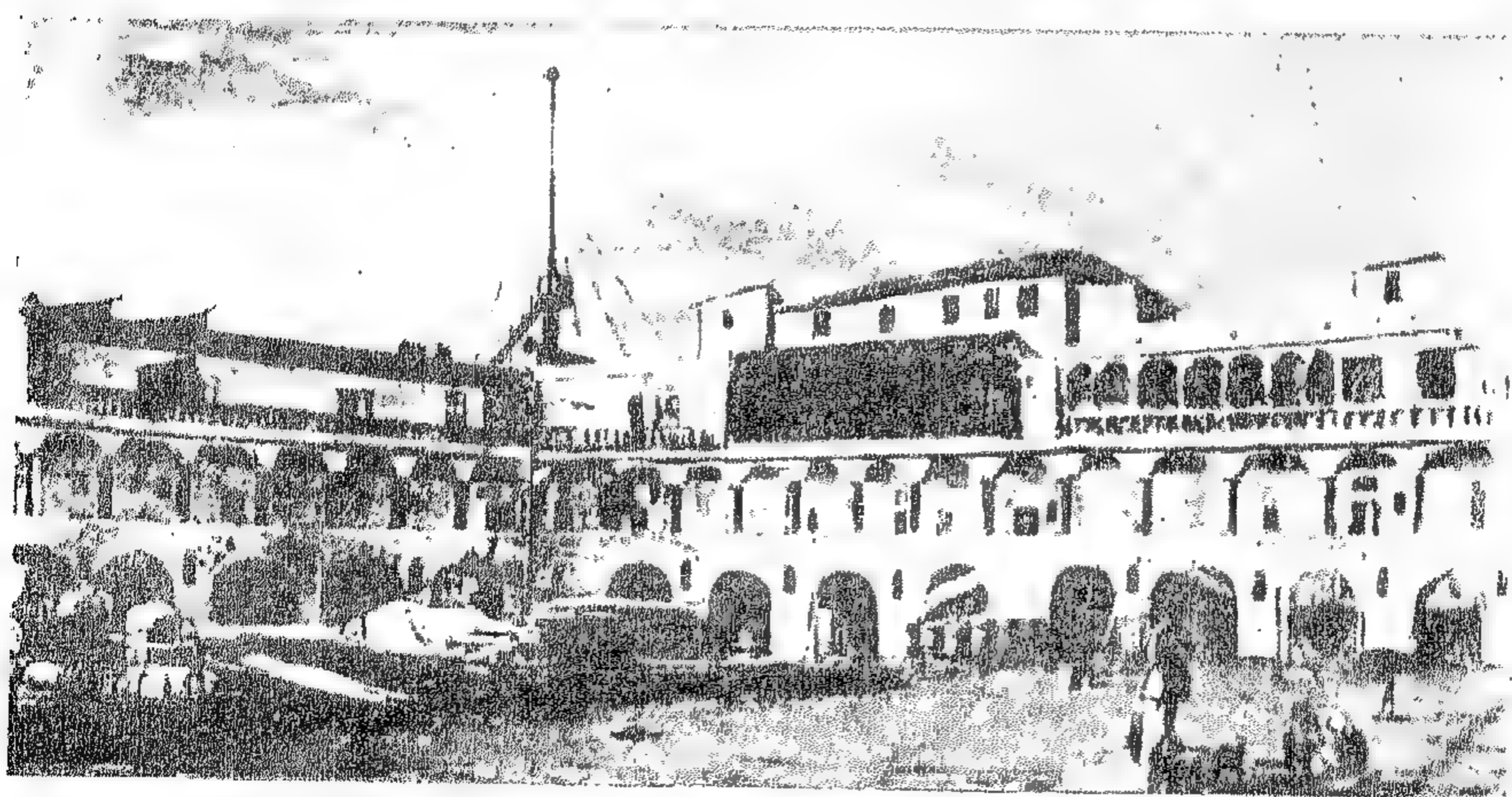
لوحة رقم ٧٣



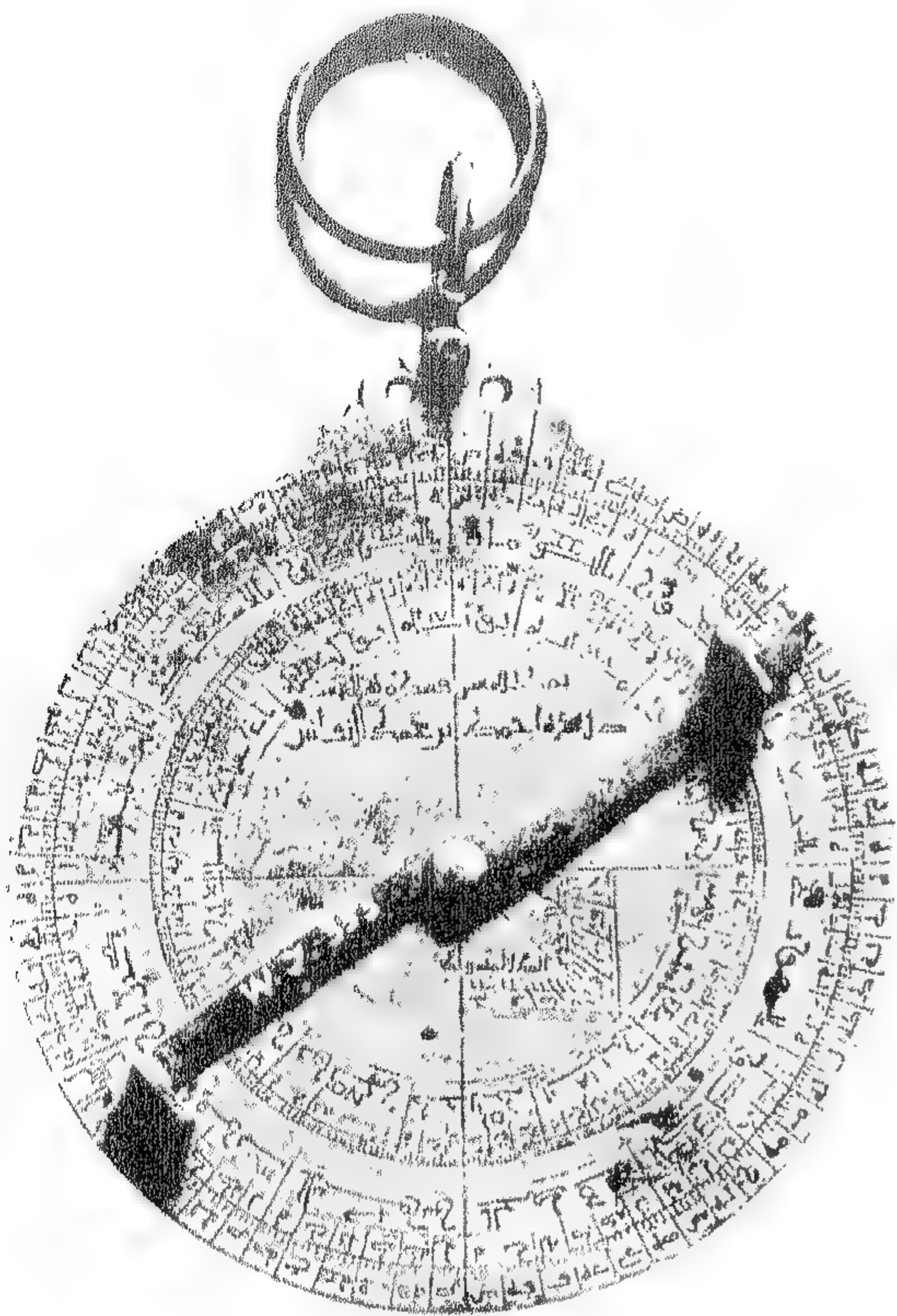
لوحة رقم ٧٤



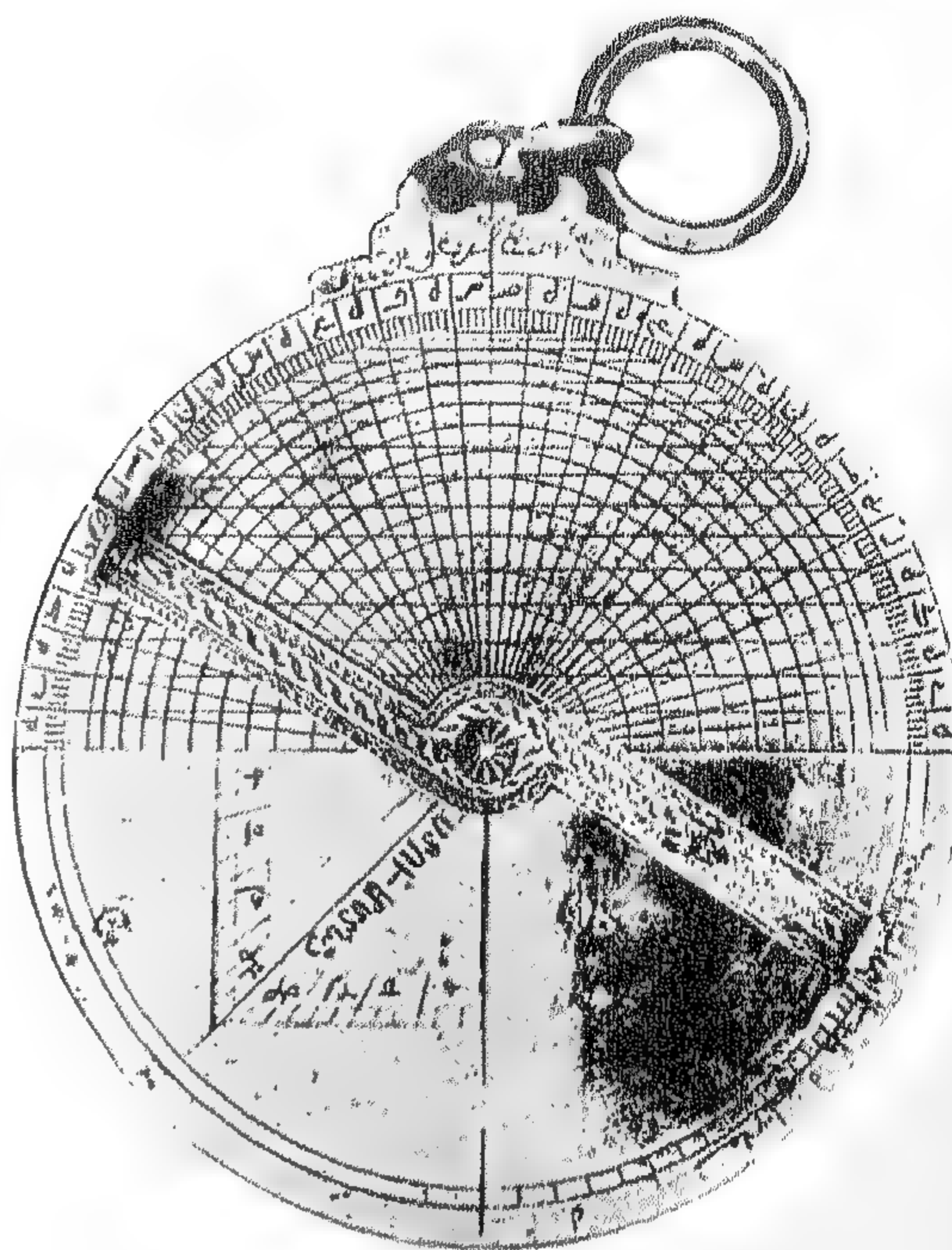
لوحة رقم ٧٥



لوحة رقم ٧٧



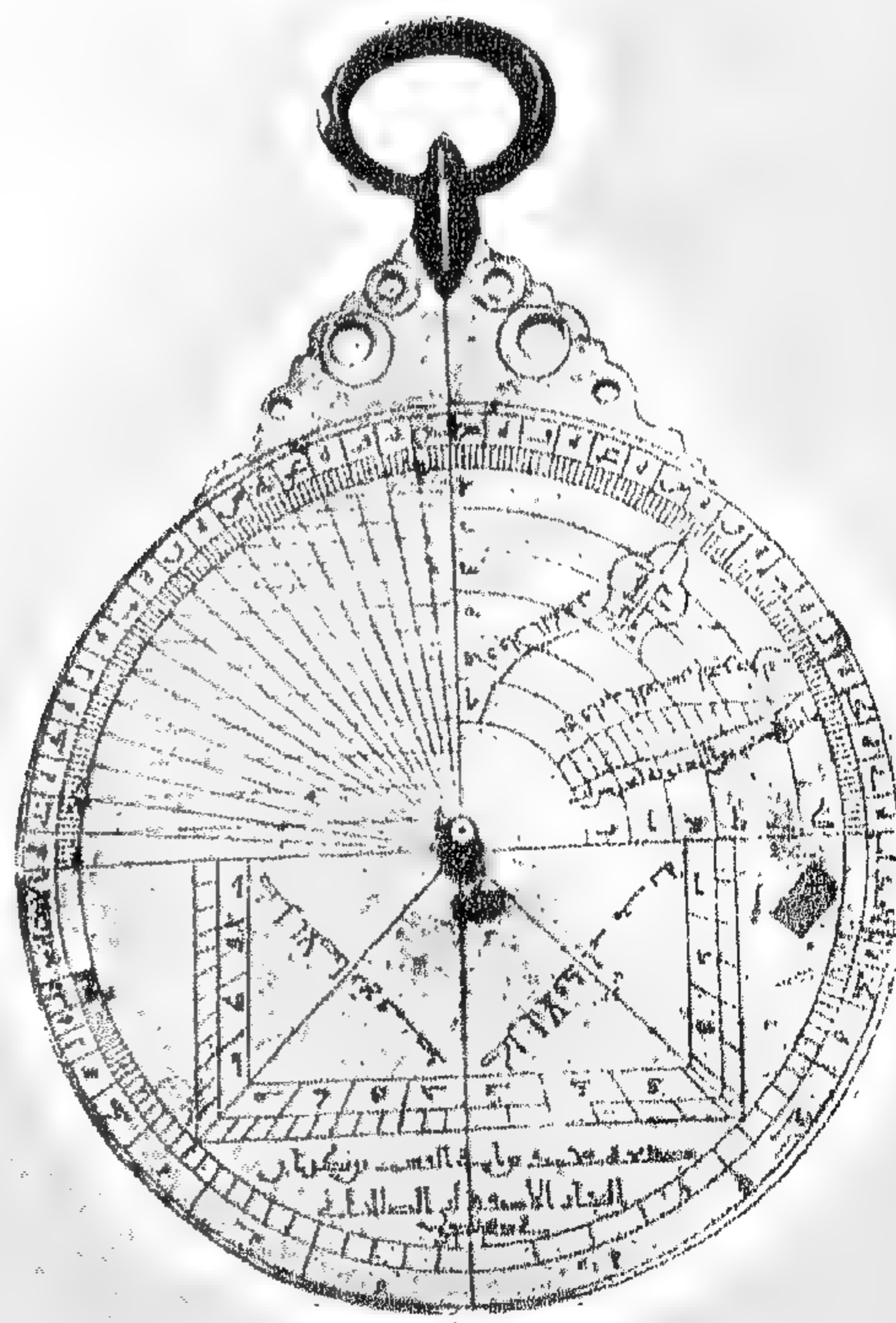
لوحة رقم ٧٦



لوحة رقم ٧٩



لوحة رقم ٧٨



عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد

ك	ل	هـ
---	---	----

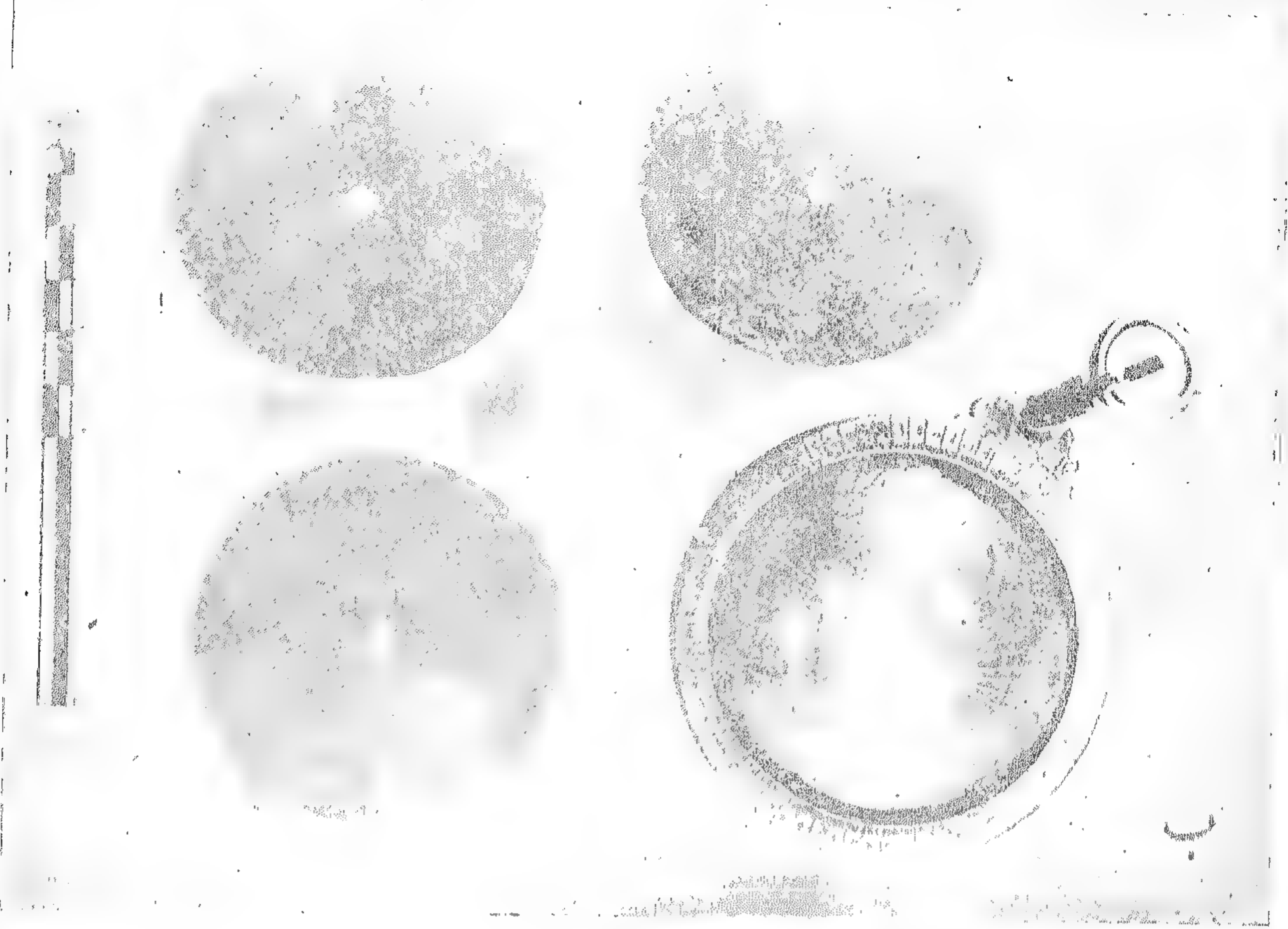
عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد



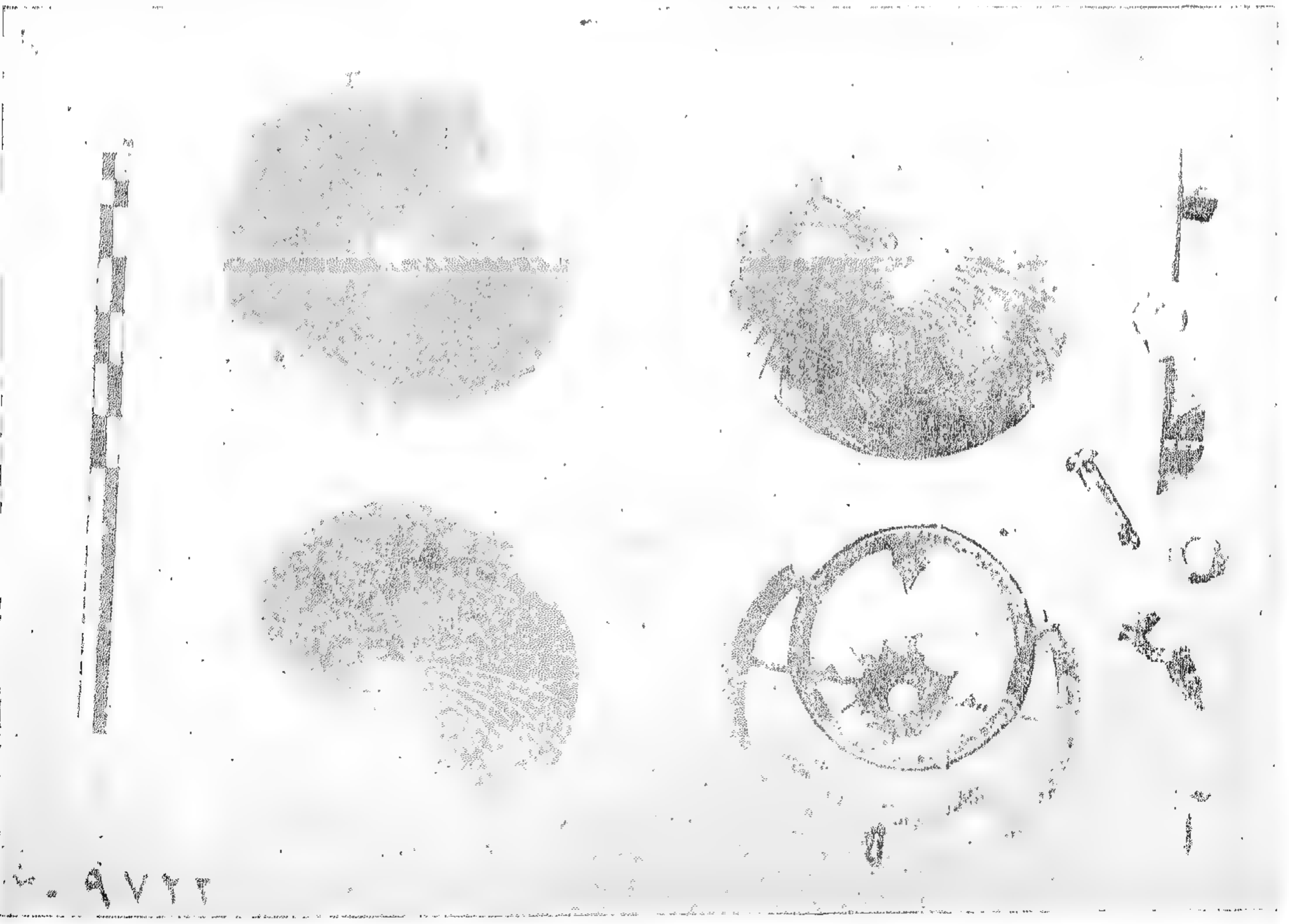
من عبيدك من عبيدك
من عبيدك من عبيدك
المصنف الجليل

من عبيدك من عبيدك
المصنف الجليل
المصنف الجليل
المصنف الجليل
المصنف الجليل
المصنف الجليل

لوحة ٨٢ - ب



لوحة ٨٢ - ١



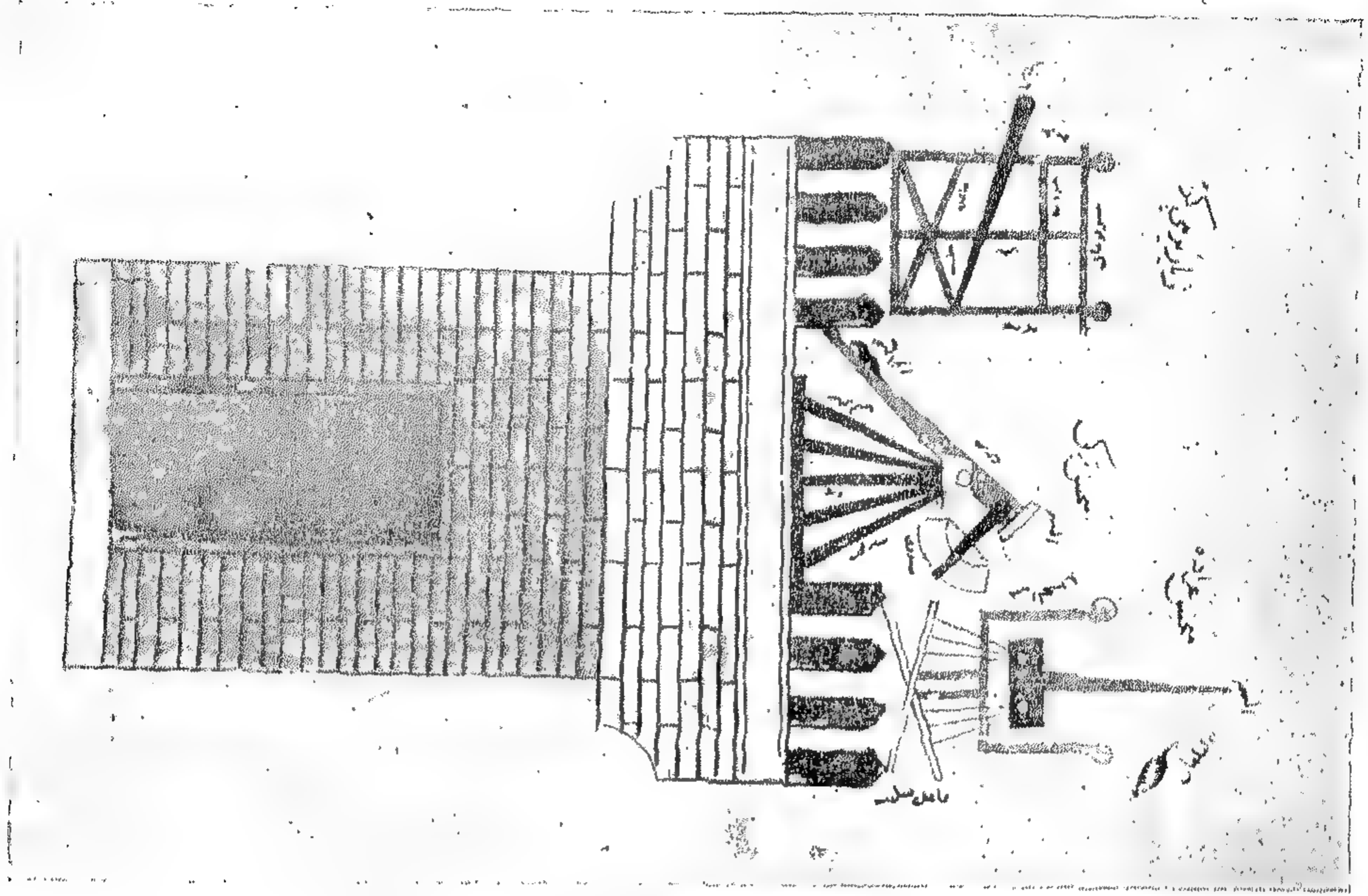
المخطوطات
المصرية

[illegible]

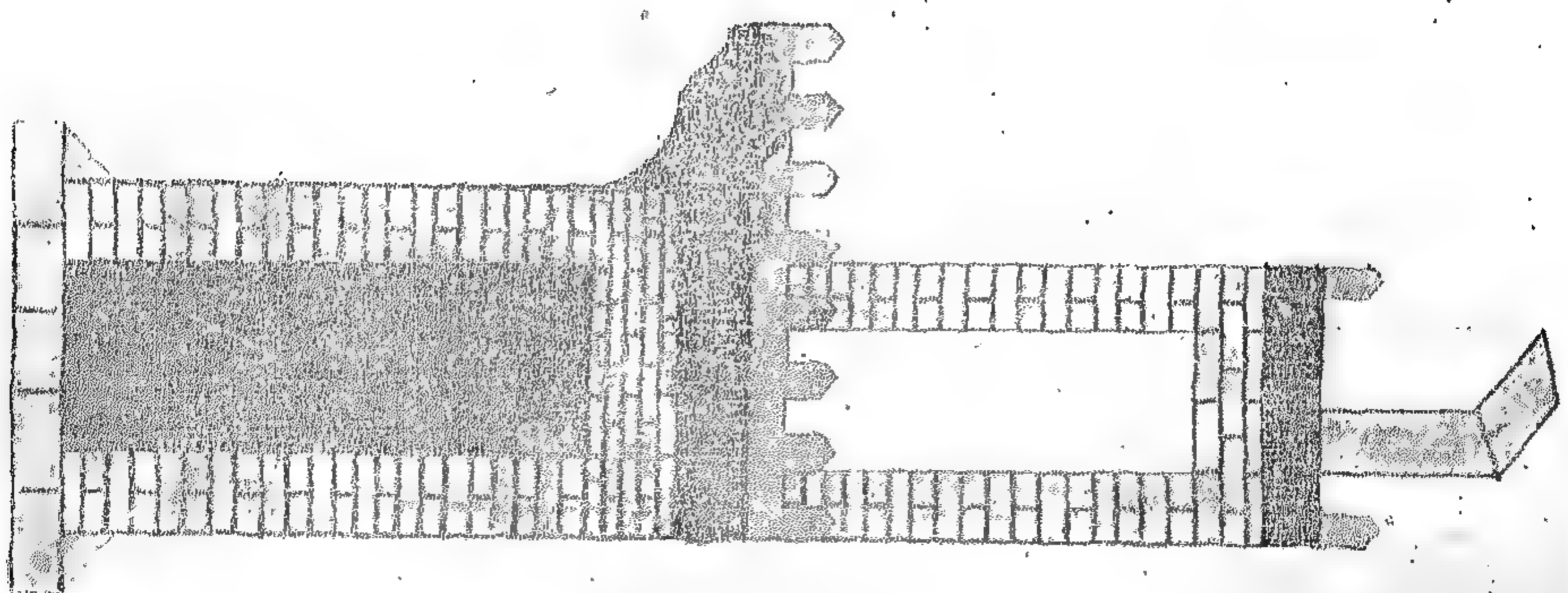
فانخرج بها وادخلنا بالعامية
فما سماعا بالعبير والمدائح
تذكر عن علي وسانا في مسية
حكمة الامور والنجيب
وطفا به على الاجان
اليرة والحسنات كى محاطه
عنا بها الطيال من بعيد
بالكوس جى ذا البراميان
ابو الحياتي نلا قد فاسد
والمات جى العرب كى يوق
فبعين من جاشا ابو كران
فانت فنى الموطن الشير
فالير والحسنات كى تفدى
اما المربع صديق بلا هوى
والمبارد الان فى بلاضاح
بالا كى و الشلى له ريت
فى شرفه والفرج حفا فله
اما المربع صديق بلا هوى
مستندة و شى عليه و اعلم
ولا يفتخر بالمرزوق
ان شيتا ان توتو طهر فنى
صاحي اسول يانت ولا يتريب
وقاوت فنى بتخذ الكراوى
فنى واللعن مع اوساطه
ملاثة الاربع بالثوب كيه
فان سغيت اظلامه كان
فنى بصيبي عافى المربع
وتشرب على الاربع فى المصارف
ابوها كى لا اذعان
ان لوتى لى لبر و كانت عوى
وان نفس بسطط والسنه
عن انما اذ او كين فنى المرس
والمكينا اربعه سباحي
بنقن ليا فنى فليس العرب
ومشج الكد و طافا بكلمه
الير والحسنات كى اربع
المسكله خمسة كى كيه

وفيها أصلاً - لم يكن كلاماً بـ
 كانا ابتداءً - أرواح متجالة .
 ومن وهما فيصيران صفة .
 ذكرنا الله في النظر فالأينسفة .
 أفليس فيه عجز أن لم يتجلى .
 وطيف هو على صورة . يدركها .
 عرفنا أودية الجبروت تحريه .
 حضرت أصل الجبروت في كل .
 يا حسرتي استعمل من عجزكم .
 صلى إلا على المنار ما أتعلم .
 وما خير خلقت البرزخ كالأجر .
 تحت القضيعة - أودية السماء كثر إلا المذمومة .
 وعجزه . وحسن في عجزه . ولا كرم . إلا المذمومة .
 وهو عجزه .
 من جادته عجزاً . أصبح من كل برضاً . حاج الجنة من الشريعة .
 شهاب الله . عجزه . جبروت . عجزه . السعدى . المظلمة . من المسامحة .
 عجز الله . العجز إلى عجز . عجز إلى عجز .
 يا طالب النجدة بالجاهل .
 عجز . يا ابتظر العجز إلى عجز .
 عجز . يا ابتظر العجز إلى عجز .

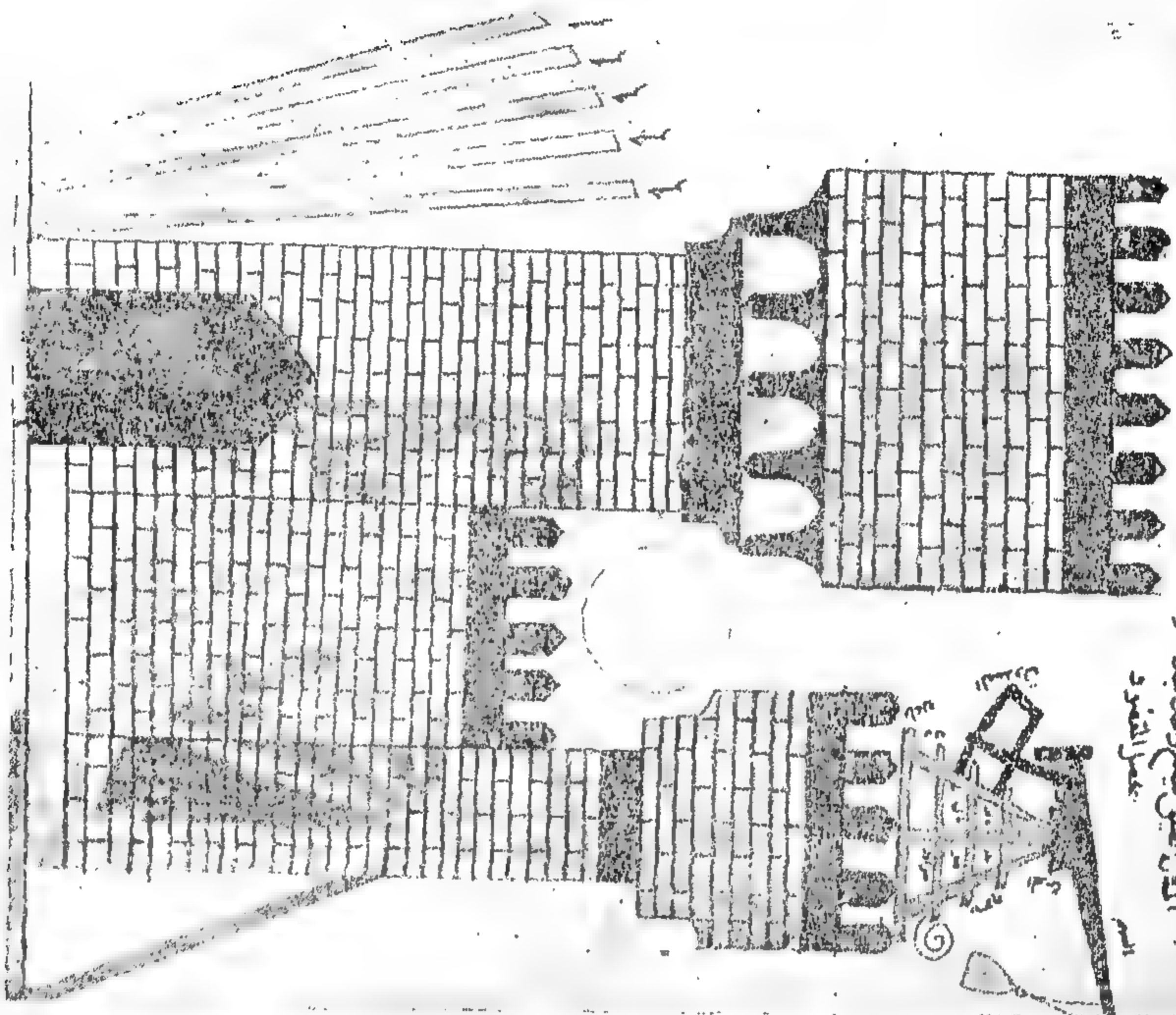
[illegible]



ورقه رقم ۱۲

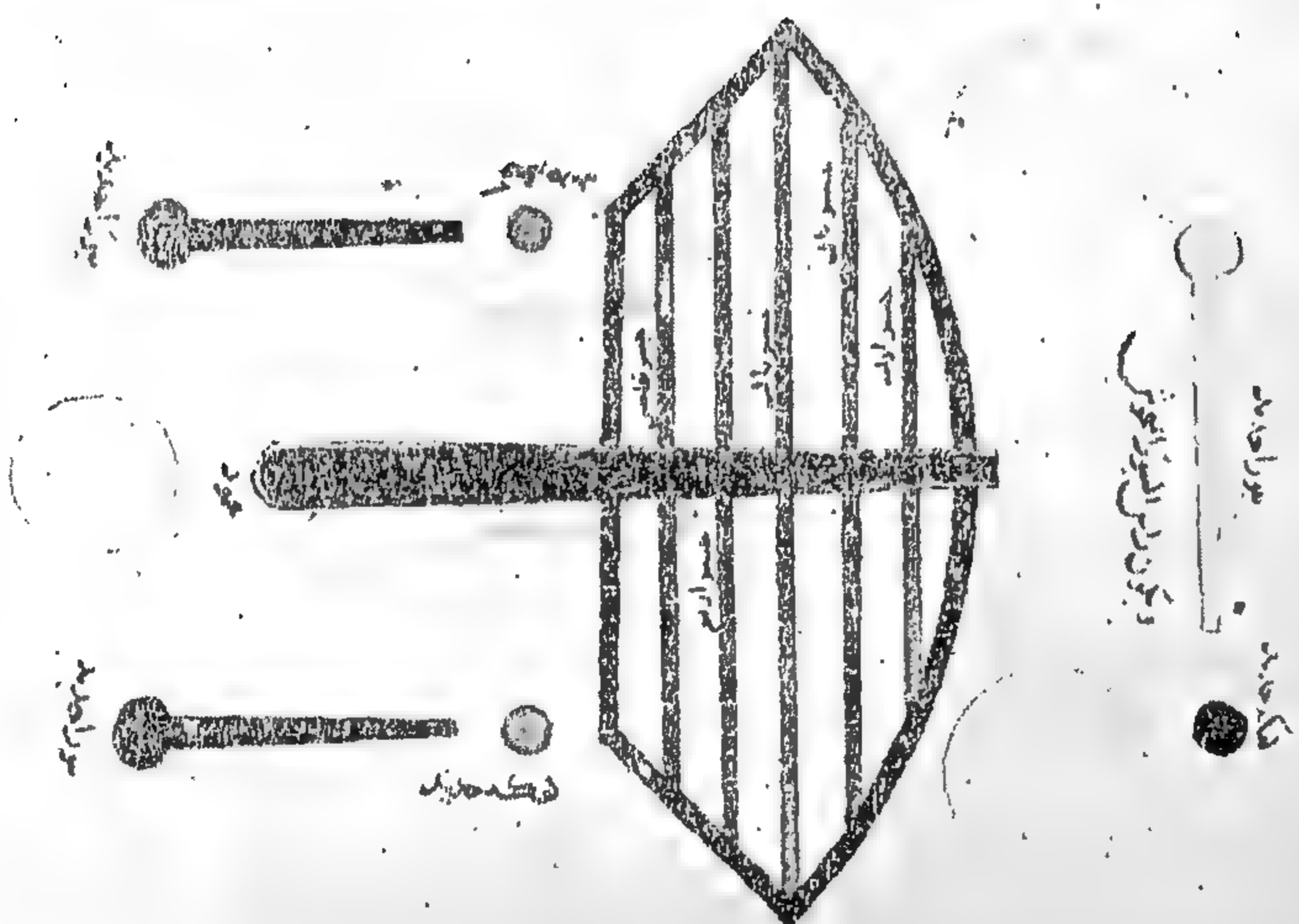


صفة حج خمسة وظواهر أربع آخر خبر يزيد فقام السيد الكبير خمسة حرم زاد راجع إلى
 الآثار التي يقع هذا منها آخر
 بحول القادر



二
七
六
三

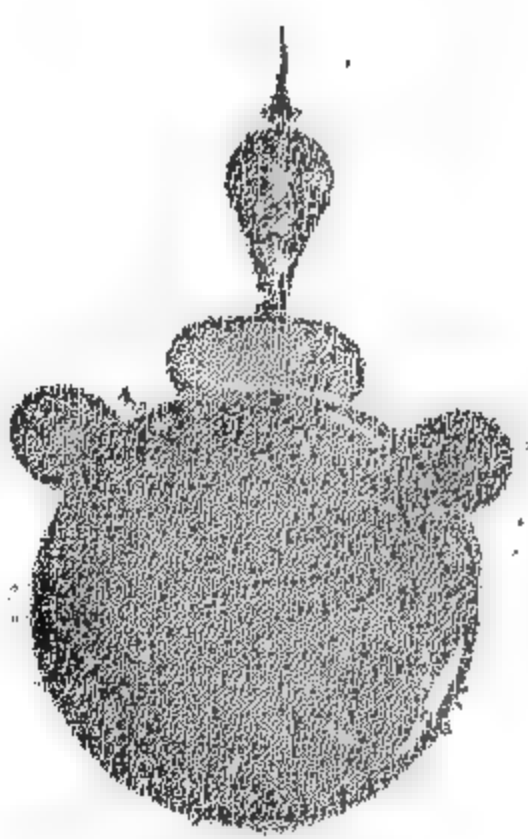
هذه صدق المفسر من أن يوضع وهو هذه القيد في الطول والعرض



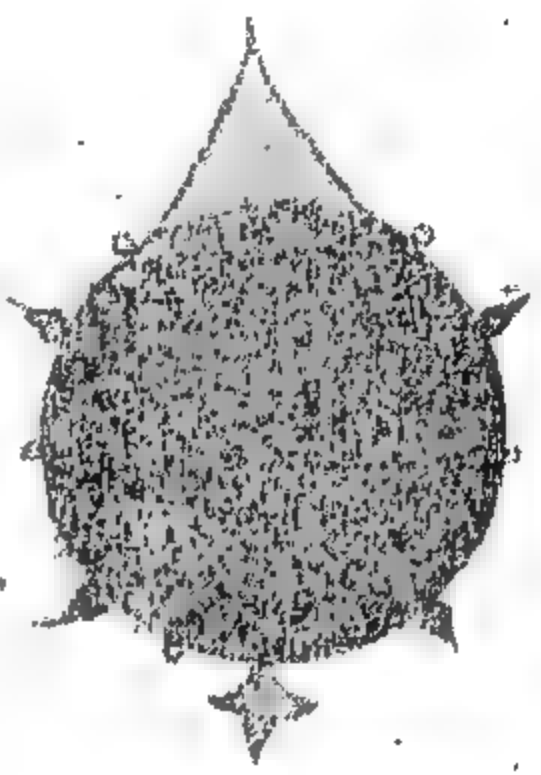
[illegible]

كَذَّبُوا عَنْ آلِهَا مَقْفُورَةً زَالِمَةً يَتَذَكَّرُ
 وَتَبَيَّنَ شَأْنُهَا وَتَبَيَّنَ حَقُّهَا وَتَبَيَّنَ
 صَوْرُهَا وَتَبَيَّنَ خَلْقُهَا وَتَبَيَّنَ أَهْلُهَا وَتَبَيَّنَ
 عَلَى الرُّغْمَةِ وَتَبَيَّنَ كَلْفُهَا وَتَبَيَّنَ مَنَافِعُهَا وَتَبَيَّنَ
 الدَّرَجَاتُ وَتَبَيَّنَ زُجْرَةُهَا وَتَبَيَّنَ مَنَافِعُهَا وَتَبَيَّنَ
 عَمَلُهَا وَتَبَيَّنَ رُزْقُهَا وَتَبَيَّنَ مَنَافِعُهَا وَتَبَيَّنَ

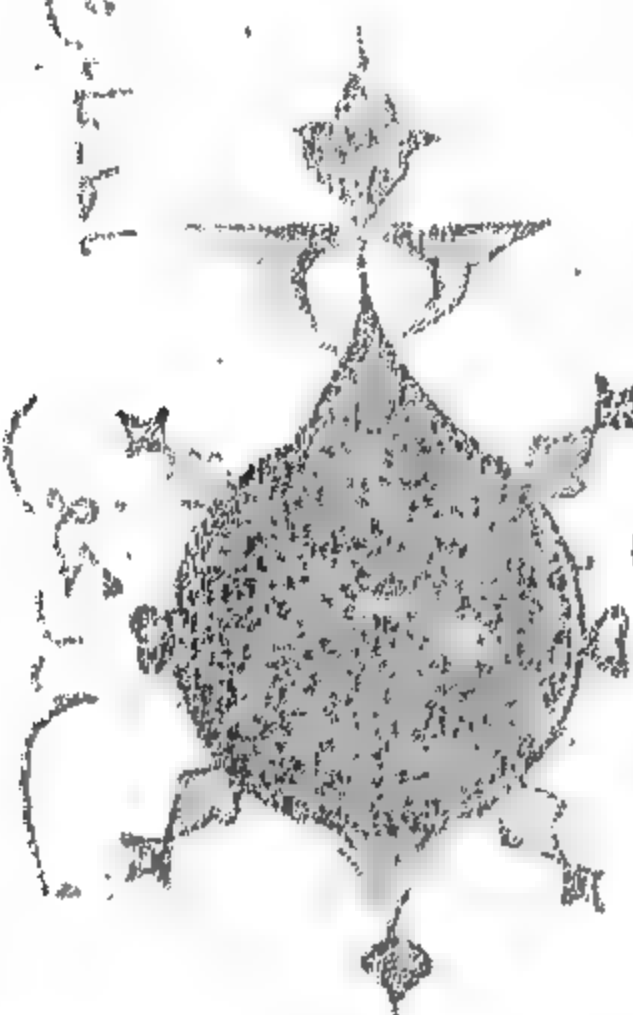
۱۰
 ۱۱
 ۱۲
 ۱۳
 ۱۴
 ۱۵
 ۱۶
 ۱۷
 ۱۸
 ۱۹
 ۲۰
 ۲۱
 ۲۲
 ۲۳
 ۲۴
 ۲۵
 ۲۶
 ۲۷
 ۲۸
 ۲۹
 ۳۰
 ۳۱
 ۳۲
 ۳۳
 ۳۴
 ۳۵
 ۳۶
 ۳۷
 ۳۸
 ۳۹
 ۴۰
 ۴۱
 ۴۲
 ۴۳
 ۴۴
 ۴۵
 ۴۶
 ۴۷
 ۴۸
 ۴۹
 ۵۰
 ۵۱
 ۵۲
 ۵۳
 ۵۴
 ۵۵
 ۵۶
 ۵۷
 ۵۸
 ۵۹
 ۶۰
 ۶۱
 ۶۲
 ۶۳
 ۶۴
 ۶۵
 ۶۶
 ۶۷
 ۶۸
 ۶۹
 ۷۰
 ۷۱
 ۷۲
 ۷۳
 ۷۴
 ۷۵
 ۷۶
 ۷۷
 ۷۸
 ۷۹
 ۸۰
 ۸۱
 ۸۲
 ۸۳
 ۸۴
 ۸۵
 ۸۶
 ۸۷
 ۸۸
 ۸۹
 ۹۰
 ۹۱
 ۹۲
 ۹۳
 ۹۴
 ۹۵
 ۹۶
 ۹۷
 ۹۸
 ۹۹
 ۱۰۰



الترز وتعلمه بالنقطة عندك الشَّوْشَل وترجمته في الجنيون وبأه الزون
وتلوه على كل نحر سنو نكك لباد من ترا ولسيكي وهذا النقطه
وتعلم الكل بالنقطه الطيار قدرة الحرم

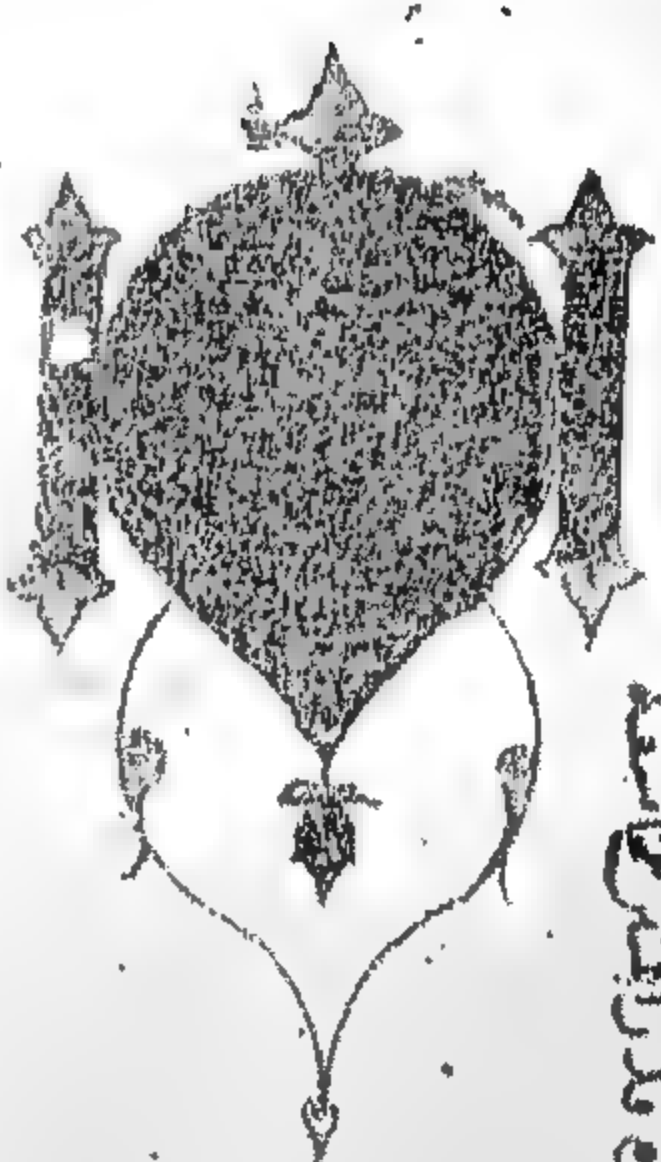


فلان العنسون برة تاخذ سمنه من سائل وازرعهم وتفق
وارعين حصا لكان وبنين حليت وسمن على صغور وازرع
صناروس نخش وليف بالباخر والنقطه وحسبهم ويطعم
السمن وروس وبعيت في القدرن وينشعش من مثله ورون الصيرة



أحد ما من عشا ومما من وسن وكنس من تلك

الكرية الدارقات على الشايات وتبينهم القدرن وتبرل
الصلية القدرن مد رالمنع الماسفة



فلان الحرم يرب ياخذ قدرة سمن ورونه ونقطه فيه كل
تطير ولسد راس القدرن ويكسب في القعب واثا في القدرن في طالع
جبار الحرس على صاخير وهو والي أعينهم ما ينشعش البعالي
تبرل ونسح شعور تفر باليد قدر الجير



فلان الحرم تاخذ عذوقا وتخشمة كله فيا مثيل
العليق ونقطه فيه تحت الأنظر نحر وبقاصته لباد محرقه وفصاحه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هـ بِسْمِ اللَّهِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْلَقَ قَدْرَ مَنْ أَنْصَفَ الشَّجَاعَةَ وَأَشْرَفَ
 وَأَعْلَى نَبِيٍّ مِنْ حَقِّ الْفَضْلِ بِضَاعَةً وَجَعَلَ عَيْنِي
 الصَّبْرَ الظَّفَرَ ۝ الْقَوْلُ لِلَّهِ أَعْلَى عَلَى الْحُرُوبِ
 وَهُوَ الْمَاهِي ۝ وَالْمُصَافَاتُ فِي بَيْتِ أَخِي الْمَاهِي ۝ عَظِيمُ
 أَجْرَ الْجَنَادِ ۝ وَفَضْلُهُ عَلَى الْيَتَامَى ۝ وَنَصْرُ أَهْلِ
 الْحَرْبِ عَلَى أَهْلِ الْعِبَادِ ۝ فَمَنْ عَلَى مَا أَنْصَرَفَ مِنْ
 النَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ۝ وَرَفَعَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ۝
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِخَدَةِ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمُنَادِرُ
 الْفَاهِرُ ۝ وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَاحِبُ

الْوَجْهِ الْأَوَّاهِي الرَّاهِمِ ۝ وَالْمُورِ الْبَاهِي الْمُبْهَرِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ إِلَى الْفَضْلِ الْوَافِي الْوَافِرِ
 وَسَلَامُ سَلَامٍ كَثِيرًا هـ وَجَعَلَ لَكَ قَاتِلَ الْحُرُوبِ
 وَأَرْزَامَ لَا يَدُ لِلْمُصِيفِ مَا لِبَطَاعَةِ مَنَاهَا ۝ وَجَوَازِمُ
 لَا يَسْتَعْنِي عَنْهَا ۝ وَقَدْ عَمِرْتَ فِي هَذَا الْكِتَابِ
 مَا يَحِبُّ لِمُعَاظِي الْحَرْبِ مِنَ الْقُوفِ عَلَيْهِ وَمَعْرِفَةِ
 رِسْمِهِ ۝ وَمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّتِهِ وَقَضِيَّتِهِ ۝ وَالْإِجْتِنَالِ
 لِمُرْسُومِهِ وَالْإِنْشَاءِ مَوْسِمَهُ ۝ وَخَيْرَةِ مَا أَنْصَفَهُ
 مِنْ الْقِتَالِ وَأِدْبَارِ الْأَوْدَادِ ۝ وَاصْدَارِ ۝ وَكَرَمِ
 وَفِي ۝ وَفَوْقَ مَنِي ۝ وَتَصَوِّبِ لِسَانِي ۝

Y. I. K.

12/20

12

صفحة ١٥٠

كَبِيرٌ وَأَرْبَعَةٌ وَأَهْرَاقٌ رَفِيعٌ وَأَوْعَسٌ دَائِمٌ

صفحة ٢١

75

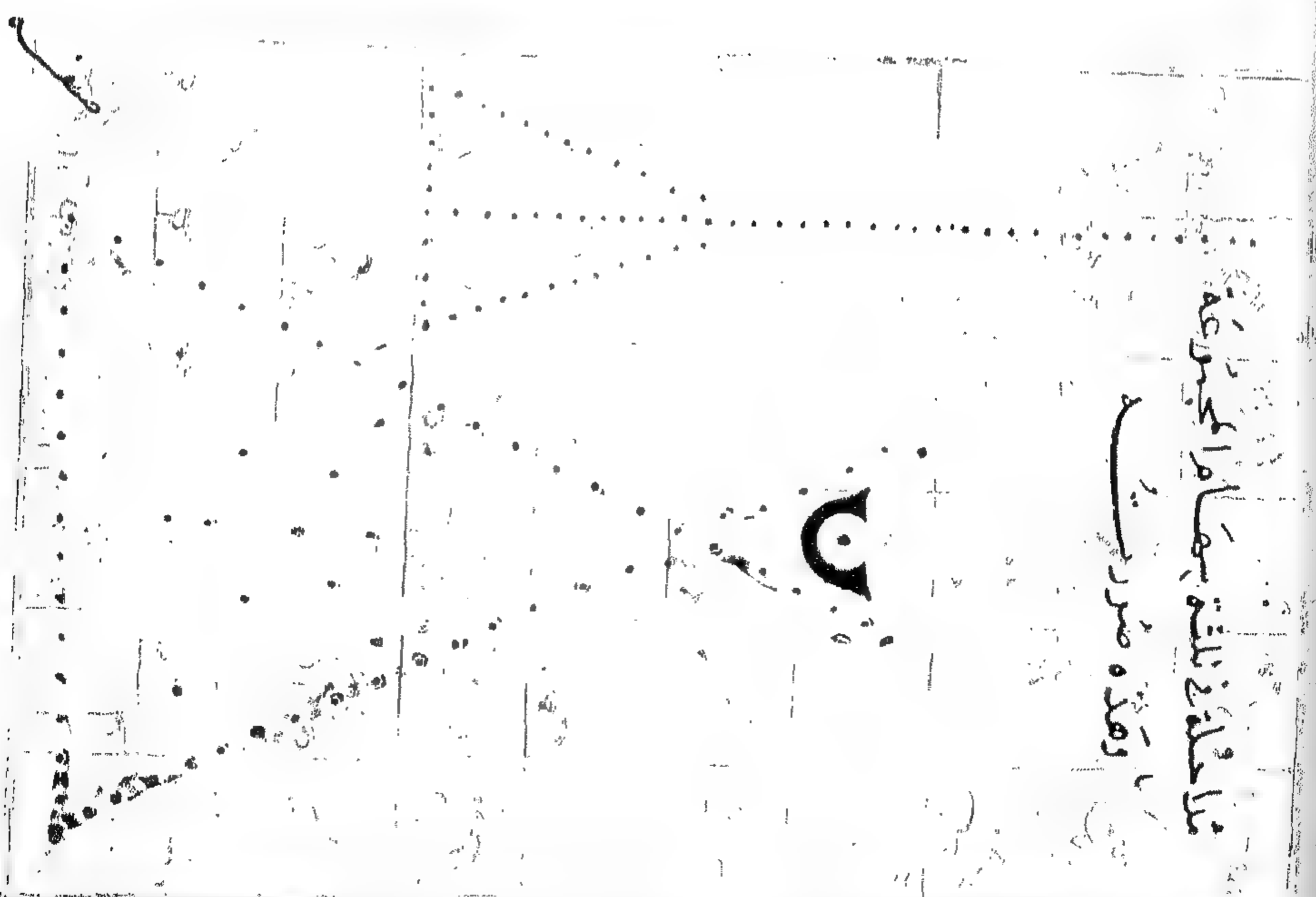
لی و غیر درختان

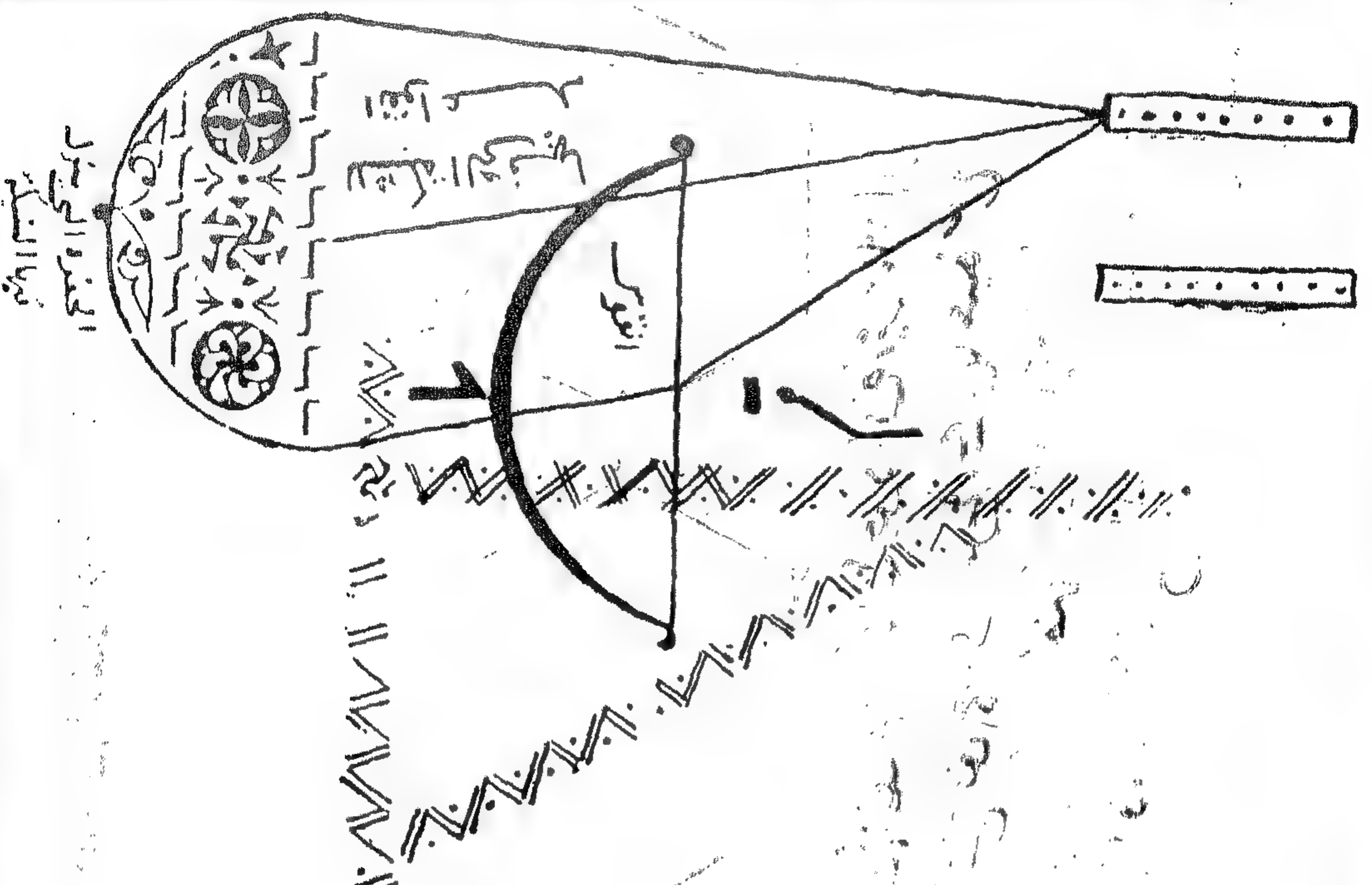
صفحة المنهج
النفاركية

سكانه في الشجاعة والكسب من الأبرار
الاشكندرية يكون قوته جبر خبير وصيد
أو أكثر أو أقل وفي أصل قايمة قوس قزح يجذب
جميع ذلك رطل واحد ويرى عنه فإذا جذب
الرجل السهم حصلته الفئانية التي تجذب
بها وتر القوس في تنقله وانقلب الرجل الكلمة
في جملته قد ثبتت قاعدة تشكك السهم
واخذ القوس في عينه ثم افلت السهم فتدح
الحجر وسر أن يخذل منحنيا فابشيا
وبدفعه للمرمى عنه وتكون له جانب قايمة
بركة يكون معها أطوال الفئانية التي
في السهم ويخذل منها قوت صيغة البيوت
وتكون في أطرافها ثلثه أجل من القسب الوثير

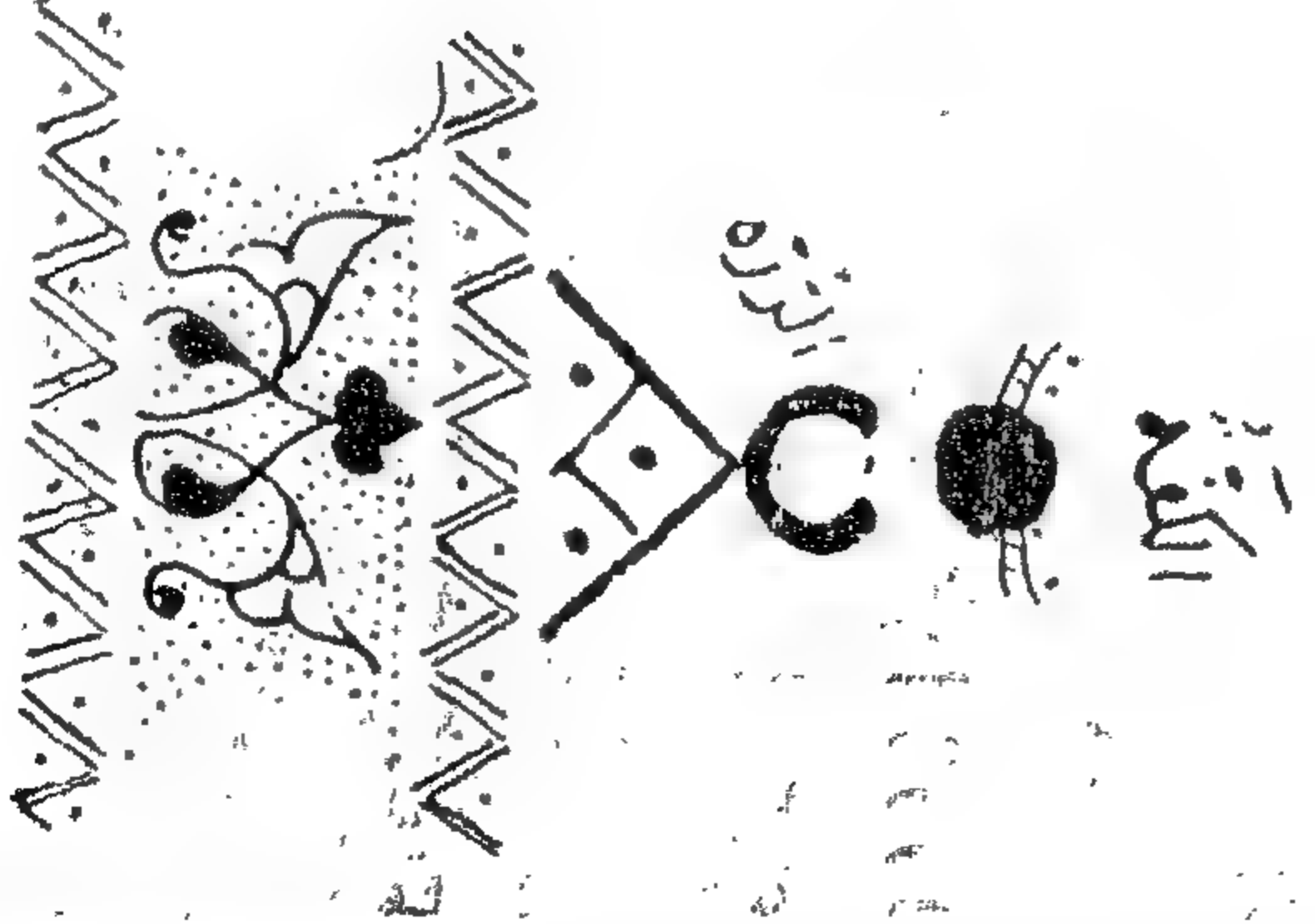
ملاحظة في ثلاثة جهات المجموعه

وهذه صورته

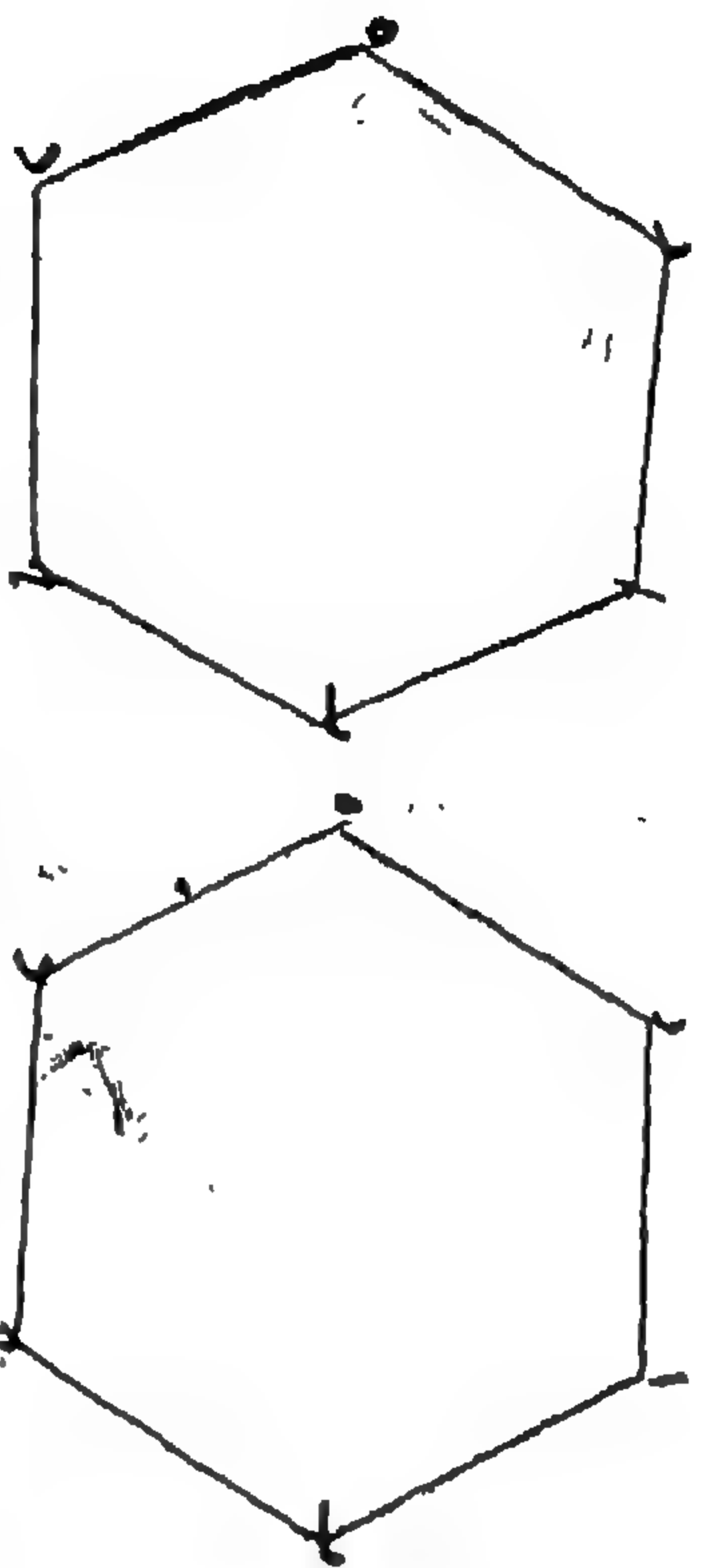




موقف الدخول إلى السكك
ورمى الحصى



فإذا اجتمع الشعاع فيها فقد ما كنا
أضواء موضع الذي يقصد وضوء هذه
صورة الشكل

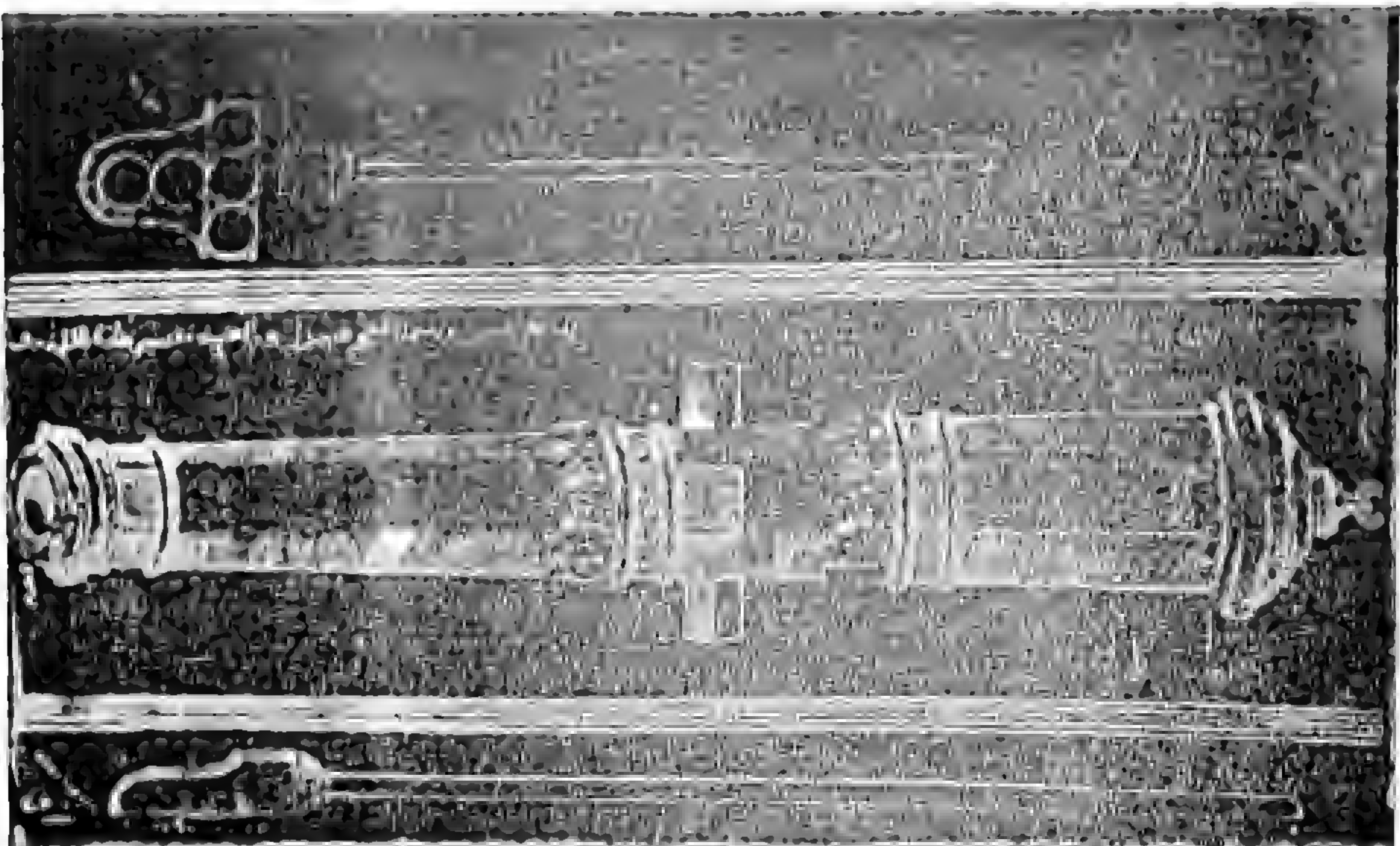


والألتقاط يكون جزواً صغيرت المراتب
في أربع نقاط أو خمس في كل ناحية سبع
مرباً ويمكن بعضها من بعض متعادلة
أما أنه لا يقطع الشعاع بعضه

ورقه رقم ٢٥

فلا يمنع تلكها والمحرك على هذه الخطوط
ذلك نأبأ الصانع صانع سهلة الايجاز
وأما بالزوايا فنحن ان جعلنا المراتب
التي هي المراتب الاولى من سطح المراتب
الوسطى ان عطف الشعاع عطفاً
وأبداً وان نحن جعلنا المراتب الاولى
ثابتة غير متحركة تلكها جميلة من الجليل
فقد نأبأ النافذة الشعاع عليها ان امكننا
المرايا المحيط بها فلا شك ان الشعاع
لأنه ينتج من هذه المراتب اننا يعطف
على موضع الواسطة من المراتب الاولى حتى
اذا فعلنا ايضاً بمرة اخرى بحجة بالافراد
كنا من النافذة الشعاع على المراتب الاولى

١٤



ورقة رقم ٢٧



[illegible]

المكتب الوطني للبريد
والبرق والبرق

365

والله اعلم
بما كنا
نعمين

55

في أصبعه ولبوا المغنطرات وفي المطالغ يكتب فيها عدد
المغنطرات وبعدها ثم عدد الساعات فيجد زمان غايته الزكاة على
السرطان في ذلك الزمن السعوت هي الدايقة التي تحتمل عليها حمة الزكاة
مقاطعة لجميع المغنطرات منها ودايقة اول السعوت هي ما كانا
سعة طبع لاقت وعدا الاعتدال الخطي الكسري والكسب وبسطة
سمت الاربعة اوقات وهو اول المغنطرات فها يطايله الاربعة
على سطر السطر وكرها فبهم بدت خمس ربع ضيق ربع وقيم
بستر ستة واقل فافتر الساعات الزكاة في الخطوط الكسرية
على نصف الخط من الصعيقة وتكون مقسمة صوري اول السابعة
فانها عند مستقيم في سائر العروق واما في بلد لا عرض له فجميع الساعات
خطوط مستقيمة وانما رسوم ظهروا لاسطرلاب فيها ارباع الارض
ربعا واحدا سائر في الاخر يخرج واحد اعد بها من خط
المشرق والغرب شيئا الخط الكسري وخط الكسري والخط الكسري
وربعاها في خبرها احدها اول الخط الكسري والمغنطرات
وفي الاخر اما الملال الاعلى والما موشى الملال فاق وداخليا
الساعات الزكاة في الملال فية وفي واحد ربع الارض فاق
الظلال الكسرية والمجسمة وفي خطان سوازيان خطي الكسري
والغرب وخط نصف النهار فاني يوازي خطي الكسري والمغرب
هو قامة الخط الكسري والارض يوازي خط نصف الارض
خطان الكسري وفي بعضها سطرلاب قد يوضع على ارباعها
شكل ربع الجيب لاجل بعض الاماكن المختصة به المقسمة وفي

